٤٩ اسرار التنزيل

الا الله واستغفر **الوجه الثالث** في تقرير هذا الاصل انه تعالى قال في اول سورة النحل ينزل
الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون فقوله انه
لا اله الا انا اشارة الى علم الاصول وقوله فاتقون اشارة الى علم الفروع **الوجه الرابع** ان
موسى عليه السلام لما ادعى الرسالة عند فرعون قال له فرعون وما رب العالمين يعني ان رسالتك
متفرعة على اثبات ان للعالم الها فما الدليل عليه ثم ان موسى عليه السلام لم ينكر هذا السؤال اشتغل
بذكر الدلايل الدالة على وجود الصانع فقال ربكم ورب اباءكم الاولين فاستدل على وجود الصانع
اولا باحوال نفسه وثانيا باحوال اباءه وهو نظير قوله تعالى في سورة البقرة اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم وظهر بما ذكرنا وجوه الفايدة في انه تعالى ذكر اولا قوله فاعلم انه لا اله الا الله
وذكر ثانيا قوله واستغفر لذنبك والله اعلم بحقايق كتابه فهذا ما يتعلق بالدلائل القرانية الدالة
على تقديم علم الاصول على علم الفروع ولنوكد كل هذه الوجوه بعشرة اوجه اخرى **فالوجه الاول**
وهو ان شرف العلم بشرف المعلوم فمهما كان من المعلوم اشرف كان العلم الحاصل به اشرف ولما كان
اشرف المعلومات ذات الله تعالى وصفاته وجب ان تكون معرفته وتوحيده اشرف العلوم
الحجة الثانية ان العلم اما ان يكون دينيا او غير ديني ولا شك ان العلم الديني اشرف من
غير الديني واما العلم الديني فاما ان يكون علم الاصول او ما عداه اما ما عدا علم الاصول فان صحته
موقوفة على صحة علم الاصول لان المفسر انما يبحث عن علم معاني كلام الله تعالى وذلك فرع على معرفة
الصانع المختار المتكلم واما المحدث فانه يبحث عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك فرع على ثبوت
نبوته والفقيه انما يبحث عن احكام الله تعالى وذلك فرع على ثبوت التوحيد والنبوة فثبت ان هذه
العلوم باسرها مفتقرة الى علم الاصول وظاهر ان علم الاصول غني عنها باسرها فوجب ان يكون
علم الاصول اشرف **الحجة الثالثة** ان شرف الشي قد يظهر بواسطة خسة ضده
فكلما كان ضد الشي اخس كان هو اشرف ولا شك ان ضد علم الاصول هو الكفر والبدعة وهما من اخس
الاشيا فوجب ان يكون علم الاصول اشرف العلوم **الحجة الرابعة** ان اشرف العلم تارة يكون
اشرف موضوعه وتارة لشدة الحاجة اليه وتارة بقوة براهينه ودلايله وذلك لان علم الهيئة
اشرف من علم الطب نظرا الى ان موضوع علم الهيئة اشرف من علم الطب نظرا الى ان موضوع علم الهيئة
اشرف من موضوع علم الطب وان كان علم الطب اشرف من حيث الحاجة الى علم الطب اشد وعلم الحساب
اشرف منهما من حيث ان براهين هذا العلم اقوى وعلم الاصول مستجمع لهذه الخصال اما شرف
الموضوع وذلك لان المبحوث عنه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وقدسه وعظمته وعزته ولا
شك انه اشرف الاشيا واما شدة الحاجة اليه فظاهرة لان الحاجة اما في الدين واما في الدنيا
اما في الدين فلان من عرف هذه المطالب استحق الثواب العظيم وتخلص عن العقاب الاليم
وصار من زمرة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين ومن جهلها صار محروما عن الثواب العظيم
مستوجبا للعقاب الاليم وصار من زمرة الابالسة والشياطين وبقي في دركات الضلالات ابد
الابدين ودهر الداهرين واما في الدنيا فان معظم مصالح العالم انما ينتظم بسبب الرغبة في الثواب

والرهبة

والرهبة من العقاب ولولا ذلك لوقع الهرج والمرج في العالم واما قوة براهين هذا العلم فان براهينها مركبة
من المقدمات البديهية الضرورية وهي اقوى العلوم والمعارف فثبت ان علم الاصول مستجمع لجميع خصال
الشرف فوجب ان يكون اشرف العلوم **الحجة الخامسة** ان هذا العلم لا يتطرق اليه النسخ والتغيير
ولا يختلف باختلاف النواحي والامم بخلاف ساير العلوم فوجب ان يكون هذا العلم اشرف العلوم
الحجة السادسة ان الانسان لا يكون من اهل النجاة والدرجات الا مع هذا العلم وقد يكون
من اهل النجاة وان لم يتعلم شيئا من الفقه اصلا البتة اما انه لا بد في النجاة من علم الاصول لان الجاهل
بالله تعالى وصفاته البتة لا يكون من اهل النجاة بالاجماع واما انه قد يحصل النجاة بدون الفقه
فلان الانسان قبل البلوغ لا يكون مكلفا بشي من الاعمال فاذا بلغ وقت الضحوة ففي هذه الساعة لم يجب
عليه شي من الصلوة والزكوة والصيام وساير العبادات فلو مات في هذه الساعة مع المعرفة بالتوحيد
لقي الله مومنا حقا ولو قدرنا ان هذا الذي بلغ كان امراة كما بلغت حاضت وبقيت مدة اخرى في
البلوغ وهي غير مكلفة لا بالصيام ولا بالصلوة ولا بالقراءة فاذا انقضى زمان حيضها وما تشتهي فقد لقيت
حضرة الله تعالى مومنة حقا فعلمنا ان النجاة واستحقاق الدرجات لا تتوقف على الفقه وهي موقوفة على
معرفة الاصول **الحجة السابعة** ان الايات المشتملة على دلايل علم الاصول اشرف من الايات المشتملة على
دلايل علم الفروع بدليل انه جاء في فضيلة قل هو الله احد وامن الرسول واية الكرسي وشهد الله ما لم يجي مثله
في فضيلة قوله تعالى ويسالونك عن المحيض واحل الله البيع وحرم الربوا يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين
وذلك ان الزهاد والعباد مواظبون في شرايف الاوقات على قراءة هذه الايات المشتملة على الالهيات
دون الايات المشتملة على هذه الاحكام **الحجة الثامنة** ان الايات الواردة في الاحكام الشرعية
اقل من ستمائة اية واما الباقي فهي في بيان التوحيد والرد على عبدة الاوثان واصناف المشركين
وفي اثبات النبوة والمعاد ومسئلة القضاء والقدر واما الايات الواردة في القصص فالمقصود منها
اما التوحيد واما النبوة اما على التوحيد فهو ان يستدل على قدرة الله تعالى وحكمته كما قال تعالى لقد
كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب واما على النبوة فمن وجهين كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي
الالباب وكما قال تعالى في سورة الشعراء بعد ذكر القصص وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك والاستدلال به انه عليه السلام لما لم يتعلم علما ولا يقرا كتابا ولا تتلمذ لاستاذ استحال منه
رواية هذه القصص الا عن وحي الله تعالى وتنزيله والثاني انه يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة وكل
متشابهة في الفصاحة مع ان الفصيح اذا ذكر قصة واحدة بالفاظ فصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة اخرى
بالالفاظ الفصيحة فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله تعالى لا من البشر فدل هذا على ان معظم
القران في علم الاصول ولنشير الى معنى فيه الدلايل اما دلايل التوحيد فتارة بالخلاق للانسان من
النطفة والله تعالى ذكر هذا الدليل في القران اكثر من ثمانين مرة وتارة بدلايل الافاق وهي احوال
السماء والارض والهوى والنبات والحيوان وهي اظهر من ان يحتاج الى الشرح واما الدلايل الدالة على الصفات
فنقول اما الذي يدل على العلم فكقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء وهذا هو دليل المتكلمين فانهم يستدلون باحكام الافعال واتقانها على علم الفاعل

وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وقال تعالى تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال في سورة نوح الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وقال في يس لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ثم بعد هذه المرتبة الرابعة مرتبة خامسة وهي الاحوال
المتولدة من السماء والارض وهي نزول القطر من صلب السحاب ووقوعه في رحم الارض ثم
بعد ذلك يحدث في الارض الوان انواع من النبات بحيث يخالف كل واحد منها صاحبه في
اللون والشكل والطعم والطبع والخاصية فمنه ما يكون ادامًا ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دواء
ومنه ما يكون علفا لسائر الحيوانات فذكره في تفصيل المطعومات قوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم
شققنا الارض شقا الى اخر الاية وقال ان الله فالق الحب والنوى بل اذا نظرت الى ورقة واحدة
من اوراق الورد وجدت احد وجهيها في غاية الحمرة والوجه الاخر في غاية الصفرة مع انها تكون
في غاية الرقة وقلة الثخانة ونحن نعلم بالضرورة ان نسبة تاثير الكواكب وحركات الافلاك
والطبايع الى كل واحد من وجهي تلك الورقة الرقيقة جدا من الورد نسبة واحدة فاختصاص احد
وجهي تلك الورقة بالحمرة والاخرى بالخضرة لابد ان يكون لاجل القادر المختار الذي يفعل بالعلم والقدرة
لا بالعلة الطبيعة واذا عرفت ذلك ظهر لك ان الله تعالى في ترتيب هذه الدلايل الخمسة وتقديم
بعضها على البعض حكما بالغة واسرارا عجيبة فسبحان من لا نهاية لعلمه ولا غاية لحكمته ثم انه
تعالى لما بين دلائل اثبات الصانع وحدانيته اردف هذه المسئلة بمسئلة اقامة الدلالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وذلك لان التحدي
وقع بكل القران في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا فلما عجزوا عن معارضة كل القران اتبعه بالتحدي بعشر سور من القران
فقال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فلما عجزوا عنه اتبعه بالتحدي بسورة واحدة فقال ههنا فاتوا بسورة من
مثله قيل الضمير في مثله للنبي صلى الله عليه وسلم لانهم عجزوا ان ياتوا بشيء
من ذلك المثل والقران لا مثل له فكان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم فلما عجزوا عنه اتبعه بالتحدي
باية واحدة فقال فلياتوا بحديث مثله فلما عجزوا عنه مع توفر الدواعي ظهر كونه معجزا باهرا
وبرهانا قاهرا ثم انه اتبع هذه المسئلة بمسئلة المعاد وهي قوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كانه قال انا قدمنا مدح المؤمنين وذم الكافرين وهذا هو المراد
من قوله في يونس ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال في سورة طه
واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال في ص ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فظهر بما ذكرنا
انه تعالى لم يذكر في اول كتابه الا دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وثبت انه لابد من تقديم الاصول
على الفروع فلهذا السبب قدم الله تعالى الامر بالتوحيد على الامر بالاستغفار فقال فاعلم انه لا اله

٢٩

وههنا استدل سبحانه بتصوير الصور في ظلمات الارحام على كون الفاعل عالما وقال ايضا
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وهو عين تلك الدلالة وقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وهذا تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المعلومات لانه تعالى يخبر عن المغيبات فيقع تلك الاشياء على
وفق ذلك الخبر وذلك يدل على كونه تعالى عالما بالمغيبات واما صفات القدرة فكل ما ذكره تعالى في
القران من الثمار المختلفة والحيوانات المختلفة مع استواء تاثير الطبايع والافلاك فانه يدل على صفة القدرة
وسيجي الاستقصا في هذه الدلايل القرانية **الحجة التاسعة** انه تعالى حكى عن اكثر الانبيا عليهم السلام
انهم كانوا اطول عمرهم مشتغلين بهذه الدلايل ولنذكرها بينة على المقصود اما الملائكة عليهم السلام
فانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما كان المراد ان خلق امثال هولاء سببا للشر
والفتنة وذلك قبيح والحكيم لا يفعل القبيح فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون والمعنى والله اعلم
اني لما كنت عالما بكل المعلومات كنت قد علمت في خلقهم وايجادهم خلقه لا تعلمونها انتم فلما سمعوا ذلك
سكتوا واما مناظرة الله تعالى مع ابليس فالقران ناطق بها واما الانبيا عليهم السلام فاولهم ادم عليه السلام
وقد اظهر الله الحجة على فضله بان اظهر علمه على الملائكة وذلك محض الاستدلال واما نوح عليه السلام
فقد حكى الله تعالى عن الكفار انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومعلوم ان مجادلة الرسول
مع الكفار لا تكون في تفاصيل الاحكام الشرعية فلم يبق الا انها كانت في التوحيد والنبوة وايضا عليه السلام
لما امرهم بالاستغفار في قوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا في الحال ذكر ما يدل على التوحيد
فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
واما ابرهيم عليه السلام فالاستقصا في شرح احواله في هذا البيان يطول وله مقامات احدها
مع نفسه وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي الى اخر الاية وهذا هو طريقة
المتكلمين فانه استدل بافولها وتغيرها على حدوثها ثم استدل بحدوثها على وجود محدثها كما اخبر الله
عنه في قوله قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
ثم انه تعالى عظم شانه بسبب ذلك فقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات
من نشا وايضا قال في وقت دعائه ما هو محض الاستدلال وهو قوله الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين الى اخر الاية **وثانيها** حال ابرهيم عليه السلام وهو قوله تعالى
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا الى اخر الاية **وثالثها** حاله مع قومه تارة
بالقول واخرى بالفعل اما بالقول فهو قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون واما بالفعل فقوله
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون **ورابعها** حاله مع ملك زمانه حيث قال
ربي الذي يحيي ويميت الى اخر الاية فهذا كله مباحث ابرهيم عليه السلام في معرفة المبدا واما
بحثه في معرفة المعاد فهو قوله رب ارني كيف تحيي الموتى الى اخر الاية واما موسى عليه السلام فانظر
الى مباحثاته مع فرعون واعلم ان موسى عليه السلام ما كان يعول في الاستدلال الا على دلايل ابرهيم
صلى الله عليه وسلم وذلك لانه تعالى حكى في سورة طه ان فرعون قال له وهرون فمن ربكما يا
موسى فقال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وهذا هو الدليل الذي ذكره ابرهيم عليه السلام

حيث قال الذي خلقني فهو يهدين ثم حكى تعالى عن موسى في سورة الشعراء انه قال لفرعون
ربكم ورب ابائكم الاولين وهذا هو الذي عول عليه ابرهيم عليه السلام في قوله ربي الذي
يحيي ويميت فلما لم يكتف فرعون بذلك طالبه بدليل اخر قال موسى رب المشرق والمغرب وهذا
هو الذي عول عليه ابرهيم عليه السلام في قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فهذا ينبهك على ان التمسك بهذه الدلايل حرفة هولاء الانبياء عليهم السلام ثم ان موسى عليه السلام
لما فرغ من تقرير دلايل التوحيد ذكر بعده دلايل النبوة فقال ولو جيتك بشي مبين وهذا يدل
على انه عليه السلام قدم بيان النبوة على بيان التوحيد والمعرفة واما سليمان عليه السلام فله مقامان
احدهما في اثبات التوحيد والاخر في اثبات النبوة اما المقام الاول في اثبات التوحيد فهو قوله تعالى
حكاية عنه الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وهذه الاية دالة على وصف الله تعالى بالقدرة وبالعلم اما
القدرة فقوله يخرج الخبء في السموات والارض وسمي المخبو بالمصدر وهو يتناول جميع الارزاق
والاموال واخراجه من السماء بالغيث ومن الارض بالنبات وتقريره ما قدمنا **واما العلم**
فيدل على ثبوته قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون واعلم ان المقصود من هذا الكلام الرد على من
يعبد الشمس وتلخيص الدلالة على قانون الجدل على وجهين الاول ان الاله يجب ان يكون قادرا على
اخراج الخبء ويكون عالما بالخفيات والشمس ليست كذلك فهي لا تكون الها اما انه سبحانه يجب
ان يكون قادرا عالما على الوجه المذكور فلانه واجب الوجود لذاته فلا تختص قدرته وعلمه ببعض
المقدورات وبعض المعلومات دون بعض واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناهي فكل
ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات واذا كان كذلك امتنع ان تكون الشمس قادرة على
اخراج الخبء وعالمة بالخفيات واذا لم يعلم من حالها كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار فيرجع
حاصل هذا الدليل على ما ذكره ابرهيم عليه السلام في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا
الوجه الثاني ان هذه اشارة الى دليل ابرهيم عليه السلام في قوله ربي الذي يحيي ويميت
الى اخر الاية وبيانه انه سبحانه هو الذي يخرج الشمس من المشرق بعد افولها فهذا هو المراد باخراج الخبء
في السموات وهو المراد من قول ابرهيم لا احب الافلين ومن قول موسى رب المشرق والمغرب وحاصل
الكلام يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت مدبر قاهر فكانت العبادة لقاهرها
ومدبرها والمتصرف فيها اولى واما اخراج الخبء من الارض فالمراد منه اخراج النطفة من بين
الصلب والترايب وهو المراد بقول ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت ومن قول موسى ربكم
ورب ابائكم الاولين فان قيل ان ابرهيم وموسى عليهما السلام قدما دلالة النفس على دلالة الافلاك
فان ابرهيم قال ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
وموسى عليه السلام قال ربكم ورب ابائكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب فلم عكس سليمان عليه السلام
هذا الترتيب فقدم دلايل السموات على دلايل الانفس فقال الذي يخرج الخبء في السموات والارض
قلنا ان ابرهيم عليه السلام وموسى كانت مناظرتهما مع من ادعى الهية البشر فان نمرود وفرعون

كل واحد منهما كان يدّعي الالهية فلاجرم ابتدا ابرهيم وموسى عليهما السلام بابطال الهية البشر ثم انتقلا الى ابطال الهية الافلاك والكواكب واما سليمان عليه السلام فانه كانت مناظرته مع من يدّعي الشمس فان الهدهد قال رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلاجرم ابتدا بذكر السموات ثم بذكر الارضيات ثم ان سليمان عليه السلام لما تمم دلايل التوحيد قال بعده لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد انه لما بين افتقار السموات والارض والشمس وساير الكواكب الى مدبر خالق وذكر بعد ذلك ان كل ما كان جسما فهو مخلوقه ومربوبه سوا كان عظيما او صغيرا فقال لا اله الا هو رب العرش العظيم فهذا مقام سليمان عليه السلام في تقرير دلالة النبوة فهو قوله تعالى حكاية عنه قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر واعلم ان الكثير من الناس قالوا ذلك الشخص الذي قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك هو غير سليمن وظنوا ان الكاف في قوله اتيك خطاب مع سليمان عليه السلام وعلى هذا التقدير لا بد وان يكون ذلك القائل غير سليمان عليه السلام الا ان هذا ضعيف بل الصحيح عندنا ان الاتي بذلك العرش هو سليمان وذلك لانه عليه السلام لما قال ايكم ياتيني بعرشها على سبيل التحدي فقال العفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فهذا الكلام قاله سليمان للعفريت تقريرا لتحديه الذي ذكره اولا وكسرا للعفريت واظهارا لعجزه والذي يدل عليه وجوه **الاول** ان سليمان عليه السلام كان قد ذكر دلايل التوحيد اولا فافتقر بعد ذلك الى دلايل النبوة مع بلقيس فان سليمان عليه السلام كان قد كلفها الاقرار بالتوحيد والنبوة فلما ذكر دلايل التوحيد وجب عليه ان يذكر بعد ذلك دلالة النبوة وهذا معجز ذلك على النبوة فجعل ذلك فوجب جعله معجزا لسليمان عليه السلام حتى يتم الدليل • **الثاني** ان اللفظة التي هي موضوعة في اللغة الاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفها قصة معلومة والشخص المعروف بان عنده علم الكتاب هو سليمن عليه السلام قال الله تعالى ففهمناها سليمان وقال تعالى وورث سليمان داود فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب ان اصف كان عالما بالكتاب الا ان سليمان كان اعرف به من اصف لان سليمان رسول والرسول اعرف بكلام الله تعالى من غيره فكان صرف هذا اللفظ الى سليمان اولى **الثالث** ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لاصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل اصف على سليمان وانه غير جائز • **الرابع** ان سليمان لو افتقر في هذا الغرض الى اصف لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق **الخامس** ان سليمان عليه السلام قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر وظاهره يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله بدعاء سليمان فهذا ما يتعلق باسئلة سليمان عليه السلام بتقرير التوحيد والنبوة والله اعلم **واما** عيسى عليه السلام فانه اول ما تكلم شرح امر التوحيد فقال اني عبد الله وشهادة حاله كانت دالة على صدق مقالته وهذه الكلمة الواحدة كانت جامعة لكل المقاصد اما دلالتها على التوحيد

فلان انطاق الطفل في اول زمان الطفولية لا يتاتى الا من الاله القادر على كل المقدورات واما دلالتها على النبوة فلان اختصاصه بهذا الفعل الخارق للعادة دال على النبوة واما دلالتها على براءة امه من طعن اليهود لعنهم الله فلانه لا يليق بحكمة الحكيم تخصيص ولد الزنا بهذه الرتبة العالية والدرجة الشريفة ثم انه عليه السلام بعد هذه الكلمة الوافية بتقرير كل الاغراض انتقل الى بيان الشرايع فقال اتاني الكتاب وجعلني نبيا واما محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم ان اشتغاله بتقرير دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من ان يحتاج فيه الى ترشيد تقرير وذلك انه عليه السلام كان مبتلي بالرد على جميع فرق الكفار **فالاول** الدهرية الذين كانوا يقولون وما يهلكنا الا الدهر فالله تعالى ابطل قولهم بانه خالق الدهر والزمان **والثاني** الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى ابطل قولهم بحدوث انواع النبات واصناف الحيوانات مع اشتراك الكل في تاثير الطبايع والافلاك **والثالث** الذين اثبتوا شركاء مع الله سبحانه وذلك الشركاء اما ان يكون علويا او سفليا والشريك العلوي فيهم من اثبت ذلك الشريك وهو الكواكب والشمس والقمر والله تعالى ابطله بدليل الخليل عليه السلام وهو قوله لا احب الافلين ومنهم من قال هو النور والظلمة والله تعالى ابطله بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ومنهم من قال انه يزدان واهرمن والله تعالى ابطله بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبقوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وبقوله ولعلى بعضهم على بعض سبحانه واما الشركاء السفلي فمنهم من قال بالهية المسيح والله تعالى ابطله بقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ومنهم من قال هو الوثن والله تعالى ابطله بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق **الرابع** الذين طعنوا في اصل النبوة وحكى الله تعالى عنهم قوله ابعث الله بشرا رسولا وانه تعالى رد عليهم بقوله اهم يقسمون رحمت ربك **الخامس** الذين طعنوا في التكليف بانه لا فايدة فيه والله تعالى رد عليهم بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها واحرى بان الحق هو الخير وانه ينافي صحة التكليف والله تعالى اجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل **والسادس** الذين سلموا اصل النبوة وطعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والقران مملو من الرد عليهم ان طعنهم كان من وجوه تارة بالطعن في القران من حيث انه مشتمل على ذكر خصايص الحيوانات من البعوضة والنملة والذباب فاجاب الله تعالى بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وتارة بان القران سحر وشعر فاجاب الله تعالى عنه بقوله فاتوا بسورة من مثله وتارة بالتماس ساير المعجزات وهو قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فاجاب الله تعالى عنه بان الدليل لما تم لم يبق للاقتراح في الزيادات فايدة وهو قوله سبحانه وتعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وتارة بان القران نجما نجما وذلك يتطرق التهمة فاجاب الله عنه بقوله كذلك لنثبت به فوادك وتارة بانه يحتمل بان يكون هذا القران من تلقاء الجن والشياطين كما جاء في حق الشعراء فاجاب الله سبحانه عنه بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم **السابع** الذين انكروا الحشر والنشر والقران مملو من

الرة عليهم فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الاشتغال بدلايل التوحيد والنبوة حرفة جميع الانبيا
عليهم السلام • **الحجة العاشرة** على نهاية شرف هذا العلم قوله تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وليس المراد منه المجادله في فروع الشرايع
لان من انكر نبوته فلا فايدة في الخوض معه في تفاريع الاحكام ومن اثبت نبوته فلا نه لا يخالفه
فعلمنا ان هذا الجدال المامور به كان من تقرير مسائل الاصول واذا ثبت هذا في حق الرسول
عليه السلام ثبت في حق امته لقوله تعالى حكاية عنه فان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولقوله
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
من بعدي **الحجة الحادية عشر** قوله تعالى من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير وذلك يقتضي ان الجدال مع العلم لا يكون مذموما وايضا حكي الله تعالى عن قوم نوح
انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومن المعلوم ان ذلك الجدال ما كان الا في تقرير
دلائل الاصول واذا ثبت بهذه الايات الجدال في تقرير الدلائل مستحسن ثبت ان المراد من قوله
تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون محمول على ذم الجدال في تقرير الباطل
الحجة الثانية عشر انه تعالى امر بالنظر فقال افلا يتدبرون القران او لا ينظرون
الى الابل كيف خلقت سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض **الحجة الثالثة عشر** انه تعالى
ذم التفكر في معرض الذم تعالى ان في ذلك لايات لاولي النهى ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
وايضا ذم المعرضين فقال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون لهم قلوب لا يفقهون بها • **الحجة الرابعة عشر** انه تعالى ذم التقليد
فقال حكاية عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقال بل نتبع ما
الفينا عليه اباءنا وقال بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا
لولا ان صبرنا عليها وقال في والد ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا وكل ذلك
يدل على وجوب النظر وفساد التقليد **الحجة الخامسة عشر** انه تعالى حكي عنهم
انهم سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امور كقوله يسالونك عن المحيض ويسالونك عن الانفال
فذكر في كل هذه المواضع قل كذا وكذا الا في اية واحدة وهي انهم سالوا عن مسئلة اصولية وهي
قوله ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فههنا ذكر حرف التعقيب يعني يا محمد
اذكر هذا الجواب في الحال لان هذه المسئلة اصولية فلا يجوز تاخير الجواب عنها لان ذلك
يقدح في الايمان اما ساير المسائل فهي فروعيه فلا يكون تاخير الجواب عنها الا وقت الحاجة
ضارا فثبت بمجموع هذه البيانات • وجوب تقديم علم الاصول على علم الفروع فلا جرم
قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فقدم الامر بمعرفة التوحيد على الامر
بالاستغفار والله اعلم بالصواب • **الفصل الثاني** في فوايد لا اله الا الله •
الفايدة الاولى ان هذا الذكر لما كان افضل الاذكار فالعدو لما جاء به محمد فرح اليه

الاولى اما العدو فلان فرعون لما قرب من الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا
اسرائل واما الولي فكما في حق يونس عليه السلام فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين والمعنى لا اله الا انت فانك انت الذي تقدر على حفظ حي في بطن الحوت
ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة فان قيل كل واحد منهما ناديني فلم قبل نداء احدهما ولم يقبل نداء
الثاني قلنا الفرق من وجوه الاول ان يونس عليه السلام قد سبقت له المعرفة مع هذه الكلمة
فسبق المعرفة اعانه على قبول الامنة واما فرعون فقد تقدمت له سبق النكر وذلك لان
الذي تقدم له في النداء الى نفسه لما قال تعالى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى واما
يونس عليه السلام فقد كان ينادي الله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وايضا
قال فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وهذا ينبه على ان
من حفظ الله في الخلوات حفظه في الفلوات • **الثاني** ان يونس عليه السلام انما ادى هذه
الكلمة مع الحضور فقال لا اله الا انت وكان في الحضور والشهود واما فرعون فانه قالها
عن الغيبة فقال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائل فاحال العلم بحقيقة هذه الكلمة
على الغير **الثالث** ان فرعون ذكر هذه الكلمة على سبيل التقليد لبني اسرائل فقال امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل واما يونس فاعاد ذكرها على سبيل الاستدلال ومع
العجز والانكسار وذلك لانه قال فنادى في الظلمات فحصل له العجز وانكسار القلب
بسبب تلك الظلمات ثم قال بعده سبحانك اني كنت من الظالمين فحصل له العجز والانكسار
بسبب الزلة فلما كانت هذه الكلمة مسبوقة بالعجز والانكسار وملحوقة بها لا جرم صارت
مقبوله لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه • **الرابع** ان فرعون انما ذكر هذه الكلمة لا للعبودية
بل لطلب الخلاص من الغرق بدليل قوله تعالى فلما ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرائل واما يونس عليه السلام فالها لما حصل له من الانكسار بسبب التقصير في
الطاعة والعبودية بدليل قوله بعد سبحانك اني كنت من الظالمين فظهر فضيلة الفرق من
هذا الوجه **الفضيلة الثانية** لهذه الكلمة انه تعالى امرك بطاعة كثيرة من
الصلوة والزكوة والصيام والحج ويستحيل ان يكون موافقا في شي منها ثم امرك بان تقول لا اله
الا الله ثم انه تعالى يوافقك فيها فقال شهد الله انه الى قوله العزيز الحكيم والمقصود وجهان
الاول ان يكون مواظبا على تكريرها طول عمره • **الثاني** كانه قيل عبدي جعلت هذه
الكلمة اول الاية واخرها فاجعلها انت ايضا اول عمرك واخره حتى تفوز بالنجاة والسلامة
وههنا نكت **الاول** انه تعالى جعلك ثالث نفسه في هذه الاية وكمال هذا تحقيقه
الثانية ان يوسف عليه السلام اراد ان يتخذ وزيرا فجاءه جبريل عليه السلام وقال ان الله
يامرك ان تتخذ فلانا وزيرا لك فنظر اليه يوسف عليه السلام فكان في غاية الدناءة فسال جبريل
عليه السلام عن السبب فقال ان له عليك حق الشهادة لانه هو الذي شهد لك ان كان قميصه
قد من قبل الاية والاشارة ان من شهد المخلوق وجد وزارته في الدنيا فمن شهد الله بالتوحيد

والجلال الا بعد بمغفرته ورحمته في العقبى **الثالثة** في الحديث ان الله وملائكته
يؤمنون عند تأمين الامام فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
الاشارة ان من وافق تأمينه تأمين الملائكة والحال غفر له فمن وافقت شهادته بوحدانية
الله تعالى شهادة الله الا يصير مغفورا له • **الرابعة** انه سماك وقت التخليق
مختارا قال وربك يخلق ما يشاء ويختار اي مختارا له لانه اثبت الاختيار للعبد وفي موضع
الذنب جاهلا قال انه كان ظلوما جهولا وفي موضع الرزق دابة فقال وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وفي وقت الطاعة اجيرا ونوفيهم اجورهم وعند الشهادة عالما والملائكة
واولوا العلم ثم ان العلم افضل الدرجات وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
والغرض منه التنبيه على الدرجات فانت من حيث خلقتك مختاري فلك درجة موسى
حيث قلت وانا اخترتك وحين اذنبت فانت جاهل والجهل عدو من بعض الوجوه وحين تشتغل
بطلب الرزق فكالبهيمة لانه لما تكفل برزقك فما هو مقدر لك يصل اليك وما ليس مقدرا
لك لا يصل اليك فكان الطالب عديم الفائدة فكان يشبه افعال البهائم وحين تشتغل بالعمل
كنت كالاجير وكل ذلك درجات نازلة اما حين تشتغل بالشهادة والتوحيد وبلغت الغاية
القصوى في المنقبة والشرف كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
الخامسة قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى وقعت هذه الاشارة على العصا وعلى اليد
اما العصا فقوله تلك واما اليد فقوله بيمينك فصارت العصا من قوة هذه الاشارة تلقف حبال
السحرة وعصيهم صارت اليد يدا بيضاء وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وكلمة لا
اله الا الله وهي صفة وحدانيته وجلالته وعزته لا يشتغل باقتناء العصيان عن قلب
وانا نرجو بنور المعرفة والهداية • **السادسة** عصا موسى عليه السلام اخرج
من الجنة فبطلت عصي السحرة عندها فهذه الكلمة انما ظهرت من بحر العزة والربوبية والعظمة
فنرجو ان تبطل الذنوب عندها **السابعة** روي عن الحجاج انه امر بقتل رجل فقال
لا تقتلني حتى تأخذ بيدي وتمشي معي في دارك فأجابه اليه فقال الرجل بحرمة صحبتي معك
في هذه الساعة لا تقتلني فعفا عنه وهاهنا وقعت للمؤمنين صحبة مع الله الكريم في الشهادة
نرجو ان يغفر الله له • **الثامنة** وحد المؤمنين بهذه الشهادة ابوه ابراهيم عليه
السلام قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم وامومية ازواج النبي عليه السلام وازواجه امهاتكم واخوة
المؤمنين انما المؤمنون اخوة واستغفار الانبياء واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات واستغفار
الملائكة ويستغفرون للذين آمنوا وشفاعة مثل محمد صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل
الكبائر من امتي ومشاركة الله في اسم المؤمن المهيمن قد ثبته ما زال عنه هذه التشريفات فنرجو
انه يخرج عن رحمة ارحم الراحمين واكرم الاكرمين **التاسعة** حكي انه عرض
عسكر نصر احمد عليه وكان يسأل عن اسماء الرجال فيجيبونه فسأل واحدا عن اسمه فسكت
لانه سميه فتفطن لذلك واعطاه خلعة جسيمة واذا كان حال سمي الملك ذلك فكيف من كان سمي

ربه تعالى وفي الخبر يؤتى برجل يوم القيامة اسمه محمد فيقول الله تعالى اما استحييت ان عصيتني
وانت سمي حبيبي وانا استحيي ان اعذبك وانت سمي حبيبي فاذا كان لا يعذب سمي رسوله
فنرجو من فضله ان لا يعذب سمي نفسه وهو المؤمن • **الفضيلة الثالثة** لهذه
الكلمة ان كل طاعة فانه يصعدها الملك بها اما قول لا اله الا الله فانه تصعد بنفسه دليله قوله
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ثم قال والعمل الصالح يرفعه اي العمل الصالح يرفعه الملك الى الله
عز وجل وت بعضهم **الفضيلة الرابعة** قال بعضهم الحكمة في قوله
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ان يوم القيامة كلمة لا اله الا الله فتمحو في ذلك
نور الشمس والقمر لان تلك الانوار انوار مجازية عرضية ونور لا اله الا الله نور ذاتي واجب
الوجود لذاته والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة فلا جرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النور
بل يبطل كل وجود في مقابلة هذا الوجود كما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه • ٥ •
الخامسة ان جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلوة والصيام والحج فان التكاليف
الظاهرة تزول في عالم القيامة اما طاعة التهليل والتحميد فلا يزول عنهم وكيف يمكن زوالها
عنهم والقرآن يدل على انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر
والتوحيد اما قلنا انهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عنهم وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة فثبت
انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر لا محالة فعلمنا ان جميع العبادات
زايلة عن اهل الجنة الا طاعة الذكر والتوحيد والتحميد **الفضيلة السادسة**
ما روي في الآثار انه اذا قال العبد لا اله الا الله فانه سبحانه يعطيه من الثواب بعدد كل كافر
وكافرة على وجه الارض قال المحققون السبب في ذلك انه لما قال هذه الكلمة فكأنه
رد على كل كافر وكافرة يثبت لله ضدا وندا وشريكا فلا جرم يستحق الثواب بعددهم
الفضيلة السابعة قال السدي رحمة الله عليه في قوله تعالى حم عسق
الحاء حكمه وحلمه وجنته والميم ملكه ومجده والعين عظمته وعلمه وعزه وعدله والسين سناه
وسره والقاف قهره وقدرته يقول الله تعالى بحكمي وحلمي وجنتي ومجدي وملكي وعظمتي
وعلمي وعزي وعدلي وسناي وسري وقهري وقدرتي لا اعذب بالنار ابدا من قال لا
اله الا الله **الفضيلة الثامنة** قيل اذا كان آخر الزمان فليس شيء من الطاعات من فضل
كفضل لا اله الا الله لان صلواتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام
ولا اخلاص في شيء منها اما كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله تعالى والمؤمن لا يذكرها الا عن صميم
القلب • **الفضيلة التاسعة** الاحاديث الواردة في فضل هذه الكلمة **الاول**
قوله عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله • **الثاني** عن ابن عمر انه عليه
السلام قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشور وكأني انظر الى اهل

لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن **والثالث** يروي ان المامون لما انصرف من المرو يريد العراق واجتاز
بنيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضي فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا
نسالك بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى
عن ابائه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل انه قال لا اله الا الله
حصني من دخل حصني امن من عذابي • **والرابع** روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تفتح ابواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش ايتها الجنة
وكل ما فيك من النعم لمن انت فتنادي الجنة وكل ما فيها نحن لاهل الجنة لا اله الا الله ونشتاق
الى اهل لا اله الا الله ولا نطلب الا اهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا اهل لا اله الا الله ونحن محرمون
على من لم يقل لا اله الا الله ولم يؤمن بلا اله الا الله وعند هذا تقول النار وكل من فيها من
العذاب لا يدخلني الا من انكر لا اله الا الله ولا اطلب الا من كذب بلا اله الا الله وانا
حرام على من قال لا اله الا الله ولا امتلي الا ممن جحد لا اله الا الله وليس غيظي الا على من
انكر لا اله الا الله قال فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول انا لاهل لا اله الا الله وناصر لمن قال لا
اله الا الله ومحب لمن قال لا اله الا الله وحرمت النار على من قال لا اله الا الله واغفر كل
ذنب لمن قال لا اله الا الله ولا احجب مغفرة ورحمة لمن قال لا اله الا الله وما خلقت الرحمة
الا لاجل لا اله الا الله ولا تخلطوا قول لا اله الا الله الا بما يوافق لا اله الا الله **الخامس**
قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلما انه تعالى جعل العذاب عذابين
احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الاخرة فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف
لا يرى فقال تعالى لمن اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم وقال لا اله الا الله
ادخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن اخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى
وهو السر فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الاخرة في غمد الرحمة حتى يكون واحد
بواحد ولا ظلم ولا جور • **السادس** عن انس قال عليه السلام من قرا عند منامه
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط الى قوله ان الدين عند الله
الاسلام خلق الله سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيمة ثم قال انا على ذلكم من
الشاهدين **السابع** عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ان فاتحة الكتاب
واية الكرسي وشهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك
الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب يقول الله تعالى بي حلفت
لا يقراكن احد من عبادي الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه ولا سكنته من حظيرة
القدس ولا نظرت اليه بعين الرحمة كل يوم سبعين مرة ولا قضيت له كل يوم سبعين حاجة
ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد • **الثامن** ابو سعيد الخدري قال قال عليه السلام

ما من

ما من عبد يقول اربع مرات اللهم اني اشهدك وكفى بك شهيدا واشهد حملة عرشك
وملائكتك وجميع خلقك اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا
عبدك ورسولك الا كتب الله له صكا من النار **التاسع** عن ابن عمر قال عليه السلام
يجاء برجل من امتي يوم القيمة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسع وتسعون سجلا كل سجل
مثل مد البصر فيقال له اتنكر من هذا شيئا اظلمك الحافظون فيقول لا يا رب فيقال له
الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله ان لك عندي وديعة وانه لا ظلم عليك اليوم
فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى لا ظلم اليوم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء •
العاشر عن انس انه قال عليه السلام ما زلت اشفع الى ربي فيشفعني حتى اقول يا رب
شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول الله هذه ليس لك يا محمد انما هذه لي وعزتي وجلالي
ورحمتي لا ادع في النار احدا قال لا اله الا الله واعلم انهم ذكروا في تفسير لا اله الا الله وجوها
الاول قال ابن عباس لا اله الا الله لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطي ولا
مانع الا الله • **الثاني** لا اله يوجب فضله ويخاف عدله ويتقى من جوره ويتوكل برزقه
ويترك امره ويسال عفوه ويرهب نهيه ولا يحرم فضله الا الله الذي هو رب المومنين وغفار
المذنبين وملجا التائبين وستار المعيوبين وغاية رجاء الراجين ومنتهى قصد
العارفين **الثالث** قول العبد لا اله الا الله اشارة المعرفة والتوحيد بلسان الحمد
والتسديد الى الملك الحميد فاذا قال العبد لا اله الا الله والمعنى لا اله الا والنعماء والقدرة
والبقاء والعظمة والسناء والعز والشان والسخط والرضا الا الله الذي هو رب العالمين
وخالق الاولين والاخرين وديان يوم الدين • **الرابع** لا اله للرغبة ولا اله للرهبة
الا الذي هو كاشف الكربة عن عمران بن الحصين قال عليه السلام لابي حصين كم تعبد
اليوم من اله فقال عبد ستا او سبعا في الارض وواحد في السماء فقال عليه السلام وايهم تعبد
لرغبتك ورهبتك فقال الذي في السماء فقال عليه السلام فيكفيك الذي في السماء ثم قال يا حصين
لو اسلمت علمتك كلمتين تنفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمني هاتين الكلمتين
فقال عليه السلام قل اللهم الهمني رشدي واعذني من شر نفسي **الخامس** قيل في قوله
شهد الله يشهد في عوالم القدس وحظائر الجلال وسرادقات الصمدية يشهدون بهذه
الشهادة في السموات واولوا العلم يشهدون بهذه الشهادة في الارضين وقال جعفر
الصادق وقد سالته عن هذه الاية ان الله شهد لنفسه بالفردانية والصمدانية والاحدية والابدية
فشغلهم بعبادة هذه الكلمة وذلك لبين شهادة الحق لنفسه حق وشهادتهم له رسم وكيف
يستوي الحق مع الرسم ومن للتراب طاقة تجلي نور رب الارباب وقال سعيد بن جبير
كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزل شهد الله خرت الاصنام سجدا حول الكعبة

واما خاتمة المجلس ففيها وجوه **الاول** سلم نصراني ببغداد ايام الشبلي فقال الشبلي ما
سبب اسلامك فقال كنت في حال النصرانية اكرم دين النصرانية فرزقت دين الاسلام
ببركة ذلك اكرام الدين فصاح الشبلي وقال اذا كان من يكرم الدين الباطل والله يرزقه
الدين الحق فمن اكرم الدين الحق الا يرزقه الله الرحمة والمغفرة • **الثاني** حكي ان رجلا
كان واقفا بعرفات وكان في يده سبعة احجار فقال ايتها الاحجار السبعة اشهدي لي اني اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنام فرأي في النوم كان القيمة قد
قامت وهو بسبب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوه الي باب من ابواب جهنم جاء
حجر من تلك الاحجار السبعة والقت نفسها علي ذلك الباب فاجتمعت ملئكة العذاب علي
رفعها فما قدروا ثم سيق الي الباب الثاني فكان الامر كما في الاول وهكذا الابواب السبعة
فسيق به الي العرش فقال الله سبحانه عبدي اشهدت الاحجار فلم يضيع حقك وانا شاهد
علي شهادتك علي توحيدي ادخلوه الجنة فلما قرب من الجنة اذا ابوابها مغلقة فجاءت
شهادة ان لا اله الا الله وفتحت الابواب ودخلها الرجل **الثالث** روي يزيد بن
هرون في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ربي قلنا بالحديث قال لا
قلنا بالعلم او بالزهد قال لا قلنا فبماذا قال اتاني ملكان مهيبان فقالا لي من ربك
وما دينك ومن نبيك قلت امثلي تسأل عن هذا وقد كنت ادعو الخلق اليه منذ سبعين سنة
فانصرفا عني • **الرابع** زاد المكي ببغداد حتي اشرفنا علي الغرق فقال لي بعض الصالحين
رأيت في بعض تلك الليالي كاني واقف علي طرف واقول لا حول ولا قوة الا بالله غرقت
بغداد فجاء انسان حسن الصورة وكنت اعلم انه ملك وجاء اخر من ناحية اخري فقال
احدهما للاخر ما الذي امرت به فقال امرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه فقال ولم قال
رفعت ملئكة الليل البارحة افتض ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله وامرت
بتغريقها ثم رفعت ملئكة النهار في صبح هذا اليوم سبعمائة اذان واقامة فغفر الله
لهؤلاء بهؤلاء قال صاحب الرؤيا فانتهيت الي الدجلة فاذا الماء قد نقص **الخامس**
قال بعضهم لا اله الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا وساعات الليل والنهار
كذلك فكانه قيل كل ذنب اذنبته من الصغير والكبير والسر والجهر والخطا والعمد
والقول والفعل في هذه الساعات فهي مغفورة بهذه الحروف والكلمات وايضا قوله
لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة اعضاء وللنار سبعة ابواب
كما قال تعالي لها سبعة ابواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبعة تغلق بابا من الابواب
السبعة علي عضو من الاعضاء السبعة وقيل ايضا ان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا
والاحرم وجب به اثني عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة اما الظاهرة فالايمان
والصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد واما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضا
والزهد والتوبة • **السادس** سال الشبلي رجل وقال لم تقول الله ولا تقول لا اله الا الله

فقال لان الصديق اعطا ماله كله فلم يبق له شيء فتخلل بكساء بين يدي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلام ما خلفت لعيالك فقال الله فكذا انا اقول الله فقال
السائل انا اريد اعلي من هذا فقال الشبلي استحيي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نور
فقال السائل اريد اعلي من هذا فقال الشبلي اخشي ان اموت عند الانكار فلا اصل الي
الاقرار قال السائل اريد اعلي من هذا قال الشبلي قال الله لرسوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون فقام الشاب فزعق زعقة فقال الشبلي الله فزعق ثانيا فقال الشبلي الله فزعق ثالثا
ومات فاجتمع اقرباء الفتي وتعلقوا بالشبلي وادعوا عليه الدم وحملوه الي الخليفة واذن لهم
فدخلوا عليه وادعوا الدم فقال الخليفة للشبلي وما جوابك فقال روح حنت فرنت وسمت
وصاحت فدعيت فسمعت فعلمت فاجابت فما ذنبي فصاح الخليفة وقال خلوا سبيله
السابع سئل بعض العلماء عن قوله تعالي وبئر معطلة وقصر مشيد قال البئر المعطلة
قلب الكفار معطلة من قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بقول لا اله الا
الله • **الثامن** جاءت امراة الي بعض اكابر الصوفية بقارورة من زيت وقالت يا شيخ
احب ان تصلح من قناديل المسجد من هذا الزيت فقال الشيخ انما احب اليك نور يصعد الي السقف
او نور يصعد الي العرش فقالت المراة بل نور يصعد الي العرش فقال الشيخ اذا صببت هذا
الزيت في القناديل صعد النور الي السقف واذا صببته في طعام الفقراء صعد النور الي العرش
ثم اصلح طعاما بذلك الدهن للفقراء فلما اكلوا قال قولوا من صدق واخلاص لا اله الا الله
واجعلوا ثوابها لتلك المراة **التاسع** روي ان امية بن خلف الجمحي كان ذا مال
واولاد وكان له صنم يعبد من دون الله وكان له اثني عشر مملوكا ولم يكن احب اليه من
بلال وكان موكلا ببيت الصنم وكان بلال يسجد لله في بيت الصنم وكان يقول احد احد
فبلغ ذلك الي النبي صلي الله عليه وسلم فسر بذلك وبلغ ذلك الخبر الي امية فقال يا بلال اتسجد
لرب محمد فقال نعم اسجد لله الكبير المتعال فوثب اليه امية يضربه ويعذبه فلما كان نصف
النهار جعله عريانا وطلي عليه الزيت واقامه علي الرمضاء حتي الصبيان فكان اذا اصابته
الشمس وحر الرمل يقول احد احد فمر عليه ابوبكر رضي الله عنه فقال امية الي كم تعذب هذا
الغلام فقال اشتريته بمالي وانا احق بعذابه فقال لاكرامة لك اتعذب عبدا قال لا اله
الا الله فاختصما فقال ابوبكر لي غلام ابيض علي دينك فانا اشتريته بذلك العبد وعشر
اواق من الذهب وفي رواية اخري باوقيتين فقال امية لو طلبت مني هذا الغلام بدرهمين
بعته فقال ابوبكر ولو ساومتني بكل ما املكه لاشتريته فاخذ بيد بلال وستر بردائه
ومسح وجهه من التراب وجاء به الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال يا معشر قريش اشهدوا
انه حر لوجه الله فانزل الله في شانه والليل اذا يغشي • **العاشر** قال بعضهم الحكمة
في سؤال الملكين ان الملئكة طعنت في بني ادم بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها فقال الله اني اعلم
ما لا تعلمون فاذا مات المؤمن بعث الله الي قبره ملكين ويقولان له من ربك وما دينك فيقول

ربي الله وديني الاسلام فيامرهم الله فيقول اشهدا بين الملئكة بما سمعتما لئن اقل الشهود
اثنان ثم يقول الله تعالى ملئكتي انظروا الى عبدي قد اخذت روحه وماله فماله لعدوه
وروحه في حجر غيره وصنيعته في يد غيره ثم ان الملئكة سالوه في بطن الارض ولم يذكر
عن شيء الا عن توحيدي وتنزيهي لتعلموا اني اعلم ما لا تعلمون وقالوا ايضا الحكمة في هذا
السؤال ان الله تعالى قال في الابتداء الست بربكم قالوا بلى فشهد الله عليهم فلما اخرجهم
الى الدنيا شهدوا بالتوحيد وشهد عليهم الانبيا والمؤمنون بذلك فاذا مات ودخل القبر
ساله الملكان عن هذه الشهادة فيشهد بها في قبره فيسمع الملئكة تلك الشهادة فاذا جاء
يوم القيمة جا ابليس ويريد ان ياخذه ويقول هذا من شيعتي لانه تبعني بالمعاصي فيقول
الله تعالى لا سلطان لك عليه لاني سمعت منه التوحيد في الابتداء والانبيا والرسل سمعوا
منه ذلك في الوسط والملئكة سمعوا منه ذلك في الانتهاء فكيف يكون من شيعتك وكيف
يكون لك عليه سلطان اذهبوا به الى الجنة **الحادي عشر** قال بعضهم حضرت
مجلس يحيى بن معاذ الرازي فقرا رجل قوله تعالى فقولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال
هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله هذا رفقك بمن يعاديك
فكيف رفقك بمن يتولاك ويناديك هذا رفقك بمن يقول انا الرب فكيف رفقك
بمن يقول انا العبد وانت الرب الهي قول لا اله الا الله تهدم كفر خمسين سنة فما تصنع
بذنوب ساعة • **الثاني عشر** قال بعضهم في تفسير قوله فقولا له قولا لينا معنى
القول اللين ان يقول موسى صلى الله عليه وسلم وهرون لفرعون يا فرعون وجدت
عمرك اربعمائة سنة تقول انا ربكم الاعلى فانت تقول منكرا ما ذكره احد من الكفار قبلك
فقل مرة واحدة انت الرب الاعلى لنغفر لك كفر اربعمائة سنة ونطهرك عن نجاسة الشرك
والكفر **الثالث عشر** سئل الشبلي عن رجاية في القران فقال قوله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله تعالى اطلق للكافر دخول الجنة بذكر الكلمة مرة واحدة
اترى من واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يمنعه من الجنة وهو طاهر عن نجاسة الشرك
وصلى الله على محمد واله • **الفصل الثالث في اسماء كلمة التوحيد الاسم
الاول** كلمة التوحيد وذلك لانها تدل على نفي الشرك على الاطلاق وفائدة قولنا
على الاطلاق انه تعالى لما قال والهكم اله واحد امكن ان يخطر ببال احد ان يقول هب
ان الهنا واحد فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا فالله تعالى ازال هذا التوهم ببيان التوحيد
المطلق فقال لا اله الا هو وذلك لان قولنا لا رجل يقتضي نفي هذه الماهية ومتى انتفت
الماهية انتفى جميع افرادها اذ لو حصل فرد من افراد تلك الماهية لحصلت تلك الماهية لان كل
فرد من افراد تلك الماهية مشتمل على تلك الماهية واذا وجدت الماهية فذلك يناقض نفي
الماهية فثبت ان قولنا لا رجل في الدار يفيد النفي العام الشامل واذا قال بعد ذلك الا زيد
افاد التوحيد التام الكامل ثم اعلم ان لهذه الكلمة ثمرتين احدهما ان جوهر الانسان خلق

في الاصل مشرفا مكرما قال الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم واذا كان الاصل فيه كونه مكرما
كان كونه مطهرا على وفق الاصل وكونه نجسا على خلاف الاصل ثم انا اذا راينا الانسان
اذا اشرك كان نجسا بدليل قوله تعالى انما المشركون نجس فاذا كان الشرك يقتضي كونه
نجسا مع ان ذلك على خلاف الاصل فكونه موحدا بان يقتضي كونه طاهرا اولى لانه على
وفق الاصل واذا ثبت ان الموحد كامل في كونه طاهرا وجب ان يكون من خواص الله لقوله
تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات والثانية ان الشرك سبب لخراب
العالم بدليل قوله تعالى يكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا كان الشرك سببا لخراب العالم وجب ان يكون التوحيد
سببا لعمارة العالم ضرورة كون الضدين مختلفين في الحكم واذا ثبت ان كلمة التوحيد
سببا لعمارة العالم فاولى ان يكون سببا لعمارة القلب الذي هو محل الوحدانية ولعمارة
اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية وذلك يناسب عفو الله تعالى عن اسم التوحيد •
الاسم الثاني ان هذه الكلمة تسمى كلمة الاخلاص وكان معروف الكرخي رحمه الله يقول
يا نفس اخلصي تخلصي ثم التحقيق فيه ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفي عن شوبه
وخلص سمي خالصا وسمي الفعل المصفى اخلاصا ولا شك ان كل من اتى بفعل اختياري فلا بد
له في ذلك الفعل من غرض فمهما كان ذلك الغرض في الفعل واحدا سمي ذلك الفعل خالصا
فمن تصدق وكان غرضه محض الريا فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى
فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن
جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصه العرف بالميل عن الحق اذا عرفت هذا
فنقول الباعث على الفعل اما ان يكون روحانيا فقط وهو الاخلاص او نفسانيا وهو الريا
او مركبا منهما وهو على ثلاثة اقسام لان الطرفين اما ان يكونا على التسوية واما ان يكون الروحاني
اقوى او يكون النفساني اقوى **اما القسم الاول** وهو ان يكون الباعث روحانيا فقط
وهذا لا يتصور الا من محب لله مستغرق الهم به حتى لم يبق لحب الدنيا في قلبه مقر حتى لا
يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة
فلا لك لا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله فمثل هذا الشخص لو
اكل او شرب او قضى حاجة كان خالص العمل في جميع حركاته او سكناته فلو نام مثلا ليستريح
نفسه فيتقوى على العبادة في جميع حركاته او سكناته كان نومه ايضا عبادة • **واما القسم
الثاني** وهو ان يكون الباعث نفسانيا وهذا لا يتصور الا من يحب النفس والدنيا مستغرق
الهم بهما بحيث لم يبق لحب الله في قلبه مقر وكما ان في القسم الاول لما غلب حب الله وحب الاخرة
على قلبه اكتسبت جميع حركاته وافعاله تلك الصفة فلا يسلم له شي من حركاته الاختيارية
هذه الصفة كذلك من غلب حب النفس والدنيا على قلبه اكتسب جميع حركاته وافعاله تلك
الصفة فلا يسلم له شي من عباداته وهذان القسمان لا يخفى حكمهما في الثواب والعقاب

واما الاقسام الثلثه الباقيه فنقول اما الذي يتساوى الباعثان فيه فالاظهر انهما يتعارضان
ويتساقطان ويصير ذلك العمل لا له ولا عليه واما الذي يكون احد الطرفين فيه اغلب
فيحبط وهو المراد بقوله تعالى منه ما يساوي الطرف الاخر ويبقى الزيادة موجبة اثرها اللايق
وذلك هو المراد بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وتمام التحقيق فيه ان الاعمال لها تاثيرات في القلب وان خلي المؤثر عن المعارض خلى الاثر
عن الضعف وان كان المؤثر مقرونا بالمعارض فان تساويا تساقطا وان كان احدهما اغلب
فلا بد وان تحصل في الزايد مقدارا للناقص فيحصل التساوي بينهما ويحصل التساقط ويبقى
القدر الزايد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محاله اثرا ما وكما لا يضيع مثقال ذرة من
الطعام والشراب والدوا عن اثر في الجسد فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن اثر في
التقريب الى باب الله والتبعيد منه فاذا جا بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما
كان لا عليه ولا له وان كان احد الفعلين مما يقربه شبرين والفعل الثاني مما يبعده شبرا
واحدا فضل له لا محاله شي واحتج من زعم ان المشوب لا ثواب عليه بوجهين **الحجة**
الاولى ما روى ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف ويحب
ان يحمد عليه ويوجر فلم يدر ما يقول حتى نزل قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا • **الحجة الثانية** ما روى ابو هريرة انه عليه السلام
قال يقول الله تعالى لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول انا اغنا الاغنيا عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركت نصيبي
لشريكي **والجواب** عن الحجة الاولى انها محمولة على ما اذا اتى بالعمل لغرض الدنيا فقط
والجواب عن الحجة الثانية ان لفظ الشرك محمول على تساوي الداعيين وقد بينا ان عند
التساوي يحبط كل واحد منهما بالاخر اذا عرفت هذه المقدمه فنقول كلمة لا اله الا الله مسماه
بكلمة الاخلاص وذلك لان الاصل في هذه الكلمه عمل القلب وهو كون الانسان عارفا بقلبه
وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصله في القلب يستحيل ان يرتبي بها لغرض اخر سوى
طاعة الله وعبوديته وهذه المعرفة ان طلبت طلبت لوجه الله لا لغرض اخر البته بخلاف ساير الحميه
الطاعات البدنيه فانها كما يوتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يوتى بها لساير الاغراض العاجله
من الريا والمدح والثنا فلهذا السبب سميت هذه الكلمه بكلمة الاخلاص • **الاسم الثالث**
لهذه الكلمه كلمة الاحسان ويدل على صحة هذا التسميه القران والخبر والمعقول اما القران
فايات **احدها** قوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان قال المفسرون المراد من قوله
هل جزا الاحسان اي هل جزا الايمان والتحقيق فيه ان عليك عهد العبوديه وعلى كرمه عهد
الربوبيه كما قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وعهد عبوديتك ان تكون عبدا له لا لغيره
ثم كمال هذه الدرجه ان تنوي ان كل ما سوى الله فهو عبد الله فهو كما قال الله تعالى ان كل من نعوفه
في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ومن ياتي بالفعل على احسن الوجوه كان محسنا فيه

وقول

وقول لا اله الا الله يدل على اعترافه بان كل ما سواه فهو عبده ومربوبه فيثبت ان قول لا اله الا الله
احسان من العبد فقوله هل جزا الاحسان الا الاحسان اي هل جزا من اتى بقول لا اله
الا الله الا ان اجعله في حماية لا اله الا الله • **وثانيها** قوله للذين احسنوا الحسنى وزياده الحسنى
والمراد من قوله احسنوا هو قول لا اله الا الله باتفاق الامه وبدليل انه لو قال ذلك ومات
ولم يتفرغ لعمل اخر دخل الجنه **وثالثها** قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
واتفقوا على ان هذه الايه نزلت في فضيلة الاذان وما ذاك الا لاشتمال الاذان على كلمة لا اله
الا الله وايضا فانه تعالى قال في صفة الكفرين ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فكما انه لا اقبح
من كلمة الكفر فكذلك لا احسن من كلمة التوحيد ولهذا قال في اول سورة المومنين
قد افلح المومنون وقال في اخر هذه السوره انه لا يفلح الكفرون ثم انه لما كان قول الموحد حسنا
كان مقيله ايضا حسنا كما قال تعالى اصحاب الجنه يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا ولما
كان قول الكافر قبيحا مظلما كان مقيله ايضا مظلما قال الله تعالى والذين كفروا اولياوهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات • **ورابعها** قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه ولا شك ان احسن الاقوال هو قول لا اله الا الله **وخامسها** قوله تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان قيل العدل الاعراض عما سوى الله والاحسان الاقبال على الله •
وسادسها قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ولا شك ان الاحسان
هو قول لا اله الا الله اما الخبر فما روى ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للذين احسنوا الحسنى وزياده اي للذين قالوا لا اله الا الله الحسنى وهي الجنة والزياده
وهي النظر الى وجه الله الكريم • واما المعقول فهو ان الفعل كلما كان اشد حسنا كان فاعله
اكثر احسانا ولا شك ان احسن الاذكار ذكر لا اله الا الله واحسن المعارف معرفة
لا اله الا الله واذا كان كذلك كانت هذه المعرفه وهذا الذكر احسانا **الاسم الرابع**
دعوة الحق قال الله تعالى في سورة الرعد له دعوة الحق قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله
فاعلم ان قوله تعالى له دعوة الحق يفيد الحصر معناه له هذه الدعوه لا لغيره كما ان قوله
لكم دينكم ولي دين معناه لكم دينكم لا لغيركم وتحقيق الكلام في اثبات هذا الحصر ان الحق
نقيض الباطل فالحق هو الموجود والباطل هو المعدوم فلما كان الحق سبحانه حقا في
ذاته ولذاته ولصفاته وكان ممتنع التغير في حقيقته كانت معرفته هي المعرفة الحقيقيه
وذكره هو الذكر الحق والدعوه اليه هي الدعوه الحق اما كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن لذاته
لا يكون حقا لذاته فلا يكون معرفته واجبا للتحقق ولا ذكره ولا الدعوه اليه واذا ثبت هذا الي الحق
ظهر تحقيق قوله تعالى له دعوة الحق واعلم ان دعوة الحق تارة تكون من الحق للحق وتارة تكون
من الخلق للخلق الى الحق • **اما الاول** فنقول اما ان دعوة الحق تكون من الحق فلانه
تعالى هو الذي دعا القلوب الى حضرته فلولا دعوته الى تلك الحضره وتوفيقه لها في ذلك
الوصول والا فمن اين يتمكن العقل البشري من الوصول الى جلال حضرة الله وايضا فلان منادي

الحركات واوايل المحدثات ستنتهي الي قدرة الله وقضايه وقدره وهذا المعني قال الله الامر من قبل ومن بعد واما ان تلك الدعوة للحق فلقوله تعالي لمن الملك اليوم واما الانتها الي الحق فلقوله تعالي وان الي ربك المنتهي واما ان دعوة الحق تارة تكون من الخلق فلقوله تعالي ومن احسن قولا ممن دعا الي الله وقوله انا سمعنا مناديا ينادي للايمان **الاسم الخامس** كلمة العدل قال الله تعالي ان الله يامر بالعدل والاحسان قال عثمن بن مظعون الجمحي ما اسلمت يوم اسلمت الا حيا من رسول الله صلي الله عليه وسلم انه كان كثيرا يعرض الاسلام علي فاستحييت منه واسلمت ولكن الاسلام ما كان مستقرا في قلبي ثم انه عليه السلام دعاني يوما فجلست اليه فبينما هو يحدثني اذ رايت بصره شخص الي السماء فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان والعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالعبودية قال عثمن فوقع الاسلام في قلبي وقال بن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص وقال اخرون العدل مع الناس والاحسان مع نفسك بالطاعة كما قال تعالي ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال اخرون يامر العدل مع الاعضا والاحسان مع القلب بان يرويه بعذب التوحيد وشراب المحبة وقال اخرون العدل رؤية الافتقار الي الحق والاحسان مشاهدة احسان الحق علي كل شي في الخلق واعلم ان السبب في تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه **الاول** ان العدل في كل شي تحصيل ما هو سبب اعتداله وكمال حاله ومن المعلوم ان كمال حال القوي الحساسه في ادراك المحسوسات وكمال القوة الشهوانيه في جلب الاشيا النافعه الجسمانيه وكمال حال القوة الغضبيه في دفع الاشيا المنافيه واما القوة العقليه فكمال حالها وغاية سعادتها ان يرتسم فيها صور الحقايق واشباح المعقولات كما هي حتي تصير القوة العقليه كالمراة التي تجلت فيها صورة الوجود بتمامها ولا شك ان اشرف المعقولات واعلاها معرفة جلال الله وقدسه وعظمته وعزته فكان غاية العدل والاعتدال للارواح البشريه والقوي العقليه كونها معتدلة علي هذه الحالة مستغرقة فيها فلهذا السبب سميت كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل **السبب الثاني** ان هذه الكلمة انما سميت بكلمة العدل لان معرفة الله تعالي متوسطة بين الافراط الذي هو التشبيه وبين التفريط الذي هو التعطيل فمن بالغ في الاثبات وقع في التشبيه ومن بالغ في النفي وقع في التعطيل والحق هو طريق الاعتدال بين هذين الطرفين المتنافيين **السبب الثالث** ان من ترك النظر والاستدلال في معرفة الله عز وجل وعول علي الظن التي الفها حسه وخياله وقع في الضلالات واما من توغل في البحث واراد الوصول الي كنه العظمة ووجه الجلال تحير وتردد بل عمي فان نور جلال الالهية مما يعمي احداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين والطريق المستقيمة هو ان يخوض الانسان في البحث المعتدل ويترك التعمق والي هذا الكلام الاشارة بقوله عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فهذه هي الوجوه التي لاجلها سميت كلمة لا اله الا الله كلمة العدل فان قيل كيف امر الله بالعدل في كلمة التوحيد وقد قال تعالي ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فمن عجز

عن العدل في حق النساء فمن اين يقدر علي العدل في معرفة الاحد الصمد والجواب ظهر عجزك في الحقير واقدرك علي الشريف لتعرف ان الكل منه **الاسم السادس** الطيب من القول قال تعالي وهدوا الي الطيب من القول وهدوا الي صراط الحميد واي كلمة توجد اطهر واطيب من هذه الكلمة وقد قال تعالي انما المشركون نجس ثم ان النجاسة الحاصلة بسبب كفر سبعين سنة تزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة وتحقيق القول فيه ان الطيب هو اللذيذ واللذيذ هو ادراك الملايم وقد بينا ان الملايم للقوي الحساسة ادراك المحسوسات والملايم للقوي الشهوانيه جلب المنافع الجسمانية وللقوة الغضبيه دفع المنافي الجسماني واما الملايم للقوي العقليه فهو ادراك جلال الله وقدسه وعزته فاذا عرفت هذا فنقول ادراك القوة العاقلة اقوي من ادراك القوة الجسمانيه وسياتي شرح هذا فيما بعد ذلك ان شا الله وايضا مدركات القوي الحساسة فهي الاعراض القايمة بالاجساد الكاينة الفاسدة ومدرك القوة العاقلة وهي ذات الله وجلاله وعظمته وظاهر انه كلما كان الادراك اقوي والمدرك اشرف كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الادراك اشرف واعلي فعلي هذا نسبة اللذة العقليه الي اللذة الحسيه في الشرف والقوة كنسبة الادراك العقلي الي الادراك الحسي وكنسبة ذات الله وصفاته في الشرف والتعالي الي الاعراض القايمة بالاجسام وكما انه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين الادراكين وبين هذين المدركين فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة بين اللذات العقليه الحاصلة بسبب ادراك جلال الله وبين اللذات الحاصلة بسبب ادراك الطعوم والروايح وساير واذا عرفت هذا ظهر ان الطيب المطلق هو معرفة لا اله الا الله والاستغراق في انوار جلال الله لا اله الا الله والالف واللام في لفظ الطيب فلهذا السبب قال الله تعالي وهدوا الي الطيب من القول والمراد منه كلمة لا اله الا الله والالف واللام في لفظ الطيب للاستغراق كانه تعالي بين ان لا لذيذ ولا طيب الا هذا وذلك هو الحق لان ساير طيب المحسوسات بالنسبة الي طيب هذه الحالة عدم محض فلذلك بين بحرف الاستغراق ان كل الطيب ليس الا ذلك **الاسم السابع** الكلمة الطيبة قال الله تعالي ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واختلفوا في انه تعالي لم سماها كلمة طيبة علي وجوه **الاول** انها طيبة بمعني طاهرة عن التشبيه والتعطيل ولكنها طريقة متوسطة سهما منافيه لكل واحد منهما كما ان اللبن خارج من بين الفرث والدم وهو مبرا عنهما مصفي عن شايبة كل واحد منهما **الثاني** انها طيبة بمعني ان صاحبها يكون طيب الاسم في الدنيا وطيب الاسم في العقبي اما طيب اسمه فلقوله تعالي الطيبات للطيبين واراد به المومنين والمومنات واما طيب المسكن فلقوله تعالي ومساكن طيبة في جنات عدن **الثالث** انها طيبة بمعني قوله انها مقبولة تقبلها الله تعالي وتصعد اليه كما قال اليه يصعد الكلم الطيب قال اهل الاشارة والسبب فيه ان هذه الكلمة تصعد الي الله تعالي بذاتها لان هذه الكلمة طيبة قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وسبب التحقيق فيه ان العقل والروح عاشقان علي التجلي والمعرفة والمكاشفة علي ما سبق تقريره بالبرهان والمعرفة منجذبة الي المعروف واذا تصاعد العرفان الي المعروف

الجسمانيه

نبه علي ايه

والعارف ملازم للعرفان انجذب العارف على المعروف وصعد اليه وذلك هو المراد من قوله
اليه يصعد الكلم الطيب • **سؤال** قال المفسرون الشجرة الطيبه هي النخله فما السبب
في تشبيه كلمة التوحيد بالنخله **الجواب** عنه من وجوه • **الاول** ان شجرة النخله لا تنبت
في جميع البلدان بل في البعض دون البعض وكذلك كلمة التوحيد لا تجري على كل لسان ومعرفة
التوحيد لا تحصل في كل قلب **الثاني** ان النخله اطول الاشجار فكذلك كلمة التوحيد على
الكلمات • **والثالث** ان الشجرة الطيبه ثابتة في الارض وفرعها في السماء وكذلك الكلمة الطيبه
ثابت في القلب وهو المعرفه وفرعها ثابت في السماء اليه يصعد الكلم الطيب **الرابع** ان شجرة النخله
تحمل كل سنه مرتين كذلك الايمان يحمل في الدنيا مره فيثاب لاجل ايمانه وهو اهلية الشهاده والولايه
والامامة ومرة اخرى في الاخرة وهي الجنه الباقيه والنعمة الدايمه • **الخامس** ان النخله وان
حصلت في وسط من نهاوله لا خير فيها ولا منفعه فان قيمة تلك الثمرة لا ينتقص بسبب تلك
النواه فكذا كلمة التوحيد وان كان يحصل معها شي من المعاصي الا ان قيمتها لا تنتقص بسبب
ذلك لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا **السادس** ان النخله اسفلها الذي يقرب من الناس كله شوك والثمر والمنفعه لا
تحصل الا في اعلاها وكذا الدين اوله التكاليف الشاقه التي هي كالشوك وفي اعلاه الثمره
اللذيذه الحلوه وهي المعرفه والمحبة • **الاسم الثامن** الكلمه الثابتة قال الله تعالى
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وفي علة هذه التسميه وجوه
الاول ان المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته ممتنع العدم لذاته والقول والاعتقاد
يتبعان النعل والمعتقد فلما كان القول والمعتقد واجب الثبوت لذاته كان القول والاعتقاد
كذلك فلهذا سماه الله بالقول الثابت • **والثاني** ان هذا القول ثابت لا يوثر فيه العمل
وذلك اشارة الى ان الايمان لا يزداد بالطاعه ولا ينقص بالمعصيه **الثالث**
ان هذا القول ثابت لا يوثر الذنب فيه بل هو موثر في ازالة الذنب لان الموحد وان عظم ذنبه
لانه يرجى له المغفره قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
والكافر وان عظم كفره فان رجع عن الكفر الى التوحيد هدم التوحيد كفره • **الرابع** ان
هذه الكلمة ثابتة في الاخرة لا تزول عن العبد وذلك لان اهل الجنة مشغولون في الجنة بذكر
التوحيد الا ترى ان الله اخبر عنهم انهم قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا **والخامس** انها ثابته لان لها اصلا
محكما وذلك لان اول من شهد هذه الشهاده هو الله بدليل قوله شهد الله فشهادة
جميع الشاهدين بتوحيد الله فرع لشهادة الله وشهادته هي الاصل وكل شهادة اصلها شهادة الله
فهي ثابتة في الدنيا والاخرة • **والسادس** ان الانسان بدون هذه الكلمه يعمل فيه الماء والنار
ومع هذه الكلمه لا يعمل فيه الماء والنار اما بيان ان الانسان بدون هذه الكلمه يعمل فيه الماء والنار
ان فرعون اغرق في الماء ولانه نقل من الماء الى النار اغرقوا فادخلوا نارا وعجل السامري

ان الله لا يغفر الذنوب جميعا وكان ظاهرا م

والدليل علي ذلك قوله تعالي م

اوق

احرق بالنار او لانه نقل من النار الى الماء لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا واما ابرهيم وموسى
فكانا مع حقيقة هذه الكلمه فلم تعمل النار في ابرهيم قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم ولم تعمل الماء في موسى عليه السلام واذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
التاسع كلمة التقوى قال الله تعالى والزمهم كلمة التقوى وفي سبب هذه التسميه وجوه
الاول لما ادعى صاحب هذه الكلمه ان يصفه بما وصفه به المشركون وصفت الكلمه
بانها كلمة التقوى تنفي الشرك ثم في هذه الايه اشارة وبشارة اما الاشارة فهي انه تعالى سمى نفسه
اهل التقوى وقال هو اهل التقوى وسمى الموحدين اهل كلمة التقوى فقال تعالى والزمهم كلمة
التقوى فكانه تعالى يقول انا اهل ان اكون مذكورا بهذه الكلمة وانت اهل ان تكون ذاكرا لهذه
الكلمة فما اعظم هذا الشرف واما البشارة فهي انه تعالى يقول والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق
بها واهلها فاثبت ان الموحدين احق الخلق بهذه الكلمه وهم اهل هذه الكلمه فانه كريم لا ينزع
الحق عن مستحقه فهذا يدل على انه لا ينزع الايمان عن المومن **الوجه الثاني**
في بيان انه لم سميت هذه الكلمه بكلمة التقوى هو ان هذه الكلمه واقيه لبدنك عن السيف
ولمالك عن الاستغنام ولذمتك عن الجزيه ولاولادك عن السبي فاذا انصاف القلب
الى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر فان انضم التوفيق اليه فصارت واقيه لجوارحك
عن المعاصي ثم قال تعالى والزمهم كلمة التقوى اي نحن الزمناهم هذه الكلمة التي هي
المفتاح لباب من الجنه فنحن اردناهم اولا وهم ما ارادوا ويمنون علينا فلنا المنة عليهم
في فتح هذا الباب وفي تقريره بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل
الله يمن عليكم ان هداكم للايمان • **الاسم العاشر** الكلمة الباقيه روى عن كثير من
المفسرين انهم قالوا في تفسير قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه انها قول لا اله الا الله
ويدل عليه وجوه **الاول** مقدمة هذه الاية وهي قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين فكان معنى قوله انني براء مما تعبدون
نفي الالهيه التي عن الاشيا التي كانوا يعبدونها ثم قال الا الذي فطرني فكان فيه اثبات
الالهيه لله الذي فطره واذا حصل هذان المعنيان كان مجموعهما قوله لا اله الا الله ثم قال
وجعلها كلمة باقية في عقبه فثبت ان المراد من الكلمة الباقية هو قوله لا اله الا الله • **الثاني**
انه تعالى قال في اخر القصص ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي هالك الا وجهه
فبين ان كل شي هالك الا هو فانه واجب الدوام والبقا والسرمد لذاته وقد عرفت ان القول
يتبع المقول والاعتقاد يتبع المعتقد فكان صدق لا اله الا الله وحقيقة لا اله الا الله واجب
الثبوت والدوام والبقا وذلك هو المراد بكونها كلمة باقيه **الثالث** انا بينا ان التوحيد
لا يزول بسبب المعصيه البته والمعصيه تزول بسبب التوحيد وايضا التوحيد يبقى مع اهل الجنه
وسائر الطاعات لا يبقى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى ما لي ارى فلان بن فلان في صفوف اهل النار فاقول يا رب انا لم نجد له حسنه

امرهم

الاسم م

روي م

فيقول الله تعالى اني سمعته يقول في الدنيا يا حنان يا منان فاذهب اليه فاساله فياتيه
فيجده في زاوية من زوايا جهنم يقول يا حنان يا منان فيساله جبريل عن هذه الكلمه فيقول
وهل حنان ومنان غير الله قال جبريل عليه السلام فاخذ بيده من صفوف اهل النار وادخله
في صفوف اهل الجنه • **الاسم الحادي عشر** كلمة الله العليا قال الله تعالى
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا واعلم ان السبب في علو هذه الكلمه **الاول**
وهو ان القلب اذا تجلى فيه نور هذه الكلمه كان ذلك التجلي نور الربوبية ونور الربوبيه اذا تجلى
في القلب استعقب حصول القوة الهيبه ربانيه ولهذا السبب كان العارفون المستغرقون
في انوار جلال الله يستحقرون الاحوال الدنيويه ويستحقرون عظماء الملوك ولا يبالون
بالقليل ولا يقيمون بشي من طيبات الدنيا وزينتها البته وكل ذلك يدل على استعلا قوة
هذه القوة الكلية على جميع الاشيا فان سلطان كل شي يضمحل في سلطان جلال هذه الكلمه
انظر الى استغراق سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمه لم يلتفتوا الى قطع الايدي
والارجل وان محمدا صلى الله عليه وسلم لما استغرق في هذا النور لم يلتفت الى الملكوت
كما قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى • روى ان ابرهيم الخواص كان في الباديه فظهر عليه
شي من هذه الاحوال فاضطجع بجانبه السباع واحاطوا به وما كان يبالي بها فخاف صاحبه
الذي كان معه وصعد بعض تلك الاشجار وبقي هناك خايفا ثم في الليلة الثانيه زال ذلك
الوجد فوقعت بعوضة على يده فتالم واظهر الجزع والانين فقال له صاحبه ما اظهرت
الجزع في البارحه في ظهور السباع واظهرت الجزع في هذه الليله من البعوضة فقال ابرهيم
كان في البارحة نزل في القلب سلطان فبقوة ذلك السلطان ما كنت ابالي بجميع الملكوت
واما الان فقد غاب ذلك السلطان فظهر العجز كما ترى • **السبب الثاني**
في كون هذه الكلمة غالبه استعلاوها في الدنيا على ساير الاديان كما قال تعالى ليظهره على الدين
كله **السبب الثالث** في استعلايها كونها مستعليه على جميع الذنوب فانها تزيل جميع
الذنوب وشي من الذنوب لا يزيل هذه الكلمه والله اعلم • **الاسم الثاني عشر**
المثل الاعلى قال قتاده في قوله تعالى ولله المثل الاعلى قال معناه قول لا اله الا الله واعلم ان معنى
المثل ههنا الصفه كذا قال اهل اللغه ونظيره قوله تعالى مثل الجنه التي وعد المتقون اي صفتها
فصار المراد من قول الله تعالى ولله المثل الاعلى عين المراد من قوله وكلمة الله هي العليا •
والاسم الثالث عشر كلمة السواء قال تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم قال ابو العاليه
الرياحي هي كلمة لا اله الا الله والدليل عليه انه قال بعده ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا معنى لهذه الاية سوى ما هو المراد من قول لا اله الا الله
فثبت ان المراد من كلمة السوا هي كلمة لا اله الا الله ومما يقرر ذلك ان جميع العقول معترفه بصحة
لا اله الا الله وجميع الالسنه ناطقه بها وجميع الرقاب متضرعة لها قال تعالى ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله وايضا يحتمل انها سميت بكلمة السواء لانها تفيد الاستواء في الدين

والعقل

والعقل والروح وتوجب الاستقامة وترك الاعوجاج في كل الامور **الاسم**
الرابع عشر انها كلمة النجاه والذي يدل عليه القران والحديث والمعقول اما القران
فمن وجهين **الاول** فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فهذه الايه صريحه في ان النجاه لا تحصل بدون الايمان بلا اله الا الله وتحصل مع الايمان بلا
اله الا الله • **الثاني** قوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى قول لا اله الا الله واما
الخبر فيدل عليه الاخبار التي ذكرنا في الفصل الثاني ونزيد ههنا اخبارا اخرى **احدها**
ما روي جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموجبتين فقال عليه
السلام من لقي الله تعالى ولا يشرك به شيئا دخل الجنه ومن لقي الله يشرك به شيئا دخل النار •
وثانيها عن ابي سعيد الخدري قال عليه السلام لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله
وثالثها راى عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله ثقيلا مغموما بعد موت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما لك فقال طلحه سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا ما منعني ان اساله الا القدره عليه حتى مات سمعته يقول اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد
عند موته الا اشرق بها لونه ونفس الله بها كربته فقال عمر رضي الله عنه اني لاعلمها فقال
هي الكلمة التي امر بها عمه عند الموت وهي لا اله الا الله قال طلحه صدقت هي والله هي • **ورابعها**
روي ابو امامه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ينادي في الناس من شهد ان لا
اله الا الله دخل الجنه **وخامسها** قال معاذ بن جبل حين حضرته الوفاه اكشفوا عني سجف
القبه حتى احدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعني ان احدثكموه الا ان
تتكلوا وتتركوا العمل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله مخلصا
من قلبه دخل الجنه ولم تمسه النار • **وسادسها** عن عبد الله بن ابي قتاده عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فجرى بها لسانه واطمان بها قلبه حرمت النار عليه **وسابعها** روي ابو هريره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ناد في الناس من شهد ان لا اله الا الله وجبت له
الجنه قال ابو الدرداء وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق حتى قالها ثلاث مرات
وقال في الثالثه وان رغم انف ابي الدرداء • **وثامنها** روي معاذ بن جبل عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان اخر كلامه لا اله الا الله وفاضت نفسه بعده دخل
الجنه **الاسم الخامس عشر** العهد قال ابن عباس في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا العهد هو قول لا اله الا الله واقول ان الذي يدل على صحة
قول ابن عباس وجوه **الاول** قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا نكره في طرف الثبوت
وذلك لا يفيد الا عهدا واحدا فهذه الايه تدل على ان ملك الشفاعه يحصل بسبب عهد
واحد ثم اجمعنا على ان ما سوى ذلك الايمان فان الواحد منه بل مجموعه لا يفيد ملك
الشفاعه البته فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذي يفيد ملك الشفاعه هو الايمان

وقول لا اله الا الله **والثاني** ان جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم انه هو عهد الايمان بدليل ان لفظ العهد مجمل فلما اعقبه بقوله
وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم علمنا ان المراد بذلك العهد هو الايمان وهو قول لا اله الا الله
محمد رسول الله **الثالث** ان اول ما وقع من العهود قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى
وذلك في الحقيقه هو قول لا اله الا الله فكان لفظ العهد محمولا عليه **الرابع** انه تعالى قال
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه الى قوله تعالى ومن اوفى بعهده
من الله فكان العهد من جانبك عهد الاقرار بالعبوديه ومن جانب الله سبحانه وتعالى
عهدا لكرم والربوبيه فثبت بهذه الوجوه ان المراد من قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
هو عهد قول لا اله الا الله **الخامس** قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا هو عهد
قول لا اله الا الله **الاسم السادس عشر** كلمة الاستقامه قال الله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال ابن مسعود المراد من قوله استقاموا هو قول لا اله الا الله
وذلك لان قولهم ربنا الله اقرار بوجوب الربوبيه تعالى ثم ان من المقرين بذلك من اثبت
له ندا وشريكا فالذين نفوا الشركاء والاضداد هم الذين استقاموا على النهج القويم
والصراط المستقيم واعلم ان القيمه في القيمه بقدر الاستقامه في نفي الشركاء فمن الناس
من اثبت الشريك ظاهرا وهو الشرك الظاهر ولا استقامه في الدين لا تحصل الا بنفي الشركاء
كما قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومنهم من اقر بالوحدانيه في الظاهر الا
انه يقول قولا يهدم ذلك التوحيد مثل ان يضيف السعاده والنحوسه الى الكواكب ويضيف
الصحه والمرض الى الدواء والغذاء او يضيف الفعل الى العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك
يبطل الاستقامه في معرفة الحق سبحانه وتعالى ومنهم من ترك كل ذلك ولكنه قد
يطيع النفس والشهوه في بعض الاحوال واليه الاشاره بقوله تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه وهذا النوع من الشرك هو المسمى بالشرك الخفي والمراد من قوله تعالى حكايه
عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك وقول يوسف صلى الله عليه وسلم توفني مسلما
والحقني بالصالحين فان الانبياء عليهم السلام مبراون عن الشرك الجلي اما الحاله المسماه بالشرك
الخفي وهو الالتفات الى غير الله فالبشر لا ينفك عنه في جميع الاوقات فلهذا السبب تضرع
الانبيا والرسل عليهم السلام الى الله في ان يصونهم عنه **الاسم السابع عشر**
مقاليد السموات والارض قال الله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس
هو قول لا اله الا الله واقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه **الاول** انه تعالى بين انه
لو كان في الوجود الهان لحصل الفساد في العالم ولاختلت المصالح قال تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا فثبت ان الشرك سبب لفساد العالم وان التوحيد سبب لانتظام
العالم فثبت ان مقاليد السموات والارض هو قول لا اله الا الله **الثاني** انا بينا
ان الشرك سبب لاختلال العالم بدليل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق

الارض

الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا كان كذلك كان التوحيد سببا لعماره
العالم **الثالث** ان ابواب السماء لا تنفتح عند الدعا الا بقول لا اله الا الله وابواب الجنه
لا تنفتح الا بهذا القول وابواب الميزان لا تتعلق الا بهذا القول وباب القلب لا ينفتح الا بهذه الكلمه
وانواع الوساوس لا تندفع الا بهذا القول فكانت هذه الكلمات اشرف مقاليد السموات
والارض واعز مفاتيح الارواح والنفوس والاجسام والعقول **الاسم الثامن عشر**
القول السديد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا فقيل في تفسيره
الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل كالقتيل بمعنى المقتول والجريح بمعنى المجروح واذا حملته على معنى
الفاعل كان معناه انه يسد على صاحبه ابواب جهنم واذا حملته على معنى المفعول كان معناه
انه يسد عن ان يصر شي من الذنوب وايضا فان ذا القرنين بنا السد دفعا لضرر ياجوج
وماجوج والله تعالى جعل الايمان سدا لضرر الشياطين من الجن والانس **الاسم التاسع
عشر** البر قال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب اشارة الى الكفر والقول
بالشركاء ولكن البر من امن بالله والاشاره في الايه الى ان من كان مشتغلا بجميع الجوانب كلها
لم يكن صاحب البر وانما صاحب البر هو الذي يتوجه الى الكعبه وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض فقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب اشارة الى الكفر
والقول بالشركاء وقوله ولكن البر من امن بالله اشارة الى التوحيد فصار معناه هو المفهوم من
قوله لا اله الا الله **الاسم العشرون** الدين الخالص قال الله تعالى الا لله الدين الخالص
واعلم ان الدين هو الانقياد والخضوع قال عليه السلام في دعائه يا من دانت له الرقاب
اي خضعت فقوله الا لله الدين الخالص اي له الخضوع والخشوع لا لغيره وانما يكون
كذلك اذا كان واحدا في الهيبه اذ لو وجد الهان لكان كمال الخضوع حاصلا لاحدهما كان
ايضا حاصلا للثاني وحينئذ لا يمكن حصر ثبوت الخضوع لله فقط والحصر دل على انه
لا اله سواه ولا معبود الا اياه **الاسم الحادي والعشرون** الصراط المستقيم
قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال تعالى حكايه عن رسوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في
الارض واعلم ان هذا الصراط المستقيم هو قول لا اله الا الله وذلك باعتبار ان حدوث
كل محدث وامكان كل ممكن يحوجه الى المؤثر الذي يوجده وينقله من العدم الى الوجود فاذا كان
الموجد والمؤثر والمدبر واحدا فمتى نسبت حدوث المحدثات ووجود الممكنات الى قدرته
كان ذلك صراطا مستقيما وطريقا قويما ومتى نسبت حدوث محدث او ممكن الى غير
قدرته كان ذلك طريقا معوجا وسبيلا منحرفا فثبت ان الصراط المستقيم لا يحصل الا باسناد
كل الحوادث والممكنات الى تخليق الله وتكوينه واسناد الكل اليه وهو التوحيد فثبت ان الصراط المستقيم
هو قولنا لا اله الا الله **الاسم الثاني والعشرون** كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين
تدعون من دونه الشفاعه الا من شهد بالحق يعني قول لا اله الا الله ٥

الشركاء

كالسيف لعين السائم ودينكون لمعنى العوق فهو

الاسم الثالث والعشرون العروة الوثقى قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني بلا اله الا الله الاسم الرابع والعشرون
كلمة الصدق لقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي جاء بقول لا اله الا الله فهذا
جملة الكلام في اسماء قولنا لا اله الا الله اللهم بحق اسمائك الطاهرة المطهرة المقدسة
احفظ بفضلك معرفة هذه الكلمة في قلوبنا وذكرها على السنتنا يا ارحم الراحمين

الفصل الرابع في الاشياء التي شبه الله تعالى كلمة التوحيد بها فالاول
ان الله تعالى شبه الايمان بالنار فقال تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقال في
اية اخرى ومما توقدون عليه في النار وفيها اشارتان النكتة الاولى كما ان النار
اذا عرضت عليها الذهب المغشوش احرقت كل ما فيه من الغش وبقي جوهر الذهب سليما عن
الاحراق فكذا يوم القيمة اذا عرض المذنب على نار جهنم احرقت ذنوبه ومعاصيه ويبقى
ايمانه سليما عن الاحراق الثانية ان النار تحرق كل شي فكذا الايمان اذا وقع في نوره احرق
ما سوى الله عن القلب قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الثاني من انه تعالى التي شبه الله
الايمان بها النور قال تعالى مثل نوره والسبب في انه اضاف المعرفة الى نفسه وجوه الاول
انه تعالى اضاف المعرفة الى نفسه قطعا للاطماع عنها وذلك لانها جوهرة نفيسة وقيمتها رفيعة
وصاحبها غافل والشيطان محتال مكار وكل مقصوده ان ياخذ المعرفة من العارف فين وحول
بينها وبينه والحق سبحانه وتعالى برحمته جعل المعرفة في حمايته حتى ينقطع طمع ابليس
عنها وتحقيقه انه تعالى قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلما اضاف العباد الى نفسه
انقطع طمع ابليس عنهم فقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك فههنا لما اضاف الايمان
الى نفسه بقوله تعالى مثل نوره لا جرم كان طمع ابليس منقطعا عنه الثاني ان كل ما للعبد
فهو للحق لانه حصل بتخليقه وايجاده فاذا بلغ العبد في درجات المكاشفات الى ان شاهد هذه
الحالة فقد كملت حالته وعظمت درجته فعند ذلك قيل كل ما له فهو لنا وكل ما لنا فهو له
فالمعرفة التي هي له فهي لنا فلا جرم اضافها الى نفسه فقال مثل نوره الثالث
ان تخصيص السبب باضافته الى الله سبب للتشريف كما في قوله وطهر بيتي للطائفين وكما في قوله
هذه ناقة الله وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فكذا ههنا اضافة المعرفة الى نفسه دل على
انها اشرف الخلع والتشريفات ثم ههنا سوالات السوال الاول ما الحكمة في ان الله تعالى
شبه نور المعرفة بنور السراج حيث قال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والجواب عنه
من وجوه الاول ان البيت اذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة ان يفتضح
فكذلك القلب اذا كان فيه سراج المعرفة لم يتجاسر الشيطان على دخوله مخافة ان يفتضح والثاني
ان البيت اذا كان فيه سراج اهتدي صاحبه الى طلب الامتعة فكذا القلب اذا كان فيه سراج
المعرفة اهتدى صاحبه الى الشروع في الطاعات السوال الثالث اذا كان السراج
في البيت انتفع بضيائه كل احد من غير ان ينقص من استضاءة صاحبه نور شي فكذلك كل قلب

علينام

كان فيه سراج المعرفة انتفع بنوره غير صاحبه من غير ان ينتقص من نور صاحبه شي الرابع
السراج اذا كان في البيت وكان موضوعا في كوة مسدودة بزجاجة اضاء داخل البيت وخارجه
وكذا سراج المعرفة في القلب يضيء داخل القلب وخارج القلب حتى يظهر نوره على الاذنين والعينين
واللسان فيظهر فنون الطاعة من هذه الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه السلام اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي عظمي نورا وفي مخي نورا الخامس
ان البيت اذا كان فيه سراج كان صاحبه مستانسا مسرورا فاذا انطفا السراج كان متوحشا
فكذا القلب ما دام فيه سراج المعرفة كان صاحبه مستانسا مسرورا فان فارقه والعياذ بالله
صار حزينا مغموما وقال تعالى ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء السادس ان جرم السراج صغير وضوءه
منتشر من كل جانب وكذلك ضوء المعرفة ينتشر من القلب الى جميع الجوانب كما قال تعالى ولله
المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وخصوصا من جانب العلو قال تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب السوال الثاني ما الفرق بين سراج الدنيا التي هي الشمس وبين سراج المعرفة
الجواب الفرق من وجوه الاول الشمس يحجبها غمامة والمعرفة لا يحجبها سبع سموات
الثاني ان الشمس تغيب بالليل والمعرفة لا تغيب ليلا ولا نهارا بل هي في الليل اكد قال تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقال ليلة
القدر خير من الف شهر الثالث ان الشمس تفنى قال تعالى اذا الشمس كورت واما المعرفة
لا تفنى قال تعالى كل شي هالك الا وجهه اي الا ما حصل به رضاه الرابع الشمس تنكسف والمعرفة
لا تنكسف الخامس الشمس تسود الاشيا والمعرفة تبيضها السادس الشمس تحرق
والمعرفة تنجي من الحرق السابع الشمس تنفع تارة وتضر تارة والمعرفة تنفع ولا تضر البتة
الثامن الشمس منفعتها في الدنيا والعقبى التاسع الشمس في السماء زينة لاهل الارض
والمعرفة في الارض زينة لاهل السماء العاشر الشمس في الفوق وهي مضيئة لما تحتها والمعرفة
في قلب المومن وهي في التحت وتضيء لما فوقه اليه يصعد الكلم الطيب الحادي عشر
بالشمس ينكشف وجود الخلق وبالمعرفة ينكشف وجود الخالق والدليل عليه قول امير المومنين علي رضي الله
قال قيل له هل رايت ربك فقال لا اعبد ربا لم اره الثاني عشر الشمس تقع على الولي وعلى
العدو والمعرفة لا تقع الا للولي الثالث عشر ولاية الشمس في الدنيا دون الاخرة واما
المعرفة فانها في الدنيا ذات بداية وفي الاخرة ذات زيادة وايضا فان الكوكب مصباح الخلق والمعرفة
مفتاح الحق وايضا فان شعاع الكوكب ينزل الى السفل وشعاع المعرفة يصعد الى العلو وايضا فان
الكوكب يطلع من خزانة الفلك والمعرفة تطلع من خزانة الملك وايضا فان الكوكب علامة والمعرفة
كرامة وايضا فان الكواكب موضع نظر المخلوقين والمعرفة موضع نظر رب العالمين قال عليه السلام
ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم السوال الثالث
ما الفرق بين السراج والمعرفة وسراج الدنيا الجواب من وجوه الاول ان سراج الدنيا نور

نور مشوب بالظلمة وهي الدخان التي يعلوه وسراج المعرفة نور صافي لا ظلمة معه • والثاني
ان سراج الدنيا يحرق نفسه لينتفع به غيره وسراج المعرفة يحرق الذنب وروح السر وسوء الصدر
والثالث ان سراج الدنيا يضمحل في نور الشمس واما سراج المعرفة فانه تضمحل نور الشمس في
نوره • والرابع ان سراج الدنيا لا وقاية له يحرق من وقده ومن مده بالفتيلة كما يحرق من لم
يوقده ولم يمده بشيء وسراج المعرفة ذو وقاية لا تحرق صاحبه البتة بل ينجيه من الخوف وشتان ما بين
السراجين • السؤال الرابع ما الحكمة في تشبيه المعرفة بالسراج • والجواب من
وجوه الاول ان المصباح تطفيه الرياح والمعرفة تطفيها الوسواس والشبهات والثاني
ان المصباح لا يبقى بغير الدهن والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق والثالث لا بد للمصباح من
حافظ يتعهده ولا بد لمصباح المعرفة من متعهد وهو فضل الله ومعرفته • السؤال
الخامس ما الحكمة في تشبيه القلب بالزجاجة فهلا شبه بالذهب والفضة فانهما اعز من
الزجاجة والجواب من وجوه الاول ان الذهب والفضة وان كانا نفيسين رفيعين
الا انهما كثيفان يوقعان الحجاب والزجاجة وان كانت قليلة القيمة الا انها لطيفة صافية
لا توقع الحجاب فانه يرى باطنها من ظاهرها وبالضد والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب لا لوضعه
والثاني انه ليس لآنية الزجاجة خطر انما الخطر لما في الآنية فكذلك ليس لقلبك خطر انما الخطر
للايمان • والثالث اذا انكسرت الزجاجة لم تصلح الا بادخال النار والاذابة فكذا القلب اذا فسد
لم يصلح الا بادخال النار والاذابة وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين
اتقوا والرابع ان صاحب الذهب والفضة لا يخاف كسرهما لعلمه ان قيمتهما لا تبطل بسبب الانكسار
واما صاحب الزجاجة فانه يكون على حذر ووجل لعلمه بانها اذا انكسرت بطلت قيمتها فكذلك
ينبغي للمؤمن ان يكون على حذر ووجل كصاحب الزجاجة ولا يكون على امن وسكون كصاحب
الذهب والفضة • والخامس شبهه بالزجاجة لبيان النور بالزجاجة احسن واتم ضياء منه في
الذهب والفضة فالزجاجة لقلة قيمتها واستعدادها للانكسار والبطلان صار النور فيها احسن
وهو الاشارة الى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي • السؤال السادس ما الحكمة في تشبيه
الزجاجة بالكوكب الدري • والجواب من وجوه الاول ان الكوكب الدري فيه لاهل
الارض هداية كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون ولاهل السماء زينة كما قال تعالى
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فكذا قلب المؤمن لهداية صاحب القلب الى الخيرات ولابصار زهرة
اهل السماء فانه يروى عن معرفة العارف تضيء لاهل السماء كما يضيء الكوكب الدري لاهل الارض
والثاني ان الكوكب لا قدرة للشيطان عليه بل الكوكب يحرق الشيطان قال الله تعالى
وجعلناها رجوما للشياطين فكذا ههنا قلب المؤمن لا سبيل للشيطان عليه بل نور قلبه
وايمانه يحرق الشيطان ولذلك قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال
يوسوس في صدور الناس ولم يقل يوسوس في قلوب الناس وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم
طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فذلك التذكر هو نور الايمان وقوله فاذا هم

مبصرون فيه اشارة الى احتراق وساوس الشيطان • السؤال السابع ما الحكمة في تشبيه
القلب بالكواكب لا بالشمس والقمر • والجواب من وجوه الاول ان الكواكب
تستتر بالنهار وتظهر بالليل والعارف مستتر بالنهار فاذا اظلم الليل ظهر بالخدمة والتضرع •
والثاني قال تعالى ان الكواكب زينة السماء والقلب زينة العارف • والثالث قد ظهر
ان الكواكب مصابيح السماء قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح والقلب مصباح العارف وقال
تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح • السؤال الثامن هل في تشبيه الايمان بالسراج
بشارة لاهل الايمان • الجواب نعم من خمسة اوجه • الاول ان الشمس سراج استوقده
الله تعالى للبقاء فلا يقدر احد على اطفائه والمعرفة سراج استوقده الله للبقاء فكيف يقدر ابليس
على اطفائه • الثاني استوقد الله سراج الشمس في السماء فهي تزيل الظلمة عن بيتك مع غاية البعد
فاذا استوقد شمس المعرفة في قلبك الا تزيل ظلمة المعصية عنك مع شدة القرب • الثالث
من استوقد سراجا فعليه تعهده والله هو الموقد لسراج المعرفة قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان فلا
جرم ان امداد رحمته وعواطف تعهده حافظة كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون • الرابع اللص اذا رأى السراج في البيت مستوقدا لا يقصد ذلك البيت للسرقة
والله تعالى قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب لص الشيطان من قلبك • الخامس الخامس
المجوس اوقدوا نارا فلا يريدون اطفاءها والملك القدوس اوقد نار المحبة والمعرفة فكيف
يرضى بابطالها واطفائها • السادس من اراد ان يستوقد سراجا احتاج الى سبعة اشياء
زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن والعبد اذا طلب سراج المعرفة فلا بد
له من زند الجهاد والذين جاهدوا فينا وحجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا واما الحراق فهو
احراق النفس بمنعها من شهواتها قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى • والرابع كبريت الانابة
وانيبوا الى ربكم • والخامس مسرجة الصبر واصبروا ان الله مع الصابرين • والسادس
فتيلة الشكر واشكروا نعمة الله عليكم • والسابع دهن الرضا بقضاء الله تعالى قال الله تعالى
واصبر لحكم ربك وقال عليه السلام الرضا بالقضاء باب الله الاعظم فهذه السبعة تتعلق بك
في حفظ عهد العبودية فاذا وفيت بعهد العبودية فهو اولى ان يفي بعهد الربوبية كما قال
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فتحفظ هذه المعرفة في قلبك وهذا الذكر في لسانك ويجعلها
نورا باقيا معك في القبر وظلمة القيامة • النوع الثالث من الامور التي شبه الله
تعالى الايمان بها التراب فقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ووجه المشابهة
ان التراب ذو امانة من اودع شيئا فيه سلم اليه اضعافه قال الله تعالى في كل سنبلة مائة حبة
فكذا المؤمن اذا عمل عملا سلم الله اليه اضعاف ذلك العمل اليه يوم القيامة قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب • الثاني من خاصية الارض انه يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل
مليح فكذا ارض الايمان تطرح عليها قبائح الكفر والذنوب ثم تخرج منها ثمرات المعرفة والرحمة
والرضوان فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات • الثالث من خاصية الارض انها

كالام الحاضنة لك فهي كالمهد قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وكالخزانة لك خلق
لكم ما في الارض جميعا وكالام المشفقة عليك منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
وكذا الايمان تحصل منه جميع منافعك في الدنيا والعقبى وبه وبه تندفع المضار عنك في الدنيا
والعقبى **النوع الرابع** من الاشياء التي شبه الله تعالى بها الايمان والقران لما قال تعالى انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اي الايمان والكفر
فالزبد الكفر والماء هو الايمان ففي تفسيره وجه المشابهة وجوه **الاول** ان الماء يزيل الانجاس
عن الثوب وانزلنا من السماء ماء طهورا وثيابك فطهر فكذلك الايمان يزيل نجاسة الكفر والمعاصي
عن القلب قال عليه السلام الاسلام يجب ما قبله **الثاني** ان الله تعالى سمى الماء المنزل من السماء
رحمة وقال وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وسمى القران رحمة فقال وهدى
ورحمة للمؤمنين وجعل الايمان رحمة وقال كتب في قلوبكم الايمان وسببا للرحمة تعالى
كتب ربكم على نفسه الرحمة ولاجرم شبه الايمان والقران بالماء لهذا السبب **الثالث**
انه تعالى سمى القران مباركا فقال تعالى وهذا ذكر مبارك وقال كتاب انزلناه اليك مبارك وقال
في الماء ونزلنا من السماء ماء مباركا فلا جرم شبه القران بالماء لكون كل واحد منهما مباركا
الرابع ان الماء شفاء للنفوس والقران شفاء للقلوب قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين فهو شفاء لقلوبهم ورحمة لذنوبهم كما انه تعالى هو الذي نزل انزل الماء
من السماء ولا يقدر عليه احد سواه كذلك هو الذي انزل القران ولا يقدر عليه احد
غيره **السادس** كما انه تعالى انزل المطر من السماء لن يقدر احد على دفعه فكذلك لما انزل
القران من السماء لم يقدر على دفعه احد ولا دخال الباطل عليه وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه **السابع** ان المطر لا يقدر احد على ان يحصي عدد قطراته فكذلك
القران لا يحيط احد بكمال اسراره ولطائف حقائقه **الثامن** كما ان المطر ينزل من
السماء قطرة قطرة ثم يسيل في الارض نهرا نهرا وبحرا بحرا فكذلك القران نزل من السماء
اية اية ونجما نجما ثم صار المجموع انهارا وبحارا وفي الخبر ان القران بحر عميق لا يدرك قعره
التاسع ان المطر لو نزل من السماء دفعة واحدة لقلع الاشجار وخرب الديار وكان
الفساد فيه اكثر من الصلاح فهذا القران لو نزل جملة واحدة لطاشت فيه الافهام وتاهت فيه
الاوهام قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
العاشر كما ان الله تعالى يحيي الارض بعد موتها بالمطر فكذلك احيي القلوب الميتة بالقران
قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه **الحادي عشر** كما ان المطر واحد ثم انه يقع على
الارض فيخرج منه الورد والريحان وعلى ارض اخرى فيخرج منه الشوك والسم فكذلك القران
يقع على قلوب المطيعين فيخرج منه ورد العبودية وريحان الطاعة ويقع على قلب الكافر
فيخرج منه سم الكفر وشوك المعصية قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا **الثاني
عشر** ان في الماء النازل من السماء غنية عن جميع المياه فكذلك في القران غنية عن جميع

والخامس

الكتب

كلام

الكتب والعلوم **والثالث عشر** كما ان الماء الكثير اذا انغمس فيه من لم يحسن السباحة
هلك فيه فكذلك القران اذا تكلم فيه احد بغير العلم هلك قال عليه السلام من فسر القران برايه فليتبوأ
مقعده من النار **الرابع عشر** كما ان الشرب فوق الكفاية يضر ولا ينفع فهكذا الكلام في القران
فوق الفهم والفطنة يضر ولا ينفع قال عليه السلام امرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم
الخامس عشر اذا انقطع المطر ظهر القحط وظهر النبات والغذاء والفاكهة فكذلك كان قبل
نزول القران ظهر قحط الدين فلما نزل القران زال القحط في الدين وظهر انواع الغذاء والفاكهة للروح
وهو نبات التوحيد والنبوة والشرائع **السادس عشر** كما ان الماء يطفي النار فكذلك القران
والايمان يطفي عن المؤمن الذي هو حامل القران نار جهنم **النوع الرابع** من الاشياء
التي شبه الله القران والايمان بها الحبل قال تعالى واعتصموا بحبل الله وجه المشابهة من وجوه
الاول ان من اراد ان يصعد من السفل الى العلو وخاف من الانزلاق فاذا تمسك بالحبل امن
من ذلك الخوف فالعبد يريد ان يصعد من سفل البشرية الى علو عالم الجلال والكبرياء ويخاف
من ان ينزلق قدم عقله فاذا تمسك بالقران امن منه **والثاني** ان الاعمى اذا اراد الذهاب
الى موضع فان كان بين مكانه وبين ذلك الموضع حبل مشدود وتمسك بذلك الحبل وذهب فارغا
من غير خوف فكذلك العقول البشرية كالاعمى في سلوك سبيل التوحيد والمعرفة
فاذا تمسكوا بالقران امنوا من الخوف **والثالث** ان من سقط في البير فطريق تخليصه ان يرسل
اليه حبل حتى يتعلق به ويصعد وينجو من الهلاك والارواح البشرية وقعت في هاوية عالم
الاجسام والملك الرحيم ارسل اليهم حبل القران فمن تعلق به وصعد نجا ومن لم يتعلق به بقي في
بير الظلمات وكان من الهالكين **النوع السادس** من الاشياء التي شبه الله الايمان
والقران به شجرة الزيتون فقال وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين
وذكروا في وجه التشبيه وجوها **الاول** انه تعالى انما شبه الايمان بهذه الشجرة لان هذه
الشجرة في اكثر الامور انما تنبت في الامكنة المطهرة فكذلك المعرفة لا تستقر الا في القلب
المطهر **الثاني** ان شجرة الزيتون يتولد منها ذلك الدهن الذي هو في غاية الصفا فكذلك
قلب المؤمن يتولد منه الايمان والمعرفة وهما صفا الانوار واشرفها واعلم ان الله تعالى وعد
المؤمنين بعشر كرامات **احدها** المغفرة قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والمعنى ان قبلوا الايمان وتركوا الكفر **وثانيها** الامن قال الله تعالى الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون **الثالث** الهداية قال الله
تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم **الرابع** الزيادة قال الله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة **والخامس** الفلاح قال تعالى اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون وقال قد افلح المؤمنون **والسادس** التثبيت
قال تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة **والسابع**
الشفاعة قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعني قول

الخامس

لا اله الا الله • والثامن اصلاح الاعمال قال تعالى يا ايها الذين اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم اعمالكم والتاسع البشارة قال تعالى وابشروا بالجنة • العاشر سماع كلام الله ورؤية
الله تعالى سلام قولا من رب رحيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة • اما الخاتمة ففي وجوه •
الاول قال بعضهم عجبا لمن عرفك كيف تخلو قلبه عن ذكرك وكيف تكون هم نفسه واولاده
اكثر من هم مناجاتك وكيف يفرح بغير احسانك وكيف لم يطلب الغنا بالعبودية لك وكيف
لم يطلب الكفاية في صدق التوكل عليك وكيف لم تعد البلاء في طاعتك اعظم انواع السعادات
وكيف لم تشغله معرفتك عن معرفة غيرك وكيف لم يهن على قلبه مصائب الدنيا وكيف
لم يطلب راحته وروحه بتفويض امره اليك وكيف تطلب لذة العيش في غير وقت المعرفة
وكيف يستلذ بما تشتغل به عنك وكيف يوثر شهوة الدنيا مع سرعة فنائها على محبتك
وكيف يغفل عنك وهو يعلم انك لا تغفل عنه • الثاني قال بندار بن الحسين من اقبل على الدنيا
احرقته نيرانها يعني الحرص فصار رمادا ومن اقبل على الاخرة احرقته نيرانها يعني نار الخوف
فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله احرقته نار التوحيد والمحبة فصار جوهرة
نفيسة لا قيمة له الثالث قيل لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون حينئذ ملوما ولا وشم
مامونا وحتى يكون الضعة احب اليه من الرفعة والفقر احب اليه من الغنا والذل في الله احب اليه
من العز فيما سواه ويستكثر القليل من عمل غيره ويستقل الكثير من عمل نفسه ولا يرى احدا الا ظن انه
خير منه • الرابع قال لقمن لابنه يا بني الايمان سبع حقايق لكل حقيقة منها حق فالحقايق
السبعة اليقين والمخافة والمعرفة والهدى والعمل والتفكر والورع فحقيقة اليقين الصبر وحقيقة
الخوف الطاعة وحقيقة المعرفة الايمان وحقيقة الهدى البصيرة وحقيقة العمل النية وحقيقة
التفكر الفطنة وحقيقة الورع القران الخامس قيل ان الايمان اربعة توحيد بلا حد وذكر
بلا لبث وحال بلا نعت ووجد بلا وقت ومعنى قولنا حال بلا نعت ان يصير بحيث لا يصف حالا
من الاحوال الرفيعة الا ويكون حاصلا له لانه لو لم يكن حاصلا لكان غايبا وقيل ذكر الغايب
غيبة • السادس قال علي رضي الله عنه اربعة خصال من كن فيه فهو مومن اذا قال صدق
واذا وعد وفا واذا اوتمن ادا واذا عاهد لم يغدر السابع قال الجنيد المومن كالارض يطيق
حمل كل شي وكالقطر اذا سقط سقى كل شي والتحقيق فيه انه في جميع احواله ناظر الى الله فهو لا ينظر
مع من تعامل ولكنه ينظر لاجل من تعامل فلا جرم تستوي الكل عنده الثامن قال يحيى
بن معاذ الرازي هو الايمان نقي فلا تدنسه بآثامك والليل طويل فلا تقصره بمنامك والايام
قصير فلا تخلها عن صيامك وقال ايضا اذا لم يكن الايمان هاديا للسيئات كما ان الكفر هادم للحسنات
فما فضل الايمان التاسع قال سهل بن عبد الله المومن بين خمسة اعدا نفس تنازعه ومنافق
يبغضه وشيطان يغويه ومومن يحسده وكافر يقاتله • العاشر قال ابو بكر الوراق
للمومن اربع علامات كلامه ذكر وصمته فكر ونظره عبرة وعمله طاعة الحادي عشر
قال ابو بكر الواسطي في معنى قول معاذ تعالوا نومن ساعة اي نخرج من الارادات والمنازعات

لين كل ارادة ارادها الانسان على خلاف ارادة الحق فهي منازعة مع الربوبية • الثاني عشر
قال ابو يزيد الهي انك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم امانة بغير علمهم وارادتهم فان لم يعنهم
فمن يعنهم الثالث عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن من يكون نفسه منه
في عنا والناس منه في راحة • الفصل الخامس في شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا اله
الا الله وهي من وجوه البحث الاول يزعم جماعة من النحويين ان هذا الكلام فيه حذف واضمار
ثم ذكروا فيه وجهين احدهما التقدير لا اله لنا الا الله والثاني لا اله في الوجود الا الله واعلم ان
هذا الكلام غير سديد اما الاول فلانه لو كان التقدير لا اله لنا الا الله لم يكن هذا الكلام مفيد
التوحيد الحق اذ يحتمل ان يقال هب انه لا اله لنا الا الله فلم قلتم لا اله لجميع المحدثات والممكنات
الا الله ولهذا السبب رد الله تعالى لما قال والهكم اله واحد قال بعده لا اله الا هو الرحمن الرحيم
لانه تعالى قال والهكم اله واحد نفي لسايل ان يسال ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم ان اله
الكل واحد فلاجل ازالة هذا السوال قال بعده لا اله الا هو ولو كان المراد من قوله لا اله الا هو
انه الاول الهنا كان هذا تكرارا محضا واما الثاني فهو قولهم التقدير لا اله في الوجود الا الله فنقول
اي حامل يحملكم على التزام هذا الاضمار بل نقول حمل الكلام على ظاهره اولى من ذلك
الاضمار الذي ذكرتم وذلك لانا لو لبسنا ذلك الاضمار كان معناه لا اله في الوجود الا هو
فكان هذا نفيا لوجود الاله • الثاني انا لو اجرينا الكلام على ظاهره كان هذا نفيا لماهية الاله
الثاني ومعلوم ان نفي الماهية اقوى في اثبات التوحيد من نفي الوجود فيكان اجراء هذا الكلام
على ظاهره اولى فان قيل فنفي الماهية غير معقول فانك اذا قلت السواد ليس بسواد كنت قد
حكمت بان السواد قد انقلب الى نقيضه وصيرورة الشي عين نقيضه غير معقول اما اذا قلت
السواد غير موجود كان هذا كلاما معقولا فلهذا السبب اضمرنا فيه الاضمار • والجواب
قولكم نفي الماهية غير معقول قلنا هذا باطل فانك اذا قلت ان السواد ليس بموجود فقد نفيت
الوجود لكون الوجود من حيث هو وجود ماهية المطلقة فقد نفيت الماهية المسماة بالوجود
واذا كان كذلك صار نفي الماهية امرا معقولا واذا عقل ذلك فلم لا يجوز اجراء هذه الكلمة على
ظاهرها فان قلت انا اذا قلت السواد ليس بموجود فاذا نفيت الماهية وما نفيت الوجود ايضا
فانما نفيت موصوفية الماهية بالوجود فنقول موصوفية الماهية بالوجود هل هي امر مغاير
للماهية وللوجود ام لا فان كانت مغايرة لهما كان كذلك المغاير ماهية فكان قولنا السواد موجود
يفنا لتلك الماهية المسماة بالموصوفية وحينئذ يعود الكلام المذكور واما ان قلنا ان موصوفية
الماهية بالوجود ليست امرا مغايرا للماهية وللوجود امتنع توجه النفي اليها واذا امتنع ذلك
بقي النفي متوجها اما الى الماهية واما الى الوجود وحينئذ يحصل غرضنا من ان الماهية يمكن نفيها
واذا كان الامر كذلك صح قولنا لا اله الا الله حق فصدق من غير حاجة الى الاضمار والله اعلم •
البحث الثاني قال النحويون قولنا لا اله الا الله هو ارتفع هو لانه بدل من موضع لا مع
الاسم وبيانه انك اذا قلت ما جاني رجل الا زيد فقولك الا زيد مرفوع بالبدلية لان البدل هو الاعراض

عن الاول والاحسن بالثاني فكان التقدير ما جاني الا زيد وهذا معقول يفيد نفي المجي عن الكل
الا عن زيد واما قوله جاني القوم الا زيدا فهاهنا البدليه غير ممكنه لانه يصير التقدير جاني الا
زيد وكذلك يقتضي انه جاءه كل احد الا زيدا فذلك محال فظهر الفرق • البحث
الثالث اتفق النحويون على ان محل الا في هذه الكلمه محل غير والتقدير لا اله غير الله وهو كقول
الشاعر • وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان •
المعني كل اخ غير الفرقدين فانه مفارقه اخوه وقال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال لو
كان فيهما الهة غير الله لفسدتا والذي يدل على صحة ما قلناه انا لو حملنا الا على الاستثنا لم
يكن قولنا لا اله الا الله توحيدا محضا لانه يصير تقدير الكلام لا اله يستثنا عنهم الا الله فيكون
هذا نفيا لالهة يستثنى عنهم الله ولا يكون نفيا لالهة لا يستثنا عنهم الله بل عند من يقول بدليل الخطاب
يكون اثباتا لذلك وهو كفر فثبت انه لو كانت كلمة الا محمولة على الاستثنا لم يكن قولنا لا اله الا
الله توحيدا محضا ولما اجتمع العقلا على انه يفيد التوحيد المحض وجب حمل الا على معنى
غير حتى يكون معنى الكلام لا اله غير الله البحث الرابع قال جماعة من الاصوليين الاستثنا
من النفي لا يكون اثباتا واحتجوا عليه بوجهين • الاول ان الاستثنا ماخوذ من قولك ثنيت
الشي عن جهته اذا صرفته عنها فاذا قلت لا عالم فهاهنا امران احدهما الحكم بهذا العدم والثاني
نفس هذا العدم فاذا قلت عقيبه الا زيد فهذا الاستثنا يحتمل ان يكون عايدا الي حكمك بذلك
العدم ويحتمل ان يكون عايدا الي نفس ذلك العدم فان كان عايدا الي الحكم بالعدم لم يلزم تحقق
الثبوت لانه بسبب الاستثنا يزول الحكم بالعدم وعند زوال الحكم بالعدم يبقى المستثنا مسكوتا
عنه غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالاثبات وحينيذ لا يلزم الثبوت اما ان كان تاثير الاستثنا
في صرف العدم ومنعه فحينيذ يلزم تحقيق الثبوت لانه لما ارتفع العدم وجب حصول الوجود
ضرورة لانه لا واسطة بين النقيضين اذا ثبت هذا فنقول عود الاستثنا الي الحكم بالعدم اولى
من عوده الي نفس العدم ويدل عليه وجهان • الاول ان الالفاظ وضعت دالة على
الاحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية فانك اذا قلت العالم قديم فهذا لا يدل على كون
العالم قديما في نفسه ولكنا اذا قلنا العالم قديم العالم حادث لزم كون العالم قديما وحادثا
وذلك محال بل هذا الكلام يدل على حكمك بقدم العالم واذا كانت الالفاظ وضعت دالة
على الاحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية كان صرف ذلك الاستثنا الي الحكم بالعدم
اولى من صرفه الي نفس ذلك العدم والوجه الثاني في اثبات ان عود الاستثنا الي
الحكم بالعدم اولى من عوده الي نفس ذلك العدم وذلك لان عدم الشي في نفسه ووجوده
لا يقبل تصرف هذا القايل بل القابل للتصرف هو حكمه في ذلك الوجود والعدم واذا كان
كذلك كان عود الاستثنا الي الحكم اولى من عوده الي المحكوم به • الحجة الثانيه
في بيان ان الاستثنا من النفي ليس باثبات هو انه جا في الحديث وفي العرف صور كثيره في
الاستثنا في النفي مع انه لا يقتضي الثبوت قال عليه السلام لا نكاح الا بولي ولا صلوة الا بطهور

ويقال في العرف لا عز الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالرجال فمرادهم من
الكل مجرد الاشتراط اقصى ما في الباب ان يقال وقد ورد هذا اللفظ في صورة اخرى وكان
المراد ان يكون المستثنى من النفي اثباتا الا انا نقول انه لا بد وان يكون مجازا في احدى
الصورتين الا انا نقول ان قلنا انه لا يقتضي ان يكون الخارج من النفي اثباتا فحيث افاد ذلك
احتمل ان يكون تلك الزياده مستفادة من دليل اخر ولا يكون ذلك تركا لما دل اللفظ عليه
فان قلنا انه لا يقتضي ان يكون الخارج من النفي اثباتا فحيث لا يفيد ذلك لزمنا ترك
العمل بما يكون اللفظ دليلا عليه ومعلوم ان الاول اولى لان اثبات الامر الزايد بدليل زايد
ليس فيه مخالفه للدليل اما ترك ما دل الدليل عليه يكون مخالفا للدليل فثبت مما ذكرنا ان الاستثنا
من النفي لا يكون اثباتا واذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله يصير مجازا بنفي سايرالالهية ولا يكون
اعترافا بوجود الله تعالى واذا كان كذلك لم يكن مجرد هذا القول كافيا في صحة الايمان
وهاهنا اشكال اخر وهو انا قد دللنا على ان كلمة الا بمعنى غير في هذا الموضع واذا كان كذلك
كان قولنا لا اله الا الله معناه لا اله غير الله فيصير المعنى نفي اله يغاير الله ولا يلزم من نفي ما يغاير
الشي اثبات هذا الشي وحينيذ يعود الاشكال والجواب من وجهين الاول ان اثبات
الاله سبحانه كان متفقا عليه عند كل العقلا بدليل قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فكان ذلك مفروغا عنه متفق عليه الا انهم كانوا يثبتون الشركا
والانداد والاضداد وكان المقصود من هذه الكلمه نفي الاضداد والانداد واما القول باثبات
الاله للعالم فذاك من لوازم العقول • الثاني وان سلمنا ان هذه الكلمه وان دلت
على نفي ساير الالهه دلت على اثبات الهية الله تعالى الا انا نقول هذه الدلاله تكون حاصله
بوضع الشرع لا بمفهوم اصل اللغه وهذا تمام القول في هذا المقام والله اعلم البحث الخامس
اعلم انه يجوز ان يقال لا رجل في الدار وان يقول لا رجل في الدار اما على الوجه الاول
فانه يوجب نفي الرجال بالكليه والدليل عليه ان قولنا لا رجل يقتضي نفي ماهية الرجل ونفي
الماهيه يقتضي انتفاء كل افراد الماهيه لانه لو ثبت فرد من افراد الماهية فقد ثبت الماهيه
لا محاله واما قولنا لا رجل في الدار فهو نقيض قولنا رجل في الدار ولكن قولنا رجل في الدار
يفيد ثبوت رجل واحد وقولنا لا رجل في الدار وجب ان يفيد النفي عموما حتى يتحقق التناقض
بين القولين والحاصل ان قولنا لا رجل اقوى في الدلالة على عموم النفي من قولنا لا رجل
مع ان كل واحد منهما يفيد عموم النفي ولاجل كون كل واحد منهما يفيد العموم قري قوله تعالى لا ريب
فيه بالقراتين وكذا قوله لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ولاجل ان البنا على الفتح اقوى في الدلالة
على العموم اتفقوا عليه في قولنا لا اله الا الله البحث السادس من الناس من قال ان تصور الاثبات
متقدم على تصور النفي بدليل ان الواحد منا يمكنه ان يتصور الانسان وان لم يخطر بباله معنى النفي والعدم
ويمتنع عليه ان يتصور العدم والنفي الا وقد تصور الاثبات اولا وذلك لان العدم المطلق غير معقول بل
العدم لا يعقل الا اذا اضيف الي امر معين فيقال عدم الدار وعدم الغلام فثبت ان تصور الاثبات متقدم

والاصل وتصور النفي موخر وفرع واذا ثبت هذا فما السبب في ان جعل النفي الذي هو الفرع مقدما والاثبات
الذي هو الاصل موخرا والجواب ان في تقديم النفي على الاثبات هاهنا اغراض **الاول** ان نفي
الربوبية عن غيره ثم اثباتها له آكد في الاثبات من لو اثبتها له من غير ان ينفيها عن غيره كما ان قول القايل
ليس في البلد عالم غير فلان آكد في باب المدح من قولنا فلان عالم البلد **والثاني** ان لكل انسان
قلبا واحدا والقلب الواحد لا يتسع باستغال شيئين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولا باحد الشيئين
يبقى محروما عن الشي الثاني فقوله لا اله الا الله اخراج لكل ما سوى الله عن القلب حتى اذا صار القلب خاليا
عن كل ما سوى الله ثم حضر فيه سلطان الا الله اشرق نوره اشراقا تاما وكمل استيلاؤه عليه كمالا قويا
الثالث ان النفي الحاصل بلا يجري مجرى الطهارة والاثبات بالحاصل يجري مجرى الصلوة وكما ان
الطهارة مقدمة على الصلوة وكذلك وجب تقديم لا اله على قولنا الا الله ويجري مجرى تقديم الاستعاذة
على القراءة فكما ان تقدم الاستعاذة على قراءة القران فكذا هاهنا وايضا من اراد ان يحضر الملك في بيته
وجب عليه ان يقدم تطهير البيت عن الاقذار فكذا هاهنا وعلى هذا قال المحققون النصف الاول من
هذه الكلمة تنظيف الاسرار والنصف الثاني جلالة الانوار عن حضرة الملك الجبار والنصف الاول
فنا والثاني بقا والنصف الاول انفصال والثاني اتصال والنصف الاول اشارة الى قوله ففروا الى
الله والنصف الثاني الى قوله قل الله ثم ذرهم **البحث السابع** لقايل ان يقول ان من عرف للعالم
صانعا قادرا عالما موصوفا بجميع الصفات المعتبرة في الالهية من الصفات السلبية والثبوتية فقد
عرف الله معرفة تامة ثم ان علمه بعدم الاله الثاني لا يزيد علما بحقيقة ذات الاله وصفاته
لان عدم الاله الثاني ليس عبارة عن وجود الاله الاول ولا صفة من صفاته ثم اجمعنا على ان علمه
بذات الاله وصفاته لا يكفي في تحقق النجاة بل ما لم نعلم عدم الاله الثاني لا يحصل العلم المعتبر في النجاة
فما السبب في ان كانت معرفة ذات الله وصفاته غير كافية في تحقيق النجاة بل كان العلم بعدم الثاني
معتبرا في تحقق النجاة **والجواب** ان بتقدير ان يكون للعالم الهان فالعبد لا يعلم انه عبد
لهذا الاله او عبد لذلك الاله او عبد لهما معا فحينئذ لا يكون جازما بكونه مشتغلا بشكر مولاه
وخالقه بل يجوز ان تكون عبادته لغير خالقه ومتى كان الامر كذلك لم يكن جازما في تلك العبودية
وتلك الطاعة اما اذا عرف انه لا اله للعالم الا الله الواحد فحينئذ يكون جازما بكونه مشتغلا بعبادة
مولاه وخالقه فلهذا السبب لم يحصل النجاة والفوز بالدرجات الا بمعرفة التوحيد **البحث
الثامن** ان المكلف اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة الله ثم كما تمم مات ولم يجد من الوقت
ما امكنه ان يقول لا اله الا الله فهاهنا انه لا شك انه يموت مومنا لانه ادى ما وجب عليه ولم يجد
مهلة التلفظ بهذه الكلمة واما اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة الله ووجد من الوقت ما امكنه
ان يقول فيه لا اله الا الله ثم انه لم يقل ثم مات فهذا الشخص هل مات مومنا ام لا من الناس من قال
انه مات كافرا لان صحة الايمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة عند القدرة عليها ومن الناس من قال
انه مومن لاجل انه حصل له العرفان التام وفاسق لاجل انه كان مامورا بذكر هذه الكلمة وما
ذكرها والدليل على انه مومن قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان

وهذا الشخص قلبه مملو من الايمان فكيف لا يخرج من النار **البحث التاسع** من الناس من
قال تطويل المد في قول لا من قولنا لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن لان المكلف في زمان
التمديد يستحضر في ذهنه جميع الانداد والاضداد وينفيها ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقوله
الا الله فيكون ذلك اقرب الى الاخلاص والكمال ومنهم من قال بل ترك التمديد اولى لانه
ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال الى كلمة الا الله والذي عندي ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان
يتلفظ بها لينتقل بها من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى
الايمان على اسرع الوجوه وان كان المتلفظ بها مومنا وانما يذكرها لتجديد هذه الكلمة والتمديد
اولى حتى يحصل في زمان التمديد صورة الاضداد والانداد على التفصيل في الخاطر وينفيها ثم يعقبها
بقوله الا الله فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل **البحث العاشر** اعلم ان الناس في قول هذه
الكلمة على مراتب وطبقات فادناها طبقة من قالها بمحض دمه واحرز ماله على ما اقتضاه موجب
قوله وحسابهم على الله وهذه درجة يشترك فيها المخلصون والمنافقون فكل من تعلق بهذه الكلمة
نال الامن فيها والسلامة واحرز حظا من فايدتها ان طلب بها الدنيا نال الامن فيها والسلامة
من افاتها وان قصد بها الاخرة جمع بين الحظين واحرز بها السعادة في الدارين **الطبقة الثانية**
الذين ضموا الى القول باللسان الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد واعلم ان الاعتقاد التقليدي لا
يكون علما وذلك لان العقد ضد الانحلال والانشراح والعلم عبارة عن انشراح الصدر قال الله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فثبت ان صاحب التقليد لا يكون عارفا ولا عالما وهل يكون مسلما فيه
الخلاف المشهور بين الامة **الطبقة الثالثة** الذين ضموا الى الاعتقاد بالقلب معرفة الدلايل
الاقناعية المتوجهة لذلك الاعتقاد الا ان تلك الدلايل لا تكون برهانية يقينية بل اقناعية خطابية
الطبقة الرابعة الذين اكدوا تلك العقايد بالدلايل القطعية والبراهين اليقينية الا انهم
لا يكونون من ارباب المشاهدات والمكاشفات ولا من اصحاب التجلي وارباب مطالعة الانوار
الالهية ثم اعلم ان الاقرار باللسان له درجة واحدة اما الاعتقاد بالقلب فله درجات مختلفة
بحسب قوة الاعتقاد وضعفه ودوامه وعدم دوامه وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها فان المقلد
ربما كان مقلدا في مجرد ان الله واحد وربما زاد عليه فكان مقلدا في ذلك وفي ان صانع العالم واحد
عالم قادر واعلم ان كل ما كان وقوف الانسان على هذه المطالب اكثر كان تشوش امر التقليد عليه
اكثر وذلك ان القلب اذا حصل له شعور بهذه المطالب وحصل له وقوف على هذه المباحث مال الى
العلم وكره التقليد فيعسر عليه التقليد واما المرتبة الثالثة وهي تقوية الاعتقاد بالدلايل الاقناعية
فمراتب الخلق فيها متفاوتة وغير مضبوطة واما المرتبة الرابعة وهي الترقي من الدلايل الاقناعية
الى البراهين القطعية والاشخاص الذين يكونون واصلين الى اعلا الدرجات يكونون في غاية القلة
ونهاية الندرة لان ذلك مترتب على معرفة شرايط البراهين واستعمالها في المطالب وذلك في غاية
العسر واما المرتبة الخامسة وهم اصحاب المكاشفات والمشاهدات فنسبتهم في القلة الى اصحاب
البراهين القطعية كنسبة اصحاب البراهين القطعية الى عامة الخلق واعلم ان عالم المكاشفات

لانهاية له لانه عبارة عن سفر العقل في مقامات جلال الله ومدارج عظمته ومنازل كبريائه
وقدسه وقدرته كان لانهاية لهذه المقامات فكذلك لانهاية للسفر في تلك المقامات واعلم
ان الانسان اذا انكشف له اسرار لا اله الا الله اقبل على الله واخلص في عبادته ولم يلتفت الى احد سواه
ولا يرجوا غيره ولا يخاف غيره ولا يرى الضر والنفع الا منه فانقطع بالكلية عمن دونه وتبرأ من
شرك الباطن كما قد تبرأ من الشرك الظاهر وذلك كله موجب كلمة التوحيد ولهذا السبب لما قال
لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله قال بعده واستغفر لذنبك وللمؤمنين والله اعلم الامر
بالاستغفار في تقصير وقع في موجب كلمة لا اله الا الله اما لغفلة تحول دونه ولعارض شغل صرف
عنه وهو معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقد روي مائة
مرة وفي الحديث وجوه **الاول** ان المراد ما يغشي قلبه من غفلة او يعرضه من فتور بحكم الطبع
البشري فعند ذلك يفزع الى الاستغفار **الثاني** انه عليه السلام كان ابدا في الترقي فاذا انتقل الى
درجة نظر الى الدرجة المنتقل عنها فكان يستحقرها في العبودية وكان يستغفر الله منها **والثالث**
انه ربما لاح له شيء من تجلي عالم الغيب فيستعظم تلك الدرجة ويبتهج لها ثم يصير استعظامه
لها وابتهاجه بها شاغلا له عن الاستغراق في المبتهج به فكان يستغفر الله عن ذلك **والرابع**
ان كل ما لاح له شيء من عالم الغيب كان يعلم ان الذي لاح له انما لاح بقدر قوته وطاقته وكان يعلم
ان قدر عقله وطاقته بالنسبة الى جلال الله وكبريائه كالعدم فحينئذ يعلم ان الذي لاح له من
كمال عالم الغيب بالنسبة الى ما لم يلح له كالعدم بالنسبة الى الوجود فكان يستغفر الله من ان
يصفه بما يصل اليه قلبه وعقله وفكره وذكره وخاطره

الفصل السادس في فضل

المؤمنين اعلم ان الله تعالى خلق سمى المؤمنين بالت نفسه في عشرة اشياء في المراقبة والموالاة والولاية
والصلوات والعزة والطاعة والمساواة والاذا والالتجا والشهادة المقام الاول في المراقبة ويدل
عليه قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون هدد المذنبين والجاحدين
برؤية المؤمنين كما هددهم برؤية نفسه وفيه لطائف **الاولى** روي ان عمر رضي الله عنه
خرج ليلة فسمع امرأة تقول لابنتها يا ابنتاه قومي وامزجي الماء باللبن قالت اوليس قد نهانا
من ذلك امير المؤمنين قالت فلا يرانا امير المؤمنين قالت بلى ولكن يرانا رب العالمين
فلما سمع عمر ذلك خطبها في العد لابنه وكان عمر بن عبد العزيز من جنس حفدتها **الثانية**
امرأة شاطرة كانت بمكة قالت لا ابرح حتى افتن طاووس اليماني وكان رجلا جميلا فعرضت
نفسها عليه مرارا حتى ظنت انها تعجبه فقال طاووس احضري الليلة فجاء بها الى المقام فقال
اضطجعي ههنا فقالت له سبحان الله الا ترى الناس فقال طاووس اوليس قد يرانا الله في كل موضع
فتابت **الثالثة** روى ابو عبد الرحمن العتبي خرجت ليلة فاذا انا بجارية مليحة فاردتها فقالت
ويلك اما لك زاجر من عقل ان لم يكن ناهيا من الدين فقلت انه لن يرانا الا الكواكب قالت فاين
مكوكبها **الرابع** قال حاتم الاصم راع نفسك في ثلاثة اوقات اذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله
اليك واذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله اليك فاذا سكتّ فاذكر علم الله فيك لانه تعالى قال انني

ذكره

معكما

معكما اسمع وارى **الخامسة** ثلاثة نفر حضروا عند بعض الزهاد وقالوا اوصنا فقال للواحد
الست تقول انه عالم قال بلى قال اياك ان يعلم منك شيئا يفضحك به غدا وقال للثاني اليس هو بصير
قال بلى قال اياك ان يراك على عمل تستحيي منه يوم القيمة وقال للثالث اليس هو سميع قال بلى قال
احذر ان لا يسمع منك شيئا يردك عن باب رحمته بسببه **السادس** قال سفيان الثوري
من وجد في نفسه ثلاثة اشياء فليحكم عليها بالسعادة الهيبة للعزيز الجبار والحرمة للنبي المختار والحياء من
الابرار والاخيار **المقام الثاني** الولاية وانه تعالى جعل المؤمنين بالت نفسه فيها فقال
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا قيل نزلت في عبد الله بن سلام حين شكى من عداوة اليهود له بعد اسلامه
فنزلت وقال ابن اسحق نزلت في عبادة بن الصامت قال يا رسول الله تبرأت من حلف اليهود وتوليت
الله ورسوله والمسلمين عامة وفيه ثلاث **الاولى** ان يوسف عليه السلام قال انت وليي في الدنيا
والاخرة فوجد الملك والعز بسبب ذلك القول الذي هو قائله وههنا قال الله تعالى للمؤمنين
انما وليكم الله ورسوله فاولى ان يرجو المؤمن تلك الجنة والمغفرة **الثانية** قوله انما وليكم الله
يعني حافظكم وناصركم ورسوله والمؤمنون ثم قال عليه السلام المرء مع من احب ثم ان كل مسلم يحب
الله فوجب بحكم ذلك الخبر ان يكون المسلم ابدا مع حفظ الله فاذا كان الله لا يفارقني بسبب اني احب الله
فكيف يفارقني حفظ الله مع ان الله وليي وحافظي وناصري **الثالثة** هذه الاية دلت
على ان الصحابة يحبون تابعين الملك تعالى جعل المؤمنين اولياء لنا وهو قوله تعالى والمؤمنون ثم
اكد ذلك بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ثم امرنا ان نحب الصحابة بدليل قوله
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
ربنا ثبت بمجموع هاتين الايتين حصول المحبة بيننا وبين الصحابة والحبيب لا يرضى بعذاب الحبيب
فدل ذلك على ان جمهور الصحابة والتابعين وسلف المؤمنين كلهم يكونون شفعاء في ذنوب
المؤمنين **المقام الثالث** الموالاة قال الله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين فحكم بان مولى المؤمنين هو الله وجبريل وصالح المؤمنين ثم اسقط سرك جبريل وصالح المؤمنين
فقال تعالى واعلموا ان الله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير وقال في حق الكافر النار هي مولاكم
ثم قال لبئس المولى ولبئس العشير فمن كان الله مولاه فلا يذل ولا يخزى ومن كان المؤمنون مواليه
فلا يضيع ولا يشقى قال عمر بن الخطاب للكفار يوم احد حيث قالوا لنا العزى ولا عزى لكم
فقال عمر لنا مولى ولا مولى لكم فنزل على وفق قوله بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا
مولى لهم **الثانية** ان الله تعالى سمى النار مولى الكفار فقال النار مولاكم وانما سمى النار مولاهم
لانها لا تتركهم فلما سمى نفسه مولى المؤمنين فنرجوا ان لا يترك اغاثتهم ورعايتهم **الثالثة**
قال بعضهم من كان مؤدبه ربه لا يعاب ومن كان ناصره ربه لا يغلب ومن كان هاديه ربه لا يضل
ومن كان معينه ربه لا يشقى ومن كان مولاه ربه لا يضيع ولا يحتاج الى احد **المقام الرابع**
الصلوة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فجعل المؤمنين تالت نفسه في الصلوات على الرسول وههنا نكت **الاولى** في الخبر انه لما نزلت

حفظ

الى

واغاثتهم

هذه الآيه قال عليه السلام هنيوني هنيوني فقالوا هنيئاً لك يا رسول الله فما حظنا فنزل قوله
تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاشارة انه صلى على الرسول في الدنيا فما ترك المذنبين
حتى صلى عليهم ايضاً فيوم القيمة كيف يترك المذنبين محرومين من المغفرة **الثانية** الصلوة
من الله على ثلاثة اوجه عام او خاص وخاص الخاص فالعام هو قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الاشارة انه صلى على الرسول في الدنيا فما ترك المذنبين حتى صلى عليهم ايضاً فيوم القيمة كيف يترك
المذنبين محرومين من المغفرة والخاص قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم وخاص الخاص هو
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي • **الثالثة** في الحديث ان لله ملائكة بايديهم لوح
او قراطيس من فضة واقلام من ذهب لا يكتبون شيئاً الا الصلوة علي وعلى اهل بيتي والسبب في الارتباط
الصلوات ان روح الانسان لضعيفة لا تستعد لقبول الانوار الالهية فاذا استحكمت العلاقة بين روحه
وروح الانبياء عليهم السلام فالانوار الفايضة من عالم الغيب على ارواح الانبياء تنعكس الى ارواح هولاء
المصلين بسبب الانعكاس ومثال الشمس والطست المملو من الماء والسقف معلوم **الرابعة**
جعل الله اهل بيته مساوية له في خمسة اشيا في المحبة قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال لاهل بيته
قل لا اسالكم عليه اجراً الا المودة في القربى • **الثاني** في تحريم الصدقة قال عليه السلام حرمت الصدقة
علي وعلى اهل بيتي **والثالث** في الطهارة وقال طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة
وقال لاهل بيته ويطهركم تطهيرا • **والرابع** في السلام قال عليه السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته وقال في اهل بيته سلام على آل يسين **والخامس** في الصلوات على الرسول
وعلى الآل كما في آخر التشهد • **المقام الخامس** العزة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين
فعزة الله عزة الربوبية وعزة الرسول عزة النبوة وعزة المومنين عزة التلفظ بلا اله الا الله
ثم كما ان عزة الله وعزة رسوله لا تقبلان الذل فكذا عزة المومن لا تقبل الذل • **الثانية** لله عزة
الانشاء والتكوين قال تعالى له كن فيكون وللرسول عزة الدعاء حيث اشار الى القمر فانشق ببركة
دعائه وللمومن عزة الايمان والشهادة ثم ان الاشياء تكونت عند قوله كن فيكون والقمر انشق عند
دعاء الرسول فنرجو ان تحصل الغفران والرحمة للمومن عند كلمة الشهادة **الثالثة** في عزة
المومن في ان قيل المعرفة صدق الجنة وعد الرؤية (ودعاء) فاذا كان للعبد المومن رباً كافياً وكتاباً
شافياً ورسولاً وافياً اسمه اسم الله ولسانه شاهد الله ونفسه طالبة لمرضات الله وقلبه محل نظر
الله وسره جنة معرفة الله وشهادته محبة الله وروحه نور الله وبصيرته مشتاقة الى روية الله
فحقيق به ان يكون عزه متصلاً بعز الله • **الرابعة** لله العزة سواء اوجد او اعدم وللرسول
العزة سواء بلغ او سكت فكذلك المومن له العزة سواء اطاع او عصى **الخامسة** لله العزة
بالولاية لقوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب وللرسول ايضاً العزة ايضاً بالولاية لقوله النبي
اولى بالمومنين من انفسهم وللمومنين ايضاً العزة بالولاية لقوله والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض • **السادسة** لله العزة بالعلو والعظمة لقوله وهو العلي العظيم وللرسول
بالرفعة لقوله ورفعنا لك ذكرك وللمومنين بالقبول والرحمة ان الله يغفر الذنوب جميعاً

الاسم

وانا ربكم

السابعة لله عز المعبودية لقوله فاياي فاعبدون وللرسول عز المتبوعية لقوله فاتبعوه
لعلكم تهتدون وللمومن عز العبودية لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم • **الثامنة**
لله عز الاستغناء فالله هو الغني وانتم الفقراء وللرسول عز الاغنياء (الغناء) لقوله تعالى ووجدك عائلاً فاغنى
وللمومن عز الغناء ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وان يتفرقا يغن الله كلاً من سعته •
التاسعة قال علي رضي الله عنه من اراد عزاً بغير عشيرة وهيبة بغير سلطان وغنى بلا مال
وحسباً بلا نسب فليخرج نفسه من ذل المعصية الى عز الطاعة • **العاشرة** قال هرون الرشيد
لمنصور بن عمار من اعقل الناس واجهلهم واغناهم وافقرهم فقال اعقلهم محسن خائف واجهلهم
مسيء آمن واغناهم القانع وافقرهم الاتقياء **المقام السادس** الطاعة قال الله تعالى اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم • فيه نكت • **الاولى** روي في الخبر الهي ملك لا يزول فاطعني
حتى اجعلك ملكاً لا تزول وانا حي لا اموت فاطعني اجعلك حياً لا تموت فاني اذا اردت شيئاً
قلت له كن فيكون فاطعني حتى اجعلك اذا قلت لشيء كن فانه يكون • **الثانية** في الخبر ما راه المسلمون
حسناً فهو عند الله حسن وما راه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح وقال لا تجتمع امتي على الضلالة
وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر وكل ذلك يدل على انه تحت طاعة الله وطاعة الرسول فكذلك تجب
طاعة اولي الامر من المومنين • **الثالثة** قيل بقاء الدنيا بسيف الامراء ولسان العلماء فعلينا
بطاعتهما الا في معصية الله • **المقام السابع** المشاقة قال الله تعالى ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب وقال في المومنين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المومنين وفيه نكت • **الاولى** ان الله تعالى لما علم ان العبيد يهلك فيها ان لم
يكن له معتصم يتمسك به فجعل حبل التوحيد سبباً للنجاة من الكفر قال تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى وجعل القران سبباً للنجاة عن البدعة لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله وجعل الاجماع سبباً
للنجاة عن الغي لقوله ويتبع غير سبيل المومنين ثم قال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
الثانية قال عليه السلام سبع من الهدى وليس الجماعة من خرج منهن فقد خرج من الجماعة
لا تشهدون على اهل قبلتكم بكفر ولا بشرك وان عملوا الكبائر وصلوا على من مات من اهل القبلة وصلوا
الصلوات الخمس في الجماعة خلف كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل خليفة ولا تخرجوا على ائمتكم بالسيف
وادعوا لهم بالصلاح ولا تدعوا عليهم وجانبوا الاهواء كلها فان اولها واخرها باطل • **الثالثة**
سئل بعضهم عن القلب السليم فقال هو الذي دينه بلا شك ومذهبه بلا هوى وعمله بلا ريا
وبدنه بلا خصم **المقام الثامن** في الاذى نهى عن الاذى للمومنين ويدل عليه قوله تعالى
ان الذين يوذون الله ورسوله الى قوله والذين يوذون المومنين والمومنات اعلم ان الله تعالى
نهى عن ايذاء المومن كما نهى عن ايذاء نفسه وايذاء رسوله ثم اكد ذلك بقوله تعالى وقولوا للناس
حسناً وقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وقال عليه السلام المومنون قوم يتراحمون
وهم المتحابون المتباذلون والمنافقون قوم فجرة وهم المتقاطعون المتدابرون وقال عليه السلام

لعايشة ان الله يبغض الفاحش والمتفحش وفيه نكت الاولى قال الله تعالى في الملئكة
ويستغفرون للذين امنوا ولم يقل يلعنونهم ويبغضونهم الثانية قال عليه السلام ان
الله رفيق يحب الرفق الثالثة عاتب الله نوحا حين دعا على قومه بالهلاك وقال
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ولم يقل بعضهم اعداء بعض وقال عليه السلام
من اذى مومنا بغير حق فكانما هدم مكة والبيت المعمور عشر مرات وكانما قتل الف ملك من
الملئكة المقربين وقال ابن عمر اذا لعن العبد دابة تقول الدابة لعن الله اعصانا لربه الرابعة
قال الله تعالى لرسوله فبما رحمة من الله لنت لهم الى قوله فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
في الامر وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف ونهى عن الهمز واللمز فقال ويل لكل همزة لمزة وقال
ولا تطع كل حلاف مهين هماز وقال لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وقال تعالى فقل
هل لك الى ان تزكى المقام التاسع الاتجانب قوله تعالى ولا تتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المومنين وليجة مدح المومنين على الجهاد وعلى التولي وذلك لان المنافقين كانوا
يتولون اليهود واتخذوهم وليجة وبطانة فعليك ان تتولى الله ورسوله والمومنين وليجة
وبطانة وفيه نكت الاولى انه تعالى مدح ابرهيم حين امن اسه وتبرى من حالهم بري
بلتبعه حيث كانت الكفار فقال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقال تعالى لا تجد قوما يومنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وقال تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
فان حزب الله هم الغالبون فسمى من تولى الله ورسوله حزب الله ثم قال الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون النكتة الثانية قال ابو سليمن علامة الولي اربع لا يشكو من
المصائب ولا يتخذ عمله ريا ويحتمل اذا احلفه ولا يكافيهم ويداري عباده على تفاوت اخلاقهم
وقال الشبلي احوال الاولياء ثلاث ترك الاختيار وترك الشكوى عند الاضطرار والافتقار الى
الملك الجبار المقام العاشر في الشهادة على التوحيد قال الله تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم وفي الاية سوالات السوال الاول هو ان
الله تعالى شهد لنفسه بالوحدانية ومن شهد لنفسه في الشاهد فان تلك الشهادة لا تقبل والجواب
من وجوه الاول ان هذا في الظاهر شهادة وفي المعنى اقرار واقرار المقر على نفسه
مقبول وانما قلنا ان هذا اقرار وذلك انه لما ادعى الوحدانية والالهية فقد اقر بان الخلق كلهم
عبيده ورزق العبيد على المولى لانهم فكانه تعالى اقر على نفسه للخلق كلهم بالرزق والتربية
والحفظ والنصر الا ترى انه قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الثاني ان
الشهادة عبارة عن قول يدل على شيء دلالة ظاهرة ثم ان ذلك القول لا يراد لكونه قولا بل
لكونه دالا على ذلك فلا جرم كل فعل قام مقام القول في ذلك التعريف كان شهادة ثم ان القول
الدال لو كان دلالته قطعية غير محتملة كان اولى بان تكون شهادة واذا ثبت ذلك فجميع مخلوقات
الله تعالى دالة على وحدانيته والهيته دلالة يقينية قطعية فكانت اولى بان تكون شهادة فاذا شهادة
الله على التوحيد لاجل انه خالق الدلائل الدالة على الوحدانية قطعا فاما شهادة الملئكة واولوا العلم

فمعناه

فمعناه شهادة الاقرار والاعتراف فكانت شهادة الله على ذلك اقوى واتم الثالث
وهو ان كل مسئلة لا يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم بصحتها فانه يمكن اثباتها بالدلايل السمعية
ومسئلة الوحدانية كذلك فلا جرم ذكر العلماء انه يمكن اثبات ان الاله واحد بالدلايل السمعية فاذا
كان الامر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة ان يستدل بها على وحدانية الله تعالى
السوال الثاني ان الله تعالى نهى العباد عن ان يمدحوا انفسهم بقوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى ثم انه مدح نفسه واثنى على نفسه فما السبب فيه والجواب من وجوه
الاول انه اذا حصل للواحد منا نوع فضيلة فذلك من فضل الله وكرمه فالمستحق للثنا
هو الله سبحانه حيث اعطا تلك الفضيلة فلا جرم نقبح من الواحد منا ان يثني على نفسه اما الحق سبحانه
فانه قد حصلت له صفات الكمال ونعوت الجلال على وجه يمتنع زوالها وتغيير فظهر الفرق
الوجه الثاني في الفرق ان ما فينا من الخصال الممدوحة لا ينفك عن اضدادها فان علمنا
مشوب بالجهل وقدرتنا مشوبة بالضعف وملكنا بعرض الهلاك وبقاءنا بعرض الفناء وحياتنا
بعرض الموت واما صفات الله سبحانه وتعالى فانها خالية عن اضدادها فانه عالم بلا جهل
قوي بلا عجز مالك بلا زوال باق بلا فنا وحي بلا موت وعزيز بلا ذل فظهر الفرق
والوجه الثالث ان الله تعالى انما نهى عبده عن تزكية نفسه لئن العبد يقدم الدعوى
على اظهار المعنى فاما الحق سبحانه فانه كان قد اظهر المعنى قبل الدعوى لانه خلق
واعطا الحيوة والعقل وانواع المنافع فاظهار الدعوى بعد اقامة البرهان على المعنى يكون
مستحسنا بخلاف حال العبد فان اكثر احواله يكون اظهار الدعوى مقدما على اظهار
المعنى والوجه الرابع ان من اوله نطفة مذرة واخره جيفة مذرة وفيما بين ذلك
حامل عذرة لا يليق به ان يمدح نفسه انما يحسن مدح النفس لمن هو الاول والاخر والظاهر
والباطن الوجه الخامس ان حب الانسان لنفسه غالب فاذا شرع في مدح النفس
استولى حب ذلك عليه ثم ان ذلك يعميه ويصمه عن التنبه لما فيه من المعايب فيصير ذلك
سببا الى بقائه في ظلمات الحماقات والجهالات بخلاف الحق سبحانه وتعالى فانه منزه عن
النقايص والافات فلا يضره مدحه لنفسه شيا لشي من المعايب والنقيصات السوال
الثالث لما شهد لنفسه بالوحدانية فاي حاجة مع حصول شهادته الى شهادة الملئكة
واولي العلم فما الحكمة في انه تعالى ذكر بعد شهادة نفسه شهادة الملئكة والمومنين والجواب من وجوه
الاول روي انه عليه السلام كان يمشي خلف جنازة فقال واحد هذا الميت كان رجلا صالحا
فقال عليه السلام واحد وقال الثاني والثالث كذلك فقال صلى الله عليه وسلم اثنان ثلثة فلما
قال الرابع مثل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت فقيل له يا رسول الله صلى الله عليك وما
الذي وجبت قال وجبت مغفرته في كرم الله تعالى وذلك لان المومنين شهود الله على وحدانيته
فلو لم يقبل شهادتهم هاهنا لصارت شهادتهم في الوحدانية غير مقبولة وهو حكيم لا يفعل غير هذا
فيقول انه تعالى لما جعل المومنين شهودا على الوحدانية فلو ظهر ذنبهم ومعصيتهم يوم القيمة

فصارت شهادتهم مردودة وذلك لا يليق بالحكيم فلما جعلهم في هذه الاية شهودا على الوحدانية
دل ذلك على انه تعالى لا يظهر ذنبهم وقبح فعلهم يوم القيمة اللهم حقق رجاءنا كرما
في فضلك **الثاني** انه ليس المقصود من ذكر شهادة الملايكة توقيف المطلوب على شهادتهم
بل المقصود شهادة الله لهم انهم يوافقون الله في كل ما وصل اليهم من امره ونهيه وحينئذ فالمقصود
اظهار شرفهم في كونهم موافقين لله في هذه الشهادة لا توقف المطلوب على شهادتهم
السؤال الرابع ما الحكمة في تكرير كلمة لا اله الا الله في قوله شهد الله **الجواب** من وجوه
الاول ان المقصود من التكرير التنبيه على ان الانسان يجب ان يكون مواظبا على ذكر هذه الكلمة
في اكثر اوقات عمره **وثانيها** انه لما جعل هذه الكلمة اول هذه الاية واخرها صار ذلك
تنبيها على انه يجب على العاقل ان يجعل هذه الكلمة مذكورة في اول عمره وفي اخر عمره حتى يكون
في الدنيا سعيدا وفي الاخرة حميدا **وثالثها** ان احدي الشهادتين كان قبل الخلايق
والثانية بعد الخلايق **والرابع** انه تعالى ذكر احدي الشهادتين عن نفسه والاخرى
عن خلقه

الفصل السابع في اقامة الدلايل على ان الله تعالى واحد لا شريك له

وقد بينا ان هذا المطلوب يمكن اثباته بالدلايل العقلية والدلايل النقلية فلنذكر الكل
اما الدلايل العقلية فمن وجوه **الاول** القول بوجود الهين يفضي الى المحال فيكون
القول به محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الالهين فلا بد ان يكون كل
واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك
زيد وتسكينه واذا فرضنا ان احدهما حاول تسكينه والاخر حاول تحريكه فاما ان يقع المرادان
وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو ايضا محال لان المانع من وجود
مراد كل واحد منهما حصول مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذاك وبالعكس
فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال واما ان يقع مراد احدهما دون الثاني وهو
ايضا محال لوجهين **الاول** لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون
احدهما اقدر من الاخر بل لا بد ان يستويا في القدرة فاذا استويا في القدرة استحال ان يصير مراد
احدهما اولي بالوقوع والا لزم ترجيح احد المتساويين على الاخر من غير مرجح وهو محال
والثاني انه اذا وقع مراد احدهما دون الثاني فالذي يحصل مراده يكون الها قادرا والذي
لا يقع مراده يكون عاجزا والعاجز لا يكون الها خالقا فان قيل لا نسلم صحة اختلافهما في الارادة
ويدل عليه وجهان **الاول** انه لا بد ان يكون كل واحد منهما عالما بان اي الضدين يقع وايهما
لا يقع وما علم الله انه لا يقع كان ممتنع الوقوع وما كان ممتنع الوقوع فان العاقل لا يريده
لا يريده واذا كان كذلك كان كل واحد منهما لا يريد الا ايقاع شيء واحد **والثاني**
ان كل واحد منهما لا بد وان يكون حكيما فيكون كل واحد منهما عالما بان ايهما هو الاصلح
وايهما ليس هو الاصلح فيكونان مترافقين في ارادة ما علما انه هو الاصلح وبهذا الطريق يمتنع
وقوع المخالفة بينهما سلمنا انه تصح المخالفة لكن المحال انما يلزم من وقوع المخالفة لا من جواز

المخالفة

المخالفة فلا جرم نقول المخالفة لا تقع وان كانت ممكنة **والجواب** انه لو كان العلم
بان ايهما يقع وايهما لا يقع يوجب ارادة ما علم وجوده ويمنع ارادة ما علم عدمه وقوعه لزم ان يكون
الله واجبا موجبا لافعاله لا موجدا لها على سبيل الاختيار والكلام في الوحدانية فرع على الكلام
في اثبات القادر المختار

الحجة الثانية لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما
قادرا على جميع المقدورات وذلك يفضي الى مقدور واحد لقادرين غير مستقلين وذلك محال
والقول بوجود الالهين محال بيان الملازمة انه اذا كان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
كان مقدور كل واحد منهما مقدورا للاخر واذا اتفقا على انه لا بد من دخول احد تلك المقدورات
في الوجود فحينئذ لا يكون وقوع ذلك المقدور باحدهما اولي من وقوعه بالثاني لان كل واحد
منهما مستقل بايجاده وكل واحد منهما يريد وجوده ولا رجحان لاحدهما على الاخر في ذلك فلزم
وقوع المقدور الواحد بالقادرين المستقلين وانما قلنا ان ذلك محال لان ذلك الفعل يستغني
بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما معا وغنيا عنهما معا وذلك جمع بين
النقيضين وهو محال

الحجة الثالثة اذا قدرنا الهين فاما ان يصح عليهما ان يتخالفا
او لا يصح فان صح الاختلاف فضي ذلك الى عجز احدهما على ما بيناه في الحجة الاولى وان لم يصح عليهما
الاختلاف كان كل واحد منهما عاجزا عن اظهار مخالفة صاحبه فيعود الامر الى كون كل واحد
منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها واعلم انك متى وقفت على تقدير هذه الوجوه الثلثة عرفت
ان ما في جميع العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل وحدانية الله تعالى لانه
لو اراد احدهما ان يكون صيفا والاخر ان يكون شتاء وصحيحا ومريضا وسعدا ونحسا وحينئذ
يعود التقسيم المذكور

الحجة الرابعة لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتيهما
فلا بد ان يكون كل واحد منهما مشاركا للاخر في الوجوب ومباينا له في نفسه وما به المشاركة غير ما به
المباينة وكل واحد منهما مركب عن الوجوب الذي به يشارك الاخر وعن التعين الذي به يباين الاخر
وكل مركب فانه محتاج الى كل واحد من اجزائه واجزاؤه غيره فكل مركب محتاج الى غيره وكل ما كان
محتاجا الى غيره فهو ممكن لذاته فيجب ان كل واحد منهما ممكن الوجود لذاته وذلك محال فالقول
بان واجب الوجود اكثر من واحد محال

الحجة الخامسة لو فرضنا موجودين كان كل واحد
منهما واجب الوجود لذاته فلا بد ان يكون كل واحد منهما متميزا عن الاخر بامر ما والا لم يحصل
التعدد ثم نقول ما به الممايزة اما ان يكون صفة كمال او لا يكون فان كان صفة كمال فالخالي عنها
يكون خاليا عن صفة الكمال فيكون ناقصا والناقص لا يكون الها وان لم يكن صفة كمال فالموصوف
به يكون موصوفا بما لا يكون صفة كمال وما لا يكون كمالا كان صفة نقصان والموصوف به ناقص
والناقص لا يكون الها

الحجة السادسة ان يقال ما به امتاز احدهما عن الاخر
اما ان يكون معتبرا في تحقيق الالهية واما ان لا يكون معتبرا فان كان معتبرا فيه كان الخالي
عنه لا يكون الها وان لم يكن معتبرا في الالهية لم يكن الاتصاف به واجبا فيفتقر الى التخصيص به
والموصوف به مفتقر ومحتاج فلا يكون الها

الحجة السابعة لو فرضنا الهين لكان لا بد ان

يكون كل واحد بحيث يتمكن العبد من التمييز بينهما لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل الا بالتباين في المكان او في الزمان او في الوجوب والامكان وكل ذلك على الاله محال فيمتنع حصول الاختيار

الحجة الثامنة احد الالهين اما ان يكون كافيا في تدبير العالم وتخليقه او لا يكون فان كان كافيا كان الثاني صانعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص والناقص لا يكون الها

الحجة التاسعة العقل يقتضي احتياج الفعل الى الفاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عددا اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذلك محال والقول بوجود الالهة محال

الحجة العاشرة احد الالهين اما ان يقدر ان يخص نفسه بدليل يدل عليه على التعيين ولا يقدر والاول محال لان دليل اثبات الصانع ليس الا الهيات حدوث المحدثات وامكانها وليس في الحدوث والامكان ما يدل على تعيين احدهما والثاني ايضا باطل لانه يفضي الى كون كل واحد منهما عاجزا عن تعريف نفسه على التعيين والعاجز لا يكون الها

الحجة الحادية عشر احد الالهين اما ان يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر ولا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا

الحجة الثانية عشر لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتيهما اقوى من قدرة كل واحد منهما فالاول من لغيرهما متناهي فقدرة كل واحد منهما متناهية فكل واحد منهما عاجز

الحجة الثالثة عشر العدد ناقص لاحتياجه الى الواحد وايضا الواحد الذي يوجد من جنسه ونوعه غيره ايضا ناقص لان المجموع العدد اكثر منه والناقص لا يكون الها

الحجة الرابعة عشر لو فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم قدرنا الهين فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الاخر فهذا الاخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الاخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر ان كل واحد على ايجاده بالاستقلال واذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول قد ازال قدرة الثاني وعجزه فيكون مقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قيل فالواحد اذا اوجد مقدورا بنفسه فقد نفذت قدرته ونفاذ القدرة لا يكون عجزا اما الشريك فانه ما نفذت قدرته البتة بل زالت قدرته بسبب قدرة الاول فيكون ذلك تعجيزا

الحجة الخامسة عشر انا نعين جسما فنقول هل يقدر كل واحد منهما على خلق الحركة فيه بدلا عن السكون وبالعكس ولا يقدر فان لم يقدر كان عاجزا وان قدر نفس الدلالة المتقدمة الى ان يقول اذا خلق احدهما فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون فالاول ازال قدرة الثاني وجعله عاجزا فلا يكون الها

الحجة السادسة عشر انا لو قدرنا الهين لكان كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات فكان علم كل واحد منهما متعلقا بعين المعلوم الاخر فوجب تماثل علميهما والذات القابلة لاحد المثلين قابلة للمثل الاخر فاختصاص هذه الذات بهذا العلم مع جواز اتصافها بذلك العلم الثاني بدلا عن هذا العلم يكون امرا جائزا فيستدعي مخصصا فيخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته فيكون كل واحد منهما عبدا ناقصا مفتقرا الى الاله

اولها الواحد اذا اوجد مقدورا بعينه فقد ...

ذاته

وانه محال الحجة السابعة عشر ان الشركة في الملك عيب في الشاهد والفردانية والتوحيد بالملك والاستقلال به وصف كمال وترى الملوك يكرهون الشركة في الملك الحقير المختصر اشد الكراهية ويرون ان كل ما كان المملكة اعظم كانت النفرة عن الشركة اشد فما ظنك بملك الله وملكوته فاذا اراد احدهما استخلاص الملك لنفسه فان قدر عليه كان المغلوب فقيرا عاجزا فلا يكون الها وان لم يقدر عليه كان في اشد الغم والحسرة فلا يكون الها

الحجة الثامنة عشر انا لو قدرنا الهين لكان اما ان يحتاج كل واحد منهما الى الاخر او يستغني كل واحد منهما عن الاخر او يحتاج احدهما الى الاخر ويستغني الاخر عن الاول فان كان الاول كان كل واحد منهما محتاجا وكل محتاج ناقص والناقص لا يكون الها وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنيا عنه والمستغنى عنه ناقص الا ترى ان البلد اذا كان له رئيس والناس يحصلون مصالح البلد من غير رجوع منهم اليه عد ذلك الرئيس في غاية الذلة والمهانة فالاله الذي يستغنى به ولا يستغنى عنه وان احتاج احدهما الى الاخر من غير عكس كان المحتاج ناقصا والمستغني هو الاله واعلم ان هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها اقناعية

واما الدلائل السمعية فالحجة الاولى قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى قل هو الله احد وقال لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد

الحجة الثانية قوله تعالى هو الاول والاخر فالاول هو الفرد السابق ولذلك لو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يعتق لان الاول يجب ان يكون فردا وهذا ليس بفرد ثم لو اشترى بعد ذلك واحدا لم يعتق ايضا لان الاول يجب ان يكون سابقا وهذا ليس بسابق فثبت ان الاول هو الفرد السابق فلما وصف الله تعالى نفسه بكونه اولا لزم ان يكون فردا سابقا وذلك يقتضي ان لا يكون له شريك

الحجة الثالثة قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فالنص دل ان لا يعلم احد سواه تلك المغيبات ولو كان له شريك لكان عالما بالغيب وهو على خلاف هذا النص

الحجة الرابعة ان الله تعالى صرح بكلمة لا اله الا الله في سبعة وثلاثين موضعا في كتابه فكل ذلك يدل على المقصود

الحجة الخامسة قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه حكم بان كل ما سواه فهو هالك وكلما جاز عليه العدم بعد وجوده لا يكون قديما لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه وما لا يكون قديما لا يكون الها

الحجة السادسة قوله تعالى ان الله يمسك السموات وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ولو كان له شريك لكان ذلك الشريك قادرا على النفع والضر وذلك خلاف قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له

الحجة السابعة انه تعالى استدل في كتابه على صحة التوحيد بثلاثة اوجه احدها قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والثاني قوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض وقوله تعالى اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا واعلم انه تعالى لما ذكر قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال بعده فسبحان الله رب العرش عما يصفون وفيه لطايف اولها انه تعالى لما اقام الدلالة القاطعة على صحة

التوحيد قال بعده سبحان الله رب العرش عما يصفون وذلك تنبيه على ان الاشتغال
بالتسبيح انما ينفع بعد اقامة الدلالة على كونه تعالى منزها وثانيها انه لم يقل سبحان الله عما
يصفون بل قال سبحان الله رب العرش عما يصفون والسبب فيه ان هذه المناظرة انما وقعت مع
عبدة الاوثان الا ان الدليل الذي ذكره الله تعالى وهو قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا يفيد
الرد على كل من اثبت لله شريكا ثم انه تعالى بعد ان ذكر هذا الدليل العام نبه على نكته خاصة
بعبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يحس ولا يعقل شريكا في الالهية
لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين واما قوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون
فاعلم انه تعالى علق هذه الاية بما قبلها ان عمدة من اثبت لله تعالى شريكا بسبب الا طلب اللمية
في افعال الله وذلك لان الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا لله شريكا عولوا في تقرير مذهبهم
على نكتة واحدة وهي انا نرى في العالم خيرا وشرا ولذة والما وصحة وسقما وحياة وموتا وغنى وفقرا
وقد ثبت في العقول ان فاعل الخير خير وفاعل الشر شرير ويستحيل ان يكون الفاعل الواحد خيرا
وشريرا معا فلابد من فاعلين يكون احدهما فاعلا للخير والاخر فاعلا للشر ويرجع حاصل هذه
الشبهة الى ان الفاعل الحكيم لا يجوز ان يخص بعض عبيده بالفقر والالم والموت ثم يرجع حاصل الكلام
الى طلب اللمية في افعال الله والجواب الاصلي لهذه الشبهة ان افعال الله تعالى لا تعلل فله ان
يفعل كل ما شاء فلما كان مدار اهل الشرك لشبهاتهم على طلب اللمية في افعال الله لا جرم ان
الله سبحانه بعد ان ذكر الدليل الدال على التوحيد ذكر ما هو النكتة الاصلية والجواب عن شبهة
القايلين بالشريك لان الترتيب الحسن في المناظرة ان يقع الابتدا بذكر الدلايل المثبتة للمطلوب
ثم يذكر بعده ما هو الجواب المعتمد عن شبه الخصم فان قال قايل فما الدلايل العقلية على انه
تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون وانه لا يجوز تعليل افعاله واحكامه برعاية المصالح قلنا
اما اصحابنا اهل السنة فانهم قد استدلوا عليه من وجوه **الحجة الاولى** انه لو كان كل شي
معللا بعلة لكانت علته تلك العلة معللة بعلة اخرى ولزم اما الدور واما التسلسل وهما
محالان فلا بد في قطع السلسلة من الانتهاء الى ما يكون غنيا عن العلة واولى الاشياء بذلك ذات
الله تعالى وصفاته فكما ان ذاته منزهة عن الافتقار الى المؤثر فلعله وصفاته مبراة عن الافتقار الى
المبدع والمخصص فكذلك فاعليته تجب ان تكون مقدسة عن الافتقار الى الموجب والمؤثر **الحجة
الثانية** فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة اما ان تكون واجبة او ممكنة
فان كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونه تعالى فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات
لا فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة ايضا فعلا لله تعالى فيفتقر كونه تعالى
فاعلا لها الى علة اخرى ولزم التسلسل **الحجة الثالثة** علة تلك الفاعلية ان كانت
قديمة لزم كون الفاعلية قديمة فيلزم كون المفعول قديما هذا خلف وان كان المفعول محدثا افتقرت
الى علة اخرى ولزم التسلسل **الحجة الرابعة** ان من فعل فعلا لغرض واما ان
يكون قادرا على تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون قادرا عليه فان كان توسط

تلك الواسطة عبثا وان لم يكن قادرا عليه كان عاجزا وذلك على الله محال بخلاف الواحد منا
فان العجز عليه جايز فلا جرم كانت افعالنا معللة بالاغراض **الحجة الخامسة** لو كان
فعله تعالى معللا بغرض لكان ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله تعالى او الى العباد والاول
محال لانه تعالى منزه عن النفع والضر واذا بطل هذا القسم تعين ان الغرض لا بد ان يكون عايدا الى
العباد ولا غرض للعباد الا حصول اللذات وعدم حصول الالام والله تعالى قادر على تحصيلها ابتدا
من غير شي من الوسايط واذا كان كذلك استحال ان يفعل شيا لاجل شي **الحجة السادسة**
لو فعل فعلا لاجل غرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه ان كان بالنسبة اليه اما ان يكون على السوية
او لا يكون فان كان على السوية استحال ان يكون غرضا وان لم يكن على السوية لزم كونه سبحانه
وتعالى ناقصا لذاته مستكملا بغيره وهو محال فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه ان كان
بالنسبة اليه على السوا اما بالنسبة الى العباد فالوجود اولى من العدم فيقول تحصيل تلك الاولوية
للعبد وعدم تحصيلها اما ان يكون بالنسبة الى الله على السوية او لا على السوية وحينئذ يعود
التقسيم الاول **الحجة السابعة** ان الموجودات باسرها مملوكة له سبحانه ومن تصرف
في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت **الحجة الثامنة** من قال لغيره لم فعلت واما
المعتزلة فانهم سلموا انه يجوز ان يقال لله لم فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحسن حيث يقدر السائل
على منع المسؤول عنه عن فعله وذلك من العبد في حق الله تعالى محال فانه لو فعل اي فعل شا
فالعبد كيف يمنعه عن ذلك الفعل فان المنع يحصل بان يهدده بالعقاب والايلام وذلك على الله
محال او بان يهدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكمة والاتصاف بالسفه على ما تقول المعتزلة
وذلك ايضا محال لان استحقاق المدح واتصافه بصفات الحكمة والجلال امور ذاتية له وما
ثبت للشي لذاته يستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات العرضية فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز
ان يقال لله في افعاله لم فعلت ظهر صدق قول مشايخنا ان كل شي صنعه ولا علة لصنعه
فاما المعتزلة فانهم سلموا انه يجوز ان يقال لله تعالى لم فعلت لكنهم بنوا الجواب عن شبهة الثنوية
على اصل اخر وهو انه تعالى عالم بقبح القبايح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه
يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك
لم يجز للعبد ان يقول لله لم فعلت هذا فظهر بما ذكرنا على اختلاف المذهبين صدق قوله
تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون واذا ظهر ذلك سقطت شبهة الثنوية في اثبات الشريك
وبالله التوفيق

الفصل الثامن في الاحكام الفقهية المتفرعة على قولنا لا اله الا الله

اعلم ان الايمان لا بد له من امرين احدهما وهو الاصل وهو ان يحصل
حصول المعرفة في القلب واليه الاشارة بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وثانيهما الاقرار
باللسان بالتوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى قل هو الله احد وذلك لان قوله قل امر المكلف
بان يقول بلسانه ما يدل على التوحيد ثم تاكدت هذه الدلالة بالسنة الغرا وهو قوله عليه الصلاة والسلام امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والسبب في انه لا بد من هذا القول هو ان الايمان حكما

بعضها يتعلق بالباطن وبعضها يتعلق بالظاهر فما يتعلق بالباطن فهو احكام الاخرة وذلك
متفرع على العلم الذي هو باطن عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو احكام الدنيا ولا يمكن اثباتها
الا بعد معرفتنا انه مسلم ولا معرفة الا بالقول باللسان فصارت المعرفة ركنا اصليا في حق الله تعالى
والقول ركنا شرعيا في حق الخلق واليه الاشارة بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقال
عليه السلام من قال لا اله الا الله خالصا دخل الجنة فقال الشيخ ابو علي الدقاق من قالها مخلصا في قلبه
دخل الجنة في حالته قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الوقت وهي جنة المعرفة وجنة
غدا وهي جنة الاخرة اختلف المحققون فقال الاكثرون الاولى ان يكون الذكر في الابتداء قول
لا اله الا الله وفي الانتهاء الاقتصار على ذكر كلمة الله ومنهم من واظب في الابتداء والانتهاء على ذكر لا اله الا
الله وحجة هؤلاء ان عالم القلب مشحون بغير الله ولا بد من كلمة النفي الا عسار فاذا صار خاليا فحينئذ
توضع سرير التوحيد ويجلس على سلطان المعرفة واما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة الله فلهم
فيه وجوه **الحجة الاولى** ان نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب • **الحجة الثانية**
من قال لا اله الا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهلة ما يصل فيه الى الاثبات فحينئذ يبقى في
النفي غير منتقل الى الاثبات وفي الجحود غير منتقل الى الاقرار **الحجة الثالثة** المواظبة
على هذه الكلمة مشعرة بتعظيم الحق بنفي الاغيار الا ان نفي الاغيار الى الاثبات والجحود غير منتقل الى
ان يرجع في الحقيقة الى شغل القلب بالاغيار وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال
لا اله الا الله فهو مشتغل بغير الحق ومن قال الله الله فهو مشتغل بالحق فاين احد المقامين من الاخر
الحجة الرابعة ان نفي الشيء انما يحتاج اليه عند خطرات ذلك الشيء بالبال وخطرات شريك
الله تعالى بالبال لا تكون الا عند نقصان الحالة فاما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك
امتنع ان يكلفهم نفي الشريك بل هو لا لا يخطر ببالهم ولا يخطر في خيالهم الا ذكر الله فلا جرم يكفيهم
ان يقولوا الله **الحجة الخامسة** قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فامر بذكر الله
ومنعه ذلك الخوض معهم في باطيلهم ولعبهم والقول بالتشريك من الاباطيل فيه خوض في
ذلك الكلام وكان الاولى الاقتصار على قولنا الله فهذا ما في هذا المقام ٥ وها هنا انواع من
التضرعات • **احدها** ان سئل الهنا ان موسى عليه السلام سال اجل الاشيا فقال رب ارني انظر
اليك وسال اقل الاشيا فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فنحن ايضا نسالك اجل الاشيا وهي
خيرات الاخرة واقلها وهي خيرات الدنيا فنقول اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة الهنا **حكي**
ان رجلا باع جارية ثم ندم واستحيا ان تظهر هذه الحالة للمشتري فراى المشتري في المنام ان فلانا
من اوليائي وسائر الناس نكتب في كفه حاجته ورفعها الى السماء ولم يقل بلسانه شيا فراى المشتري
في المنام ان فلانا من اوليائي وقلبه مشتغل بهذه الجارية فردها عليه واجرك علي فلما اصبح الرجل
حمل الجارية اليه وردها عليه فلما اراد البائع ان يرد الذهب قال المشتري ان هذا الذهب صار هو
خير منك الهنا ان كان ذلك البائع ندم على بيع تلك الجارية فنحن ندمنا ان بعنا الاخرة بالدنيا
وان كان ذلك البائع قد استحيا من العود فنحن من كثرة ذنوبنا نستحيي منك وان كان ذلك

البايع

ص
الهنا

البايع قد كتب على كفه شيا من حاجته ورفعها الى السماء فجميع اعضائنا مكتوب عليه احتياجنا
الى رحمتك وذلنا بين يديك فها هنا لما ضمن دين الغير ما في فاقبل ديوننا فاسقط عنا تبعات اعمالنا
ولا تعمل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله يا من لا تشغله شان عن شان الهنا **يروي**
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كان له موذن وكان له جارية فقالت الجارية يا مولاي
ان هذا الموذن يقول اني احبك فقال علي قولي له انا ايضا احبك وننظر ماذا نقول فلما قالت
الجارية ذلك قال الموذن فنصبر الى ان يحكم الله بيننا فحكت ذلك لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
فقال لما سكت ولم ير نفسه اهلا للطلب فقال علي فنحن نسلمها عليه فدعاها وزوجها منه الهنا
الموذن استحقر نفسه ولم ير انه اهلا لذلك الطلب اكرمه علي رضي الله عنه بها فانت العلي الاعلا
والكريم الاكرمين وارحم الراحمين ونحن لا نري انفسنا اهلا لطلب رحمتك لحقارة انفسنا في اعيننا
فلا تحرمنا فيض رحمتك واثار جودك يا من لا يبرمه الحاح الملحين الهنا • **يروي** ان الصديق كان
يخافت في صلوته بالليل ولا يرفع صوته بالقراة وكان عمر يجهر في صلوته بالليل فسال الرسول
صلى الله عليه وسلم ابابكر عن فعله فقال الذي اناجيه يسمع كلامي وسال عمر فقال اوقظ الوسنان
واطرد الشيطان وارضي الرحمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر رضي الله عنه حتى يرفع
صوته قليلا وامر عمر حتى يخفضه قليلا الهنا الايمان فينا كالرسول والقلب مثل ابي بكر واللسان
مثل عمر والقلب يخافت في الذكر كابي بكر واللسان يظهر بالذكر مثل عمر والايمان يامر القلب
بالزيادة في الفكر ويامر اللسان باخفا الذكر فوفقنا لما تحب وترضى بفضلك يا ارحم الراحمين
فصل ومن العارفين من اختار السكوت عن الكل في النهاية وقال عليه السلام من عرف الله
كل لسانه وروي ان الجنيد كان في الكلام فرعق الشبلي وقال الله فقال الجنيد الغيبة حرام معناه
ان كنت غايبا فذكر الغايب غيبة وان كنت حاضرا فذكر الاسم في الحضرة سوء ادب وتمام التحقيق
في هذا المقام سياتي ان شا الله تعالى **فصل** روى الامام محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمه الله
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس تموت
فتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ترجع ذلك الى قلب موقن الا غفر الله له قال
الشيخ فهذه شهادة شهد بها عند الموت وقد ماتت منه الشهوات ولانت نفسه المتمردة
من هول الموت وذهب حرصه والقى نفسه بين يدي قدرة رب العالمين فاستوى منه الظاهر
والباطن فلقي الله مخلصا بتلك الشهادة فغفر له بتلك الشهادة الصادقة التي وافق ظاهرها
باطنها اما الذي يقوله ايام الصحة يقول مع التخليط لانه شهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون
بالشهوات ونفسه اشرة بطرة فلا يستوجب بذلك القول المغفرة فهذا هو التفاوت بين ذكر
هذه الشهادة في حال الصحة وذكرها في اخر زمان الحيوة وتمام القول فيه ان الانسان الذي يكون
قلبه معمورا بدنياه ومأسورا في الشهوات سكران عن الاخرة حيران قلبه عن الله لم يحصل
فيه اليقين البتة لان قلبه يمتلي بالميل الى غير الله فلا يحصل فيه الميل الى الله اما اذا حصل اليقين
بالله كان الامر بخلاف ذلك لان اليقين سمي يقينا والاستقرار في القلب وهو النور يقال

ودكره

يقين لما في الحضرة اذا استقر فاذا استقر النور دام واذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمأن
القلب بجلال الله تعالى ثم انقطع عن غير الله فوقف هناك عاجزا فاستغاث بالله صارخا
مضطرا فاجابه الحق فانه يجيب دعوة المضطرين فيشرق ذلك النور المتلالي في القلب فيغلق به
ظلمات الاشتغال بغير الله فيصير اسرار الملكوت مشاهدا له وهو قول حارثة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قال كاني انظر الى عرش ربي بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عبد نور الله
الايمان في قلبه وقد جاء في الاخبار ان ادريس وموسى صلى الله عليهم ومحمد صلى الله عليه وسلم
كل واحد منهم كان في زمانه مواظبا على هذا الدعا يا نور كل شيء وهداه انت الذي فلق الظلمات
نوره ومما يحقق ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه فتقت
له السماء فتقا حتى ينظر الرب الى قائلها من اهل الدنيا ● وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه
عن المعاصي وقال عليه السلام اخلص يكفك القليل ● وعن زيد بن ارقم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عهد الي ان لا ياتيني احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيئا الا
وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله ما الذي يخلط بها قال حرصا على الدنيا وجمعا لها يقول بقول
الانبيا ويعمل بعمل الجبابرة فالحاصل انه لا بد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى تكون نافعة
ولا يحصل بها اليقين الا بموت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات الا باحد الطريقين احدهما
ان يروض نفسه حتى تموت شهواته حال حيوته والثاني انسان ماتت شهواته عند وفاته
وعظم رجاه وخوفه من ربه وانقطع نظره عن غير الله بالكلية اضطرارا فاذا نطق بهذه
الكلمة في تلك الحالة استوجب المغفرة فلهذا السبب استحب السلف ان يلقنوا المحتضر هذه
الكلمة وقال عليه السلام لقنوا موتاكم والانسان عند القرب من الموت فنيت شهواته
فيحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة مقبولة منه واما الاول وهو الذي يروض نفسه
قد فتح له روزنة الى الغيب فرهبته اهوال سلطان الجلال فنطق بها عن القلب الصافي فهو
بالمغفرة اولى واقمن ● وعن عبد الله بن جعفر عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لقنوا موتاكم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين قالوا يا رسول فكيف هي للحي قال هي اجود واجود وكان اهل البيت يسمون
هذه الكلمات كلمات الفرج فيتكلمون بها في النوائب والشدائد فيجيئهم الفرج وفيه ربنا وكلمة
لا اله الا الله العظيم وعن مكحول الحسن كلمات الفرج لا اله الا الله العظيم لا اله الا الله الحليم
الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين وعن علي رضي
الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك كلمات اذا قلتها غفرت لك ذنوبك
وان كان مثل عدد الذر من الخطايا لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم
سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين **فصل**

يروى انه كان صفان يتقابلان من المسلمين والكفار كانوا من النصارى فقال الكافر
لمن يقاتل قال المسلم عن الواحد وقال النصراني بل انا اقاتل عن ثالث ثلاثة فلما تقابلا صرع المسلم الكافر
وجلس على صدره وقال نصرني الواحد وضيعك الثلاثة وعن جعفر بن محمد الصادق عجبت لمن
تمنى باربع تغفل عن اربع عجبت لمن اعجب بامر كيف لا يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله والله تعالى يقول
ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وعجبت لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبي
الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت
لمن مكر به كيف لا يقول حسبي الله وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول
فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن اصابه غم او كرب كيف لا يقول لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين الى قوله ونجيناه من الغم وعن سفين بن عيينة انه تعالى لما قال وكذلك
ننجي المؤمنين فقد وعد كل مؤمن يقول لا اله الا انت اني كنت من الظالمين ان ينجيه من كل
غم ومن المعلوم بالضرورة ان الله لا يخلف الميعاد ● **فصل** اعلم انه تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله في
القران في سبعة وثلثين موضعا اثنان في البقرة والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
ب الله لا اله الا هو الحي القيوم واربعة في ال عمران ج الم الله لا اله الا هو الحي القيوم د
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ● شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم و واحد في النساء ز الله لا اله
الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا واثنان في الانعام ح
ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ط اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض
عن المشركين وواحد في الاعراف ى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك
السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت واثنان في التوبة يا اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
عما يشركون يب فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وواحد في يونس يج
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وواحد في هود يد فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا
انه لا اله الا الذي امنت انما انزل بعلم الله وان لا اله الا الله فهل انتم مسلمون وواحد في الرعد
يه قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت وواحد في النحل يو ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وثلاثة في طه يز الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى يح انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلوة لذكري يط انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما واثنان في الانبياء ك
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كا وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وواحد في المؤمنين كب فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وواحد

في النمل **كج** الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وثاني في القصص **كد** وهو الله لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون **كه** ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وواحد في فاطر **كو** يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فاني تؤفكون وواحد في الصافات
كح يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم لا اله الا هو فاني تصرفون
وثلثة في المؤمن **كط** ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير **ل** ذلكم الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو فاني تؤفكون **لا** هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وواحد
في الدخان **لب** لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين وواحد في سورة محمد صلى الله عليه وسلم
لج فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وفي الحشر اثنان **لد** هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم **له** هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس وفي التغابن
واحد **لو** الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفي المزمل واحد **لز** رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ٥ فهذا مجموع سبعة وثلثين من كلمات لا اله الا الله وردت في
القرآن العظيم ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا **فصل** في ان عقول
الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى اتفق مشايخ الطريقة على هذا نقل الاستاد ابو القسم القشيري في
كتاب الرسالة في باب التوحيد عن يوسف بن الحسين انه قال سمعت ذا النون المصري وقد
سئل عن التوحيد فقال ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا امتزاج وصنعه للاشيا بلا علاج وعلة
كل شي صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصور في نفسك فالله بخلافه واقول لما كان كلما تصورته
النفس فالله بخلافه لم يتمكن العقل والنفس من الاشارة الى حقيقته معلومة بان حقيقة الاله
هي هذه الحقيقة وقال ايضا اعرف الناس بالله اشدهم تحيرا فيه وروى عن سهل بن عبد الله
انه سئل عن ذات الله فقال ذات الله موصوف بالعلم غير مدرك بالاحاطة فقد حجب الخلق عن
معرفة كنه ذاته ودلهم عليه باياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه المؤمنون
بالابصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية وروى عنه ايضا انه قال غاية المعرفة الدهشة
والحيرة وقال يوسف بن الحسين من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الايام الا عطشا
ووقف رجل على الحسين بن منصور فقال اين الحق الذي يشيرون اليه فقال عقل الايام ولا
تعقل **وقيل** للشبلي اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال من اشار اليه فهو ثنوي ومن
كيفه فهو وثني ومن نطق فيه فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهم انه واصل فليس له
حاصل ومن ظن انه قريب فهو بعيد ومن توهم انه واحد فهو فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه
بعقولكم في اتم معانيكم فهو مصروف مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم قال الشبلي ايضا ما شم
رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد قال من اعطاه العقل خلق الة للعبودية لا للاشراف على
الربوبية وقال عين العقل يحول حول الكون واذا نظر الى المكون ذاب ٥ واعلم ان من الناس
من احتج في هذه المسئلة بايات منها قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره فقال اهل التفسير

اي ما عرفوا الله حق معرفته اذ جحدوه وانه مع معرفة مقداره ٥ واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لان
هذه الاية وردت في كتاب الله في ثلثة مواضع **اولها** في سورة الانعام قال تعالى وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي فهولا الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي كانوا منكرين
لكل النبوات ومن كان كذلك كان كافرا فقوله وما قدروا الله حق قدره عايدا الى هولا **وثانيها**
قوله تعالى في سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له الى قوله وما قدروا الله حق قدره ولما كان الكلام الاول مع عبدة الاوثان كان
الكلام عايدا اليهم **وثالثها** في سورة الزمر قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد
وكن من الشاكرين ثم قال بعد هذا وما قدروا الله حق قدره فيكون هذا الكلام عايدا الى الذين قالوا لهم
قبل هذه الكلمة بقوله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فاذا ثبت هذا فقوله ما قدروا الله حق قدره
عايد في الاية الاولى الى من انكر نبوة كل الانبيا وفي الاية الثانية والثالثة الى عبدة الاوثان فهذه الاية
في المواضع الثلاثة عايدة الى الكفار ولا يلزم من وصف الكفار بهذا الوصف ان يكون المؤمنين موصوفين
بهذا الوصف وهذا سؤال حسن بل لمن يدعي كمال المعرفة ان يتمسك بهذه الاية لانه تعالى لما جعل
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره عيبا على الكفار وطعنا فيهم وجب ان يكون حال المؤمنين بخلاف
ذلك ٥ ومما اشتهر التمسك به في هذه المسئلة قوله تعالى في سورة طه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون به علما واجيب عنه بان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الاية انه تعالى يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم وهم لا يحيطون به علما ما بين ايديهم وما خلفهم والضمير في قوله عايد الى الله
بل الى ما بين ايديهم وما خلفهم لان عود الضمير الى اقرب المذكورين هو الاولى واعلم ان العمدة في
المسئلة ان الله سبحانه غير متناهي في الذات وفي الصفات والعقل متناهي في تعقل الذات وفي
الصفات والمتناهي لا سبيل له الى ادراك غير المتناهي فهذا هو النكتة ونحن نشرحها ليظهر قوتها
فنقول العقل عاجز عن معرفة كونه قديما ازليا وذلك لان كل ما يستحضره العقل مستحضرا على
سبيل التفصيل من سنا دير الازمنة فذلك متناهي في الدار مثلا نعرض قبل هذا الوقت الف الف
سنة ونعرض بحسب كل لمحة من هذه المدة الف الف سنة وهكذا الى اقصى ما يقدر الوهم والخيال
على استحضاره ثم اذا تامل العقل عرف ان كل ذلك متناهي له اول وهو تعالى انما كان قديما ازليا
لانه كان موجودا قبل هذه المدة التي حال العقل والخيال بها فثبت ان كل مقدار يصل العقل والخيال
اليه فالحق سبحانه ليس قديما باعتبار انه كان موجودا في ذلك الوقت بل باعتبار انه كان موجودا قبلها
وراء ذلك الوقت واذن لا سبيل للعقل البتة الى معرفة القدمية والازلية فاذا عرفت هذا في كونه
تعالى قديما ازليا فاعرف مثله في كونه واما ابديا فاذا العقل ليس له البتة شغل في معرفة كونه ازليا
ولا الى معرفة كونه دايما ابديا على سبيل التفصيل فان كل ما يشير العقل اليه فازليته وابديته خارجان عن
ذلك المتصور وايضا اذا قلنا انه موجود ليس بجوهر ولا عرض ولا حال ولا محل فهذا لا يقتضي معرفة
ذات الحق لانا اردنا بقولنا موجود مما يناقض العدم وهذا المفهوم المناقض العدمية امر يصدق على

هذا م

اي ما عرفوا

لجميع الموجودات وحقيقة الحق لا توجد في شيء سواه فالعلم بكونه موجودا ليس علما بحقيقته المخصوصة
واما العلم بانه ليس بجوهر ولا بعرض ولا جسم فهذا علم بعدم ويس علما بحقيقته لان هذه الاشيا
نحقيقته حقيقة ثابتة متحققة والسلب لا يكون نفس الثبوت فيمتنع ان يكون حقيقته هي نفس انها ليست
بجوهر ولا الجسم ولا بعرض فثبت بمجموع ما ذكرنا انه لا سبيل للعقول الى معرفة حقيقته ومما يحقق
ما ذكرناه ان العقلا اتفقوا على ان كل صفة شاهدها الحس وادركها العقل في المكونات فلو وصف الحق بها
كان جاهلا فاذا لا طريق الى معرفة الحق الا بنفي كل ما عرفه الخلق العقل ولهذا اتفقوا على ان احسن
كلمة قيل في التوحيد ما قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو ان المعرفة ان تعرف ان كل ما تصور في
وهمك فالله بخلافه ثم قال المحققون لما كان كل ما تصور في وهمك فالله بخلافه فلو تصور في وهمك
من ذلك الخلاف شيء فالله ايضا بخلافه ثم لو تصور في هذه المرتبة الثانية امرا اخر لزمه نفيه فلم يبق
للعقل في طريق معرفة الحق الا ان ينفي كل شيء ما وقع في خاطره ثم اذا وقع من هذا النفي شيء في ذهنه اشتغل
بنفيه ايضا فكذا في النفي الثالث والنفي الرابع الى غير نهاية فلو بقي العبد ابد الاباد ودهر الداهرين لكان
مشغولا بنفي شغل القلب عن هذه الواردات وان الذهن هذه التصورات عقله وعلايق ضميره وفكره وذكره
الحجة الثانية وهي ان الانسان عاجز عن معرفة نفسه فانه ان قيل ان نفسه هو هذا الهيكل
المشاهد فهو باطل من وجهين الاول ان الانسان قد يعرف ذاته حال ما يكون غافلا عن جميع
اعضائه الظاهرة والباطنة والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم الثاني ان ذاته من اول عمره الى اخر عمره
شيء واحد واجزاء بدنه غير باقية والباقي مغاير لغير الباقي فثبت انه ليس عبارة عن هذا الهيكل المحسوس
ثم بعد هذا يحتمل ان يقال انه جسم في داخل هذا الهيكل اما في القلب فقط او في الدماغ فقط او يكون
ساريا في كل البدن ثم ذلك الجسم اهو من جنس الاجسام التي تولد البدن عنها او هو جسم مخالف
لهذه الاجسام في الماهية والحقيقة ويحتمل ايضا ان يقال انه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز بل هو مدبر
لهذا البدن على ما تقوله الفلاسفة واعلم ان هذه الاحتمالات بقيت من الزمان الاقدم الى الان وما
بعد وما زالت الشكوك والشبهات ولا شك ان اعرف المعارف في الشيء المشار اليه بقولي انا فاذا كان
حالي في معرفة الاشيا ابعد مناسبة عن علايق العقول وروابط الحالات وتحقيق الكلام فيه
ان العقل كالسمع فلا شك ان كل ما كان اقرب الى السمع كان ضوءه اكثر مما بعد عنه واقرب الاشيا
الى الشيء نفسه فاذا كان نور العقل اضعف من ان يصير ذاته مضيئا لحضرة الجلال مع بعده بغير نهاية
كيف يصير مضيئا به ولهذا قال السنائي الشاعر بالفارسية

ای سلدر سناس س جود عاجز • کی شناسی برحادی الاهرکز •

جون تو در علم خود زبون باشی • عارف کرد کار جون باشی •

واعلم انه كما وقعت الشبهات المذكورة في معرفة النفس فقد وقعت ايضا في معرفة حقيقة الزمان
وحقيقة المكان وتحير الخلق في ان القوة الباصرة كيف تبصر بخروج الشعاع او بحصول الشبح
في العين او بحالة مغايرة لخروج الشعاع وحصول الشبح وكذا القول في البحث عن القوة السامعة
والذائقة وتحيروا ايضا في البحث عن التمييز والتعيين وان كان لها وجود فهي قائمة بانفسها او محلها

واذا كان الامر كذلك [illegible]

من كيفية التخيلات فانه صورة [illegible]
المتخيلة ان لم يكن لها وجود [illegible]
حصل م م

تير

فكيف شيء مجردا او محلها جسم والكل محال ممتنع ولما كانت معرفة الخلق بهذه الامور الظاهرة الجلية
تلعب في الضعف به الى هذا الحد فما ظنك بمعرفتهم لمن تقدس عن مناسبات العقول والا فكار
وتنزه عن مشابهة الخيالات والابصار • الحجة الثالثة قد ثبت في العلوم الحقيقية انه سبحانه
هو النور المطلق وهو نور الانوار وكما ان من وضع السراج في مقابلة قرص الشمس انطفى ولم يظهر
له البتة اثر وكذلك اذا وقع ضوء العقل في مقابلة نور جلال الله فني واضمحل وتلاشى ولذلك قالوا
بان العقل يدور على المكونات فاذا وصل الى حضرة مكون الاكوان ذاب • واعلم ان القطرة اذا وقعت
في البحر اضمحلت والشعلة اذا وقعت في مقابلة قرص الشمس فنيت وبطلت ونسبة القطرة الى البحر والشعلة
الى الشمس اعظم من نسبة نور العقل الى انوار الجلال بل لا نسبة لاحد البابين الى الاخر لان القطرة
متناهية والبحر متناه وللمتناهي الى المتناهي نسبة وكذلك الشعلة والشمس اما نور العقل فهو في غاية
القلة والقصور ونور جلال الله في غاية العظمة وعدم التناهي فلما اضمحلت القطرة في البحر والشعلة
في الشمس فكيف يعقل بقاء نور العقل في حضور نور جلال الله وشروق اعلاكبريائه الحجة
الرابعة ان نسبة نور العقل الى منبع اعظم الروحانية الانوار كنسبة نور البصر الى منبع الانوار
الجسمانية وكما ان الشمس اظهر الاشياء من وجه واخفاها من وجه اخر فكذلك منبع الانوار الروحانية
بالنسبة الى عين البصيرة يكون اظهر الاشيا من وجه واخفاها من وجه اخر الحجة الخامسة
العقل اضعف من العاقل لان العقل صفة والعاقل موصوف والصفة اضعف من الموصوف فاذا عجز العاقل
عن المعرفة فلان يعجز العقل مع غاية ضعفه كان اولى الحجة السادسة من امكنه ادراك شيء بتمامه
وكماله فله قدرة توجه ما عليه وقدرة المحدث ممن وجه بالعجز ومتناهيه والحق سبحانه واجب
الوجود غالب لا يغلب وقاهر لا يقهر والمحدث الموصوف بالقصور والتناهي كيف يمكنه معرفة القديم
الذي لا نهاية له • الحجة السابعة العقل لا يتصرف الا فيما يكون في مكان او زمان لان كل ما
ادركه فانه يدركه اما في الماضي او في المستقبل او في الحال وكل ذلك بحسب الزمان وكل ما يتصور
فانه انما يتصوره اما هاهنا او هناك وكل ذلك بحسب المكان واذا قلنا الحق بخلاف هذه الاشيا معرفات
في هذه المعرفة ليس الا نفي ما عرفته وتصورته والحاصل فيه نفي غير الحق ونفي غير الحق لا يكون هو عين
وجدان غير الحق الحجة الثامنة اشتهر في قول الخلق قولهم انما يعرف ذا الفضل من الناس
ذووه فلم يكن الانسان اعلم من غيره لا يمكنه ان يعرف مقداره الا ترى ان الناس يقولون لا نقدر على
التمييز بين فلان وفلان الا من كان اعلم منهما بانه لا بد ان يعرف مقدار معلومات هذا ومقدار معلومات
ذاك ومقدار ما به ازداد احدهما على الاخر او نقص منه وهذا لا يتيسر الا لمن كان اعلم من كل واحد منهما
فاذا كان لا يتيسر للناقص ان يحيط بمن اكمل منه في العرف وفي الشاهد فكيف يتيسر للعقول الناقصة
الاحاطة بجلال من جلاله غير متناهي الحجة التاسعة العقل كالانثى والفكر كالذكر
فاذا حصل الازدواج بينهما تولدت المعرفة ولا شك ان الولد يكون على قدر قوة الابوين والعقل ناقص
فكيف وهو عاجز عن معرفة نفسه والفكر ناقص لا يمكنه ان يصون نفسه عن الغلط واذا كان الابوان
في غاية النقصان كيف يعقل ان يكون الولد في غاية الكمال فامتنع تولد مثل هذه المعرفة على غاية

شرفهما من هذين الابوين **الحجة العاشرة** اذا ادرك العقل شيئا وقف عنده ادركه وما انتهى
إليه وكل مدرك هذا شانه فهو متناهي والحق لا نهاية له وهذا يوجب ان ذلك المدرك ليس هو
الحق بل كان شيئا غير الحق • **الحجة الحادية عشر** قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وهذا عبارة عن كونه محدودا مفهوما معلوما متناهيا وما كان كذلك امتنع
ان تكون له احاطة بما لا نهاية له • ومن النكت في هذا الباب وجوه احدها اخبر عن ضعف
البشر فقال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فمن بلغ عجزه
الى حيث لا يقوى على مقاومة الذباب كيف يمكنه الوصول الى كنه صمدية رب الارباب •
الثاني قالوا لرجل انك كان في مفازة عظيمة واشتد الحر ولم يكن هناك ماء اصلا البتة واشتد عطشه
وغلبه خوف الفقدان فالى اي وجهة نظر ظنه ماء وراه سرابا فاذا وصل اليه لم يجد عنده شيئا
كما قال تعالى حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك العقول البشرية والارواح الانسانية وقعت
في بيداء كبرياء الله فعظمت الانوار وتعاكست الاشعة وغلب حرارة الاشتياق الى الوصول
الى حضرة الله تعالى فكلما نظر الى جانب ظنه ماء المعرفة فسار الى مطلبه فالمعطلة نظروا الى جانب
البادية فظنوا ان الماء هناك والمشبهة نظروا الى جانب الاثبات فظنوا ان ماء العرفان هناك
وكذلك الجبرية والقدرية والرفض والخوارج ثم ان كل واحد توجه الى مقصده وسار الى مطلبه
فوصل الى مطالبهم يوم القيمة فلم يجدوا هناك من هذا الحديث شيئا كما قال وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا الا قوما عرفوا عظم المفازة وعجز البشرية وحيرة العقل فروا
عن انفسهم واستعانوا بارشاده وهدايته فقال الخليل رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
وقال يوسف الصديق توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال الكليم رب اشرح لي صدري
ويسر لي امري وقال سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال عيسى ان كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال الحبيب ارنا الاشيا كما هي
الثالثة قالوا الصبي نظر في المراة فيرى فيها صورة فيشتاق الى ان يقرب من تلك الصورة
فيقرب من تلك الصورة فيرى تلك الصورة ايضا تقرب منه فاذا راى تلك الصورة حال قربه
منها اشتد طمعه في اخذها فيمد يده اليها ليا خذها واذا مد يده راى حجابا من الحديد وراى الصورة
مختفية بحجب العزة وسرادقات القدم فهكذا القوة العقلية نظر في مراة من عرف نفسه فيلوح له
تجلي انوار عرف ربه فكلما كان نظر العين الى هذه المراة اشد كان ذلك التجلي اعظم فيشتاق العقل
الى الوصول الى كنه الصمدية فيمد يد الطلب فيرى بين نفسه وبين المطلوب سدا من الازلية والقدم
والاستغنا فيبقى وراءه هذا السد عاجزا مسكينا وبسبب مد يد التصرف يرى ذلك التجلي محتجبا
بسرادقات الكبريا والعظمة والجبروت **الرابعة** كان سوادي يحمل حملا من القوارير وكان سوداوی
يذهب به لاجل التجارة الى بلد فلما وصل الى باب البلد وضع ذلك الحمل ثم قال اني اذا دخلت هذه البلدة
ابيع هذه القوارير واشتري باثمانها الغنم ثم يحصل من نتاجها واولادها مال عظيم اشتري
به الخيل والجمال ثم يحصل من نتاجها واولادها مال عظيم اشتري به الات المملكة فاذا حصل للملك

تزوج بابنة الملك الفلاني ويحصل لي منها اولاد ثم احضر العلماء والادباء لتعليمهم وتاديبهم
ايضا وفي اثناء ذلك ضرب يده على الجمل فسقط الحمل وانكسر الكل وهذا مثال لاكثر توهمات
الخلق فان كل احد يظن انما معه من العلوم والاعمال يكون وسيلة له الى وجدان ملك الجنة والوصول
الى عتبة حضرة الله تعالى فاذا جاء وقت الموت بطلت تلك الاوهام وزالت تلك الافكار وبقي
المسكين على تراب الحرمان موضع الذلة والعجز • **الخامسة** من اسمائه سبحانه الجبار وهو ماخوذ
من نخلة جبارة اذا لم تصل اليها الايدي فكذلك هاهنا الاوهام لا تصل الى صمديته فالعهد له اليوم
عرفان وجوده وغدا طلب جوده وحقيقة الصمدية منزه عن الاحاطة والادراك **السادسة**
للسائرين الى الله ثلثة مقامات الحكمة والحق والامر ثم ما دخل في الوجدان عرضته على نقاد الحكمة
كان الكل حسنا لان الكل بتقديره وحكمه حصل وان عرضته على نقاد الحق كان الكل قبيحا لان
المعارف بالنسبة الى حضرة جلاله جهل والعبادات بالنسبة الى عتبة عزته تقصير اما ان عرضته
ان عرضته على نقاد الامر كان البعض حسن والبعض قبيح فالحكمة فضل محض والعدل عدل محض والا
تارة مع الفضل وتارة مع العدل فان عرضت على الحكمة اعمال الانبيا والملئكة لم يصر شيئا منها
مقبولا واما الامر فعلى ما عرفت بالفارسيه هر كه در راه امر اكر سوداى دوست بدو
اندكى من كسى ام لكن هم بو عنب ان باشد حق در راه با خود از عدم كم بى امر ور اسا بسوت
و رساله مى بلند ملايك و بطاعت و عظمه من بلند موجدان با يمان و اخلاص مى بلند فردا
چون سرادقات جلال بار كشيد و سر از برده عزت برنهد وا علم جلال حقيقت طارم
لسان همه فرياد بحر و ابس بيكى كويند ما عبدناك حق عبادتك و ديكرى كويند ما عرفناك حق
معرفتك **السابعة** در راه الهست وجرد خواست كى بيش رود فرو ماند
نور عقل خواست كى بيرامن جلال او كردد همه سور كشت سرجان خواست
كى قدر كمال او بداند حيرت كشت معرفت خواست كى بحصن قدس او محيط
شود عاجز شد اكنون هزار هزار دلايل وحدانيت سرحوالى واضح بعل الملك امس بعل
كى ورد بحار معقول و منقول عوض كنى و در ر و غرر و جواهر و زواهر
در سلك تحصيل كسى چون بيلت بصركى خود بادر نسله دين و لا يحيطون بشيء من
علمه بس وجود الغير اسيار و في الاستار اسرار محجوبة عن الاغيار سبحانه من
عزيز ضلت العقول في بحار عظمته وحارت الالباب دون ادراك عزته وكلت
الالسن عن وصف جلاله ومدح جماله وكل من غرق في نعته اصبح مستوحشا
الى الغى وبه عقول در ادراك جلال او حسن احداق عقول مقابله نور مشرق
عزت او مس افكار ارباب حكمت تيار بحار عظمت او عرق كشته نتايج
وسايح اصحاب فطنة در انوار جلال او محترق كشته ربابها اهل فصاحه ارسح
مدح جمال او و وصف جلال او كليل و در هر كوشه هزار طريح و ذبيح و شهيد
و قتيل المناجاة اي انا حسين بحال وادبو عباده كودن و بال جون ما مبنى بر احكوبه

جو تو خوبان بهيج حسن نمائى اروى حكويه عبارة كنه بهى تو ثنان به دانوا توان لا
منك فرار ولا معك قرار المشتاقات منك اليك اى عن توجهه عزتها رابعت
دل بر كشيدى اى جلال توهمه جلالها رابداع اجلال بر نهاده اى كمال
توهمه كمالها را از وجه نقصان بر برده اى الهيه تو همه عالم را طوارق عبوديته لازم
كردانيدة اى ذات تو بى اين واى صفات تو عقول وا متحير كرده اى صمديته
تو طلبها طاس اسمه كرداينده تو ى كيف اى بطش تو ى جارحه بصر
سوى حدقه واى صفات تو عقول وا متحير كرده اى صمد به توحا نها را سراسيمه
كردانيدة اى اراده و مشيه واحكام الهيه تو اد الالسن وهو خلق باك اى غيب
غيب وازل ازل بواو هوا حسن خواطر و ضماير و كل سر اى همه جانها
من مريد عشقا تو نهاده و خوحسن سود باكرده اى همه عشاق قصد رواق
اشراق تو كرده و خر تو مدى بدست او رده اى همه احباب بادلى كباب قدم
در راه تو نهاده و مالى و عالى و جاه و مهرى و سرورى بر باد داده و جر باد
بدست اناى يا امد ارحم يا ارحم الراحمين تقريرات اخرى
في انه لا سبيل الي معرفته • **الحجة الاولى** لا شك ان كل
من كان انقطاع نظره عن ما سوى الحق اكمل و كان استغراق قلبه في معرفة
الله اتم كان معرفته اكمل ولا شك ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بلغ
الغاية القصوى في هذا الباب فكانت معرفته اكمل العارف ثم انه مع ذلك
اعترف بعدم المعرفة لانه قال لا احصي ثناء عليك فاذا كان مع كمال القرب
لم يعرف فمن كان في غاية البعد كيف تمكنه المعرفه بالله الرحمن الرحيم ❀

النوع الثاني من علوم هذا الكتاب في تقرير الدلائل

الداله على اثبات العلم بالصانع سبحانه وتعالى وهذا النوع تشتمل على مقدمه
وابواب اما المقدمه فاعلم انه سبحانه رتب دلائل اثبات الصانع في القرآن العظيم
على وجهين **الوجه الاول** انه تعالى ابتدا من الاعرف
فالاعرف نازلا الى الاخفى فالاخفى في الدلائل و هذا هو الترتيب الذي اختاره في سورة
البقره وذلك لانه ابتدا بالاستدلال كل احد على وجود الصانع بنفسه و ذاتيه
فقال اعبدوا ربكم الذي خلقكم ثم ذكر عقيبها استدلالهم باحوال ابائهم واجدادهم
ثم ذكر عقيبه استدلالهم باحوال الارض فقال الذى جعل لكم الارض فراشا ثم ذكر عقيبه
الاستدلال باحوال السماء فقال والسماء بناء ثم ذكر عقيبه الاستدلال باحوال
المتوالده فيما بين السماء والارض والسبب في هذا الترتيب ان اظهر الاشياء لكل احد نفسه
ثم اباه واجداده ثم الارض التي هي مسكنه ثم السماء التي هي في غاية البعد عنه ثم الاحوال
التي تتولد الا بمجموع الارض والسماء وهو المراد بقوله تعالى وانزل من السماء ماء

فاخرج

فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا **الوجه الثاني**
في ترتيب الدلائل ما ذكره سبحانه وتعالى في اول سورة النحل فانه تعالى ابتدا من
الاشرف فالاشرف نازلا الى الادون فالادون وذلك لانه تعالى ذكر المطلوب
اولا فقال ينزل الملئكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه
لا اله الا انا فاتقون ثم انه تعالى ابتدا في ذكر دلائل الصانع بالسموات فقال خلق
السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم ذكر عقيبه الاستدلال بالانسان
فقال خلق الانسان من نطفه فاذا هو خصيم مبين ثم ذكر بعده احوال الحيوانات
فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ثم ذكر بعده احوال النبات
فقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون
ثم ذكر احوال العناصر فذكر الماء فقال وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا ثم ذكر الارض فقال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم
ثم لما تمم ذكر هذه الدلائل عاد الى المطلوب الذي ذكره اولا فقال
افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون والمطلوب منه اثبات
التوحيد ونفي الشركاء والانداد ثم قال بعده وان تعدوا نعمت
الله لا تحصوها يعني ان هذه الاشياء التى ذكرناها استدل بها على اثبات
الصانع و على وحدانيته فهي ايضا نعم جليله و منافع عظيمه في حقكم
والانسان لو استقصى في تعديد نعم الله عليه فانه يعجز بالاخره وكذا
دلائل القرآن هكذا فانها تكون دلائل من وجه ونعما من وجه اخر
ومثل هذه الدلائل تكون انجع في القلب واكثر تاثيرا في الروح لانها من حيث
انها دليل تفيد المعرفه ومن حيث انها نعم تفيد الانقياد للمنعم والاشتغال
بشكره والخضوع لعز جلاله فاذا اتفق ان هذان الوجهان كمل حصول
المقصود من الاعتراف بالخالق المنعم والانقياد لغيره و حمده وكمال صمديته
واذا عرفت هذين النوعين من الترتيب في هذه الدلائل فنحن في هذا
الباب نرتب الدلائل على هذا الوجه الثاني فنبدا بشرح دلائل السموات
ثم نذكر دلائل الشمس والقمر ثم نذكر دلائل النجوم ثم نذكر دلائل الانسان
ثم نذكر دلائل الحيوان ثم نذكر دلائل النبات ثم نذكر دلائل احوال
الاثار العلويه من الرعد والبرق والصاعقه والسحاب ثم نذكر
دلائل احوال البحار ثم نذكر دلائل احوال الجبال وذلك هو تمام
المقصود من هذا النوع والله سبحانه الموفق للخيرات

الباب الاول في تقرير كيفية دلالة
السموات على اثبات الصانع سبحانه وتعالى

اعلم انه تعالى ذكر في الكتاب الكريم مبدأ تكوين السموات واحوال وسطها واحوال معادها وفيه وصول ثلثة

الفصل الاول في شرح مبدأ تكوين السموات

اعلم انه سبحانه ذكر في هذا المعنى اثنين الاولى في سورة الانبياء اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وفي الاية سؤالان

احدهما ان المراد من قوله تعالى اولم يروا اما الرؤية واما العلم لا يجوز ان يكون المراد هو الرؤية لان القوم ما راوا كيفية تخليق السموات لانه تعالى قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ولا يجوز ان يكون المراد هو العلم لان الرتق والفتق عبارتان عن الاجتماع والافتراق ولا شك ان الاجسام قابلة لكل واحد منهما بدلا عن الاخر واذا كان كذلك فلا سبيل الى العلم بتقدم الرتق على الفتق الا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه المناظرة كانت مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال فهو احد السؤالين في الاية

والسؤال الثاني انه ما يعني بالرتق والفتق وفي اثناء الكلام يظهر الجواب عن السؤال الاول فنقول لفظ الرتق والفتق يحتمل وجوها

الوجه الاول ان الرتق اشارة الى العدم والفتق اشارة الى الوجود وتقريره بحسب اللفظ ان الاجسام اذا كانت مرتتقة لا يكون لبعضها تميز عن البعض واذا كانت متفتقة كان لبعضها تميز عن البعض اذا عرفت هذا فنقول ان العدم نفي محض فليس فيه ذوات متميزة واعيان متباينة فصح تسمية العدم بالرتق من حيث انه ليس فيه امتياز وتباين بوجه ما واذا وجدت فقد تميز كل واحد من الجواهر عن غيره وكل واحد من الصفات عن غيرها فصح تسمية الوجود بالفتق من هذا الوجه وبهذا التاويل سمى تعالى خلق النور في وسط الظلمة بالفلق فقال فالق الاصباح بل سمى نفس الايجاد والتكوين بالفلق فقال قل اعوذ برب الفلق فكذا لا يبعد ان يريد بالفتق الوجود بعد الرتق بعد العدم واذا عرفت هذا فيكون المراد من هذه الاية هو المراد من قوله الحمد لله خالق السموات والارض ومن قوله الحمد لله فاطر السموات والارض ومن قوله في اول سورة النحل خلق السموات والارض وتمام الاية وجه الاستدلال ان كل واحد من السموات والارضين مختص بحيز معين وصفة معينة وخاصية معينة ومقدار معين مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على خلاف ذلك الخاصية والصفة والحيز واذا كان كذلك كان اختصاص كل واحد منهما بصفته وحيزه وشكله لا بد وان يكون لتخصيص مخصص وتدبير مدبر وتقدير مقدر فدل وجود السموات من هذه الجهة ومن وجودها بعد ان لم يكن على افتقارها الى القادر المختار واذا حملنا الفتق والرتق

على هذا الوجه كان المراد من قوله اولم ير الذين كفروا اولم يعلم وذلك لان دليل الحدوث في ذوات السموات وفي صفاتها جلية قوية ظاهرة والعلم اذا قوي وكثرت شواهده ودلائله ابعد عن مواقع الشكوك والشبهات وجاز ان يسمى بالرؤية لقوته وجلائه وكثرة شواهده ودلائله

والوجه الثاني في تفسير الرتق والفتق ان الظلمة سابقة على النور ويدل عليه النقل والعقل اما النقل ففي وجوه الاول قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فقدم الظلمات في الذكر على النور والثاني هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وظاهر اللفظ يدل على انه صار ضياء بعد ان لم يكن كذلك والثالث قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار والرابع قوله تعالى الله نور السموات والارض اي منور السموات والارض وهذا يشعر بان النور متاخر عن الظلمة فان قيل فهذا يشكل بقوله ولا الليل سابق النهار وهذا يدل على ان السابق هو النهار قلنا لا بد من التوفيق بين هذه الاية وبين هذه الايات التي قدمناها والمعنى ولا الليل المتاخر يسبق النهار المتقدم واما المعقول فهو ان الليل ظلمة والظلمة عدم والنور وجود وعدم المحدثات متقدم على وجودها فدل ذلك على ان ظلمة العدم كانت سابقة على نور وجود هذه المحدثات اذا عرفت هذه القاعدة فنقول كانت السموات والارض مظلمة ثم اظهر الله الانوار فيهما فعبر عن الظلمة السابقة بالرتق وعن الانوار اللاحقة بالفتق فلهذا قال كانتا رتقا ففتقناهما ويتاكد هذا بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حاكيا عن رب العزة جل جلاله خلق الخلق من ظلمة ثم رش عليهم من نوره وعلى هذا التفسير يكون الرؤية المذكورة في الرتق والفتق بمعنى العلم

الوجه الثالث في تفسير الرتق والفتق ان السموات والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقا بعضها بالبعض ثم فصل الله بينهما فاقر الارض حيث هي ورفع السماء الى العلو وهذا القول يدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فوصف السموات بانها مرفوعة وذلك يطابق ما قلنا ان السموات والارض كان بعضها ملتصقا ببعض ثم انه تعالى اقر الارض مكانها واصعد اجزاء السماء ورفعها الى الجو العالي والثاني قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان يروى انه تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت الجوهرة ثم سلط عليها الحرارة فارتفع على وجه الماء زبد وعلاه دخان فخلق الارض من الزبد وخلق السموات من ذلك الدخان وهذا يدل على ان اجزاء السموات والارض كان بعضها مختلطا بالبعض وملتصقا به ثم انه سبحانه ميز البعض عن البعض فصير البعض زبدا واسكنه حيث هو واصعد البعض الى الجو العالي وخلق منه السموات والثالث قوله تعالى في صفة السموات رفع سمكها فسواها وذلك يدل على انه تعالى اصعد الاجزاء التي منها خلق السموات عن السفل الى العلو وذلك هو المراد من الرتق والفتق على وجود الصانع اعلم ان وجه الاستدلال بالرتق والفتق على وجود الصانع بناء على هذا القول ان نقول لا شك ان كرة الارض محفوفة بالماء والماء بالهواء والهواء بالنار والنار بالافلاك كل فلك بفلك اخر الى اخر الافلاك فنقول هذه الافلاك والعناصر متساوية في الجسمية لانه لا معنى للجسم الا الطويل العريض العميق والكل متشاركة في هذا المعنى ثم ان كل واحد من هذه الاجسام

نكته

يخالف الاخر في الصفات والاعراض وهي كون بعضها عاليه والبعض سافله والبعض لطيفا
والبعض كثيفا والبعض باردا والبعض حارا فنقول اختصاص كل واحد من هذه الفلكيه والعنصريه
بصفته المعينه وحيزه المعين اما ان يكون لذاته او لشي من لوازم ذاتيه او لامر غير لازم لذاته
فالاول والثاني يوجبان استوا الاجسام في كل الصفات وهو محال والثالث
يقتضي ان يكون اتصاف كل واحد من هذه الاجسام بما اتصف به امرا جايزا واذا كان الامر كذلك
استحال اختصاصه بتلك الصفه الا لمرجح ومخصص ثم ذلك المخصص اما ان يكون جسما واما ان لا
يكون جسما فان كان جسما كان ذلك الجسم متميزا عن سائر الاجسام بتلك المؤثريه فيفتقر ذلك
الاختصاص الي مخصص ومرجح ولزم التسلسل وهو محال وان لم يكن جسما فاما ان يكون موجبا
بالطبع واما ان يكون مختارا لا جايز ان يكون موجبا لان نسبة الموجب الي الكل علي السويه فوجب
ان يكون المؤثر قادرا مختارا فثبت افتقار جميع الاجسام من العرش الي ما تحت الثري الي مؤثر
فاعل بالاختيار قادر علي جميع الممكنات ليس بجسم ولا جسماني وذلك هو الله سبحانه وتعالي
اذا عرفت هذا فنقول المراد من الرتق كون ذلك الذوات متشابهة في الماهية والحقيقة والمراد
من الفتق اختصاص كل واحد منها بجانب معين وشكل معين وصفه معينه وحيز معين وعلى
هذا التقدير تكون الرويه بمعنى العلم **القول الرابع** في تفسير الرتق والفتق ان السموات
كلها كانت سماء واحدة ثم انه تعالى جعلها سبع سموات والذي يدل عليه قوله تعالي في اول
سورة البقرة ثم استوي الي السماء فسواهن سبع سموات وهذه الاية دالة علي ما قلناه من وجهين
احدهما انه قال ثم استوي الي السماء لفظة السماء دالة علي الواحدة والثاني انه قال
فسواهن والفا للتعقيب فهذا يدل علي ان السماء كانت واحدة ثم انه تعالى جعلها سبعة بعد ان
كانت واحدة فان قيل فعلي هذا القول ما معني فتق الارض بعد رتقها قلنا انه تعالى قال في
سورة الطلاق الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فلهذا السبب اختلفوا في تفسير
الارضين السبعه فقال بعضهم هي طباق سبعه بعضها اسفل من بعض كالسموات وقال
اخرون هذه الارضون اشارة الي الاقاليم السبعه وانه تعالى جعل لكل واحد من هذه الاقاليم
السبعه خاصيه ومنفعه • **القول الخامس** في تفسير الرتق والفتق قال الغزالي في كتابه
المسمي بالمضنون به علي غير اهله الرتق عبارة عن انطباق دايرة البروج علي دايرة معدل النهار وفي
ذلك الوقت ما كانت الارض معمورة علي ما عرف تحقيق ذلك من علم الهيئه والفتق عبارة عن
انفراج احدي هاتين الدايرتين عن الاخري وحدوث ميل تلك البروج من معدل النهار ولما
حدث عن هذا الانفراج حدث الفصول الاربعه من الارض وحصل بسبب ذلك الاختلاف
في الاهوية والبلدان والمساكن وهذا هو المراد من حدوث الفتق في الارض واعلم ان وجه
الاستدلال علي اثبات الصانع الحكيم سبحانه بناء علي هذين القولين ظاهر ايضا وذلك لان
علي القول الاول انه سبحانه فضل بعض هذه الافلاك عن بعض وخص كل واحد منها بمقدار معين
وسير معين وجهة معينه لحكمة ظاهرة في علم الغيب مستورة عن عقول الخلق ولابد ان يكون

ذلدر

ذلك بقدرة غالبه ومشيه نافذه علي ما حققنا القول فيه واما علي القول الذي ذكره الغزالي فاعلم
ان منافع الرتق والفتق بهذا المعني كثيرة ونحن نذكر منها ثمه فنقول لو لم يكن للكواكب حركه
في هذا الميل لكان التاثير مخصوصا ببقعه واحده فكان سائر الجوانب يخلوا عن المنافع الحاصله
منه فكان الذي يقرب منه متشابه الاحوال فكانت تلك هناك لكيفية واحدة فان كانت حارة افنت
الرطوبات واحالتها كلها الي النارية ولم تتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي لممر الكواكب
علي كيفية وخط ما لا يحاذيه علي كيفية اخري وخط المتوسط بينهما كيفية متوسطة فيكون في موضع
شتا دايم يكون فيه الشهوه والفجاحة وفي موضع اخر صيف دايم يوجب الاحتراق وفي موضع اخر ربيع
او خريف لا يتم فيه النضج ولو لم تكن التاثير شديد الافراط عودات مسالته وكان الكوكب يتحرك
بطيا لكان الميل قليل المنفعه وكان التاثير شديد الافراط وكان يعرض قريبا مما لو لم يكن اسرع
حركة من هذه لما كملت هناك المنافع واذا كان هناك مثل حفظ الحركه في جهة ثم ينتقل الي جهة اخري
بمقدار الحاجة وتبقي في كل جهة برهة من الدهر ثم بذلك الجهة عظم تاثير تكملت منفعته فسبحان
الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقدرة الغير المتناهيه **القول السادس** ان السموات والارض
كانتا رتقا بالاستوا والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ونظيره قوله تعالي
والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع واكثر المفسرين اختاروا هذا القول واحتجوا علي ترجيحه
علي سائر الاقوال بقوله تعالي عقيبه وجعلنا من الماء كل شي حي وهذا الكلام لا يليق ذكره بهذه
الموضع الا والمراد ما ذكرناه فان قيل هذا الوجه ضعيف لوجهين • احدهما ان المطر لا ينزل من السما
بل من السحاب والثاني ان بتقدير ان يكون المطر نازلا من السماء لكنه ينزل من السماء الدنيا
لا من كل السموات **والجواب** عن الاول ان السماء مشتق من السمو فكل ما سماك فهو سما
وعن الثاني ان ما اطلق عليه لفظ الجمع لان لكل قطعة منها بها كما يقال ثوب اخلاق وبرمه
اعشار • واعلم ان علي هذا التاويل يجوز حمل قوله اولم ير الذين كفروا علي الابصار فان الناس
يشاهدون الفتاق السحاب بالمطر والارض بالشجر ثم وجه الاستدلال علي وجود الصانع بناء
علي هذا التفسير انك تري الهوي في غاية الصحو ثم انه ينعقد الغيم دفعة وينزل من المطر ما تمتلي به
الاودية العظيمة وتقلع الجبال العظيمه من شدة سيلانها ثم ان نزول ذلك المطر يصير سببا لخروج
هذه الانواع المختلفه من النبات من الارض وكل ذلك يدل علي تقدير الصانع الحكيم المختار جل
جلاله فهذه الاقوال السته المذكوره وان كنا قد بالغنا في تقريرها ولكن هاهنا وجوه اخري يمكن
حمل الايه عليها • **فالاول** ان السموات لو كانت رتقا فما كان احد ينزل من السماء الي الارض
وما كان احد يصعد من الارض الي السماء ثم انه تعالي فتقهما فصارت الملئكه ينزلون من السموات
الي الارض وصار البشر يصعدون من الارض الي السموات اما نزول الملئكة فقال تعالي وما
تتنزل الا بامر ربك وقال تنزل الملئكة بالروح من امره وقال ينزل الملئكه بالروح فيها باذن
ربهم وقال نزل به الروح الامين علي قلبك واما صعود البشر الي السموات فقوله في ادريس ورفعناه
مكانا عليا وقال في عيسى اني متوفيك ورافعك الي وقال في محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب

قوسين أو أدنى **الثاني** كانتا رتقاً ففتقناهما بانزال أنواع الكواكب من السموات العالية
إلى الأرضين المسفلة كما قال والنجم الثاقب قيل انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات
وتارة بصعود الدعوات والتضرعات من الأرضين إلى أعلى السموات كما قال تعالى إليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه **والثالث** ان نحمل هذا الفتق على نزول القضاء والقدر من معاقد
عز على أركان عرشه ومن أركان عرشه إلى أركان السموات ثم إلى بقاع الأرضين ثم قال تعالى تعرج
الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يعرج إليه وتمام الكلام في تحقيق
نزول القضاء والقدر على وجه سيأتي ان شاء الله تعالى في باب تحقيق القضاء والقدر **الفصل**
الثاني في تفسير آية أخرى دالة على مبدأ حدوث السموات قال سبحانه ثم استوى إلى السماء وهي دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين
وأوحى في كل سماء أمرها ونظير هذه الآية قوله تعالى في أول سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الأرض
جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم وفي هذه الآية أبحاث
البحث الأول قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان يدل على أمرين الأول انه يدل حين
استوى الحق سبحانه اليها كانت سماء واحدة ثم قوله فقضاهن سبع سموات يدل على انها صارت
سبع سموات بعد ذلك لان الفاء للتعقيب فصار قوله ثم استوى إلى السماء وهي دخان نظير قوله
في سورة البقرة ثم استوى إلى السماء فصار الفاء في قوله فقضاهن سبع سموات في دلالته على ان
هذا العدد انما حصل بعد ان كانت السموات واحدة نظير الفاء في قوله في سورة البقرة فسواهن سبع
سموات في دلالته على ان هذا العدد انما جاء بعد ان كان الكل واحداً وهو الرتق والفتق الذي
شرحناه في الفصل الأول **الوجه الثاني** ان الآية دالة على ان السموات مخلوقة من الدخان
واعلم ان تخليق السماء من الدخان دال على كمال القدرة ونهاية الحكمة وذلك من وجوه
الأول ان الدخان في غاية الكدورة والظلمة والسموات في غاية الصفاء والنقاء والشفافية والطهارة
اصفى الأشياء صفاء ولطافة من أشد الأشياء كدورة وظلمة من أدل الدلائل على كمال القدرة ونهاية
الحكمة ثم الذي يرشد هذا الكلام تقريراً وايضاحاً ما روي في الخبر انه سبحانه وتعالى خلق جوهرة
ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط الحرارة على ذلك الماء فارتفع منه زبد وعلاه دخان
فخلق الأرض من الزبد والسموات من الدخان ثم ان الزبد يكون في غاية البياض والصفاء والدخان
يكون في غاية الظلمة والكدورة فخلق الأرض الكدرة المظلمة من الزبد الأبيض الشفاف وخلق السموات
الشفافة الصافية من الدخان الكدر المظلم استدلالاً باخراج الضد من الضد على كمال القدرة ونهاية
الحكمة ونظيره قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون والنظير الثاني
لهذا المعنى ان النار نورانية صافية والتراب ظلماني كدر ثم خلق ابليس من النار واغواه في ظلمات
الكفر والضلال وخلق آدم من التراب ورباه بانوار الهداية والارشاد حتى يعرف الانسان ان الكل من الله و
بتقدير الله **الوجه الثاني** ان الدخان مما يعمي العين ويبطل البصر ثم انه تعالى زين السماء الدنيا
بزينة الكواكب وجعلها بحيث ان النظر إلى السماء وإلى الكواكب يزيد في البصر قوة وكمالاً وجعل لون

السماء

السماء وهو الزرقة أنفع الألوان للعين ليعلم الانسان انه هو الذي يقلب الشيء من صفته
إلى ضدها فيعرف به كمال قدرته وحكمته **الوجه الثالث** ان الدخان يكون سريع التفرق
والتلاشي ثم انه تعالى وصف السموات باضداد هذه الصفات فقال وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً
وقال وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وقال أولم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها
الوجه الرابع ان الدخان اذا توسط بين الناظر والمنظور اليه صار حجاباً بينهما ثم انه
تعالى خلق الكواكب النيرة في أجرام الأفلاك وعمق تحتها مع انه لم يصر شيء من أجرام الأفلاك حجاباً
بين تلك الأنوار و[illegible] كل هذه الأحوال تدل على انه سبحانه هو القادر الذي يقلب الأشياء من
الضد إلى الضد فلما قدر على ان يخلق من الدخان الكثيف هذه الأجرام النورانية الباقية المحفوظة
فأي عجب لو أعاد الحيوة إلى هذا البدن مع صيرورته تراباً رميماً واليه الاشارة بقوله تعالى
أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فالخلاق
اشارة إلى كمال القدرة وهي القدرة النافذة في جميع أجزاء الممكنات والمبدعات المستولية على كل الحوادث
المحدثات والكائنات وقوله العليم اشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع الجزئيات والكليات والحاضرات
والغائبات والذوات والصفات والموجودات والمعدومات ولا شك ان مدبر العالم متى كان
موصوفاً بهاتين الصفتين كان كل عسير بالنسبة إلى كمال قدرته يسيراً وكل صعب بالنسبة إلى
عظيم مهارته وجلالته هيناً فتبارك الله رب العالمين خالق الخلق أجمعين **والموضع**
الثاني من المواضع الذي اشتملت هذه الآية عليها في بيان ابتداء تخليق العالم قوله تعالى
فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وللناس في هذه الآية قولان
أحدهما ان هذا الأمر والاجابة محمولان على لسان الحال لا على ظاهر المقال ويدل عليه
وجوه **الأول** ان السموات والأرضين جمادات وأمر الجماد لا يليق بالحكمة **والثاني**
انها بتقدير ان تكون أحياء عاقلة فاهمة لكنها لا تقدر على التصرف في نفسها وفي ذاتها لأن
المتصرف في الشيء متقدم بذاته وصفاته على ذلك التصرف وتقدم الشيء على نفسه محال
فثبت انه يمتنع كونها قادرة على التصرف في نفسها **الثالث** انه سبحانه نص في محكم كتابه
على انه سبحانه هو الخالق لذوات السموات فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ثم بين في آية
أخرى انه خلقها من العدم المحض والنفي الصرف فقال الحمد لله فاطر السموات والأرض ثم بين في
آية أخرى انه سبحانه جعلها سبعاً شداداً فقال وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وبين انه جعلها
سقفاً محفوظاً فقال وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ثم انه سبحانه وتعالى هو الذي رفعها
بغير علاقة ولا دعامة فقال الله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ثم ذكر الله تعالى انه سبحانه
هو الذي وصف جميع أجرام السموات والأرض بجميع صفاتها وأحوالها فقال رفع سمكها
فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها واذا ثبت بهذه الآيات المتأكدة بالبراهين العقلية
ان المدبر والمقدر والمتصرف والخالق الموجد لذوات هذه السموات هو الله سبحانه لم يكن في أمرها
فما فائدة ثم قالوا الأمر والاجابة هاهنا عبارتان عن سرعة نفوذ قدرته ومشيئته بلا مانع

ولا معارض ولا منازع ونظيره قول العرب قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني
فان النبي ورايي ما خلاني وراي وقال سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فالمراد من هذا الامر هو سرعة التكوين وذلك لانه ان امر وهو معدوم فذلك محال وان امره
بعد الوجود فلا يمكن ان يقال للموجود كن موجودا وايضا قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
والمراد به التسبيح بلسان الحال لا التسبيح بلسان المقال فان الجماد ذات لا قدرة لها على النطق
وايضا قال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب وقال والنجم والشجر يسجدان ومعلوم ان سجود الدواب والشجر لا يكون الا
بلسان الحال فكذا هاهنا فهذا تمام الكلام في تقرير هذا القول **والوجه الثاني** انه لا بعد
في قدرة الله تعالى ان يخلق فيها الفهم والعقل ثم امرها وخاطبها فقال للسموات والارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والذي يدل عليه وجوه **الاول** الدلايل التي ذكرناها
من القران والمعقول على ان الحيوانات عارفة بربها واذا لم يستبعد خلق الله العقل والمعرفة لله في
الحيوانات فاي بعد في الخلق الحيوة والفهم في اجرام الافلاك **الثاني** قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل والتجلي لا يكون الا بعد خلق الفهم والادراك **والثالث** قوله تعالى يا جبال اوبي معه
والطير **والرابع** قوله تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم **والخامس** قوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وبالجملة فهذا الاستبعاد زايل عند الاعتراف بكونه
سبحانه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات ومما يدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى قالتا
اتينا طائعين فلو كانت السموات جمادات لكان حق اللغة ان يقال اتينا طائعات فدل قوله
اتينا طائعين على انه تعالى خلق فيهما الفهم والعقل في ذلك الوقت واعلم انا سواء حملنا هذا الامر
والاجابة على لسان الحال او على لسان المقال فذلك يدل على كمال عظمة الله ونهاية كبريائه
وتقديسه وعزه وذلك لان كل ما كان غائبا عن الحس والخيال والعقل فانه لا سبيل الى معرفة
جلاله وعظمته الا بمعرفة عظمة اثار مخلوقاته ولا شك ان السموات والارضين اجسام في
غاية العظم والسعة ولا نهاية لاثارها مع ذلك منقادة لامر الله وتسخيره وقهره وقدرته وتكوينه
وتخليقه وذلك يدل على قدرة لا نهاية لكمالها وحكمة لا غاية لجلالها ونظيره دلايل السموات اجالله
والارضين على كمال عظمة الله قوله تعالى في قصة نوح وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فان
هذا البناء يدل على كون السموات والارض مسخرة في قبضة قدرته وتصريف حكمته الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين **الموضع الثالث** في هذه الاية قوله تعالى فقضاهن
سبع سموات في يومين وفيه سؤالات **السؤال الاول** القضاء هو الالزام وذلك
مشعر بسبق منازعة وقد دلت الاية على انه ما كان فيها منازعة ومدافعة حيث قال
اخبارا عنهما قالتا اتينا طائعين **والجواب الاول** ان القضاء عبارة عن الالزام لكن يجب
ان يعلم ما سوى الله ممكن الوجود لذاته والممكن هو الذي يكون نسبة الوجود والعدم اليه على السوية
واذا استوى الطرفان لم يكن في ذاته اقتضاء ولا استلزام لا للوجود ولا للعدم ثم ان الممكن لذاته

ما لم يجب وجوده لاجل ترجيح مؤثر لم يوجد فقوله سبحانه فقضاهن اشارة الى ذلك الترجيح والالزام
الحاصل بسبب تخليقه وتكوينه وذلك الترجيح هو الالزام لاحد الطرفين لا محالة وعند هذه الدقيقة
تظهر ان كل ما سوى الله فهو من حيث هو هو غير موجود بل وجوده من وجود الحق وبقاؤه من ابقاء
الحق وعدمه من اعدام الحق فاذا تاملت علمت انه لا موجود بالحق الا الحق كما قال تعالى ولا تدع
مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه **السوال الثاني** قال تعالى
فقضاهن سبع سموات ومن الارض مثلهن في يومين واليوم عبارة عن مدة حركة الشمس بحسب
الطلوع والغروب فقبل خلق الفلك يمتنع حصول اليوم **الجواب** المراد مقدار دور الفلك
وذلك لان الحق سبحانه قديم والعالم محدث فتقدم الباري على العالم ليس بسبب دور الفلك
وحركة الشمس والقمر وايضا فالزمان اما ان يكون قديما او حادثا فان كان قديما كان مستمرا
من الازل الى الابد فذلك الاستمرار لا يكون لاجل الزمان والا لزم افتقار كل زمان اخر الى
نهاية وذلك محال فثبت ان نفعل الاستمرار والدوام لا يتوقف على وجود الزمان فان كان
الزمان محدثا كان عدمه مستمرا من الازل الى الابد فلا يكون ذلك الاستمرار موقوفا على وجود
الفلك وحركة الشمس والقمر اذا ثبت هذا نقول الاستمرار هو الذي يسميه المتكلمون بالزمان
المقدر والمدة المفروضة فتلك المدة المفروضة المقدرة هي المشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات
في يومين وهذا الكلام دقيق لا يتم المقصود منه الا بالكشف عن حقيقة الدهر والزمان وذلك
من محارات العقول **السوال الثالث** قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون فبين ان تخليقه وتكوينه لا يحصل الا على هذا الوجه وهذا يناقض قوله تعالى في هذه الاية
فقضاهن سبع سموات في يومين **والجواب** انه تعالى قادر على الايجاد دفعة واحدة
وهو المراد بقوله كن فيكون وقادر ايضا على الايجاد جزءا فجزءا على سبيل التدريج وانه سبحانه فاعل
مختار وفي كل واحد من الوجهين حكم واسرار اما الحكمة في الايجاد على سبيل التدريج هو انه لو حصل
مخلوق فانه كلها دفعة واحدة عينا انه لا يخلق شيء مثلا اشبه ذلك تاثير ما يكون بالطبع وبالعلية
لا بالقدرة والاختيار فان الشمس اذا طلعت حصلت الاضاءة دفعة والسراج اذا احضر حصلت الاضاءة
دفعة والنار اذا احضرت حصل التسخين دفعة والاحراق دفعة فلو حصلت افعاله سبحانه دفعة
واحدة مع ان افعاله سبحانه وتعالى لو حصلت ابدا على سبيل التدريج ولم يحصل شيء منها دفعة
لكان ذلك يوهم العجز والاحتياج في الخالقية الى مدة والة ولما كان الامر كذلك ولا جرم تارة يفعل
ويخلق دفعة لئلا يبقى شبهة العجز والحاجة وتارة على سبيل التدريج لئلا يبقى شبهة انه موجب
بالذات ومؤثر بالطبع فهذا ما وصل اليه هذا العقل المختصر وله سبحانه تحت كل فعل حكمة واسرار
لا يعلمها الا هو **السوال الرابع** لا شك ان العالم الاكبر هو هذا العالم بما فيه من السموات
والارضين والعالم الاصغر هو الانسان ولا شك ان العالم الاكبر اعلى واعظم من العالم الاصغر فان العقل
يدل عليه وكذا القران قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم انه تعالى خلق العالم
في ستة ايام وخلق الاصغر في ستة اشهر فان اقل مدة الحمل ستة اشهر بدليل انه تعالى قال وحمله وفصاله

ثلثون شهرا ثم قال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن فاذا اسقطنا مدة الرضاع وهي اربعة
وعشرون شهرا عن ثلثين شهرا بقي الباقي لمدة الحمل ستة اشهر فما الحكمة في ان جعل مدة تخليق
العالم الاكبر ستة ايام ومدة تخليق العالم الاصغر ستة اشهر والجواب من وجوه **الاول** انا بينا ان
الحكمة قد تقتضي تخليق بعض الاشيا على سبيل التدريج الا انا بينا ان التخليق على سبيل التدريج يوهم
يوهم العجز والحاجة الي المادة اولمدة فالحق سبحانه ازال هذا الاشكال بان خلق العالم الاكبر في ستة
ايام وخلق العالم الاصغر في مدة ستة اشهر ليعلم الخلق ان التخليق على سبيل التدريج ليس لاجل الحاجة والعجز
اذ لو كان الامر كذلك لكان تخليق العالم الاكبر في مدة اطول اولي فسبحان من له تحت كل شي حكمة قدسية
المية **الثاني** قال بعضهم تعالي لما اراد تخليق السموات والارض كان جبريل وميكائيل وساير انده
اكابر الملئكة عقلا مكلفين فخلق الله العالم على تمهل حتى يمكنهم الوقوف على دقايق الحكمة في ذلك التخليق
والثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق العالم على التدريج فاخر عن ذلك حتى يصير ذلك شبهة في تخيل
العجز والحاجة في قدرة الله تعالى وهذا نوع ابتلاء وامتحان كما قال تعالى ليبلوهم ايهم احسن عملا حتى ان الموافق
يعلم ان ذلك التدريج ليس للعجز والحاجة بل للعبرة والحكمة فكان هذا الابتلا سببا لمزيد الثواب في
حق الموافقين والطهار بسبب هذا المعني ان هذه الدار دار الابتلا والامتحان **والرابع** انه سبحانه
بين انه خلق الارض في يومين وخلق كل ما في الارض من الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوانات
في يومين اخرين ثم خلق السموات السبع بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والعجايب والايات
في يومين اخرين والحكمة فيه انه للارض وما فيها الي السموات وما فيها وان الارض في جنب السموات
وما فيها كالقطرة في جنب البحر فلما خلق الارض على صغرها في يومين وخلق السموات على كبرها وغاية
عظمها في يومين عرف ان ذلك التدريج ما كان لاجل العجز والحاجة بل لحكمة بالغة واسرار خفية
يعجز عقول الخلق عن الوقوف عليها **السؤال الخامس** ان قوله سبحانه ثم استوى الى السماء
على ان تخليق السموات متاخر عن تخليق الارض وقوله في سورة النازعات والارض بعد ذلك دحاها
يقتضي ان تخليق الارض وقع بعد تخليق السما وحينئذ يحصل التناقض بين الايتين **الجواب**
الجواب فيه قولان احدهما ان الله خلق الارض اولا ثم خلق السما ثانيا ثم دحى الارض بعد تخليق
السماء لان الدحية عبارة عن البسط وحينئذ يزول التناقض بين الايتين واعلم ان على هذا
القول اشكالين **الاول** ان الارض جسم عظيم فيمتنع انفكاك تخليقها عن الدحية فمتي
فاذا كانت الدحية من لوازم تخليقها ذات الارض ثم ثبت بالنص ان الدحية متاخر عن تخليق السما
لزم ان يكون تخليق الارض متاخرا عن خلق السماء وحينئذ يعود الاشكال **الثاني** ان الايات الاعتبارية
دلت على ان الارض الا زكرة وايضا انه تعالى قال في سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء وهذا يدل على ان خلق الارض وخلق كل ما فيها متقدم على خلق السماء لكن
من المعلوم ان خلق الاشيا في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة فهذه الاية يقتضي تقدم كون الارض
مدحوة على السماء وحينئذ يعود السؤال ومما يؤكد هذا قوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها

وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فهذه الاية تقتضي ان
الله تعالى جعل في الارض رواسي وبارك فيها الخلق الاشجار والثمار وقدر فيها اقواتها الخلق
المرتفع فيها وكل ذلك حصل قبل خلق السموات ومعلوم ان خلق الرواسي والاشجار والزرع لا
يمكن الا بعد تدحية الارض فصارت هذه الاية مع الاية المذكورة في سورة البقرة يدلان على ان تدحية
الارض حصلت قبل تخليق السموات وحينئذ يعود الاشكال وايضا فقوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها يدل على ان اخراج الماء وارسال الجبال
وتخليق المرعي كل ذلك وقع متاخرا عن تخليق السماء والاية الواردة في سجدة صريحة في ان كل
ذلك حصل قبل تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال **القول الثاني** في هذه المسئلة
قول من قال ان السماء مخلوقة قبل الارض واحتجوا عليه بالعقل والنقل اما النقل **فالحجة
الاولى** قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وقد بينا فيما تقدم ان كون الارض مدحوة من
لوازم وجود الارض لانها جسم عظيم والجسم العظيم وان كان كرة الا ان كل قوس منها يكون في
المنظر على الشكل المستقيم فيكون مدحوة لا محالة **الحجة الثانية** قوله تعالى ثم استوى الى
السماء وهي دخان سماها سماء حال الاستواء اليها ثم انه تعالى جعلها بعد ذلك سبعا وهو المراد
من قوله فقضاهن سبع سموات وهذا صريح في انها كانت سماء قبل ذلك ثم صيرها الله تعالى
سبعة بعد ذلك **الحجة الثالثة** قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض فقدم السما
في الذكر على الارض واما المعقول فمن وجوه **الاول** ان السما كالروح والارض كالزوجة والسما
كالغني والارض كالفقير فكان تخليق السما قبل تخليق الارض اليق **الثاني** ان السماء مسكن
الملئكة والارض مسكن البشر والملئكة قبل البشر فكان تخليق مسكنهم قبل تخليق مسكن البشر اولى
بقي ان يقال فما معنى قوله ثم استوى الى السما في سورة البقرة وفي سورة السجدة فنقول فيه وجهان
الاول ان لا يكون المراد من كلمة ثم الترتيب في الوجود بل المراد الترتيب في الذكر كقول الرجل انت كذا وكذا
ثم انت بعدها ويكون المراد الترتيب في الذكر وقال تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الي
قوله ثم كان من الذين امنوا والمراد منه الترتيب في الذكر **والثاني** لعل السبب في تقديم
ذكر الارض على السماء ان هذه الارض اقرب الينا من السماء ولاجل ان السماء اعظم من الارض وانها اعظم
من ايات الارض ولانتقال من الحجة الي الحجة انما يحسن من الادنى الى الاعلى كما انتقل ابرهيم عليه السلام
من قوله يحيي ويميت الي قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب **السؤال
السادس** انه تعالى قال قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ثم قال وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فيكون المجموع ستة ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين
فيكون المجموع ثمانية فظاهر هذه الاية تقتضي انه تعالى خلق السموات والارض في ثمانية ايام
فيكون هذا منافيا لقوله تعالى في ستة ايام **والجواب** ان تخليق الارض حصل
في يومين وتخليق الجبال وغيرها حصل في يومين اخرين فكان المجموع اربعة ايام وهو المراد بقوله
في اربعة ايام سواء للسائلين ثم حصل تخليق السموات في يومين فكان مجموع الايام ستة فقد

هو

خلق السموات والارض في

ازال السؤال والاشكال **الموضع الرابع** في هذه الاية قوله سبحانه واوحي في كل سماء امرها وسنذكره ان شاء الله في باب الملائكة

الفصل الثالث

في الاستدلال بصفات السموات واحوالها الموجودة في هذا الوقت على ان لها صانعا ومدبرا سبحانه وتقدس قال سبحانه ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال في آل عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وقال في اول الانعام الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقال في هذه السورة حكاية عن الخليل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وقال في اول النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقال في اول سبا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وقال في سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض وفي القران من هذا الجنس ايات كثيرة واعلم ان هذا البحث لا يتحصل الا بذكر مسائل **المسئلة الاولى** في تفسير لفظ الخلق بحسب اللغة فنقول المشهور في اللغة ان الخلق عبارة عن التقدير واحتجوا عليه بالقران والشعر والاستعمال اما القران فايات احدها قوله تعالى احسن الخالقين اي المقدرين **الثانية** قوله تعالى لعيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين اي تقدر **الثالثة** انه سمي الكذب خلقا واختلاقا يقال هذا حديث مخلوق ومختلق اي كذب لا اصل له وقال تعالى وتخلقون افكا اي تقدرون كذبا وقال حكاية عن الكفار ان هذا الا اختلاق وقال ان هذا الا خلق الاولين يريد فيه الكذب والسبب في تسمية الكذب بالخلق لان الكاذب يقدر ذلك الكذب في ذهنه ويقدره في خاطره **الرابع** قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فقدم التخليق على التكوين فدل على ان التخليق ليس عبارة عن التكوين لان الشيء لا يتقدم على نفسه بل التخليق عبارة عن التقدير وهو متقدم على التكوين واما الشعر فقول زهير

ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري •

وقال

ولا يئط بايدي الخالقين ولا • ايدي الخوالق الا جيد الادم •

واما الاستشهاد فيقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقول العرب للمقدار المعين من الخلق الخلاق ويقولون هو خليق بكذا اي جدير بكذا اي هذا الشيء على قدر استحقاقه والصخرة الخلقاء الملساء لين الملاسة عبارة عن صيرورة جميع اجزاء الشيء بقدر واحد ومنه اخلق الثوب اذا بلي وصار املس واستوى جميع اجزائه فثبت بهذه الوجوه ان الخلق عبارة عن التقدير وهذا الذي قلناه هو قول جمهور المعتزلة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فقال ابو عبد الله البصري منهم اطلاق اسم الخالق على الله تعالى محال في الحقيقة لان التقدير عبارة عن الفكر والظن والحسبان وذلك في حق الله تعالى محال وقال تلميذه القاضي عبد الجبار بن احمد التقدير عبارة عن العلم بعواقب الشيء وهذا المعنى حاصل في حق العبد وفي حق الله تعالى اما في حق العبد فانه قد يحصل له هذا العلم بناء على الامارات اللائحة الواضحة بسبب الفكر والروية واما في حق الله تعالى

سورة ص

فلا شك في حصوله واذا كان الامر كذلك كان اطلاق لفظ الخالق على الله وعلى العبد على سبيل الحقيقة واما اصحابنا من اهل السنة والجماعة فقد قالوا الخلق حقيقة في الايجاد والابداع والاختراع والذي يدل على ذلك وجوه **الاول** قوله تعالى في سورة الفرقان وخلق كل شيء فقدره تقديرا ولو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار تقديره الاية وقدر كل شيء تقديرا ولو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار تقدير الاية وقدر كل شيء تقديرا ومعلوم انه تكرير من غير فائدة واما اذا حملنا الخالق على الايجاد حصل التكرار وانتظم الكلام **الحجة الثانية** قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر ولو كان الخلق هو التقدير لكان قولنا خلقناه بقدر تكريرا من غير فائدة **الحجة الثالثة** اجماع سلف الامة على انه لا خالق الا الله وايضا قوله تعالى هو الله الخالق البارئ يقتضي انه لا تحصل هذه الصفات الا له سبحانه كما اذا قلت زيد هو العالم فانه يقتضي حصر هذا الوصف فيه فاذا ثبت انه لا خالق الا الله وثبت ان غير الله مصور ومقدر علمنا ان اصل الخلق ليس عبارة عن التقدير واما الجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها فنقول الوجوه الذي ذكرتم على استعمال لفظ الخلق بمعنى التقدير والوجوه التي ذكرنا تدل على استعمال لفظ الخلق في غير معنى التقدير بل في معنى الابداع والايجاد فنقول لابد من جعله حقيقة في احدهما مجازا في الاخر فيقول من فرض شيئا وقدره مع ان ذلك الشيء معدوم فكانه يريد ان يجعله مجرى الوجود فكان هذا شبيها بالايجاد والابداع ولاجل هذه المشابهة اطلق لفظ الخلق على التقدير • **المسئلة الثانية** اختلفوا في ان الخلق نفس المخلوق او غيره وقال جماعة من المتكلمين الخلق غير المخلوق ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** اجتمعت الامة على انه سبحانه خالق والخالق من كان موصوفا بالخلق فالله تعالى موصوف بالخلق وغير موصوف بالمخلوق باتفاق العقلاء فعلمنا ان الخلق غير المخلوق **الحجة الثانية** اذا خطر ببال العاقل ان هذا الشيء يمكن ان يوجد ويمكن ان يبقى على العدم قضى العقل بانه لا يمكن دخوله في الوجود الا عند وجود تخليق خالق قادر وقد علمنا وجود المخلوق بالتخليق وحصول المكون بالتكوين والايجاد فلو كان الخلق والتكوين والايجاد عبارة عن وجود المخلوق لكان قولنا المخلوق انما وجد بسبب الخالق جاريا مجرى قولنا الخلوق انما وجد لذاته لا لانه مخلوق وذلك يوجب استغناء هذا عن الخالق ووقوعه بذاته وكل ذلك محال **الحجة الرابعة** انا قد نعقل وجود المخلوق وذاته ونعقل وجود ذلك الخالق وذاته مع الشك في كون ذلك الشيء خالقا لهذا الشيء فيكون هذا الشيء مخلوقا لذلك الشيء والمشكوك فيه مغاير للمعلوم وكون هذا الشيء خالقا لذلك الشيء لابد ان يكون امرا زائدا على ذات الخالق وذات المخلوق وهذا يفيد القطع بان الخلق غير المخلوق وقال جمهور المتكلمين الخلق يمتنع ان يكون مغايرا للمخلوق ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الخلق ان كان قديما لزم من قدمه قدم المخلوق وان كان حادثا افتقر الى خلق اخر ولزم التسلسل **الحجة الثانية** ان الخلق ان كان محدثا افتقر الى خلق اخر وان كان قديما كان من لوازم ذات الباري ولا يكون ثبوته واقعا بقدرة الباري واختياره ثم ان الخلق مستلزم وجود المخلوق لانه لا يتصور في العقل حصول الخلق مع انه لا يترتب عليه وجود المخلوق اصلا

الحجة الاولى صـ

فقد ٧٧

اذا ثبت هذا فنقول ذاته تعالى مستلزمة للخلق والخلق مستلزم للمخلوق ومستلزم المستلزم مستلزم
فذات الله تعالى مستلزم لوجود المخلوق فلا يكون وقوع المخلوق باختيار الله ومشيته بل يكون
ذاته تعالى موجبه لوقوع المخلوقات وحينئذ تكون ذاته موجبة بالذات لا فاعلة بالاختيار وهو
باطل **الحجة الثالثة** ان المراد من القدره الصفه المؤثره والمراد من الارادة الصفه المرجحه
واذا حصل مجموع القدره والاراده فقد حصل تمام المؤثر واما وقوع المخلوق فهو الاثر فيمتنع ان يحصل
بين المؤثر المستقل التام وبين الاثر واسطه فها هنا مجموع الاراده والقدره وها هنا الاثر الحاصل
منهما واذا كان الامر كذلك بطل القول بان الخلق صفة زايدة على القدرة والاراده وهو المطلوب
الحجة الرابعة ان قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب والتي يمكن جعله ايات ودلايل على الله سبحانه وتعالى هو هذه المخلوقات لا
الصفه القائمه بذات الله تعالى فعلمنا ان المراد من قوله ان في خلق السموات والارض هو هذه
المخلوقات وكيفية تقديرها بالصفات المخصوصة وبالاحوال المخصوصة **المسئلة الخامسه**
اعلم ان الاستدلال بالسموات على وجود الصانع سبحانه وتعالى يقع على وجوه **الاول**
الاستدلال بمقادير هذه الافلاك فانها مع اشتراكها في الطبيعة الفلكيه اختص كل فلك
منها بثخن معين وضخامه معينه مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على ازيد من ذلك المقدار والنقص
منه بذره فلما اختص كل واحد منهما بمقداره الخاص مع ان المقادير باسرها على السويه قضى العقل
بافتقار هذا المقدار المعين الى مخصص ومرجح وذلك هو الله تعالى واعلم ان الذي الوجوه بقوله
ان في خلق السموات والارض هذا الوجه لانا ذكرنا ان اطلاق لفظ الخلق على المقدار اطلاق
مشهور متعارف واعلم ان الذي ساعدنا على ان لفظ الخلق في اللغه عبارة عن التقدير لكنا نقول انما
صار لفظ الخلق مخصوصا بفعل الله تعالى لان افعاله واقعه على وفق علمه ومشيته من غير زياده
ولا نقصان فلما كان هذا المعنى لا يحصل في فعل غير الله لا جرم لا يصح استعمال لفظ الخلق الا في
فعل الله تعالى **النوع الثاني** من الاستدلال على كون بعض الافلاك اعلى وبعضها
اسفل وهذا في الجمله معلوم الا ان اهل علم الهيئة قالوا اقرب الكواكب الينا القمر ثم عطارد ثم
الزهره ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ثم الكواكب الثابته وذكروا في معرفة هذا الترتيب
ثلثه اوجه **الاول** السير وذلك لان الكوكب الاسفل اذا مر بين ابصارنا وبين الكوكب
الاعلى فانهما يصيران مثل كوكب واحد في الرويه ويتميز السائر عن المستور بلونه الغالب عليه كصفرة
عطارد وبياض الزهره وحمرة المريخ ودرية المشتري وكمودة زحل ثم ان القدما وجدوا القمر
يكسف الكواكب الثابته ويكسف الثابته التي في طريقه في ممر البروج وكوكب عطارد يكسف
الزهره والزهره تكسف المريخ والمريخ يكسف المشتري والمشتري يكسف زحل وزحل يكسف
الكواكب الثابته التي تكون في ممره فعرفوا هذا الترتيب بهذا الطريق الا انه بقي الاشكال بين
وجوه **الاول** ان الشمس تحجب في نورها ما هو اعلى منها وما هو اسفل منها وحينئذ لا يمكن ان
يعلم بهذا الطريق موضع الشمس **والثاني** هب ان هذه السيارات تكسف الثوابت التي على

ممرها لكن لا تكسف الثوابت التي لا تكون في جانب القطبين فلم لا يجوز وجود كرة اخرى تحت كرة
القمر يكون هذه الثوابت مركوزة فيها وتكون حركة هذه الكره مشابهة لحركة الثوابت وعلى هذا
الطريق لا يختلف اوضاع الثوابت البته فبهذا الاعتراف ثبت ظهر ضعف عقولهم في معرفة هذا
الترتيب الا ان وجه الاستدلال بها على الصانع المختار لا يختلف على جميع الاحتمالات وذلك
لان كل فلك فانه مماس بمحدبه فلكا اخر فوقه وبمقعره فلكا اخر تحته وذلك الفلك متشابه
الاجزاء متشابه الجوانب فكل ما يصح على احد جانبيه وجب ان يصح على الجانب الاخر منه فالفلك الفوقاني
الذي لقيه بمحدبه صح ان يلقاه بمقعره والفلك التحتاني الذي لقيه بمقعره صح ان يلقاه بمحدبه ومتى كان
الامر كذلك ثبت انه يصح ان يحصل الفلك الاعلى في الفلك الاسفل والفلك الاسفل في الاعلى ومتى
كانت كل هذه الاحتمالات جايزة امتنع اختصاص كل واحد من الافلاك بحيزه الذي هو فيه وموضعه
الذي هو فيه الا بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وتكوين قادر حكيم عالم وهو الله سبحانه
وتعالى **النوع الثالث** من الاستدلال باحوال الفلك ان كل كوكب حصل في فلك
فانه حصل في نقرة معينة حصلت في جانب معين من ذلك الفلك ثم ان القوم اتفقوا على ان الفلك
بسيط غير مركب والجسم البسيط هو الذي تكون له طبيعه واحدة متشابهه فلما امكن حصول
تلك النقره في ذلك الجانب من الفلك امكن حصولها في ساير جوانب ذلك الفلك وكما امكن حصول
الاتصال في ساير جوانب الفلك امكن حصوله في ذلك الموضع الذي حصلت النقره فيه واذا ثبت
ذلك ظهر ان الاجتماع والافتراق والاتصال والانفصال جايز على ان جميع اجزا الفلك كان
كل واحد منهما بدلا عن الاخر واذا كان الامر كذلك كان حصول النقره في احد جوانب الفلك
وحصول الاتصال في ساير جوانب ذلك الفلك امرا جايزا فلا يمكن حصوله الا بمرجح ومخصص
ومدبر قادر مختار وذلك هو المطلوب **النوع الرابع** من الاستدلال باحوال الافلاك
هو ان كل كرة من كرات الافلاك فانها تدور على قطبين معينين واذا كان الافلاك متشابهة الاجزا
كان جميع نقطه المفروضه عليها متساويه جميع الدوائر المفروضه عليها متساويه ايضا واختصاص
النقطتين المعينتين بالقطبيه دون ساير النقط مع استوايها في جميع الماهيه والحقيقه يكون امرا
جايزا فيقضي العقل بافتقاره الى المرجح المريد القادر المختار **النوع الخامس** من الاستدلال
ان الاجرام الفلكيه مع تشابهها في الجسميه وقبول الاعراض اختص كل واحد منها بنوع معين من
الحركه في البطو والسرعه وانظر الى الفلك الاعظم مع نهاية اتساعه وعظمته يدور في كل يوم وليلة
دورة تامة والفلك الثامن هو اصغر منه لا يدور دورة منه الا في ستة وثلاثين الف سنة على قول
القدما وفي اربعة وعشرين الف سنة على قول المتاخرين ثم الفلك السابع الذي تحته يدور في ثلثين
سنه دورة تامه واختصاص الفلك الاعظم بتلك السرعه الشديدة والفلك الثامن بذلك
البطو العظيم امر على خلاف العقل فانه كان ينبغي ان يكون الاوسع ابطا حركة والاصغر اسرع حركة
فوقوعه على هذا الوجه يدل على انه بسبب تقدير العزيز العليم القادر الحكيم سبحانه وتعالى
النوع السادس من الاستدلال ان الفلك الذي يسمونه بالممثل اذا انفصل عنه الفلك الخارج

المركز بقي على مذهبهم سنه متهمان احدهما من الداخل والاخر من الخارج وانه حرم متشابهة الطبيعه ثم اختص احد جوانب هذا الجسم بغاية الثخن والاخر بغاية الدقة والثخن واذا كان كذلك وجب ان يكون ذلك الثخن والرقه بالنسبه الي طبيعة ذلك الجسم على السويه فاختصاص احد الجانبين بالرقه والاخر بالثخن يدل على القادر المختار **النوع السابع** من الاستدلال انها مختلفة من جهات الحركات فبعضها من المشرق وبعضها من المغرب وبعضها شمالية وبعضها جنوبيه مع ان جميع الجهات بالنسبه اليها على السويه فاختصاص كل واحد منها بجهته المعينة لابد ان تكون تخصيص القادر المختار واليه الاشارة في قوله سبحانه وتعالى كل في فلك يسبحون **النوع الثامن** من الاستدلال انا نشاهد هذه الافلاك الان متحركه فاما ان يقال انها كانت متحركه في الازل او ما كانت متحركة في الازل اما لانها ما كانت موجودة في الازل او لانها وان كانت موجوده في الازل الا انها ما كانت متحركة في الازل والقسم الاول محال لان ماهية الحركة عبارة عن الانتقال من حالة الي حالة اخرى فهذا الانتقال لا محالة يكون مسبوقا بالمنتقل عنه فحقيقة الحركه يقتضي لماهيتها ان تكون مسبوقة بالغير وحقيقة الازل ينافي المسبوقيه بالغير والجمع بين الحركه وبين الازل محال ولما بطل هذا القسم الاول ثبت انه لا حركة في الازل سوا قلنا ذوات الافلاك كانت موجودة في الازل ساكنه او قلنا بانها كانت معدومة في الازل فعلى القولين لابد من الاعتراف بالمختار القادر الحكيم لانا ان قلنا انها كانت موجودة او كانت ساكنه ثم تحركت فيما لا يزال فلا بد من قادر حكيم مختار حركه بعد ان كان ساكنا وان قلنا بانه كان معدوما في الازل فلابد ايضا من قادر حكيم مختار اوجده فيما لا يزال بعد ان كان معدوما في الازل فثبت ان على كل القسمين لابد من الاعتراف باثبات اله العالم قادر مختار وهذا الماخذ احسن الماخذ واقواها واجلاها **النوع التاسع** ان حركات هذه الافلاك اما ان تكون من لوازم جسميتها او لا تكون كذلك والاول باطل لان كل ما كان من لوازم الشي امتنع زواله مع بقا ذلك الشي لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم لكنا نرى ان جسمية كل واحد من الافلاك قد ينفك عن كل واحد من الاجزا المفترضه في الحركات فاذا كل واحد من اجزاء تلك الحركات ليس من لوازم جسميته وليس ايضا من لوازم صورته المعينه وطبيعته المعينه ولا عاد المحال المذكور لان تلك الطبيعة والصورة باقية وكل واحد من اجزاء تلك الحركه غير باقي فاذا الكل واحد من الاجزا المفترضه في تلك الحركات مدبر ومقدر فمحرك الافلاك والثوابت والسيارات هو الله سبحانه **النوع العاشر** ان هذا الترتيب العجيب في تركيب هذه الافلاك وايتلاف اجزائها واتساق حركاتها الي نظم موافق لمصلحة هذا العالم لا يتاتى بالعبث والاتفاق ولا ياتي من الطبيعه الجاهليه بل من صرايح الاذهان ودراية الافكار ناطقة بان ذلك لا ياتي الا من القادر الحكيم اما لانه لا يعقل اسنادها الى العبث والانحراف فلان من حور في ساريع وقصر مشيد ان التراب والما انضم احدهما الي الاخر ثم تولد منها اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد وبنا عالي وكل ذلك حصل من غير تدبير مدبر وتقدير مقدر فانه يقضي على مجوز هذا بالجنون ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب النيرة والحركات المختلفة

وما حصل لها من البقا والصفا ليس اقل من ذلك ابدا فثبت ان القول بوقوع هذه السموات والكواكب على وجه العبث والجزاف محال ثم عند هذا لا يخلو اما ان يقال انها تتحرك بانفسها على سبيل الطبيعه او على سبيل الاختيار او لاجل ان محركا حركها والاول باطل لان كل جسم متحرك بالطبع عن شي فانه لا يتحرك بغير تلك الطبيعه الى غير ذلك الشي لان المهروب بالطبع لا يكون مطلوبا بالطبع والحركه المستديره بكل حركة وقعت هربا عن نقطه فان عين ذلك الهارب لا يكون عين تلك النقطه فعلمنا ان حركات تلك الافلاك ليست طبيعه وهي ايضا ليس اراديه وذلك لان حركاتها اما ان تكون لغرض ممكن الحصول او ليس كذلك فان كان الاول لزم وقوف هذه الحركات وانتهاؤها الى السكون لان كل حركة كانت لطلب مقصود فعند حصول ذلك المقصود وجب انقطاع تلك الحركه وان كانت تلك الحركه لاجل غرض غير ممكن الحصول كانت تلك الحركه عبثا والعبث لا يكون دايما ولا اكثريا ولما بطل القسمان علمنا ان حركاتها ليست الا لاجل المدبر والمقدر القاهر القادر العالم بالاسرار والخفيات المطلع على الكليات والجزئيات يحركها على وفق مشيته ومقتضى قدرته وليس عندنا الا الايمان بها على سبيل الاجمال على ما قال ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار **النوع الحادي عشر** من الاستدلال باحوال السموات انا نراها مختلفة في الالوان مثل ثخن القمر وصفرة عطارد وبياض الزهرة وضوء الشمس وحمرة المريخ ودرية المشتري وكمودة زحل ولكل خاص وجانب من الفلك خاص وايضا فهي عند المنجمين مختلفة بالسعودة والنحوسة والذكورة والانوثة والنهارية والليلية فيرى ان زحل الذي هو ارفع السيارات نحسا والمشتري وهو دونه سعدا والشمس وهي سلطان الكواكب سعد في بعض الاتصالات نحس في بعضها وانها مختلفة في البيوت والحدود والوجوه والمثلثات احسا ما فلكية شفافة نورانية مصونة عن الكون والفساد والتغير والاختلال فقضي صريح العقل بافتقارها الى مدبر يدبرها وقادر يخصص كل واحد منهما بصفته المعلومة وخاصته المعينة **النوع الثاني عشر** ان هذه الكواكب لو كان لها تاثير في هذا العالم فهي اما ان تكون متساعدة متفاوته او لا متدافعة فان كانت متدافعة فاما ان يكون بعضها اقوى من البعض او متساويه في القوة فان كان بعضها اقوى من بعض كان القوي غالبا والضعيف يكون مغلوبا ابدا فوجب ان يستمر احوال هذا العالم على طبيعة ذلك الكوكب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فان قيل لم لا يجوز ان تختلف اثار الكواكب بسبب اختلاف طبايع البروج قلنا لو كانت طبايع البروج مختلفه لكان الفلك جسما مركبا لا بسيطا وقد ثبت عندهم فساد ذلك واما ان كانت متساويه في القوة مع انها متدافعه فحينئذ لا تحصل الفعل عن شي منها اصلا فتكون الافعال الظاهرة في هذا العالم مستنده الى شي غيرها فيكون مدبر هذا العالم ذلك الغير لا هذه الكواكب اما ان قيل هذه الكواكب معا ونلتزم ايضا بقا احوال العالم على نسق واحد من غير تغير اصلا واما ان قيل انها تارة متعاونة وتارة متدافعة كان انتقالها من الحب الى البغض ومن المعاونة الى الممانعة بعد الحصول لها في صفاتها ولا بد لذلك التغير من مغير ومدبر فتكون

فتكون الكواكب باسرها مفتقرة في حصول صفاتها وحدوث احوالها الي مدبر قاهر وذلك هو الله سبحانه **النوع الثالث عشر** ان هذه السموات والكواكب اجسام وكل جسم مركب من الاجزاء لان كل جسم فهو قابل للقسمة الوهمية وكل ما قبل القسمة الوهمية كانت ذاته مركبة من تلك الاجزاء التي كل واحد منها متميز عن الاخر في الاشارة الحسية وكل ما كان مركبا فانه مفتقر في الحقيقة الي كل واحد من اجزائه فكل واحد من اجزاء الشي غيره فكل مركب مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محتاج الي المؤثر فكل ما يحتاج في وجوده الى المؤثر فاحتياجه الي المؤثر اما ان يكون حال بقائه او حال حدوثه او حال عدمه ويمتنع ان يحتاج الي الموجد حال بقائه لان ذلك يقتضي ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وهو محال فلم يبق الا ان يكون الحاجة اما زمان الحدوث او زمان العدم وعلى كل التقديرين كان كل محتاج الي المؤثر محدثا فثبت ان هذه الكواكب والسموات باسرها ممتنعة الوجود لذواتها محتاجة في وجودها الي المؤثر فكانت محدثة مسبوقة بالعدم **النوع الرابع عشر** في الاستدلال بسرعة حركة هذه الكواكب مع غاية عظمها وذلك لان اصغر كوكب يرى هو مثل الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض واما الشمس فهي مثل الارض مائة واربعة وستين مرة ثم انك ترى الكوكب في طلوعه في لحظة يسيرة وذلك لان الزمان من طلوع اول جزء من الكواكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة وعشرين مرة فقد دار الفلك في تلك اللحظة اللطيفة مثل الارض مائة وعشرين مرة وانظر كيف عبر جبرئيل صلى الله عليه وسلم عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال الرسول كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا الي ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم جسمها ثم الي خفة حركتها ثم انتقل منها الى قدرة فاطرها وباريها كيف خلقها على عظم جرمها ثم حركها هذه الحركة الخفيفة السريعة ثم امسكها في الهوا من غير عمد ترونها

النوع الخامس عشر في الاستدلال به بهذه الاجسام ان الاجسام متساوية في الجسمية بدليل انه يصح تقسيم الجسم الى الفلك والى العنصر والى الكثيف والى اللطيف والى الحار والي البارد والي الرطب والي اليابس ومورد التقسيم مشترك بين كل الاقسام فالجسمية قدر مشترك بين كل هذه الاقسام والامور المتماثلة في تمام الماهية تكون متساوية في قبول الصفات والاعراض فاذا ثبت ان كل ما يصح على جسم فهو صحيح على ساير الاجسام فاذا اختصاص كل جسم بما هو مختص به من المقدار والوضع والشكل والطبع لا بد وان يكون من الجايزات وذلك يقضي عليها بالافتقار الي الصانع القديم الحكيم المختار جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا اله غيره فهذه هي الوجوه التي وصلت عقولنا الضعيفة اليها وهي باسرها داخلة تحت قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب

الفصل الرابع في تعديد صفات السموات والاستدلال بكل واحد من تلك الصفات على وجود

والارض

الاله القادر الحكيم **الصفة الاولى** بقاؤها في جو الهوا معلقة وقد سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا اخبر الله في هذه الاية انه سبحانه هو الذي يمسك السموات والارض عن الزوال والانتقال فيحتاج اولا الي بيان ان السموات والارض غير زائلة عن مواضعها ومقامها ثم الي بيان ان ذلك الممسك هو الله تعالى فنقيس ذلك في الارض ثم في السماء اما الارض فمن الناس من قال انها هاوية بطبعها ابدا في الخلا الذي لا نهاية له من جهة السفل ومنهم من قال الفلك واقف والارض هي التي تتحرك كل يوم وليلة دورة تامة وسبب طلوع الشمس والقمر والكواكب هو استدارة الارض تدل على انها غير هابطة وانها لو كانت كذلك لكان كل من طفر من موضع عال الي الارض وجب ان لا يصل اليها لان كل شيين ينزلان من الاعلى الي الاسفل واحدهما اخف من الاخر فان الاخف لا يدرك الاثقل وانما قلنا انها غير مستديرة بانها لو كانت كذلك لكانت حركتها في غاية السرعة فكان يتموج الهوى المحيط بها تموجا شديدا فكان يجب ان يكون تموج ذلك الهوى مانعا للانسان من ان يتحرك الي خلاف تلك الجهة ومعلوم ان ذلك باطل ولما بطل هذان القسمان ثبت ان الارض واقفة واما السموات فهي ايضا مستقرة في احيانها وغير خارجة منها والدليل عليه انها لو خرجت عن مواضعها فاما ان تنزل او تصعد فان نزلت مع فلك الارض واقفة صارت السما كل يوم اقرب الينا فكان يجب ان نرى كل يوم الكواكب اعظم وان نرى السما اقل مما رايناه بالامس وان قلنا بان السماء تصعد لزم ضد ما ذكرناه ولما كان كل ذلك باطلا علمنا ان السموات والارض مستقرة في مواضعها مستمرة في احيانها اذا ثبت هذا نقول ممسكها هو الله اما الارض فنقول للناس في سبب سكونها اقوال **الاول** ان الارض لا نهاية لها من جانب السفل واذا كان كذلك لم يكن لها مهبط فلا جرم لم تنزل وهذا فاسد من وجهين **الاول** ثبت بالدليل ان الاجسام متناهية **الثاني** ان الارض طبيعتها واحدة فاختصاص احد وجهيها بالتناهي والوجه الاخر بعدم التناهي فلا بد ان يكون التخصيص بمخصص وتقدير قادر **القول الثاني** قول من سلم ان الارض متناهية من جميع الجوانب والقائلون هذا القول ذكروا في سبب سكون الارض وجوها **الاول** قالوا الارض كنصف كرة وتحدبها هو الجانب الذي يلينا واما سطحها الاسفل فهو سطح مستقيم موضوع على الماء والهوى ومن شان الثقيل المنبسط ان لا يغوص في الماء بل يبقى واقفا عليه وهذا باطل من وجهين **الاول** ان البحث يعود في علة وقوف الماء والهوى تحت الارض **الثاني** لم صار احد وجهي الارض محدبا والثاني مستقيما مع تساوي الماهية بل لا يعقل هذا الا بسبب الماهية الفاعل المختار **القول الثالث** الذين قالوا سبب وقوف الارض جذب الفلك لها من الجوانب فبقيت في الوسط وهو ايضا باطل من وجهين **الاول** ان المدرة التي على وجه الارض اقرب الي هذا الجانب من الفلك فوجب ان تنجذب الى هذا الجانب من الفلك **الثاني** ان المدرة المقذوفة الي فوق وجب ان تنجذب الى الفلك وان لا تعود **القول الرابع**

سببُ وقوف الأرض دفع الفلك إليها من كل الجوانب كما إذا جعل كف من التراب في قنينة ثم أديرت
القنينة على قطبيها إدارة سريعة وقف التراب في وسط القارورة لتساوي الدفع من كل الجوانب
وهذا باطل من وجوه خمسة **الأول** لو بلغ قوة الدفع إلى هذا الحد فلم لا يحس بها الواحد منا **الثاني**
ما بال هذا الدفع لم يجعل حركة السحاب والرياح إلى جهة بعينها **الثالث** ما بال هذا الدفع
لم يجعل انتقالنا إلى الجهة الموافقة لحركة الفلك أسهل وضد تلك الحركة أصعب **الرابع** يجب
أن يكون الثقيل كلما كان أعظم أن يكون حركته أبطأ لأن اندفاع المدفوع الأعظم من الدافع
القاسر أبطأ **الخامس** يجب أن تكون حركة الثقيل النازل من الابتداء أسرع منها عند
الانتهاء لأنه أبعد من الفلك والأبعد من تأثيره **القول الخامس** الأرض تطلب الأوسط من
الفلك بالطبع وهو قول أرسطاطاليس وهو ضعيف لأن الأجسام متساوية فاختصاص بعضها
بالصفة التي لأجلها تطلب وسط العالم يكون أمرًا جائزًا فيحتاج إلى تخصيص الفاعل المختار
القول السادس الفلك كرة إذا استدار على ما في حشوه عرض ما هو في غاية القرب من
الفلك أن يسخن فيصير نارًا وما هو في غاية البعد عن الفلك أن يبقى على البرد والكثافة واليبس فيكون
أرضًا ثم الذي يقرب من النار يكون لا محالة ألطف مما يقرب من الأرض فصار الملاصق للنار
هوى والملاصق للأرض ماء فلهذا السبب حصلت العناصر على هذا الترتيب وهذا أيضًا ضعيف
لأن الكلام يعود في أنه لم حصل بعض الأجسام ملاصقًا للفلك وبعضها في غاية البعد عن الفلك
حتى صار القريب نارًا والبعيد أرضًا **القول السابع** قال بعض المحققين النصف الأسفل
من الأرض فيه اعتمادات صاعدة والنصف الأعلى فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع بين الاعتمادين
المتضادين فلزم الوقوف وهذا أيضًا ضعيف لأنا نقول ولم اختص ذلك الوجه بالاعتماد الصاعد وهذا
الوجه بالاعتماد النازل ولا يمكن أن يذكر فيه سبب إلا الفاعل المختار ولما بطلت هذه الأقاويل
ولم يبق إلا أن يقال بقاء الأرض والسموات في مواضعها ومقارها وأحيازها ليس إلا بالله سبحانه
ثبت أن ممسك السموات والأرضين هو الله سبحانه وتقرير الكلام على الوجه البرهاني يعود إلى ما
تقدم من أن الأجسام متساوية في الجسمية واختصاص كل واحد منها بخصوصية يمكن أن يكون شيء
من ذواتها ولا لشيء من لوازم ذواتها وإلا لزم التسلسل بل لا بد أن يكون أمرًا جائزًا فيكون تخصيص المخصص
الذي هو القادر المختار فصار قوله سبحانه إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا مؤكدًا لهذه
البراهين العقلية القطعية وإذا عرفت هذا البرهان فلنرجع إلى البيان الإقناعي الذي يصل إليه
كل فهم فنقول لا شك أن السما فوق الهوى وهو محسوس ولا شك أن الأرض فوق الماء بدليل أنك
لا تحفر موضعًا إلا خرج الماء منه وألطف الأجسام الثقيلة كالبحار والجبال موضوعة على الماء أيضًا
ولا شك أن كل واحد من النجوم أعظم من الأرض بدرجات وأثقل منها بكثير فإذا شاهدنا أن أصغر
جزء من الأرض لا يستقر على وجه الماء ثم علمنا أن كل الأرض مستقرة على وجه الماء علمنا أن ذلك
لا يكون إلا بإمساك الله ثم الهوى ألطف من الماء ولا يستقر فيه أصغر الأجزاء الثقيلة ثم إن السموات
والكواكب مع ما فيها من الثقل العظيم والعظمة العظيمة استقرت في الهوى علمنا أن ذلك لا يكون إلا

بامساك الله

بإمساك الله سبحانه فظهر أنه ليس استقرار الأرض في حيزها ولا استقرار السموات في مواضعها
إلا بقدرة قادر وعلم عالم وحكمة حكيم هو أقدر القادرين وأحكم الحاكمين تنزهت عظمته من
علائق العقول البشرية وتقدس جلاله وكبرياؤه عن حوادث الأفكار الإنسانية بقي هاهنا
سؤالات **السؤال الأول** ما معنى قوله تعالى ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده
الجواب قال الفراء المعنى لو زالتا ما أمسكهما من أحد من بعده وهي كقوله إن أنت إلا نذير أي ما
أنت إلا نذير **السؤال الثاني** ما الفائدة في قوله إن زالتا وهما لا يزولان إلى يوم
القيمة **الجواب** من وجوه **الأول** عدم الوقوع لا ينافي صدق قولنا لو وقع كيف يكون
كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا **الثاني** المعنى لو زالتا حين حكمت بالزوال يوم القيمة
فمن ذا الذي يمسكهما عن ذلك الزوال **الثالث** أي لو زالتا بسبب كفركم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا
على ما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا
السؤال الثالث ما الحكمة في ختم هذه الآية بقوله إنه كان حليمًا غفورًا والجواب
يحتمل أن يكون تقدير الآية ولئن زالتا وحل العذاب باستعجالكم فمن المانع لولا أن الله حليم
غفور **الصفة الثانية** للسموات الرفعة قال الله تعالى الله الذي رفع السموات بغير
عمد ترونها وتقرير هذا المعنى أن جميع العالمين عاجزون على رفع شيء ثقيل في الهوا إلا بأحد
الطريقين إما بأن يكون تحته شيء يستقر عليه أو بأن يكون فوقه شيء معلق هو عليه ولا شك أن العالم
متناهي من فوقه ومن تحته فليس لجميع الأجسام شيء (وليس تحت جميع)
الأجسام جسم حتى يستقر هو عليه وإذا عجز كل الخلائق عن رفع شيء ثقيل إلا بأحد هذين الطريقين وثبت
أن كل العالم بما فيه من العرش والكرسي والسموات والكواكب والبحار والجبال معلقة من غير علاقة
فوقها ولا قرار تحتها لم يكن بد من الإقرار بقادر حكيم أقوى من جميع هذه الأجسام وأقدر
منها حتى يمسكها بقدرته ويحفظها بالهيبة ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وفي الآية
سؤالات **السؤال الأول** أنه تعالى قال بغير عمد ترونها فهذا يوهم أن هناك عمدًا
لا ترونها والجواب من وجوه **الأول** لو قال بغير عمد لكان خطابك كذلك بغير عمد وهو إمساك الله
سبحانه كما قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا إلا أن إمساك الله وحفظه عماد لا يرى
فلهذا السبب قال بغير عمد ترونها **الثاني** عن الحسن وقتادة معنى الآية الله الذي رفع
السموات بغير عمد وأنتم ترون أنه رفعها بغير عمد **الثالث** قال في صفة العرش ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية فهاهنا يحتمل أن يكون للسموات ملائكة يحملونها هذا محتملًا فلا جرم
ما نفى العمد مطلقًا بل نفى عمدًا مشاهدة ثم إلا أن نسبنا حمل العرش والسموات إلى الملائكة فمن ذا الذي
يحمل الملائكة مع هذا الحمل العظيم إلا قدرة الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٥
السؤال الثاني الرفع مشعر بأنها كانت موضوعة في السفل فنقلها الله من السفل إلى العلو
فهل الأمر كذلك والجواب في لفظ الرفع في هذه الآية قولان أحدهما أنه عبارة عن الإنشاء على صفة الارتفاع
لا أنها كانت موضوعة ثم رفعها نظيره قوله تعالى والأرض وضعها للأنام أي خلقها موضوعة للأنام

لانها كانت مرفوعة فوضعها **والقول الثاني** ان السموات والارض كانتا رتقا شيئا
واحدا ففتق الله بينهما ورفع السموات على ما شرحناه **الصفة الثالثة** للسموات
قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولما آل الامر الى آدم عليه
السلام قال لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فالسموات في آخر الامر تكون في امر الله تعالى
وآدم عليه السلام في اول الامر كان مخلوقا بيديه وهذا يشير الى كمال ما هو نهاية احوال السموات
فهو بداية احوال البشر **الصفة الرابعة** كون هذه السموات مخلوقة بالحق لا بالباطل
قال سبحانه ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ذلك ظن
الذين كفروا وقال في حق البشر افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم ثم بين ان الحكمة في خلق السموات
والارض اكبر واعظم من الحكمة في خلق الناس فقال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون واعلم انه ليس المراد من هذا الكبر الكبر في الجثة لان ذلك
معلوم لكل واحد بالحس والضرورة بل المراد من ذلك الكبر في الاسرار الالهية والحكمة الربانية التي
لا يعرفها احد الا الله **الصفة الخامسة** قوله أأنتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها
فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها فاعلم انه تعالى وصف السماء في هذه الاية بصفات كثيرة
احدها شدة الخلق ونظيره قوله في سورة عم يتساءلون فكم سبعا شدادا والشداد جمع شديدة
يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ولا يحصل فيها فطور ولا فروج فان قيل فالملائكة
كيف ينزلون عن السموات مع شدة خلقها وكيف يعرجون فيها قلنا كما تنزل الانوار منها
مع شدتها بل نزول الملائكة اولى لان ذوات الملائكة بالنسبة الى هذه الانوار المحسوسة تجري مجرى
هذه الانوار المحسوسة بالنسبة الى هذه الاجرام وفي لفظ الاية اشكال وهو ان الكسائي والفراء
والزجاج قالوا تم الكلام عند قوله انتم اشد خلقا ام السماء ثم قال بناها ابتداء كلام آخر وعند
غيرهم الوقف على قوله بناها لانه من صلة السماء والتقدير التي بناها فحذف التي ومثل هذا
الحذف جائز في اللغة يقال الرجل عاقل اي الرجل الذي جاءك عاقل واذا ثبت ان هذا جائز في
اللغة فنقول الدليل على ان قوله بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة لكان صفة ثم قوله
رفع سمكها صفة ايضا فقد توالت صفتان لا تعلق لاحداهما بالاخرى فكان يجب ادخال
العاطف فيما بينهما كما في قوله واغطش ليلها فلما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة
للسماء ثم قوله رفع سمكها صفة ابتداء بذكر الصفة واعلم ان قوله في السماء انه بناها نظير قوله
تعالى اولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وقوله في اول البقرة هو الذي جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء فان قيل انما سمي الشيء بناء اذا كان مستقرا على الارض والسماء قد امسكها الله تعالى
معلقة في الجو فكيف سماه بناء قلنا هذا مذكور على سبيل التشبيه وذلك لان اعظم الاجسام
احكاما في البنية والتركيب هو الذي يكون موضوعا على الارض فكانه قال هذا الذي امسكه في الهوى
اكثر احكاما وسلامة مما نسبه الى الارض والمستقر ولشدة احكامه سماه بناء واعلم انه سبحانه لما
بين في السماء انه بناها بين بعد ذلك انه تعالى جعل السماء علة للمكان وعلة للزمان اما ان السما

ولا يطلع عليها احد الا هو

سبب للمكان فهو قوله رفع سمكها فسواها واعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من علاه الى اسفله سمي
عمقا وان اخذ من اسفل الشيء الى اعلاه سمي سمكا فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا ان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة عام واما قوله فسواها قيل المراد به تسوية تاليفها وقيل المراد نفي
التفاوت منها كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان كل هذه الوجوه تدل على كمال
العلم والقدرة لمدبرها وخالقها لان وقوع التفاوت تارة يكون لجهل المدبر وتارة يكون لعجزه فمن
كان عالما بالكل قادرا على الكل امتنع وقوع التفاوت في مخلوقاته وبهذا الطريق عرفنا انه صادق
في وعده حكيم لا يقع السفه في فعله لان صدور السفه اما للعجز او للجهل او للبخل والكل
محال عليه فامتنع الكذب في وعده والسفه في فعله واما ان تخليق السموات سبب لحدوث
الزمان فهو المراد من قوله واغطش ليلها واخرج ضحاها واعلم ان اغطش قد يجيء لازما يقال
اغطش الليل اذا صار مظلما ويجيء متعديا يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة
والاغطش شبه الاعمش وههنا سؤال وهو ان الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب
الشمس فقوله اغطش ليلها يرجع معناه الى انه تعالى جعل المظلم مظلما وهذا الكلام بعيد
والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت بتقدير الله وتدبيره واما
قوله واخرج ضحاها فالمراد هو النهار لانه تعالى عبر عن النهار باسم الضحى لان الضحى اضوأ اوقات
النهار ونظير هذه الاية قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى وذلك لان اضوأ ساعات النهار
هو الضحى وذلك الضوء التام بعد الظلمة التامة مما لا يقدر احد عليه الا الله واعلم ان في الايات	وذلك ثم
فوائد احدها انه سبحانه قدم ذكر الظلمة على ذكر النور وهذا يدل على تقدم الظلمة على النور
وهو نظير قوله وجعل الظلمات والنور والثانية انه اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما
انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها والغروب والطلوع لا يحصلان الا بسبب حركة
الفلك فلهذا السبب اضاف الليل والنهار الى السماء والفائدة الثالثة في هذه الاية المقصود
منها الاستدلال على وجود الخالق سبحانه والتقدير ان السماء اشد خلقا من الادمي وقد اقررتم
بان خالق السماء هو الله فكيف تنكرون ان مدبر احوالكم هو الله الفائدة الرابعة ان اثبات
المعاد ايضا مقصود من هذه الاية وسياق الاية يدل عليه قال تعالى فيما قبل هذه الاية يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة الى قوله تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء والمعنى انتم انكرتم البعث واستبعدتم
اعادة خلقكم بعد موتكم والاعادة ايسر من الابتداء وابتداء خلقكم ايسر من ابتداء خلق السموات فلما اقررتم
بانه تعالى هو الذي خلق السماء فان تعترفوا بكونه قادرا على الاعادة والبعث اولى الفائدة
الخامسة كانه قال السماء مع شدة خلقها وعظمها فكذلك الارض بجبالها وبحارها مطيعة لحكمي
وامري فكيف عصيتم حكمي وامري مع انكم في غاية الضعف بل نقول انتم والسماء تشتركون في كون
كل واحد منكم حاصلا بالحادث وبداعي وانتم انما فارقتم السماء والارض بالمعرفة والتمييز والاقرار
بحصول الثواب والعقاب فانتم بسبب هذه المعرفة اولى بالانقياد لطاعتي الفائدة
السادسة اي لما رفعت السماء من الارض خلقت المكان لان المكان هو الفرجة الحاصلة بين السماء والارض

واليه الاشارة بقوله واغطش ليلها واخرج ضحاها رفع سمكها فسواها فلما تحركت جرم السموات
ظهرت الزمان واليه الاشارة بقوله واغطش ليلها واخرج ضحاها فالمكان والكاينات
ملكي والزمان والزمانيات ملكي ونظيره قوله سبحانه في سورة الانعام قل لمن ما في السموات
والارض وهو اشارة الى ان المكان والكاينات ملكه ومملكه ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار
وهو اشارة الي ان الزمان والزمانيات ملكه فهو سبحانه خالق المكان والكاينات والزمان والزمانيات
وذلك يدل على كونه منزها عن المكان والزمان وعلايق الحدوث والامكان **الصفة السادسة**
للسموات قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وايضا سماها الله تعالى
بالسقف المرفوع قال تعالى والبيت المعمور والسقف المرفوع واعلم ان كل من تامل في هذا
العالم وجده كالبيت الذي اعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسما مرفوعة كالسقف والارض ممدودة
كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات
مهيات لمنافعه وضروب الحيوان متصرفات في مصالحه وهذه احوال واضحه ودلايل باهرة
على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهيه ومما يشبه
هذا الوصف انه تعالى سماها سبعا طباقا وسبعا شدادا • **الصفة السابعة**
للسموات انه تعالى جعلها قبلة للدعا قال تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها
فقوله قد نرى تقلب وجهك اشارة الي تضرعه حال اشتغاله بالدعا والمجسمة تمسكوا بذلك على انه
سبحانه في جهة فوق وهذا باطل على ما سيجي برهانه ان شا الله تعالى من السبب لذلك وجوه
الاول انه تعالى جعل احوال الافلاك اسبابا لمصالح احوال هذا العالم قال تعالى حكاية عن
فرعون لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات وقال ايضا فليمدد بسبب الى السما ومن الدعوات
المشهوره قولهم يا مسبب الاسباب ومما يوكد ذلك قوله تعالى في صفة الملئكة والمدبرات امرا
وقال في اية اخرى فالمقسمات امرا ولا شك ان مسكن الملئكة هو السموات فلهذه الوجوه مصارف
احوال السموات اسبابا لمصالح هذا العالم • **والثاني** ان الارزاق انما تنزل من السما قال تعالى وفي
السماء رزقكم وما توعدون **والثالث** ان الملئكة الذين ينزلون بالسلام والرحمة من الله ينزلون
من السموات قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فلما كان كل مصالح العالم لا يتم الا
بمن في السموات كانت الاعين ممتدة اليه والايادي مرفوعة اليه والقلوب متعلقة به والله سبحانه
اعلم • **الفصل الخامس** في تفسير كونه تعالى فاطر السموات والارض حكى سبحانه عن
ابرهيم الخليل انه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وحكى عن يوسف الصديق انه قال
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة وقال تعالى في اول سورة الملئكة الحمد لله فاطر
السموات والارض وقال في خلق البشر فطرة الله التي فطر الناس عليها واعلم ان الفاطر هو الذي
يحدث الشي ابتداء وتحقيقه ان الفطر هو الشق فهو جاعل الشي منشقا فهو الذي نفتق ظلمة
العدم واعلم ان فعل الله سبحانه وتكوينه يغاير فعل غيره من وجوه الاول ان الانسان لا
يمكنه ان يفعل الا في محل مخصوص ومادة معينة والحداد لا بدله من حديد والصائغ لا بدله من ذهب

والحائك لا بد له من غزل والحق سبحانه غني عن المادة وذلك لان المادة لما كانت قابلة للاحوال
المتغيره والحوادث المتعاقبه كانت محدثه فلا بد لها من محدث فلو افتقر احداث الله وايجاده الى سبق
مادة لزم افتقار المادة الى مادة اخرى لا الى نهاية وهو محال فلما كان سبحانه هو الفاعل للمواد والموجد
لها دل ذلك على ان فاعليته غني عن سبق المواد **الثاني** اذا تصرفوا في مادة فهم لا يتصرفون
في ذات تلك المادة فالنجار يتصرف في الخشب ولكن الخشب باق في حال ذلك التصرف والصائغ يتصرف
في الذهب لكن الذهب باق في تلك الحالة اما الحق سبحانه فانه يتصرف في المواد ويغيرها في انفسها الا ترى
ان الله سبحانه يقلب الطين غذاء ويقلب الغذاء نطفة ويقلب النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة
عظاما وايضا خلق خلق البشر من التراب كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
فتركب من التراب لحما ودما وصورة التراب غير باقية في شي منها وخلق الحيوان من الما قال الله تعالى
والله خلق كل دابة من ماء ثم ان صورة المائية غير باقية فيها وخلق عيسى من نفخ جبريل عليه السلام
وكذلك عيسى صلى الله عليه وسلم صور الحيوانات ونفخ فيها فتصير حيه فصورة الهواء ما كانت
باقية فيها وخلق الجان من مارج من نار وصورة النار غير باقية فيها وخلق ناقة صالح من الحجارة
وصورة الحجرية غير باقية وخلق الثعبان من عصى موسى عليه السلام وصورة الخشبية غير باقية وخلق
ناقة صالح من الحجارة وصورة الحجرية غير باقية وخلق الجان من النار وصورة النارية غير باقية
وخلق حوى من ضلع ادم وما كانت صورة العظمية باقية فثبت انه تعالى يقلب المواد في ذواتها من
حال الي حال وساير الفاعلين ليسوا كذلك فظهر الفرق • **والفرق الثالث**
ان كل الفاعلين يفتقرون في فاعليتهم الى توسط الالات فالنجار لا بدله من منشار وقدوم والخياط
لا بدله من ابرة ومقراض والحق سبحانه غني في فعله عن الالات والادوات لانه فاعل الالات
والادوات فلو افتقرت فاعليته الي الالة لزم التسلسل **الفرق الرابع** ان ساير الفاعلين
لا يمكنهم ان يفعلوا فعلا الا بمماسة ما بين الفاعل وبين محل الفعل فان لم تحصل المماسة اصلا عجز
عن الفعل فيه والحق سبحانه هو المتصرف من العرش الى ما تحت الثرى من غير مماسة ولا مجاورة ولا
مقاربة **الفرق الخامس** ان كل من يفعل فعلا فانه لا يفعله الا بمهلة وتدريج وزمان
بعد زمان والحق سبحانه وتعالى غني عن المهلة والزمان كما قال انما امره لشي اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وقال ايضا وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والمعنى اني اميتهم عند النفخة
الاولى في اقل من لمح البصر واحييهم عند النفخة الثانية في اقل من لمح البصر واردفي هذه اللحظة اللطيفة
جميع الارواح الى اشباحها الاصليه من غير غلط ولا خلل وانما امكن ذلك لكونه سبحانه قادرا
على جميع المقدورات وكونه عالما بجميع المعلومات **الفرق السادس** ان كل من فعل فعلا
فانه يتعب بسبب ذلك ويشق عليه ذلك والحق سبحانه يدبر من العرش الى ما تحت الثرى
وتخليق ذواتها واعادة صفاتها من غير تعب ولا نصب قال تعالى ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وقال تعالى افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق
جديد فان قيل اليس انه تعالى قال في الاعادة وهو اهون عليه فهذا يقتضي حصول تعب من

التعب في الخلق الاول قلنا هذا انما ذكر على حسب المعتاد فان في العادة الابتدا اصعب من
الاعادة فلما سلموا انه لا تعب في الابتدا فبان لا يمتنع الاعادة اولى **الفرق السابع** ان كل
فاعل يفعل فعلاً فانه يتعين اولاً في نفسه ثم في سبب التغيير يحصل الفعل خارج ذاته كالكاتب
فانه ما لم يحرك اصابعه لا يمكن ان يكتب والحق سبحانه منزه عن ذلك لانه لو توقفت فاعليته على
حدوث تغير في ذاته لكان المحدث لتلك الحالة المتغير هو الله سبحانه فكيف يفتقر احداث
تلك الحالة الى احداث حالة اخرى فلزم التسلسل فهو الله سبحانه يفقر ويغني ويمرض ويبري
ويميت ويحيي ويطعم ويسقي ويدبر السموات والارضين والبحار والجبال والدواب والذوات
والصفات مع انه سبحانه منزه في ذاته وصفاته عن انواع التغير والزوال والتحول والانتقال
بل عجايب هذه المواضع ان كل ما سواه من العالمين فانه يتغير علمه بتغير المعلومات ويتكثر علمه بتكثر
المعلومات وهو سبحانه يعلم بعلم لا نهاية له من المعلومات ويعلم بعلم باقي دايم جميع التغيرات
الفرق الثامن ان كل من سواه من الفاعلين فانه لا يمكنه ان يجمع بين الافعال الكثيرة فالكاتب
لا يمكنه ان يكتب الكلمات الكثيرة على الجمع بل على التعاقب وبالجملة ما لم يفرغ عن احد الفعلين لا يمكنه
الاشتغال بالفعل الاخر اما الحق سبحانه فهو القادر الذي لا يشغله شان عن شان فهو مدبر العرش
والكرسي واللوح والقلم والسموات والارض والبحار والجبال والحيوان دفعة واحدة يخلق
ذواتها وصفاتها ويرى حاجاتها ويسمع نداها ويجيب دعاها فسبحان من لا يشغله
شان عن شان **والفرق التاسع** ان كل من فعل فعلاً انما يفعله لجر نفع او دفع
ضر والحق منزه عن جر المنافع ودفع المضار وكل شي صنعه ولا علة لصنعه وقد بينا دلائل هذا
الفصل في باب دلائل التوحيد في تفسير قوله لا يسال عما يفعل **والفرق العاشر**
ان كل من فعل فعلاً فانه يحصل بعضه على وفق مراده وبعضه على غير وفق مراده الكافر يجتهد
ليحصل المحبة والمعرفة ولا يحصل له مراده بل يقع في الشبهة والضلالة وكل احد فانما يتحرك ويسعى
لطلب الخيرات ثم قد يحصل وقد لا يحصل وقيل كل حد يخرج كالمساحر يقول بالبكرة افعل كذا
ليحصل كذا وبالمسا يقول اجتهدت فما كان التقدير مطابقاً للتدبير فالحق تعالى لا يقع فعله
الا على وفق ارادته ومشيته فان كل الممكنات في قبضة قدرته وربقة ارادته لا دافع لما قضى
ولا مانع لما اعطى قال سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شي قبلاً ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله **الفرق الحادي عشر** كل من سواه من
الفاعلين فانه قد يبقى المفعول بعد فناء الفاعل وموته والحق تعالى هو الباقي بعد فناء الخلق
كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **الفرق الثاني عشر** ان كل من
سواه من الفاعلين فانه لا ينفك فعله عن الخلل والنقصان اما الحق سبحانه فيفعله عري عن الخلل
والنقصان قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ولو انه جعل عقول جميع العقلا عقلاً واحداً ثم بذلك العقل تفكروا في جناح بعوضة
حتى يعثروا على تركيب احسن منه واكمل منه فيثبت لملك العقول وانقطعت تلك الافكار

لكان م

سبحانه وو

ولابصر

ولا يصيب ذرة من ذرات حكمة الله في خليقته تلك البعوضة معلومة
على سبيل الكمال والتمام فهذا مجموع الفرق بين فاعلية الحق وما كانت
فاعليته غنية عن المادة والمدة والالة والزمان والمكان وجلب الاعراض وتغيير
الاحوال والاعراض كان الحق سبحانه هو الفاطر للاشيا فلهذا قال الحمد لله فاطر
السموات والارض والله اعلم بحقايق الاشيا **الفصل السادس**
في شرح كون السموات خالية عن العيب والنقصان والتفاوت قال
الله تعالى في سورة الملك ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت **واعلم**
ان المقصود من هذه الاية لا يظهر الا بعد تفسير هذه السورة من قولها قال
قال تعالى تبارك الذي بيده الملك واعلم انه تعالى جعل لفظ تبارك مطلقاً وهو
في موضعين احدهما سورة الفرقان وهي قوله تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده والثاني في هذه السورة فنقول ما لفظ تبارك فقال الزجاج تبارك
تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما
تزايد خيره وتكاثره وهو المراد من قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
والثاني معناه تزايد عن كل موجود وتعالى عنه في ذاته وفي صفاته
وفي افعاله وهو المراد من قوله ليس كمثله شي اما تعاليه عن كل شي في ذاته فيحتمل ان يكون
المعنى جل بتوحد وجوده وتقدمه عن جواز التغير والفنا ويحتمل ان يكون المعنى
جل بتفرد ذاتيته وتوحد ابيته عن مشابهة الاضداد ومشاكلة الانداد
ومنازعة الاكفاء واما تعاليه عن كل شي في صفاته فيحتمل ان يكون المعنى جل
في قدرته وفي علمه عن ان يخرج عنها شي من المعلومات والمقدورات ويحتمل
ان يكون المعنى جل علمه ان يكون ضرورياً او استدلالياً وتصورياً او تصديقياً
وجلت قدرته عن ان يحتاج في فاعليته الى مدة ومادة ومثال والة وجر
نفع ودفع ضرر وواما تعاليه في افعاله فهو الملك الحق مطلقاً اي هو الغني
عن كل ما سواه في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وكل ما سواه فهو محتاج اليه
في ذواتها وفي صفاتها وفي احوالها حالتي حدوثها وبقائها وتجددها واستمرارها
لا ينقطع الحاجات اليه ولا يزول الافتقار اليه وكل موجود فبايجاده موجود
وكل باقي فبابقائه باقي شهدت الحاجات في غيره على تقدسه عن الحاجات
ودلت التغيرات في غيره على كونه منزهاً عن التغيرات وقال اخرون
اصل الكلمة تدل على البقا وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطاير
على الماء وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيها والمعنى انه تعالى باقي في ذاته
ازلاً وابداً ممتنع التغير باقي في صفات جماله ونعوت جلاله ممتنع التبدل

التبدل ولما كان الحق سبحانه هو المعطي لجميع جهات للمنافع والمصالح والميسر
لكل المطالب والمناجح لاجرم وجب وصفه بانه تبارك اذا عرفت هذا فنقول
انه تعالى ذكر في سورة الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا وقال في سورة الملك تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير
ونحن نفسر كل واحد منهما بقدر عقولنا القاصرة وافهامنا الناقصة ونكل
اسرارها الى علمه الكامل وحكمته المحيطة فنقول في قوله تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده فوائد **الفايدة الاولى** ان الفرقان
هو القران وصف بذلك حيث تعالى انه فرق به بين الحق والباطل والحجة
والشبهة في دلايل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد اولانه فرق في النزول
كما قال وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث وهذا التاويل اقرب
لانه نزول القران ولفظة نزل تدل على التفريق اولانه فرق بين الشرايع والاحكام
والحلال والحرام فخص بعضها بالايجاب وبعضها بالاستحباب وبعضها
بالتنزيه وبعضها بالتحريم وبعضها بالاباحة والاحلال فقال ما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهذه وجوه ثلاثة في بيان
القران لم سماه الله بالفرقان • **الفايدة الثانية**
انه تعالى لما قال في اول سورة تبارك ومعناه كثرة الخير والبركة ثم ذكر عقيبه
انزال القران دل ذلك على ان القران منشا اعظم الخيرات واكمل البركات
لكن المستفاد من القران هو العلم والمعرفة والحكمة فدل هذا على ان العلم اشرف المخلوقات
وانفع المحدثات واكثرها خيرا وبركة **الفايدة الثالثة**
لا نزاع بالاجماع ان المراد من العبد هاهنا محمدا صلى الله عليه وسلم وسمعت بعض
المشايخ قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين او ادنى اوحى الله اليه
يا محمد بم اشرفك فقال الهي بان تنسبني اليك بالعبودية فانزل الله فيه سبحان الذي اسرى بعبده • فانظر الى هذه الدقيقة
وصف نفسه في هذه السورة بالتسبيح والتقديس والتنزيه حين سماه عبدا وفي
سورة الفرقان وصف نفسه متباركا متعاليا حين سماه عبدا وهذا
يدلك على ان كل من كان اشد عرفانا بالعبودية وذلة وخضوعه وافتقاره كان
تجلي انوار قدس جلال الله في عقله اتم واظهر نور كبريائه في روحه اجل
واعلم • **الفايدة الرابعة** اختلفوا في قوله ليكون للعالمين
نذيرا منهم من قال المعنى ليكون هذا العبد للعالمين نذيرا ومنهم من قال
المعنى ليكون هذا القران نذيرا واضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه

في قوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم الا ان هذا وان كان محتملا لكن جعل
النذير صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم اولى قال تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا **والثاني** ان جعل النذير صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم حقيقة
وجعله صفة للقران مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى من حمله على المجاز
الفايدة الخامسة قوله ليكون للعالمين نذيرا يدل
على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل العالمين وذلك لان لفظ العالم
عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع المكلفين من الجن والانس
والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام ما كان رسولا الى الملائكة فبقي كونه
رسولا الى الجن والانس جميعا وتاكد هذه الاية بايات اخر احدها
قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
وهذا يدل على كونه مبعوثا الى كل الجن والانس وثانيها سورة الجن
وهي قوله سبحانه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا **الفايدة
السادسة** ان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فهذه الاية تدل على
انه صلى الله عليه وسلم رسول الى الخلق الى يوم القيمة وهذه الاية مؤكدة بقوله
تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين واعلم انه تعالى وصف ذاته بعد هذه الاية
باربعة انواع من صفات الكبرياء والجلال والقدس والعظمة • **اولها** قوله
الذي له ملك السموات والارض واعلم ان تعلق هذه الاية بما قبلها من وجهين
الاول ان لله على العباد نوعان من الملك احدهما ملك التكليف وذلك
لانه تعالى ملك مطاع في المخلوقات لانه مالكهم وخالقهم ومدبرهم والمتصرف
فيهم والمستولي عليهم فكان ملكا مطاعا والملك المطاع من له الامر والنهي
والثاني ملك التخليق فقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا اشارة الى ملك تقدير التكليف ثم قال بعده الذي له
ملك السموات والارض وهو اشارة الى ملك التخليق وايضا فان ملك التكليف معلل
بملك التخليق فلما قال نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا واثبت
بهذه الاية ملك التكليف لنفسه كانه قيل ولم يحسن منه الامر والنهي
مع انك منزه عن النفع والضر والمكلف لا ينتفع بهذا التكليف فاجاب الحق سبحانه وقال انما
حسن مني ملك التكليف لانه حصل لي ملك التخليق فالكل عبيدي والمالك
ان يتصرف في ملكه كيف شاء واراد ولا اعتراض للعبد على مالكه البتة
الوجه الثاني • قال بعد تلك الاية الذي له ملك السموات والارض

[illegible]

في بيان النظم انه تعالى لما وصف نفسه بكونه مرسلا للرسل وذلك
يتوقف على ثبوت ذاته وثبوت صفاته لاجرم اردفه بما يدل على ذلك
فقال الذي له ملك السموات والارض ما استدل على وجوده وعلى كمال
قدرته وكبريائه والهيته بملك السموات والارض وقد جوز الاستدلال بملك
السموات والارض على وجود الصانع وصفات جلاله قد شرحناه فيما قبل ثم
في هذه الاية فايدتان **الاولى** ان الملك اشارة الى القدرة والمتكلمون
بينوا ان اول العلم بالله هو العلم بكونه قادرا فلهذا السبب قدم ذكر
هذه الصفة **الفايدة الثانية** ان قوله له ملك السموات
والارض اشارة الى احتياج جميع مخلوقات الله تعالى اليه حال حدوثها
وبقائها وذلك لان علة الحاجة هي الامكان من لوازم هذه الماهيات وهي ممكنة
حال حدوثها وبقائها فهي محتاجة الى المؤثر المدبر حال حدوثها
وبقائها في ماهياتها وفي وجوداتها وفي صفاتها فلاجرم كان سبحانه
مالك الملك لجميع الممكنات على الاطلاق ازلا ابدا وهو المتصرف فيها كيف
شاء واراد لا راد لما حكم ولا ناقض لما ابرم الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين **الصفة الثانية** قوله تعالى ولم يكن له ولد واعلم ان
صفات الله على قسمين صفات الجلال وصفات الاكرام اما صفات
الجلال فهي عبارة عن تنزه الله عما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله واما
صفات الاكرام فهي عبارة عن وصف الله بالصفات التي معها يمكن كونه خالقا للعالم على
نعت الاحكام والاتقان فقوله له ملك السموات والارض من قسم صفات الاكرام وقوله
ولم يكن له ولد من قسم صفات الجلال واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بملك
السموات والارض قال بعده ولم يكن له ولد وهو اشارة الى انه هو المدبر
للعالم والمعبود للخلق ابدا ولا يصح ان يصير غيره وارثا للملك فنكون
نفي الولد كالموجب لقوله تبارك ولقوله الذي له ملك السموات والارض
كانه قيل المفتقر الى الولد هو من ينقضي ويموت حتى يقوم ولده مقامه فاما من كان مباركا دايم
الوجود ممتنع التغير فكيف يليق به الولد **الصفة الثالثة** قوله ولم يكن له شريك
في الملك والمراد انه سبحانه هو المنفرد بهذه الصفات فانه هو الواجب لذاته واما سواه ممكن
لذاته وهو الموجد للكائنات وما سواه فعن صفة الموجدية والخلق فيه معزول
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه وخوفه عن الخلق ولا يبقى مشغول القلب
ملتفت الخاطر الا به وبفضله ورحمته واحسانه وهذه الاية رد على الثنوية
والقائلين بالهيبة والنجوم وعبدة الاوثان **الصفة الرابعة** قوله تعالى

وخلق

وخلق كل شيء فقدره تقديرا في هذه الاية فوايد **الاولى** ان قوله له ملك السموات والارض
اشارة الى صفة من صفات الاكرام ثم قوله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك اشارة
الى ذكر صفتين من صفات الجلال ثم قوله وخلق كل شيء اشارة الى ما يتركب من صفات الاكرام
وصفات الجلال لانه اشارة الى انه هو الخالق وان غيره ليس بخالق فان قيل صفات الجلال اولى بالتقدم
من صفات الاكرام ويدل عليه القران والبرهان اما القران فهو انه تعالى ذو الجلال والاكرام في
ايتين فقال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام
واما البرهان فلان صفات الجلال عبارة عن السلوب ويكفي في تحقق هذه الذات المخصوصة
من حيث هي هي واما صفات الاكرام فانها لا تظهر الا عند وجود الممكنات وما يكفي فيه ذاته من حيث
انه هو متقدم في الرتبة على ما لا بد معه من غيره **والجواب** ههنا مقامان احدهما
ان يتوسل بمعرفة غير الله الى معرفة الله وهذا هو مقام عروج السايرين الى الله والمسافرين الى
حضرة جلال الله **والثانية** ان يتوسل بمعرفة ذات الله الى معرفة غير الله وهذا هو مقام
نزول خواص حضرة الله عن تلك الحضرة المقدسة الى الالتفات الى غيرها فان اعتبرنا المرتبة الاولى
كانت معرفة صفات الاكرام مقدمة على معرفة صفات الجلال لانا في هذه المرتبة نستدل
بالمخلوقات على الخالق ثم نستدل بعدم افتقار الخالق الى خالق اخر على كونه منزها عن مشابهة
المخلوقات واما ان اعتبرنا المرتبة الثانية وهي مرتبة النزول كان تحقق مرتبة صفات الجلال
متقدما بالرتبة على تحقق صفات الاكرام فان تلك السلوب تكفي في تحققها الذات واما الاضافات
فلا تكفي فيه الذات الواجبة بل لا بد في تحققها من الذات واما الاضافات من حصول المضاف فين اذا
عرفت هذا فنقول انه تعالى لما قال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
فكانه قيل كونه مرسلا للرسول انما يثبت لو ثبت كونه موجودا فما الدليل على وجوده وقدرته
فقال الدليل عليه ملك السموات والارض وهذا هو مرتبة العروج من الخلق الى الخالق فلاجرم
قدم ههنا صفات الاكرام على صفات الجلال واما قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام فليس المقصود ههنا ذكر الاستدلال
بل المقصود منه الاخبار عن نعوت قدسه وعظمته وكبريائه فكانت صفات الجلال مقدمة
في هذا المقام على صفات الاكرام فسبحان من اودع في هذا الكتاب الكريم اسرارا تعجز العقول
عن ادراكها فقد ظهر بما ذكرنا ان الترتيب الصحيح في هذا المقام هو انه تعالى قدم صفات الاثبات
فقال الذي له ملك السموات والارض ثم ذكر بعد ذلك صفتين من صفات الجلال وهما نفي الولد
والثاني نفي الشريك ثم ذكر بعدهما ما يتركب عن صفات الاكرام وصفات الجلال فقال وخلق
كل شيء وذلك لان قوله وخلق كل شيء يدل على كونه خالقا للاشياء فهو صفة الاكرام وعلى ان
غيره لا يشاركه في هذه الصفة وهو صفة الجلال ومعلوم ان تقديم المفرد على المركب واجب فهذا
هو الاشارة الى ترتيب الصفات المذكورة في هذه الاية **الفايدة الثانية**
من اسرار هذه الاية انها دالة على انه خالق اعمال العباد وذلك لان قوله وخلق كل شيء يتناول كل

الصفات

[illegible] الجلال [illegible] الاكرام

الله خالق كل شيء وقد دللنا على ان الخلق عبارة عن الايجاد وههنا لطيفة تؤكد هذا المقصود
وهو انه تعالى نفى الشريك بقوله ولم يكن له شريك في الملك فكان قائلا قال ههنا اقوام
يعترفون بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون انهم يخلقون افعال انفسهم فذكر الله
هذه الاية لتكون نصا صريحا في الرد عليهم فان قيل هذه الاية لا تدل على هذا المطلوب ويدل
عليه وجوه **الاول** انه تعالى صرح بكون العبد خالقا فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
وقال وتخلقون افكا وقال فتبارك الله احسن الخالقين **والثاني** انه تعالى صرح
بكون العبد ذكر ذلك في معرض المدح ولا يجوز ان يتمدح بكونه فاعلا لافعال العباد مع ما فيها من
القبائح الا ترى انه تعالى تنزه عن فعل القبائح في سائر الايات فقال وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا وقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقال وما الله يريد ظلما للعباد **والثالث**
انه تعالى قال فقدره تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحكمة والصواب الا ترى انه تعالى نفى
التفاوت عن افعال نفسه فقال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فقالوا فثبت بهذه الوجوه
انه لا بد من التاويل بل لو دلت الايات بظاهرها على قولكم فكيف وهي لا تدل فيها على قولكم لان الخلق
عبارة عن التقدير فيختص ذلك بما يقبل التقدير وهو الجسم الذي يكون له حجم وامتداد
والجواب اما الايات الدالة على كون العبد خالقا فنقول ههنا ايات دلت على ان
العبد غير خالق وايات دلت على انه خالق ولا بد من التوفيق بينهما فنحمل الايات الدالة على نفي الخالقية
على نفي كون العبد موجدا والايات الدالة على كونه خالقا على كونه مقصودا متفكرا مقدرا في
ذهنه امورا قوله لا يمكن التمدح بخلق العبث قلنا لا يمكن التمدح بخلقها من حيث انها عبث لكن
لم لا يجوز التمدح في خلقها من حيث انها اخراج الشيء من العدم الى الوجود فقط وقوله لفظ
الخلق لا يتناول الا الاجسام قلنا لو كان كذلك لكان قوله وخلق كل شيء خطا لانه ليس كل شيء
جسما **الفائدة الثالثة** من اسرار هذه الاية ان كثيرا من الناس زعموا ان الخلق هو
التقدير فقط واصحابنا زعموا انها حقيقة في الايجاد والابداع وهذه الاية دالة على قولنا
اذ لو كان الخلق عبارة عن التقدير لكان قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا مكررا من غير فائدة
ونظير هذه الاية في الدلالة على هذه المسئلة قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى فلو كان الخلق عبارة عن التقدير لكان قوله خلق وقدر تكرارا
الفائدة الرابعة انه قال تعالى قال فقدره تقديرا والتقدير لا حق الواحد
منا يرجع الى الظن والحسبان اما في حقه فلا معنى له الا العلم والاخبار عنه وذلك متفق عليه
بيننا وبين المعتزلة اذا عرفت هذا فنقول مذهبنا ان الامر والارادة لا يتلازمان وذلك
لانه سبحانه لما علم في الشيء الفلاني انه لا يقع فلو وقع ذلك الشيء لزم انقلاب علمه جهلا وانقلاب
خبر الصدق كذبا وذلك محال والمفضي الى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشيء محال والمحال
غير مراد ثم انه مامور به فثبت ان الامر والارادة لا يتلازمان فظهر ان السعيد من سعد
في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه واعلم ان عندنا الارادة والعلم يتلازمان والارادة

والامر لا يتلازمان وعند المعتزلة الارادة والامر يتلازمان والارادة والعلم لا يتلازمان
وتحقيقه ما ذكرناه فهذا ما يتعلق بهذه الاية اما قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك فاعلم
ان الفرق بين هذه الاية وبين الاية المتقدمة من وجوه **الاول** ان في سورة الفرقان
اثبت اولا لنفسه ملك السموات والارض واما في سورة الملك فانه اثبت لنفسه اولا الملك على
الاطلاق فقال الذي بيده الملك وهذا يتناول جميع اقسام الملك من ملك التكليف وملك
التخليق وملك الابقاء وملك الافناء كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء **والفرق الثاني** بين الايتين انه تعالى قال في تلك الاية الذي له
ملك السموات والارض وقال في سورة الملك الذي بيده الملك فذكر لفظ اليد ههنا والفائدة
في ذكر هذه اللفظة انه تعالى لما اثبت لنفسه جميع انواع الملك حتى دخل فيه ملك الاجسام من فوق
العرش الى ما تحت الثرى وملك الارواح المشار اليه بقوله وما يعلم جنود ربك الا هو فكان
سائلا قال المدبر الواحد كيف يمكنه الوفاء بتدبير كل هذه الممالك التي لا نهاية لاحوالها ولا غاية
لكميتها ولنفسها فاجاب بان كل الممالك في يده وفي قبضته كما قال في اية اخرى والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وذلك لان كمال القدرة فلهذا المعنى قال تبارك
الذي بيده الملك ثم قال بعده وهو على كل شيء قدير والمعنى ان بيده ملك كل الموجودات
وهو قادر على خلق المعدومات التي تكون من الممكنات فقوله بيده الملك اشارة الى ملك
الموجودات بالابقاء والاعدام وقوله وهو على كل شيء قدير اشارة الى ملك المعدومات بالايجاد
والابداع فان قيل القدير مبالغة في القادر فلو قال وهو على كل شيء قادر افاد ذلك
كونه تعالى قادرا على كل واحد من تلك المقدورات التي لا نهاية لها فاذا كان القدير للمبالغة
وجب ان يفيد هذا زيادة على كونه تعالى قادرا على كل واحد من تلك المقدورات لكن الشيء الواحد
لا يقبل التفاوت ولا يتطرق اليه الزيادة والنقصان فما معنى هذه المبالغة قلنا لو انه تعالى
قال على كل شيء قادر افاد ذلك كونه تعالى قادرا على كل المقدورات فلما قال وهو على كل
شيء قدير افاد ذلك زيادة قدرته في كل واحد من المقدورات وتلك الزيادة والمبالغة
راجعة الى ما بينا فيما تقدم من ان جميع القادرين يفتقرون في الفعل والتكوين الى تقدم مادة
ومدة وزمان ومكان وآلة ورويته ثم قد يمتنع عليهم تكوين مقدورهم لاجل انه يمنعهم عنه مانع
ومعارض وكل ذلك على الله محال فلا جرم صدق قولنا انه قادر على كل شيء وصدق ايضا
بالمبالغة وهو انه على كل شيء قدير ثم قال الذي خلق الموت والحيوة واعلم انه تعالى لما ذكر
اولا ان بيده ملكوت الموجودات والمعدومات ثم قال الذي خلق الموت والحيوة وزمان التصرف
في كل الكائنات والممكنات خصص بعده بالذكر ملك الاحياء والاماتة فقال الذي خلق الموت والحيوة
وتطيبه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وانما قدم الموت على الحيوة
لوجوه **الاول** قال مقاتل يعني بالموت نطفة وعلقة ومضغة وبالحيوة نفخ الروح فيه
والثاني انه لما ذكر عقيب هذه الاية انه تعالى ابتلى الخلائق بالتكاليف فقال ليبلوكم ايكم

ايكم احسن عملاً والناس لما يقدمون على محاسن الاعمال لخوف ما بعد الموت فكان الموت اقوى
تأثيراً في هذا المقصود فلا جرم قدم ذكر الموت على الحيوة **الثالث** المراد بهذا الموت المذكور
في هذه الاية الموت الذي بعد هذه الحيوة والمراد بالحيوة الحيوة الابدية في القيمة ولم يذكر الحيوة
العاجلة البتة وذلك لان هذه الحيوة حيوة بعد موتين احدهما من الازل الى الان والموت
الثاني من الازل الى الابد ولا جرم نزل الله تعالى ذكر هذه الحيوة لخستها وقلتها واما الحيوة في الدار الاخرة
فهي الحيوة الاصلية لانها حيوة ابدية ولهذا قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ثم قال تعالى بعد ذكر الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملاً والابتلا هو التجربة والامتحان حتى يعلم
انه هل يطيع او يعصي وذلك في حق الله محال وسيجي تمام هذه المسئلة ان شا الله في باب
التكليف وحاصل هو ان الابتلا من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة شبه على المختبر واعلم انا
ان فسرنا الموت والحيوة بالموت حال كونه نطفة وعلقة ومضغة وبالحيوة حيوة الدنيا فوجه
الابتلا على هذا التفسير ان يعلم العبد انه تعالى هو الذي نقله من الموت الى الحيوة وكما فعل ذلك فلا
بد ان يكون قادراً على ان ينقله من الحيوة الى الموت فيحذر مجي الموت الذي به ينقطع استدراك
ما فات واما ان فسرنا الموت والحيوة بالموت في الدنيا والحيوة في القيمة فالابتلا فيهما اتم لان الخوف
من الموت في الدنيا حاصل واشد منه الخوف من الحيوة في القيمة واعلم ان اول هذه السورة مع اول
سورة الفرقان متشابهات في المقصود وذلك لانا تارة نذكر الحكم ثم نذكر عقيبه سببه وعلته
واخرى بالعكس من ذلك وهو ان يذكر السبب والعلة اولاً ثم يذكر الحكم عقيبه اذا عرفت
هذا فنقول في سورة الفرقان ذكر الله التكليف اولاً بقوله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيراً ثم ذكر العلة والسبب بعده فقال الذي له ملك السموات والارض واما في سورة الملك
فانه ذكر السبب والعلة اولاً وهو انه مالك الملك على الاطلاق ومالك الملك في الاحيا والاماتة
ثم انه ذكر الحكم بعده وهو حسن التكليف فقال ليبلوكم ايكم احسن عملاً فانظر الى هذه المناسبات
العجيبة والاسرار اللطيفة ثم ان المفسرين ذكروا في تفسير احسن عملاً وجوهاً **الاول**
المعنى ايكم بالاعمال يأتي على وجه الاخلاص والصواب لان العمل اذا كان خالصاً غير صواب
لم يقبل فاذا كان صواباً غير خالص لم يقبل ايضاً المقبول هو ان يكون صواباً خالصاً لوجه الله
فالصواب هو ان يكون على وفق امر الله والخالص هو ان ياتي به لوجه الله تعالى **والثاني**
قال ابو قتادة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال يقول ايكم احسن عملاً
ثم قال عليه السلام اتمكم عقلاً اشدكم خوفاً واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه وانما جا تفسير العمل
بتمام العقل لان حسن العمل من نتايج كمال العقل فمن كان اتم عقلاً كان احسن عملاً **الثالث**
قال الحسين احسن عملاً اي ازهد في الدنيا واشد تركاً واعلم انه تعالى لما ذكر حديث الابتلا قال
بعده وهو العزيز الغفور اي وهو الغالب الذي لا يعجزه من اساء في الاعمال الغفور لمن تاب واناب
وانما قدم ذكر العزيز على الغفور ليظهر به كمال الرحمة لان الانسان قد يغفر ذنب عبده اما
لانه لا يقدر على الانتقام في الحال او لانه وان قدر عليه في الحال لكنه يتركه لانه يخاف توابع ذلك

نظر ١٦ م

الانتقام وعواقبه فهاهنا ذكر تعالى انه عزيز قاهر قادر غالب لا يمتنع عليه فعل شي من الافعال
ولا يخاف عاقبة شي من الاشياء ثم انه مع ذلك فضل عفوه يتجاوز عن سيئات عبده ليظهر
بذلك كمال كرمه ورحمته ثم فيه دقيقة اخرى وهي ان للعبد من الظلم ثلثة اسماً وللرب من المغفرة بعد ذلك
ثلاثة اسما احدى اسماء العبد كظالم كما قال فمنهم ظالم لنفسه وفي مقابلته للرب من المغفرة اسم
الغافر قال تعالى غافر الذنب والاسم الثاني للعبد الظلوم قال تعالى انه كان ظلوماً جهولاً
وفي مقابلته للرب من المغفرة اسم الغفور كما قال تعالى في هذه الاية وكما في قوله وربك الغفور
ذو الرحمة والاسم الثالث للعبد الظلام وفي مقابلته للرب من المغفرة الغفار قال واني لغفار
لمن تاب وقال في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفاراً فكانه قال لا تخف ولا تياس فان كنت
ظالماً فاني غافر وان كنت ظلوماً فانه الغفور وان كنت ظلاماً فانه الغفار ثم اعلم انه تعالى
لما ذكر كونه عزيزاً غفوراً وكونه عزيزاً غفوراً لا يتم الا اذا كان قادراً على كل الممكنات عالماً بكل
المعلومات وذلك انه اذا لم يكن قادراً على كل الممكنات عالماً بكل المعلومات فلعله لا يتمكن من ايصال
جزا كل احد اليه على سبيل الكمال والتمام سوا كان عقاباً او ثواباً واما انه لا بد من العلم بكل المعلومات
فلاجل ان يعلم ان المطيع من هو والعاصي من هو حتى لا يقع الخطا في ايصال الحق الى مستحقه فثبت
ان كونه عزيزاً غفوراً لا يمكن الاقرار بهما الا بعد الاقرار بكونه تعالى عالماً بكل المعلومات
قادراً على كل الممكنات فلهذا السبب ذكر الله تعالى عقيب هذه الاية ما يدل على كمال القدرة وعلى
كمال العلم ولما ثبت في علم الاصول ان اول العلم بالله هو العلم بكونه قادراً لا جرم قدم دلايل القدرة
على دلايل العلم اما دليل اثبات القدرة فهو قوله الذي خلق سبع سموات طباقاً وقال صاحب
الكشاف في قوله طباقاً ثلثة اوجه **احدها** طباقاً اي مطابقة بعضها فوق بعض
من طابق النعل اذا خصفها طبقاً على طبق وهذا وصف بالمصدر **والثاني** ان يكون التقدير ذات طباق **والثالث** ان يكون التقدير طوبقت طباقاً واعلم ان دلالة السموات بطباقها
على وجود الصانع المختار الحكيم وقد تقدمت شرح اقسامها في هذا الكتاب فلا نعيدها واما دليل اثبات
العلم قوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان حقيقة التفاوت عدم التناسب
كان بعض الشي يفوت بعضاً ولا يلايمه يقال هذا خلق متفاوت ونقيضه متناسب وللمفسرين فيه
وجوه قال السدي ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من اختلاف وعيب يقول الناظر
لو كان كذا لكان احسن وقال اخرون التفاوت الفطور بدليل قوله تعالى فارجع البصر هل
ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج وقال القفال يحتمل ان يكون المعنى ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة صانعها وعلمه وقدرته واعلم ان وجه الاستدلال
بهذا المعنى على كمال علم الله ان يقول ان الحس دل على ان هذه السموات وقع تركيبها على وجه
عجيب بديع موافق للمصلحة والعلم والحكمة والحسن وكل فاعل كان فعله كذلك فهو لا بد ان يكون عالماً
في غاية العلم والحكمة فقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة
والاحكام والاتقان عند المتكلمين يدل على علم الفاعل دلالة ضرورية ثم قال تعالى بعده فارجع البصر

اسم

هل ترى من فطور فكانه تعالى قال ارجع البصر وليعلم ان لا تحكم بمقتضى النظر الواحد ولا يعول عليه بسبب
انه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة بعد اخرى حتى يتيقن انه
ليس في خلق الرحمن من تفاوت ولا عيب ولا فطور والعجب انه تعالى قال الحمد لله فاطر السموات
والارض ثم بين في هذه الاية انه ليس فيها فطور كانه قال انا الفاطر للسموات من غير فطور وانا
المدبر لها من غير عيب ولا قصور ونظير هذه الاية قوله تعالى وما لها من فروج فليس فيها فطور
وليس فيها فروج وليس فيها تفاوت بل هي سبع طباق وسبع شداد وبناء مرفوع وسماء مصنوع
وفيها ايات قاهرة وبراهين باهرة تدل على وحدة صانعها وتقدس مقدرها ومدبرها ثم قال
تعالى ثم ارجع البصر كرتين امر بتكرير البصر في خلق السموات على سبيل التصفح والتتبع هل تجد
فيه عيبا وخللا يعني انك وان كررت هذا النظر مرارا واطوارا لم يرجع اليك بصرك بما تطلبه من
وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا اي مبعدا وهو ماخوذ من قولك خسات الكلب اذا بعدته
وقال المبرد الخاسئ المبعد المصغر وقال ابن عباس الخاسئ الذي لا يرى ما هوى والحسير الكليل
والمعنى انه وان كرر النظر واعاده فانه لا يجد عيبا ولا فطورا ثم قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وسنذكر ان شاء الله تحقيق هذه الاية واسرارها في باب الاستدلال باحوال الكواكب على وجود
الصانع فهذا جملة الكلام في هذه الاية واعلم انه قد نفي من الصفات المذكورة في القران للسموات صفاتها
عند قيام القيمة كقوله تعالى واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت اذا السماء فرجت واذا السماء كشطت
ويوم تشقق السماء بالغمام ويوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وتكون السماء كالمهل يوم تمور
السماء مورا فكانت وردة كالدهان والكلام في شرح هذه الاحوال سيجيء ان شاء الله تعالى في باب
كيفية قيام القيمة

الفصل السابع في الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع

اعلم انه تعالى نبه على الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته
وجلاله في ايات منها قوله تعالى في اول سورة البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا واعلم انه تعالى
ذكر انواع منافعها على الشرح والتفصيل في كتابه الكريم

النوع الاول من منافع الارض

انه تعالى خلق كل ما في الارض لنا قال في اول البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال في
سورة الحج الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جميعا واعلم ان الكلام في الاية المذكورة في سورة البقرة لا يتم
الا بتفسير ما قبلها واعلم انه تعالى ذكر في اول هذه السورة خمس ايات في تعظيم المومنين وهي الى
قوله واولئك هم المفلحون ثم ذكر بعد ذلك ايتين في ذم الكفار وهما قوله ان الذين كفروا الى قوله ولهم عذاب
اليم ثم ذكر ثلاث عشرة اية في ذم المنافقين وهي من قوله ومن الناس من يقول امنا بالله الى قوله يا ايها
الناس اعبدوا ربكم فان قيل كفر الكافر المتظاهر بكفره اغلظ من كفر المنافق فلم كان ذم الكافر في
ايتين وذم المنافق في هذه الايات الكثيرة قلنا لان الكافر وان كان كافرا الا ان طبعه طبع الرجال
فما يضمره يظهره واما المنافق فطبعه طبع المخنث يضمر شيئا ويظهر شيئا اخر فلهذا ورد ذمه
اكثر ولهذا قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ثم انه تعالى لما شرح احوال هذه الفرق الثلث
شرع بعد ذلك في تقرير الدلايل فبدا بذكر دلايل الصانع وذكر من الانفس دليلين ومن الافاق ثلثة

اما من الانفس فقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واما من الافاق فقوله
الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء ثم ذكر بعده دليل نبوة محمد عليه السلام
وهو قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ثم ذكر بعده مسئلة الحشر
والنشر والقيمة فقال وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم اورد سوالا على الدليل الذي ذكره على
نبوة محمد عليه السلام وذلك لانه استدل على نبوته بحال تعظيم القران وكمال درجته وطعن
الكفار فيه فقالوا كيف يكون عظيم الدرجة وهو مشتمل على شرح حال الحيوانات الخسيسة
كالذباب والبعوض والنمل والعنكبوت فاجاب الله عن هذا السوال بقوله ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ثم ساق اخر هذا الجواب الى مسئلة القضا والقدر وهو قوله
تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الى قوله اولئك هم الخاسرون وعند هذا تمت الدلايل
على تقرير هذه الاصول الاربعة وهي التوحيد والنبوة والمعاد والقدر ثم بعد تقرير هذه الاصول
الدلايل القاهرة والبراهين الباهرة شرع في تعديد النعم ومعلوم ان النعم منها عامة ومنها
خاصة فقدم ذكر النعم العامة ومعلوم ان اصل جميع النعم هي الحيوة فانه لولا الحيوة لما كان
الانتفاع بشيء من النعم ممكنا فلا جرم اول النعم الذي ذكرها الله تعالى هي الحيوة فقال كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وفي هذه الاية فوايد

الفايدة الاولى ان قوله كيف تكفرون بالله وان كان في صورة الاستخبار الا ان
المراد منه التبكيت والتبعيد لان عظم النعمة تقتضي عظم معصية المنعم من ذلك ان الوالد لما
عظمت منفعته ونعمته على الولد بان رباه وعلمه وخرجه واعطاه الاموال وعرضه للامور الجسام
لا جرم كانت معصيته لابنه اقبح المعاصي فقابل نعمة الله عليك بنعم ابيك عليك حتى تعرف
عظم معصية الله ونهاية قبحها ثم ان اعظم المعاصي هو الشرك والكفر فلما كانت هذه المعصية
متناهية الى الغاية القصوى في القبح لا جرم ذكرهم سبحانه نعمه العظيمة عليهم ليصير ذلك
منبها لهم على عظم جرمهم وغاية قبح طريقتهم فيصير ذلك زاجرا لهم عنه فذكر اولا امر الحيوة
التي هي اصل جميع النعم وذكر ذلك بصيغة كيف على سبيل التعجب تنبيها على غاية درجة
هذه النعمة وغاية قبح هذه المعصية

الفايدة الثانية قالت المعتزلة هذه الاية
تدل على ان الكفر من العبد لا من الله تعالى وبيانه من وجوه **الاول** انه تعالى لو كان هو الخالق
للكفر فيهم لما جاز ان يقول كيف تكفرون بالله على سبيل التوبيخ كما لا يجوز ان يقول لهم كيف
تسودون وتبيضون وتصحون وتسقمون لما كان كل ذلك انما حصل من الله تعالى بخلقه
فيهم **والثاني** انه لما خلقهم للشقاء والنار وما خلقهم الا للكفر والضلالة والبقاء في النار
فكيف يصح ان يقول لهم كيف تكفرون **والثالث** انه كيف يليق بالحكيم ان يقول تكفرون
حال ما خلق الكفر فيهم ويقول وما منع الناس ان يومنوا حال ما منعهم عن الايمان ويقول
فما لهم لا يومنون فما لهم عن التذكرة معرضين وهو يخلق فيهم الاعراض ويقول انى تؤفكون
كيف تصرفون ويخلق الافك والصرف فيهم ومثل هذا الكلام بان يعد من السخرية اولى من ان يذكر

لاجل الزام الحجة على العباد • والرابع انه تعالى لما قال للعبد كيف تكفرون بالله فهل ذكر
هذا الكلام توجيها للحجة او ليس كذلك فان لم يكن لطلب توجيه الحجة كان ذلك عبثا
ولا يكون في انزال القرآن فائدة اصلا وان كان ذلك لالزام الحجة فللعبد ان يقول بنا على مذهب
الجبر حصل في حقي امور كثيرة موجبة للكفر مانعة عن الايمان فالاول انك علمت مني
الكفر وانا لا اقدر على ان اقلب علمك جهلا • والثاني انك اردت مني الكفر وهذه
الارادة موجبة • والثالث انك خلقت الكفر وانا لا اقدر على ازالة فعلك • والرابع انك
خلقت قدرة لا تصلح الا للكفر والخامس انك اخبرت عن وجود هذا الكفر وانا لا اقدر على
جعل خبرك الصدق كذبا • والسادس انك خلقت ارادة جازمة للكفر والسابع
انك زينت الكفر • والثامن انك سلطت على القلب الرين والطبع والوقر والغشا و
والختم وكل ذلك اسباب موجبة للكفر لما كانت هذه الاسباب الثمانية للكفر سلبت
مجموع الاسباب الثمانية المعتبرة في حصول الايمان وقد حصل لعدم الايمان ستة عشر سببا
كل واحد منهما مستقل بالمنع من الايمان ومع قيام هذه الاسباب الكثيرة كيف يحسن التوبيخ
على الكفر والترغيب والتاسع انه تعالى قال لرسوله قل لهؤلاء الكفار كيف تكفرون
بالله الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة اعني نعمة الحيوة الدنيا وعلى قول اهل الجبر لا نعمة له
تعالى على الكافر وذلك لان عندهم كلما فعله الله تعالى بالكافر فانما فعله ليستدرجه الى الكفر
ويحرقه بالنار وعلى هذا التقدير فاي نعمة تكون لله على العبد وهل يكون ذلك الا بمنزلة من قدم
الى ضيف طبق فالوذج مسموم فان ظاهره وان كان لذيذا او نعمة نعمة لكن لما كانت باطنه
مهلكا فان احدا لا يعده نعماء ومعلوم ان العذاب الدايم اشد ضررا من ذلك السم وعلى هذا
التقدير كيف يعقل ان يكون لله نعمة على هذا الكافر واذا لم يكن له عليه نعمة فكيف يليق به
ان يامر رسوله بان يقول لهم كيف تكفرون بمن انعم عليكم بهذه النعمة العظيمة •
والجواب عن هذه الوجوه عند البحث يرجع حاصلها الى التمسك بطريقة المدح والذم
والثواب والعقاب وهذه الطريقة معارضة بوجهين • الاول انه تعالى لما كان عالما من
ابي جهل انه لا يومن والعلم بعدم الايمان مع وجود الايمان ضدان متنافيان لذاتيهما فمع قيام
احد الضدين يكون التكليف بالضد الثاني تكليف ما لا يطاق وحينئذ يلزمكم كل ما اوردتموه
علينا والثاني ان قدرة العبد لما كانت صالحة للايمان والكفر فترجح احد الطرفين على
الاخر ان لم يتوقف على مرجح لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وهو محال وان افتقر الى مرجح فحدوث
ذلك المرجح ان لم يكن لمحدث فقد استغنى الحدوث عن المحدث ولزم نفي الصانع وان افتقر الى
محدث فذلك المحدث ان كان هو العبد لزم التسلسل وان كان هو الله تعالى فقد لزم
الجبر وحينئذ يلزمكم كل ما الزمتموه علينا واعلم ان المعتزلي اذا طول وعرض وابرق وارعد بامثال
الكلمات التي حكيناها عنهم فعليك ان تعارضها بهذين الوجهين فانه لا يمكنه ان يتكلم ان كان
ذكيا فاهما • الفايدة الثالثة في هذه الآية اتفقوا على ان قوله وكنتم امواتا المراد به

في الايمان

وكنتم ترابا ونطفا لان ابتداء خلق ادم من التراب وخلق سائر المكلفين من اولاده الا عيسى عليه السلام
من النطفة اختلفوا في ان اطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة او مجاز والاكثرون على انه مجاز
لانه تشبيه الموت بالميت والاقلون قالوا هو حقيقة فيه وهو مروي عن قتادة قال كانوا
امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله ثم اخرجهم الى الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم
بعد الممات فهما حياتان وموتتان واحتجوا بقوله خلق الموت والحيوة الموت المقدم على الحيوة هو
كونه مواتا والاقرب هو الاول لانه يقال في الجماد انه موات ولا يقال انه ميت فيشبه ان يكون استعمال
احدهما في الاخر على سبيل التشبيه قال القفال هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فبين سبحانه ان الانسان كان لا شيء يذكر ثم جعله الله حيا وسميعا وبصيرا ومجاز من قولهم فلان ميت
الذكر وهذا امر ميت وسلعة ميتة اذا لم يكن لها طالب ولا راغب وجعلكم سميعا بصيرا • الفايدة
الرابعة احتج قوم بهذه الآية على بطلان القول بعذاب القبر قالوا لانه تعالى بين انه يحييهم
مرة في الدنيا والاخرى في الاخرة ولم يذكر فيه حياة القبر والجواب ان الله تعالى ذكر حياة القبر
في هذه الآية لان قوله ثم يحييكم ليس المراد منه حيوة القيمة والا لكان هذا هو عين قوله ثم اليه ترجعون
ويحصل التكرار بل قوله ثم يحييكم اشارة الى حيوة القبر ثم قوله ثم اليه ترجعون اشارة الى حيوة القيمة
وقال الحسن البصري قوله كيف تكفرون بالله يعني به العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم الله
ثلث مرات نحو ما حكي في قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الى قوله فاماته
الله مائة عام ثم بعثه وكقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال
لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وكقوله
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى وكقوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق
وان الساعة لا ريب فيها وكقوله في قصة ايوب واتيناه اهله ومثلهم معهم فانه جاء في
بعض الروايات انه تعالى رد عليه اهله بعد ان اماتهم واقول ايضا ان ثبت انه تعالى احيا
الذرية في صلب ادم وخاطبهم بقوله الست بربكم لزم ان يقال ان هؤلاء الاقوام الذين ذكرناهم
قد اماتهم الله اربع مرات الفايدة الخامسة تمسكت المجسمة بهذه الآية وهي قوله
ثم اليه ترجعون على انه تعالى في مكان وجهة وهذا ضعيف والمراد الى حكمه ترجعون لانه
تعالى يبعث من في القبور ويجمعهم في المحشر فذاك هو الرجوع وانما وصف هذا بانه رجوع
الى الله لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله كقولهم رجع حكمه الى الامير الى حيث لا
يحكم غيره • الفايدة السادسة تمسك اهل التناسخ على قدم الارواح بهذه الآية
وذلك لان الرجوع الى الله لا يصح الا ان يقال هذه الارواح كانت قبل تعلقها بالابدان في حضرة الله
تعالى وكذا هذه الآية بقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية والجواب ان الارواح
لما كانت من عالم الاخرة لا جرم سميت مفارقتها عن ابدانها بالرجوع الى الله تعالى الفايدة
السابعة هذه الآية دالة على وجود الصانع سبحانه فان الحيوة والموت ليستا من افعال البشر
ولا بد من مدبر ومع تمام تقريره ما ذكر في باب الاستدلال على وجود الصانع بتكون بدن الانسان

لكنهم

الفائدة الثامنة تدل هذه الاية على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لله سبحانه فيبطل به قول اهل الطبائع والكواكب والاركان والارواح وفيه ابطال قول من حكى الله عنه وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر **الفائدة التاسعة** الاية دالة على صحة الحشر ومنبهة على الدليل العقلي الدال على امكان الحشر والنشر لانه تعالى بين ان هذه الاشيا كانت ميتة فاحياها فاذا جاز الاحيا بعد الموت في المرة الاولى فلان يجوز الاحيا بعد الموت في المرة الثانية كان ذلك اولى • **الفائدة العاشرة** الاية دالة على التكليف والامر والنهي والترغيب والترهيب والثواب والعقاب **الفائدة الحادية عشر** الاية دالة على مسئلة الجبر والقدر وتمام الكلام فيه قد تقدم • **الفائدة الثانية عشر** الاية دالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه تعالى قال فاحياكم ثم يميتكم فبين انه لابد من الموت ثم ذكر انه لابد بعد هذا الموت من سؤال القبر ثم ذكر انه لابد بعد ذلك من الرجوع الى الله تعالى ولنشير الى بيان هذه المراتب اما انه كان ميتا حين كان نطفة وعلقة ومضغة فانه لا شك فيه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا واكمل عقله وصيره بصيرا بانواع المنافع والمضار وملكه الاموال والاولاد والقصور والدور اما سه تعالى بميته فالامر ظاهر فاذا اماته فقد ازال عنه كل تلك النعم وصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا خبر ويبقى مدة مديدة في اللحود كما قال ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون فينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم يصير بحيث لا يزوره الاقربون وينساه الاهل والبنون وقال يحيى بن معاذ الرازي •

بمراقبتي بحذاء قبري • كان اقاربي لم يعرفوني •

وقال ايضا الهي كاني بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف المشيعون من تشييعها وبكا الغريب عليها لغربتها وناداها من شفير القبر ذو مودتها ورحمها المعادى عند جزعتها فلم يخف على الناظرين عجز حيلتها فما رجاى الا ان تقول الملائكة انظروا الى فريد قد نأى عنه الاقربون ووحيد قد جفاه المحبون اصبح مني قريبا وفي اللحد غريبا وكان لي في الدنيا مجيبا وداعيا ولاحساني اليه عند وصوله الى هذا البيت راجيا واحسن الي هناك يا قديم الاحسان وحقق رجائي فيك يا واسع الغفران واما انه لابد من الرجوع الى الله فلانه تعالى يامر بان ينفخ في الصور قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون ثم يعرضون على الله تعالى كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا ويقومون خاشعين خاضعين كما قال وخشعت الاصوات للرحمن وقال بعضهم الهنا اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا ومن شدة الخوف متغيرة وجوهنا ومن هول القيمة مطرقة رؤسنا ومن طول المقام في القيمة جائعة بطوننا وبادية لاهل الموقف سوآتنا ومن ثقل الاوزار مثقلة موقرة ظهورنا وبقينا متحيرين في امورنا نادمين على ذنوبنا ولا تضعف المصائب باعراضك عنا ولا تمنع غفرانك ورحمتك عنا يا عظيم الرحمة يا واسع المغفرة قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا

اعلم انه تعالى لما ذكر الحيوة بالتي هي اصل جميع النعم اتبعه بذكر المنتفع به وهي المنافع المخلوقة في الارض فما احسن هذا الترتيب فان الانتفاع بالارض والسماء لا يكون الا بعد حصول الحيوة اما لفظ الخلق فقد مر تفسيره واما قوله لكم فهو يدل على ان كل ما خلق في الارض انما خلقه لمنفعة المكلفين اما في الدنيا واما في الدين اما الدنيا فلاجل مصالح الدنيا وليتقوى به المكلفون على الطاعات واما في الدين فبان يستدل المكلف بهذه الاشيا ويعتبر في اثبات الصانع ومعرفة قدرته وحكمته وجمع بقوله ما في الارض جميعا كل ما في الارض ومنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال ومنها ما يتصل بضروب الحرف والصناعات والامور التي استنبطها العقلا وبين تعالى ان كل ذلك انما خلقها حتى ينتفع بها المكلف كما قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وكانه قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض فكيف تعجزون عن اعادتكم ثم انه تعالى ذكر تفاصيل هذه المنافع في سور مختلفة كما قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وسنستقصي الكلام في شرح هذه النعم بتفصيل في باب الاستدلال على وجود الصانع سبحانه باحوال الحيوان والنبات ثم ههنا فوايد **الفائدة الاولى** اللام في قوله خلق لكم لام الحكمة والغرض واعلم انه تعالى ذكر هذه اللام في مواضع احدها في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والثاني ان اشرف العبادات بعد الايمان الصلوة فذكر فيها هذه اللام فيها فقال اقم الصلوة لذكري وذكر ايضا في الصوم فقال عليه السلام حاكيا عن الله تعالى الصوم لي ثم ان الامة مجمعة على انه يجب على المصلي ان يقول بقلبه اصلي لله ولو قال اصلي لطلب الجنة او للهرب من النار لم تصح صلاته ثم انه تعالى قال عبدي انك ان وفيت بموجب هذه اللامات ملكتك الدنيا والاخرة بلام التمليك اما الدنيا فهو قوله خلق لكم ما في الارض جميعا واما الاخرة فقوله وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين والحاصل انه سبحانه خلقك لخدمته وقد خلق كل ما سواك لاجلك فان انت صرفت نفسك الى خدمته فهو سبحانه يصرف الدنيا والاخرة الى جهة عرضك كما قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى • **والنوع الثاني** من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع المختار كون الارض مقرا للحيوانات ومسكنا لها والله سبحانه وتعالى ذكر هذا المعنى في ايات كثيرة فقال في اول سورة البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا وقال في سورة طه حكاية عن موسى عليه السلام حين استدل بها على وجود الصانع الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وقال في سورة عم الم نجعل الارض مهادا وقال في سورة النمل امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون وقال في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وقال في سورة نوح والله الذي جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال في سورة المرسلات الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات

حسيها او ... ليعلموا ... عليه الاعاده
... علمه ... ماوالارض

واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين واعلم انه يجب علينا ان نبحث عن هذه الصفات
التي ذكرها الله سبحانه للارض **الصفة الاولى** كون الارض فراشا واعلم انه
يعتبر في كون الارض فراشا للحيوانات بشرايط الاول كونها ساكنة وذلك بانها لو كانت متحركة
الى السفل كالهبوط لكان من رفع رجله عن الارض واراد بعد ذلك ان يضعها على الارض لم يقدر
على ذلك البتة لما بينا انه اذا تحرك شيئان الى السفل واحدهما اخف من الاخر لم يصل الاخف
الى الاثقل فعلى هذا التقدير كان يصير المشي متعذرا للحيوانات على الارض واما ان كانت الارض
متحركة بالاستدارة تعذر المشي على الارض واما ان كانت الارض متحركة بالاستدارة تعذر المشي
على الارض ايضا لانها اذا تحركت بالاستدارة كان الهوي المحيط بها شديد التموج بسبب
حركتها فعند ذلك يصير الانسان وغيره من الاجسام الصغيرة متحركة نحو جهة حركة الارض
بالاضطرار وتمتنع عليها الحركة الى خلاف تلك الجهة وعلى هذا التقدير يصير المشي متعذرا ونقل
الاقمشة من موضع الى موضع متعذرا اما اذا كانت الارض متوقفة ساكنة لا جرم كان المشي ممكنا
ونقل الاقمشة من مكان الى مكان على حسب المراد والمصلحة ممكنا فحينئذ يصلح ان يكون الارض
مسكنا للحيوانات ثم قد عرفت انها ساكنة لا بسبب علاقة فوقها ولا دعامة تحتها والا لعاد
الكلام في تلك العلاقة وتلك الدعامة ولزم التسلسل وهو محال واذا ثبت انها ساكنة
بلا دعامة ولا علاقة ثبت ان ممسكها هو الله سبحانه بقدرته واختياره وهو المراد من قوله
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقد تقدم الاستقصاء في ذلك • **الشرط
الثاني** في كون الارض فراشا للحيوانات ان لا تكون في غاية الصلابة ولا في غاية الرخاوة
واما انه يجب ان لا تكون في غاية الصلابة لانها لو كانت في غاية الصلابة كالحجر كان النوم عليها
والمشي عليها مما يؤلم البدن وايضا لم ينبت من انواع النبات والاشجار والثمار وايضا كان يسخن
شديدا في الصيف ويبرد شديدا في الشتاء فما كان يصلح لسكنى الحيوانات وايضا كان يتعذر
اتخاذ الابنية والمساكن منه وكان يتعذر حفرها وتركيبها كما يراد وكما يوافق المصلحة فثبت
ان الارض لو كانت صلبة حجرية لما كانت تصلح لان تكون فراشا للانسان من هذه الوجوه ثم
تامل ان اعز الاشياء عند الانسان الذهب والفضة ثم الياقوت والزمرد ولو انا قدرنا ان الارض
كانت مخلوقة من هذه الاشياء لفاتت هذه المصالح باسرها وبطلت المنافع وبهذا يظهر انه لا نسبة
للتراب في كثرة المنافع والمصالح الى هذه الاشياء التي يظن الانسان كونها في غاية الشرف والنفاسة
وايضا من شرط كون الارض فراشا لنا ان لا يكون في غاية الرخاوة كالماء وسائر الاشياء التي
تغوص الانسان فيها فثبت ان الشرط في كونها فراشا للانسان وغيره كونها بهذه الصفة التي خلقها
الله عليها **الشرط الثالث** في كونها فراشا لنا ان لا تكون في غاية الشفافية واللطافة
فان الشفاف لا يستقر عليه النور وما كان كذلك فانه لا يتسخن من الشمس والكواكب فيبقى
في غاية البرد ولا يصلح لان يكون مقرا للحيوانات وايضا ما جعلها في غاية الصقالة والبراقة والا
لكان يحترق من كان فيها بسبب انعكاس اشعة الشمس عنها كما تحرق القطنة التي تقرب

من البلورة المحرقة اما لما جعل الارض كثيفة غبراء استقر النور على وجهها فحصل نوع من
السخونة فيها ولما كانت كثيفة لا تنعكس الاشعة منها ولا جرم صارت متوسطا في الحر والبرد
فصلح ان تكون فراشا للحيوانات • **الشرط الرابع** ان تكون خارجا من الماء وذلك لان
الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فالارض لا يمكن ان تكون مسكنا للانسان
وساير الحيوانات الا اذا كانت بارزة من الماء ثم ان طبع الارض يقتضي ان تكون غائصة في الماء فكان
يجب في كل الارض ان تكون البحار محيطة بها ثم انه سبحانه بكمال قدرته ونهاية حكمته وغاية
رحمته بالعباد قلب طبع الارض واخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة النادرة حتى صلحت
لان تكون فراشا لنا فهذه جملة الشرايط المعتبرة في كون الارض فراشا لنا **الصفة الثانية**
من الصفات التي ذكرها الله تعالى للارض كونها مهادا كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام
جعل لكم الارض مهادا والمراد منه انه تعالى جعلها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقيام
والقعود والزراعة وسائر جهات المنفعة وهو قريب من الصفة الاولى الا ان المقصود من
تسميتها بالمهاد ان الارض للخلق كالمهاد للصبي وهو الذي يمهد له فينام عليه • **الصفة
الثالثة** قوله تعالى في سورة عم الم نجعل الارض مهادا ان المهاد مصدر ثم فيه وجوه •
الاول ان يكون المراد من هذه الاية الممهود والمعنى الم نجعل الارض ممهودة وهذا من
باب تسمية المفعول بالمصدر كقولهم هذا ضرب الامير • **الثاني** ان تكون الارض وصفت
بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم كانه لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة **والثالث**
ان تكون بمعنى ذات مهاد • **والصفة الرابعة** قوله تعالى في سورة النمل امن
جعل الارض قرارا واعلم انه تعالى ذكر في منافع الارض في هذه الاية امورا اربعة المنفعة
الاولى كونها قرارا وهذا ايضا قريب من كونها فراشا والشرايط الاربعة المذكورة هناك معتبرة
ايضا ها هنا ونزيدها هنا شرايط اخرى **فالشرط الاول** انه تعالى دحاها وسواها
للاستقرار قال سبحانه والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها
متاعا لكم ولانعامكم وقال في حم السجدة قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين • **الشرط الثاني** انه تعالى جعل الشمس بسبب
ميلها وبعدها عن مدار منطقة الفلك الاعظم بحيث تبعد تارة عن سمت الراس وتقرب اخرى
وبسبب هذا البعد والقرب تختلف الفصول الاربعة وبسبب اختلاف هذه الفصول الاربعة
صلحت البقاع لان تكون مسكنا للحيوانات على ما بينا شرح هذا المعنى في ذكر منافع الميل في ذكر
تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما **الشرط
الثالث** انه تعالى جعل الارض كفاتا للاحياء والاموات على ما سنذكر في تفسير الكفات
ان شاء الله تعالى فلو لم تكن الارض كذلك لما صلحت ان تكون قرارا للحيوانات • **المنفعة
الثانية** من منافع الارض التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية قوله وجعل خلالها انهارا

والعلم

واعلم ان اقسام المياه النبعة من الارض اربعة **الاول** العيون السائلة وهي تنبعث من ابخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوتها ثم لا تزال تستتبع جزءا منها جزءا **والثاني** ماء العين الراكد وهي تحدث من ابخرة بلغت قوتها الى ان دفعت قوتها الى وجه الارض ولم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها ان تطرد تاليها سابقها **والثالث** مياه القناة والانهار وهي ايضا متولدة عن ابخرة ناقصة القوة عن ان تشق الارض فاذا ازيل عن وجهها ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الابخرة منفذا يندفع اليه بادنى حركة **والرابع** مياه الآبار وهي بعينها كمياه الانهار الا انه لم يجعل لها سيلا الى موضع آخر يسيل اليه ونسبة القنا الى الآبار كنسبة العيون السائلة الى العيون الراكدة وقد ظهر بمجموع ما شرحنا انه لولا صلابة الارض لما اجتمعت تلك الابخرة في باطنها ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها

المنفعة الثالثة للارض قوله تعالى وجعل لها رواسي والمراد منها الجبال ويقال اكثر العيون والسحب والمعدنيات انما تكون في الجبال او ما يقرب منها اما العيون فلان الارض اذا كانت رخوة نشفت الابخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به فاذا هذه الابخرة لا تجتمع الا في الارض الصلبة والجبال اصلب الاراضي لا جرم كانت اقواها على هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون مادة للعيون ويصلح ان يكون مستقر الجبل مملوءا ماء ويكون الجبل في حصر الابخرة مثل الانبيق الصلب المعد للتقطير لا يدع شيئا من البخار يتحلل ونفس الارض التي تحته كالفروع والعيون كالاذناب والبحار كالقوابل وكذلك فان اكثر العيون انما تنفجر من الجبال واقلها من البراري وكذلك الاقل لا يكون الا اذا كانت الارض صلبة واما ان السحب انما تكون في اكثر الامر في الجبال فله اسباب ثلاثة **احدها** ان في باطن الجبال من النداوة ما لا يكون في باطن الارضين الرخوة **والثاني** ان يكون الجبال بسبب ارتفاعها يكون ابرد فلا جرم تبقى على ظواهرها من الانداء ومن الثلوج ما لا يبقى على سائر الارض **والثالث** ان الابخرة المتصاعدة من الجبال تكون محتبسة بالجبال ولا تتفرق ولا تتحلل فاذا ثبت ذلك ظهر ان اسباب كثرة السحب في الجبال اكثر لان المادة فيها ظاهرا وباطنا اكثر والاحتقان اشد والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك كانت السحب في الجبال اكثر واما المعدنيات المحتاجة الى الحر تكون لاختلاطها بالارضية اكثر ويبقى ذلك الاختلاط مدة طويلة يتم النضج فيها فلا شيء لها في هذا المقصود كالجبال

المنفعة الرابعة للارض قوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا واعلم ان المقصود من ذلك الحاجز احد امور **الاول** ان لا يفسد العذب بسبب اختلاطه بالماء المالح **والثاني** ان ينتفع بذلك الحاجز **والثالث** المؤمن في قلبه بحران بحر الحكمة والايمان وبحر الشهوة والطغيان والحق سبحانه وتعالى بتوفيقه جعل بينهما حاجزا لكي لا يفسد احدهما بالآخر وقال بعض الحكماء في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال عند عدم البغي بين البحرين يخرج اللؤلؤ والمرجان فكذلك عند عدم البغي في القلب يخرج الدين والايمان واعلم ان وجه الاستدلال بهذه الاحوال على اثبات الصانع الحكيم ظاهر وذلك لانه تعالى دبر اجزاء الارض على هذه الاحوال المحكمة المتقنة لمصالح العباد الموافقة وذلك لا يمكن الا بمشيئة

بانه وقدرة كاملة وحكمة بالغة **المنفعة الخامسة** للارض قوله تعالى في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا واعلم ان الذلول من كل شيء المنقاد الذي يذل لك ومصدره الذل وهو الانقياد واللين ومنه يقال دابة ذلول وفي وصف الارض بالذلول وجوه **الاول** انه تعالى لم يجعلها صخرة خشنة يمتنع المشي عليها كما يمتنع المشي على وجوه الصخور الخشنة **والثاني** انه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبناء الابنية منها كما يراد ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك ايضا **والثالث** انك ترى عليها كل فسيح وهي تخرج لك كل طعام لذيذ بالغ **والرابع** انها كفات الاحياء والاموات وهذه الوجوه قد شرحناها ثم قال تعالى فامشوا في مناكبها وللمفسرين ذكروا في مناكب الارض وجوها **الاول** قال صاحب الكشاف المشي في مناكبها مثل لفرط التذلل لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق من البعير وابعده من امكان المشي عليه فاذا صار البعير بحيث يمكن المشي على منكبيه فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة نهاية فظهر ان قوله فامشوا في مناكبها كناية عن كونها نهاية في الذلولية **والثاني** وهو قول قتادة والضحاك وابن عباس ان مناكب الارض جبالها وآكامها وسميت الجبال مناكبها لان مناكب الانسان شاخصة والجبال ايضا شاخصة والمعنى انها سهلت عليكم المشي في مناكب الارض وهي ابعد اجزائها عن التذلل فكيف الجبال في سائر اجزائها **والثالث** ان مناكبها هي الطرق والفجاج والاطراف والجوانب وهو قول الحسن ومجاهد واما قوله تعالى وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله رزقا لكم في الارض واليه النشور يعني ان تكونوا مكنكم في الارض واكلكم من رزق الله مكث من يعلم ان مرجعه الى الله واكل من يعلم ان مصيره الى الله والمراد التحذير من الكفر والمعاصي وطول الامل

الصفة السادسة للارض قوله تعالى في سورة نوح والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة واحدها فج وهو قريب مما تقدم

الصفة السابعة في قوله تعالى والمرسلات الم نجعل الارض كفاتا ومعنى الكفت في اللغة الجمع والضم يقال كفت الشيء اي ضممته ويقال الجراب كفيت اذا كان لا يضيع شيء مما جمع فيه والكفات اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم فيه ويجمع ويقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصبت احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو نكفت هذا هو اللغة ثم في المعنى وجوه **الاول** انها تكفت الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها والمعنى ان الاحياء يسكنون في بيوتهم والاموات يدفنون في قبورهم ولهذا المعنى كانوا يسمون الارض كفاتا اما لانها تضم الناس كالام التي تضم ولدها وتكفله ولما كانوا يضمون اليها جعلت كانها تضمهم **والثاني** انها كفات الاحياء بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة **والثالث** انها كفات الاحياء بمعنى انها جامعة لما يحتاج الانسان اليه في حياته من مأكل ومشرب لان ذلك يخرج من الارض وايضا المساكن الجامعة للمصالح الدافعة للمضار منها **والرابع** ان قوله احياء وامواتا راجع الى الارض والحي ما انبت والميت ما لم تنبت بقي في الآية سؤالان **السؤال الاول** لم قيل احياء وامواتا

علي التكثير وهي كفات للاحيا والاموات جميعًا الجواب هو من باب التفخيم كانه قيل تكفت احيا لا يعدون واموات لا يحصرون **السوال الثاني** هل تدل الايه على وجوب قطع النباش الجواب نقل القفال ان ربيعه قال دلت الايه على ان الارض كفات الميت فيكون حرزًا له والسارق اذا سرق من الحرز يجب عليه القطع **الصفة الثامنة** للارض قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فهي لنا كالام الحاضنه التي تربي حالتي الحيوة والموت **النوع الثالث** من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى على ان هذه الاحوال من وجوه **الاول** ان الاشيا المتولده فيها من المعادن والنبات والحيوانات والاثار العلويه والسفليه كثيره لا يعلم تفاصيلها الا الله سبحانه وتعالى **والثاني** في منافع الارض ان الماء لرقته ورطوبته لا يحفظ الشكل والتصوير واذا خلط بين الماء والتراب حصل في الماء نوع قوام واستمساك وحصل في التراب قبول الاشكال فيصير الطين قابلا للتشكيل والتخليق كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين وقال في حق عيسى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني **والثالث** اختلاف بقاع الارض فمنها ارض رخوه وصلبه ورمليه وسبخه وحره وهي المشار اليها بقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا **والرابع** اختلاف الوانها فاحمر وابيض واسود ورمادي اللون واسمر كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود **والخامس** انصداعها بالنبات كما قال تعالى والارض ذات الصدع **والسادس** كونها خازنه للما المنزل من السماء واليه الاشارة بقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون وقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين **والسابع** العيون والانهار العظام والصغار التي في الارض واليه الاشارة بقوله وجعل فيها رواسي وانهارا **والثامن** ما فيها من المعادن والفلزات واليه الاشارة بقوله والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون ثم بين ذلك تمام البيان فقال وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم **والتاسع** الزروع والاشجار التي تنبت من الارض من الحب والنوى قال تعالى ان الله فالق الحب والنوى وقال يخرج الخب في السموات والارض ثم ان الارض لها طبع الكرم لانه يدفع اليها حبه واحده وهي تردها عليك سبعمايه كما قال تعالى كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبه **والعاشر** حيوتها بعد موتها قال تعالى اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا وقال واية لهم الارض الميتة احييناها **والحادي عشر** ما عليها من الدواب المختلفة الالوان والصور والخلق والايه والاشارة خلق السموات بغير عمد ترونها والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة **والثاني عشر** ما فيها من النبات المختلفة الوانها وطبايعه وانواعه ومنافعه واليه الاشارة بقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج واختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة

واختلاف

واعرم

واختلاف روايحها دلالة واختلاف منافعها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهايم كما قال كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهي ثم ان مطعوم البشر تنقسم الي اقسام منها الطعام ومنها الادام ومنها الدوا ومنها الفاكهه ومنها الانواع المختلفه وقال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام وايضًا فمنها كسوة البشر لان الكسوه اما نباتيه وهي القطن والكتان واما حيوانيه وهي الشعر والصوف والابريسم والجلود وهي من الحيوانات التي بثها الله في الارض فالمطعوم من الارض والملبوس من الارض والغذا من الارض والدوا من الارض ثم قال ويخلق ما لا تعلمون وفيه اشارة الي منافع كثيره لا يعلمها الا الحق تعالي عالم بها ثم انه تعالي جعل الارض سايرة لفضايحك بعد موتك فقال الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ثم انه جمع هذه المنافع العظيمه في السماء والارض مسخره للادمي كما قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض **الثالث عشر** ما فيها من الاحجار المختلفه ففي صغارها ما يصلح للزينه فيجعل فصوص الخواتم وفي كبارها ما يتخذ للابنيه وانظر الي الحجر الذي تستخرج النار منه مع كثرته وانظر الي الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الي كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الشريف **الرابع عشر** ما اودع الله فيها من المعادن الشريفه كالذهب والفضه والملح والنفط ثم تامل فان البشر استنبطوا الحرف الدقيقه والصنايع الجليله واستخرجوا السمكه من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهوي ثم عجزوا عن ايجاد الذهب والفضه والسبب فيه انه لا فايدة في وجودهما الا الثمنيه وهذه الفايده لا تحصل الا عند العزة والقدرة على ايجادهما تبطل هذه الحكمه فلذلك ضرب الله دونها بابا مسدودا اظهارا لهذه الحكمه وابقا لهذه النعمة واما الذي لا مضرة على الخلق في ايجاده فقد اقدرهم عليه مثل اتخاذ الشبه من النحاس واتخاذ الزجاج من الرمل واذا تامل العاقل في هذه اللطايف والعجايب اضطر الي افتقار هذه التدابير الي صانع حكيم مقتدر عليم سبحانه وتعالي عما يقول الظالمون علوا كبيرا **الخامس عشر** كثرة ما يوجد على الاراضي والجبال من الاشجار التي تصلح للبناء والسقف ثم الحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ وقد نبه الله تعالى على دلايل الارض ومنافعها بالالفاظ التي لا يبلغها البلغاء ولا يقدر عليها الفصحاء فقال وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين **النوع الرابع** من مباحث الارض اختلفوا في ان السماء افضل ام الارض وقال بعضهم السماء افضل لوجوه **الاول** ان السما متعبد الملايكه وما فيها بقعة عصي الله فيها حتى ان ابليس لما اظهر الكفر اخرج من السما وقيل له اخرج منها فانك رجيم فادم عليه السلام لما اتى بالزلة قال تعالى اهبطوا منها وقال لا يسكن في جواري من عصاني **والحجة الثانية** انه تعالى وصف السما بصفات دالة على العظمه ولم يذكر مثلها في الارض فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبعا طباقا سقفا محفوظا هل ترى من فطور وما لها من فروج وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ثم ذكر عاقبة امرها فقال واذا السما فرجت واذا السماء كشطت يوم نطوي السما وتكون السماء كالمهل واما الموضع الذي ذكر فيه حال الارض فقد ذكر الارض

بحث في المفاضلة بين السماء والارض ٥

بما يدل على عظم حال السماء فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه ومعلوم ان اليمين اشرف **والحجة الثالثة** انه تعالى جعل الارض موضع السجود
والسموات قبلة الدعاء والايدي ترفع اليها والوجوه تتوجه نحوها والقلوب متعلقة بها
الحجة الرابعة انها منبع الانوار ومحل الصفاء والاضواء ومصونة عن الخلل والفساد
ومحل الطهارة والعظمة والارض ليست كذلك **الحجة الخامسة** مؤثر غير متاثر و
الارض متاثرة غير مؤثرة والمؤثر اشرف من القابل بما يدل على ان السموات مؤثرة قوله تعالى
فليمدد بسبب الى السماء وقوله تعالى حكاية عن فرعون لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
الحجة السادسة ان السموات مزينة بثمانية اشيا ثلاثة محسوسة وهي الشمس والقمر والنجوم
وخمسة منها غير محسوسة وهي العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة ومثال هذه الاشيا غير موجودة
في الارض ولا ما يناسبها والاثار كلها **الحجة السابعة** انه تعالى ذكر امر السموات والارض
في كتابه وفي كل المواضع قدم ذكر السموات على الارض وذلك يدل على المقصود وذهب بعضهم
الى ان الارض افضل واحتجوا عليه بوجوه **الحجة الاولى** انه تعالى وصف بقاعا من
الارض بالبركة اخبارا قوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وثانيها قوله
في البقعة المباركة من الشجرة وثالثها قوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
ورابعها وصف ارض الشام بالبركة فقال مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها
وخامسها وصف جملة الارض بالبركة فقال قل ائنكم لتكفرون الى قوله وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها فان قيل فاي بركة في الفلوات الخالية والمفاوز المهلكة قلنا
انها مساكن الوحوش ومرعاها ولولاها لاختلطت السباع بالناس في مساكنهم ثم انها
مساكن الناس اذا احتاجوا اليها وهذه الحجة ضعيفة لان الله تعالى اثبت وصف البركة في السماء
وهو قوله بركات من السماء **الحجة الثانية** انه تعالى خلق الانبيا المكرمين من الارض
على ما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولم يخلق من السموات شيئا
لانه قال وجعلنا السماء سقفا محفوظا **الحجة الثالثة** انه تعالى كرم نبيه
محمدا فجعل الارض كلها مسجدا وجعل ترابها طهورا **النوع الخامس** من المباحث
تدل على تعظيم حال السماء والارض اعلم انه تعالى بين صفات جلاله وعبوديته كبريائه بالاضافة
الى السموات والارض وهذه الايات كثيرة في القرآن **اما القسم الاول**
فالايات الدالة على الخلق قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض ثم بين ان هذا الخلق
اعظم من خلق الناس فقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال في النازعات
انتم اشد خلقا ام السماء بناها وقال في يس وليس الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ثم بين انه خلقهما بالحق فقال في النحل خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم بين في ص انه ما خلقهما باطلا فقال وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ثم بين ان

الكل

الكل تحت يده فقال الذي يخرج الخبء في السموات والارض ثم بين في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار ايات عجيبة فقال في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض
الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال في ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم بين انه تعالى ما اطلع احدا على اسرار هذا الخلق فقال ما
اشهدتهم خلق السموات والارض فهذا ما يتعلق بصفة الخلق **القسم الثاني**
ما يتعلق بصفة الربوبية فقال موسى عليه السلام في سورة الشعراء اسند الاعلى فرعون رب
السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وقال ايضا الله نور السموات والارض
الذين من اهل السموات والارض كما يقال فلان نور هذا البلد اذا كان سببا لنظم مصالح
اهل البلد وقال بعضهم الله هادي اهل السموات والارض وقال بعضهم منور السموات
والارض وقرا بعضهم الله نور السموات والارض واحتج على هذه القراءة بقوله مثل نوره ثم بين انه
تعالى غير عاجز عن هذا التدبير فقال وما كان الله ليعجزه من شي في السموات ولا في
الارض **القسم الثالث** ما يتعلق بالملك قال تعالى ولله ما في السموات وما في
الارض ثم ذكر التفصيل فبين انه تعالى مالك الجنود فقال ولله جنود السموات والارض وانه المالك
لفتح المغاليق فقال له مقاليد السموات والارض ثم ذكر المالك لكل العقلاء فقال ولله من في
السموات ومن في الارض ثم اكد كيفية هذه العبودية بقوله ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض وقال ايضا يسجد له من في السموات ومن في الارض ثم بين انه تعالى جعل البعض
مسخرا للبعض بل جعل القوي مسخرا للضعيف فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ثم بين فقال وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض ثم بين انه لا يعجزه احد فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وقال
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء **القسم الرابع** ما يتعلق بالملك وهو
قوله ولله ملك السموات والارض واعلم ان الفرق بين الملك وبين المالك موجود على ما
هو معلوم في تفسير قوله تعالى مالك يوم الدين ملك يوم الدين ثم بين الله انه هو الملك فهو
ايضا مالك الملك فقال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ثم بين بقاء الملك وكثرة بركاته فقال تبارك الذي
له ملك السموات والارض **القسم الخامس** ما يتعلق بالعلم وهو قوله
ولله غيب السموات والارض ثم بين انه تعالى يعلم الغيب والشهادة فقال يعلم ما في السموات
وما في الارض ثم بين احاطة علمه فقال لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ثم بين جلالته في هذا العلم فقال قل ربي يعلم القول في السماء والارض ثم بين انه لا يخفى
عليه شي البتة وقال لا يخفى على الله شي في الارض ولا في السماء **القسم السادس**
ما يتعلق بكيفية التدبير فقال يدبر الامر من السماء الى الارض **القسم الثامن**
ما يتعلق بالكبرياء قال وله الكبرياء في السموات والارض وقال وله المثل الاعلى في السموات والارض

القسم السابع ما يتعلق بكيفية التدبير فقال يدبر الامر من السماء الى الارض القسم التاسع ما يتعلق بالتسبيح والحمد قال تعالى يسبح لله ما في السموات والارض وقال
يسبح لله ما في السموات وما في الارض وله الحمد في السموات والارض

وقال وسع كرسيه السموات والارض وقال وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها نظيره قوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال ففزع من في السموات ومن في الارض وقال فصعق من في السموات ومن في الارض وقال يساله من في السموات والارض وقال انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها كل ذلك يدل على نهاية الجلال والعظمة والهيبة وقال وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا ونظيره من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي **القسم التاسع** ما يتعلق بالالهية وهو قوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقال هو الذي في السماء اله وفي الارض اله • **القسم العاشر** ما يتعلق بالنظر والاستدلال قال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقال في التنبيه على العبرة فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين واعلم ان اكثار الله تعالى ذكر السموات والارض في القران يدل على عظم شانهما وعلى ان له فيهما اسرارا عجيبة وحكما بالغة لا يصل اليها افهام الخلق ولا عقولهم فان قيل فما الحكمة في انه تعالى عرف صفات جلاله وقدسه وعظمته بذكر السموات والارض قلنا الحكمة فيه ان ذات الله وصفاته وعزته وعظمته مشاهدة للخلق ابتداء بل لا سبيل الى معرفتها الا بالدلايل والبراهين وكلما كانت الاثار اجل واعظم كان ذلك ادل على عظمة المؤثر فلما كان اعظم الموجودات المحسوسة هو السموات والارض لا جرم عرف الله سبحانه وتعالى كمال قدرته ونهاية علمه وحكمته بذكر السموات والارض فهذا تمام القول في هذا الموضع **النوع السادس** المنافع الحاصلة من شرح من مجموع السموات والارض اعلم ان السماء والارض مع غاية بعد كل واحد منهما على الاخر متعاونان على تحصيل مناظم العالم ومصالحه وبيانه من وجوه • **الاول** ان الفوق هو الذي يلي جهة السماء والتحت هو الذي يلي جهة الارض والجهات لا توجد الا بالفوق والتحت والسماء والارض متعاونان على تحصيل وجود الجهات واذا كان حصول الجهات من توابع حصول السماء والارض كان خالق السماء والارض منزها عن الجهات والاحياز **الثاني** ان السماء والارض متعاونان على تحصيل النبات والسماء كالاب ينزل من صلبه القطر ويقع في قعر الارض فاذا وقعت الحبة في ذلك الطين اثرت نداوة الطين في تلك الحبة فكذلك السخونة المختفية في باطن الارض فوصلت النداوة الى باطن الحبة وبسبب تلك السخونة انتفخت الحبة وربت وعظمت وانفلقت فلقة من فوقها وفلقة من تحتها فالانفلاق الفوقاني يخرج منه ساق الشجرة والانفلاق التحتاني يخرج منه عروق الشجرة واذا عرفت هذا فنقول لو وقعت الحبة في ارض يابسة لم يحصل المقصود اصلا ولو وقعت في الطين ولكن بحيث لا يصل اليه

تاثيرات الهوي وشعاعات الكواكب لا تحصل المقصود ايضا الا ترى ان الاشجار التي تكون في ظل مانع من شروق نور الشمس والقمر عليها فانها تكون فاسدة ناقصة والشجرة الصغيرة الواقعة في ظل شجرة كبيرة تكون ايضا فاسدة واذا تاملت علمت ان هذا المقصود لا تحصل الا اذا وجدت كرة الارض وكرة السماء وكانا متفارقين بحيث يتجانس ثم لا بد من وصول الهوي اليه الا ان الهوي جرم خفيف صاعد بالطبع فلا يغوص بالطبع في عمق الطين فدبر الحكيم الرحيم لهذا تدبيرا وهو ان حركت الهوي حتى صار ريحا ثم ان الريح تموج فيه الهوي واذا تموجت غاص بعضها في اثناء ذلك التموج ان نفذ في عمق الارض واليه الاشارة بقوله وارسلنا الرياح لواقح واما الفا حمها في ايقاع الازدواج بين الارض والماء والهوي ثم لما كان ذلك لا يفيد المقصود الا مع حرارة لطيفة سماوية فعند ذلك لا بد من حرارة الربيع في الانبات ومن حرارة الصيف في الانضاج فقد عرفت ان المقصود لا تحصل الا عند اجتماع تاثيرات العناصر الاربعة السفلية وتاثيرات شعاعات الفلكية ثم عند اجتماع هذه الاسباب العلوية والسفلية لا تحصل المقصود الا بقدرته ولا يكون المطلوب الا بنفاذ مشيته وذلك لان من الارض الواحدة والماء الواحد والهوي الواحد وتاثيرات الشمس والقمر في الكل على السوية تخرج انواع من النبات مختلفة في الطعم والطبع واللون والرايحة فدل ذلك على ان العناصر والا فلاك اسباب ظاهرة والمؤثر في الحقيقة هو القدرة الازلية والمشية السرمدية • **الوجه الثالث** ان النهار عبارة عن مدة ظهور نور الشمس والليل عبارة عن مدة اختفاء نور الشمس بسبب ظل الارض ومنافع الليل والنهار كثيرة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فاذا كان الامر كذلك كان السبب الظاهر القريب لحدوث الليل والنهار هو وجود السماء والارض ولهذا السبب فانه تعالى انما ذكر احوال الليل والنهار ففي الاكثر يكون ذلك مسبوقا بذكر السماء والارض تنبيها على ان سبب الليل والنهار هو الارض والسماء ثم العجب ان السماء والارض كالمتقابلين المتضادين ثم انهما صارا متعاونين على تحصيل اسباب منافع هذا العالم والمتضادان يوجبان الفساد فلما صار هذان الضدان موجبين لحصول اسباب الصلاح علم ان ذلك بتقدير مقدر وتدبير مدبر حكيم عليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهذا هو اخر الكلام في الدلايل الماخوذة من السماء والارض والله ولي التوفيق

الباب الثاني في وجود الدلايل الماخوذة من الشمس والقمر والنجوم وفيه فصول

الفصل الاول في تقرير دلايل الخليل عليه السلام في قوله لا احب الافلين قال تعالى واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين اعلم ان قبل الخوض في التفسير لا بد من مقدمات **المقدمة الاولى** انه تعالى كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابرهيم عليه السلام وذلك لانه جل يعترف بفضله جميع الطوايف والملل فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بانهم من اولاده واليهود والنصارى والمسلمون كلهم معظمون له معترفون بجلالة قدره لا جرم ذكر الله حكاية حاله في معرض الاحتجاج على المشركين

واعلم ان هذا المنصب العظيم وهو اعتراف اكثر الخلق بفضله وعلو مرتبته لا يتفق لاحد كما اتفق للخليل
عليه السلام والسبب فيه ان بين الرب وبين العبد معاهدة كما قال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
فابرهيم صلى الله عليه اوفى بعهد العبودية والله تعالى شهد بذلك على سبيل الاجمال تارة
وعلى سبيل التفصيل اخرى اما الاجمال ففي ايتين احدهما قوله واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن وهذه شهادة من الله تعالى بانه اتم عهد العبودية والثانية قوله تعالى اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب العالمين واما التفصيل فهو انه ناظر في اثبات التوحيد وابطال القول
بالشركاء والانداد مع ابيه وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيا وناظر ايضا في هذه المسئلة مع قومه وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى اخره
وناظر ملك زمانه في هذه المسئلة ايضا قال ربي الذي يحيي ويميت ثم ناظر ايضا مع قومه
بالفعل وهو قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ثم ان القوم لما قالوا حرقوه وانصروا الهتكم
ان كنتم فاعلين ويروى انه لما وضع في المنجنيق ضجت السماء والارض وكل المخلوقات
الا الثقلين قالوا يا ربنا ليس في الارض احد يعبدك ويوحدك غير ابرهيم ثم انه يحرق بالنار
لاجلك ائذن لنا في نصرته فاوحى الله تعالى الى السماء والارض والجبال والبحار ان
استغاث بكم فاغيثوه وانا ستنصركم فانصروه وان دعاني فانا وليه وناصره وكفى بي
وليا وناصرا فلما ارادوا القاه في النار قال يا احد يا صمد بك استغيث وعليك اتوكل حسبي
الله لا اله الا هو عليه توكلت ونعم الوكيل فجا ملك المطر وعرض نفسه عليه فلم يلتفت وجا خازن
الريح وقال ان شئت اذنت للريح ان تفرق النار في شرق الارض وغربها فلم يلتفت فرمي من
المنجنيق فقبل ان يصل الى النار قال جبريل عليه السلام الان جاوفى وعرض نفسه عليه وقال
هل لك من حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فلا ترفع حاجتك الى الله فقال ابرهيم حسبي
من سوالي علمه بحالي فان قيل الستم رويتم انهم لما ارادوا القاه في النار دعا الله واستعان به
ثم ذكر انه في هذه الحالة لم يذكر شيا فما الفرق بين الحالتين قلنا الانسان قبل الوقوع
في البلا لا ينقطع طمعه عن النفس ولا حجاب عن الرب الا الاشتغال بالنفس فاذا زال ذلك الحجاب
تجلى في قلبه نور جلال الله فحينئذ يستنكف ان يرجع الى الله في خلاص النفس وفي بعض الروايات
انه لما قال له جبريل عليه السلام لم لا تستعين بالرب تعالى فقال على ماذا قال على النفس فقال
الخليل نفسي معه لا احفظها ولا اسال علام الغيوب نجاة الجسم المعيوب فقال جبريل استعن على القلب
فقال الخليل القلب للرب فليعمل الرب ما شا بالقلب فقال جبريل استعن على الروح فقال الخليل
الروح عارية والعارية مردودة قال جبريل استعن على النار فقال الخليل من اوقد النار قال
العدو قال فمن قضى به قال الحبيب قال الخليل فالحبيب راض بحكم الحبيب فلما انقطع نظر الخليل عن
الوسايط والاسباب الحق نصا رفع الوسايط والاسباب فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم
ثم انه عليه السلام بعد هذه الواقعة بذل ولده فقال اني اري في المنام اني اذبحك فعند هذا كان
لابرهيم عليه السلام من الفتيان سلم قلبه للعرفان ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان

وكماله

وكماله الصفات ان يكمل عهد عبوديته ثم انه سال بعد ذلك فقال واجعل لي لسان صدق في الاخرين
فوجب في كرم الحق ان يحقق مطلوبه في هذا السوال فلا جرم اجاب دعاه وقبل نداه
وجعله مقبولا في جميع الفرق والطوايف الى اخر القيمة ولما كان العرب معترفين بفضله لا جرم
جعل الله مناظرته مع قومه حجة على مشركي العرب **المقدمة الثانية** اعلم انه ليس في العالم
احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين
احدهما حكيم يفعل الخير والثاني سفيه يفعل الشر اما الاشتغال بعبادة غير الله ففي الذاهبين
اليه كثرة فمنهم عبدة الكواكب وهم فريقان منهم من يقول ان الله خالق هذه الكواكب وفوض تدبير
هذا العالم السفلي اليها فهذه الكواكب هي المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبد هذه الكواكب
ثم ان هذه الكواكب مشتغلة بعبادة الله وطاعته ومنهم قوم ينكرون الصانع سبحانه ويقولون
هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع عليها العدم والفنا وهي المدبرات
لهذا العالم وهؤلاء هم الدهرية الخالصة وممن يعبد غير الله النصارى الذين يعبدون المسيح ومنهم
ايضا عبدة الاوثان والاصنام واعلم ان ها هنا بحثا مهما لا بد منه وهو انه لا دين اقدم من
دين عبدة الاوثان وذلك لان اقدم الانبيا الذين وصل الينا تاريخهم هو نوح صلى الله عليه وهو
انما جا بالرد على عبدة الاصنام على ما اخبر الله عنه في قوله وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فعلمنا ان دين عبادة الاصنام كان موجودا قبل نوح
وهو باق الى الان بل اكثر سكان اطراف العالم مستمرون عليه والمذهب الذي هذا شانه يمتنع
ان يكون معلوم البطلان بضرورة العقل لكن العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس
هو الذي خلقني وخلق السما والارض علم ضروري فيستحيل اتفاق الكثير من العقلا عليه فظهر
انه ليس دين عبدة الاصنام كون الصنم خالقا للسماء والارض والعلما ذكروا فيه وجوها
الاول ان الناس راوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب
فان بحسب قرب الشمس وبعدها عن سمت الراس تحدث الفصول الاربعة وبسبب حدوث
الفصول الاربعة حدثت الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم ان الناس رصدوا احوال ساير الكواكب
فاعتقدوا ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية وقوعها في طوالع الناس فلما اعتقدوا ذلك
غلب على ظنون اكثر الخلق كون المصدر لاحوال هذا العالم وحوادثه اتصالات هذه الكواكب وتاثيراتها
ولما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها ثم منهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها ومنهم من
اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للاله الاكبر الا انهم قالوا هي مخلوقة للاله الاكبر وخالقة لاحوال
هذا العالم وهؤلاء هم الذين اعتقدوا انها وسايط بين الاله الاكبر وبين اصحاب هذا العالم وعلى كلا التقديرين
فالقوم قايلون بعبادتها وتعظيمها والخضوع لها ثم انهم لما راوا ان الكواكب قد تستتر عن الابصار
في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه واتخذوا صنم الشمس من الذهب
ومزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهو الياقوت والماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى
هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام وغرضهم من هذه العبادة تلك الكواكب والتقرب

ايها فهذه الاصنام عندهم كالقبلة والمعبود عندهم في الحقيقة هو تلك الكواكب وعند هذا
البحث يرجع حاصل دين عبدة الاصنام الى عبادة الكواكب واما الانبيا صلوات الله عليهم فلهم
هاهنا مقامان احدهما اقامة الدلالة على ان هذه الكواكب لا تفعل شيا والثاني
تقدير انها تفعل شيا لكن دلائل الحدوث حاصلة فيها فلا بد لها من ان تكون مخلوقة لاله قديم
ازلي وللاشتغال بعبادة الاصل اولى من الاشتغال بعبادة الفرع ومما يدل على صحة ما ذكرناه
عن عبدة الاوثان انه تعالى لما حكى عن الخليل صلى الله عليه وسلم انه لما قال لابيه ازر اتتخذ اصناما
الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين فانه حكى بهذا الكلام ان عبادة الاصنام جهل ثم
لما اشتغل بذكر الدليل العام اقام الدليل على ان الكواكب والشمس والقمر لا يصلح شي منها للالهية
وهذا يدل على ان دين عبدة الاوثان ترجع حاصله الى القول بالهية الكواكب والشمس والقمر
والا لم يكن بين قوله اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وبين قوله فلما جن
عليه الليل راى كوكبا تعليق ولا مناسبة واذا عرفت هذا ظهر انه لا طريق الى ابطال القول بعبادة
الاوثان الا بابطال كون الشمس والقمر والكواكب الها وهو الذي حكى الله عن ابرهيم عليه السلام
في هذه الاية **الوجه الثاني** في شرح حقيقة مذهب من قال بعبادة الاوثان ما ذكره
ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي قال في بعض تصانيفه ان كثيرا من اهل الهند والصين كانوا يقولون
بالله وملئكته الا انهم يعتقدون انه تعالى جسم وذو صورة كاحسن ما يكون من الصور
وهكذا ايضا الملئكة صور حسنة الا انهم كانوا قد احتجبوا عنا بالسماء فلا جرم اتخذوا صورا وتماثيل
انيقة المنظر حسنة الرواء على الصورة التي كانوا يعتقدونها من صورة الاله والملئكة ثم يعتكفون
على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله سبحانه والى ملئكته فان صح ما ذكره ابو معشر فالسبب
في عبادة الاوثان اعتقاد الجسمية في الله سبحانه • **الوجه الثالث** ان اصحاب
الاحكام من المنجمين كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون
ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة
والخصب ودفع الافات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون
به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ولما طالت المدة نسي الجهال مبدا الامر
واشتغلوا بعبادتها ومما يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه الاية حكاية عن
ابرهيم عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون وذلك انه صلى الله عليه لما طعن في
الهية تلك الاصنام وخسة عبادتها خوفوه بوصول بلاء اليه من تلك الاصنام وقال ايضا حكاية
عن قوم هود انهم قالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا **الوجه الرابع** انهم كلما مات بسوء ام
منهم رجل كبير في اعتقادهم بحيث يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله
اتخذوا صنما على صورته ويعبدونه على اعتقاد ان ذلك الانسان يصير شفيعا لهم يوم القيمة
على ما حكى الله تعالى عنهم في هذه العبادة في قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ايضا ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • **والوجه الخامس** لعل القوم اتخذوا هذه الاصنام محاريب

لصلواتهم

لصلواتهم وطاعاتهم يسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما دامت هذه
الحالة ظن الجهال من القوم انها هي المعبودة **والوجه السادس** لعل القوم كانوا من المجسمة او
من الحلولية فاعتقدوا جواز حلول الله في بعض هذه الصور والاجسام فعبدوا هذه الاصنام على
هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهب عبدة الاوثان عليها وبالله التوفيق واذا عرفت
هاتين المقدمتين فلنرجع الى تفسير هذه الاية اما قوله واذ قال ابرهيم لابيه ففيه مسالتان
المسئلة الاولى في ازر قولان **الاول** انه والد ابرهيم عليه السلام ولهم في ذلك دلائل
الحجة الاولى ان ظاهر لفظ القران في هذه الاية تدل على ذلك ثم ظاهر هذه الاية متاكد
بايات اخرى منها قوله تعالى في سورة مريم اذ قال ابرهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيا وقال ايضا وما كان استغفار ابرهيم لابيه الى قوله فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه وكل هذه الايات تدل على ان ابرهيم كان كافرا عابدا للوثن • **الحجة
الثانية** ان العرب لما سمعوا هذه الاية كانوا احرص الناس على تكذيب الرسول واعظم الناس
رغبة في براءة محمد النسب عن كل عيب فلو لم يكن ازر والد ابرهيم لسارعوا الى تكذيبه ولاتخذوا
ذلك غنيمة في الطعن فيه **الحجة الثالثة** ان الله تعالى ذكر قصة ابرهيم عليه السلام
مع ابيه في ايات كثيرة ولم يذكر اسم العم في القران فيستبعد حمل لفظ الاب في هذه الاية على
العم • **والقول الثاني** ان ازر لم يكن والد ابرهيم عليه السلام واحتجوا بوجوه **الاول**
ان ابا الانبياء عليهم السلام ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد وبهذا
التقدير فالاية تدل على ان جميع ابا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع
بان والد ابرهيم عليه السلام ما كان من الكافرين اقصى ما في الباب ان تحمل قوله وتقلبك
في الساجدين على وجوه اخرى منها انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف النبي صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه على ما يظهر منهم
من الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ما سمع من دندنتهم بذكر الله والمراد من
قوله وتقلبك في الساجدين طوافه صلوات الله عليه وسلم على الساجدين في تلك الليلة ومنها
ان المراد وتراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين كونه فيما بينهم بقيامه
وركوعه وسجوده لانه كان اماما لهم ومنها انه لا يخفى على الله حالك كلما قمت وتقلبت
مع الساجدين في الاشتغال بامور الدين ومنها المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه
من قوله اتموا الركوع والسجود فاني اراكم من وراء ظهري فهذه الوجوه الاربعة وان كانت الاية
محتملة لها الا ان الوجه الذي ذكرناه ايضا محتمل لها والروايات وردت بالكل ولا منافاة بين هذه
الوجوه فوجب حمل الاية على الكل ومتى صح ذلك ثبت ان والد ابرهيم ما كان من عبدة
الاوثان ومما يدل على ان ابا محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا من المشركين قوله صلى الله عليه وسلم
لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا

يكون احد من اجداده صلى الله عليه وسلم مشركا **الحجة الثانية** على ان آزر لم يكن والد ابرهيم ان هذه الآية دالة على ان ابرهيم عليه السلام شافه آزر بالغلظة ومشافهة الاب بالغلظة لا تجوز وذلك يدل على ان آزر ما كان والد ابرهيم انما قلنا ان ابرهيم عليه السلام شافه آزر في هذه الآية بالغلظة لوجهين **الاول** انه قرئ واذ قال ابرهيم لابيه آزر بالضم وهذا يكون محمولا على النداء ومخاطبة الاب وندائه بالاسم من اعظم انواع الجفا **الثاني** انه قال لآزر اني اراك وقومك في ضلال مبين وهذا من اعظم انواع الايذا فثبت انه عليه السلام شافه آزر بالغلظة وانما قلنا ان مشافهة الاب بالغلظة لا تجوز لوجوه **الاول** قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وهذا عام في حق الكافر والمسلم وقال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وهذا ايضا عام **والثاني** انه تعالى لما بعث موسى الى فرعون امره بالرفق معه فقال فقولا له قولا لينا والسبب في ذلك ان يصير هذا رعاية في حق تربيه فرعون فها هنا الوالد اولى بالرفق **الثالث** ان الدعوة مع الرفق اكثر تاثيرا في القلب واما التغليظ فانه ينفر المستمع عن القبول ولهذا قال تعالى لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتي هي احسن فكيف يليق لابرهيم هذه الخشونة مع ابيه في وقت الدعوة **والرابع** انه تعالى حكى عن ابرهيم الرفق الشديد مع هذا المسمى بالاب وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ثم ان ذلك الانسان غلظ معه في القول وهو قوله لئن لم تنته لارجمنك ثم ان ابرهيم ما ترك الرفق الشديد معه بل قال سلام عليك سأستغفر لك ربي واذا كانت عادة ابرهيم في الرفق والقول الحسن هذا فكيف يليق ان يظهر الخشونة والغلظة مع ابيه فثبت بهذه الحجة ان آزر ما كان والد ابرهيم **الحجة الثالثة** على ان آزر ما كان والد ابرهيم انه جاء في كتب التواريخ ان اسم والد ابرهيم كان تارخ واما آزر فهو كان عم ابرهيم ثم ان القائلين بهذا القول اجابوا عن دلايل اصحاب القول الاول فقالوا القران وان دل على تسمية آزر بالاب الا ان هذا لا يدل على القطع بكونه والدا وذلك لان لفظ الاب قد يطلق على العم قال الله تعالى حكاية عن اولاد يعقوب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل فسموا اسمعيل ابا ليعقوب مع ان اسمعيل كان عما ليعقوب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي ابي يعني العباس وايضا يحتمل ان آزر كان ابا ام ابرهيم وهذا قد يقال له الاب قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابرهيم مع ان ابرهيم كان جده من قبل الام وبهذا ظهر الجواب عن الحجة الثانية وذلك لبين تسمية العم بالاب مشهور في اللغة العربية فلهذا السبب ما كذبوا في هذه الآية هذا تمام الكلام في نصرة هذا القول واعلم ان القول الاول اولى وذلك لان ظاهر لفظ الاب يدل على ان الوالد اما التمسك بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فهو محمول على سائر الوجوه ولا نحمله على ان روحه كانت تنتقل من ساجد الى ساجد محافظة على ظاهر الآية التي تمسكنا بها وهو قوله لابيه آزر **واما الحجة الثانية** فجوابها انكم تمسكتم بعمومات دالة على انه

لايجوز

لا يجوز اظهار الخشونة مع الاب فيقول ان قلنا بما ذكرتم سلمت تلك العمومات عن هذا التخصيص الا انه وجب حمل لفظ الاب على المجاز وان اجرينا لفظ الاب على حقيقته لزمنا القول بادخال التخصيص في تلك العمومات لانا بينا في اصول الفقه انه مهما وقع التعارض بين المجاز والتخصيص كان التزام التخصيص اولى فكان الترجيح لما بينا اذا عرفت هذه المسئلة فنقول الذين قالوا ان آزر ما كان والد ابرهيم لهم قولان منهم من قال انه كان عم ابرهيم عليه السلام وقد ثبت... سعيد بن المسيب ومجاهد ان آزر اسم الصنم وعلى هذا الوجه ففي الآية اقوال **الاول** ان ذلك الرجل انما يسمى بهذا الاسم لانه جعل نفسه مختصا بعبادته ومن بالغ في محبة احد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم **والثاني** ان يكون المراد عابد آزر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه **المسئلة الثانية** قرئ آزر بالنصب وهو عطف بيان لابيه وبالضم على النداء وسالني بعضهم فقال قرئ آزر بهاتين القراءتين واما قوله واذ قال موسى لاخيه هرون فقد قرئ هرون بالنصب محمول على البدل فهلا قرئت القراءة بالضم من البدل والنداء بالاسم استخفاف بالمنادي ولا استخفاف لائق في قصة ابرهيم عليه السلام لانه كان كافرا مصرا على كفره فحسن ان يخاطب بالغلظة زجرا له عن ذلك القبيح واما قصة موسى عليه السلام فقد كان موسى يستخلف هرون على قومه فما كان الاستخفاف لائقا بهذا الموضع فلا جرم ما كانت القراءة بالضم جائزة واما قوله تعالى اتتخذ اصناما الهة فالمعنى ظاهر وفيه مسائل **المسئلة الاولى** الناس اختلفوا في لفظ تفسير لفظ الاله والاصح انه هو المعبود وهذه الآية تدل على هذا القول لانهم ما اثبتوا الاصنام الا وصف العبودية ولهذا السبب قال ابرهيم عليه السلام اتتخذ اصناما الهة فدل هذا على ان تفسير لفظ الاله هو المعبود **المسئلة الثانية** هذه الآية تدل على ان وجوب معرفة الله تعالى والاشتغال بشكره معلوم بالعقل وذلك لان ابرهيم عليه السلام حكم عليهم بالضلال ولو لا الوجوب العقلي والا لما صح ذلك وهذا الاستدلال ضعيف **المسئلة الثالثة** احتج كلام ابرهيم عليه السلام في هذه الآية على الحجة العقلية على فساد مذهبهم من وجهين **الاول** ان قوله تعالى اتتخذ اصناما الهة يدل على انهم كانوا يقولون بكثرة الالهة لكن القول بكثرة الالهة باطل على ما دل عليه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا **والثاني** انه لو كان الها قدر على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل على انها وان كثرت فلا منفعة فيها البتة اما قوله تعالى اني اراك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ظاهر واما قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وفيه مسائل **المسئلة الاولى** الكاف في كذلك للتشبيه وذلك اشارة الى غائب جرى ذكره والذي جرى هاهنا ذكره فيما قبل هو انه عليه السلام استقبح عبادة الاصنام بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ومثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض وهاهنا دقيقة عقلية وهي ان نور جلال الله ظاهر لائح غير منقطع ولا زائل البتة

فالارواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك الانوار الا لاجل حجاب وذلك الحجاب ليس الا الاشتغال
بغير الله واذا كان الامر كذلك فبقدر ما يزول هذا الحجاب يحصل ذلك التجلي فقول ابرهيم
عليه السلام اتتخذ اصناما الهة اشارة الى الاشتغال بغير الله فان كل ما سوى الله فهو صنم ثم انه
عليه السلام استقبح ذلك بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فلما زال ذلك الحجاب بالكلية
لا جرم تجلى له ملكوت السموات بالتمام فقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض معناه بقدر زوال تلك الظلمات حصل له هذه الانوار فظهر ان قوله وكذلك
منشأ لهذه الفائدة الشريفة الحقانية فان قيل هذه الاراءة ارينا ابرهيم ملكوت السموات
والارض فلم عدل عن هذه اللفظة الى قوله وكذلك نري قلنا الجواب عنه من وجوه
الاول ان يكون تقديره لاية وكذلك كنا نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
فيكون هذا على سبيل الحكاية عن الماضي والمعنى انه تعالى لما حكي عنه انه شافه اياه بالكلام
الخشن تعصبا للدين الحق فكانه قيل وكيف بلغ ابرهيم هذا المبلغ العظيم في قوة الدين فاجيب
بانا كنا نريه ملكوت السموات والارض من وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين
زمان بلوغه **والوجه الثاني** من الجواب وهو اعلى واشرف مما تقدم وهو
ان يقال انه ليس المقصود من اراءة الله ابرهيم ملكوت السموات والارض وهو مجرد ان يرى
ابرهيم هذا الملكوت بل المقصود ان يراها فيتوسل بروؤيتها الى معرفة جلال الله وقدسيه
وعلوه وعظمته ومعلوم ان مخلوقات الله وان كانت متناهية في الذوات وفي الصفات
الا انها في جهات دلايلها على الذات والصفات غير متناهية فان اهل الاصول قالوا الجوهر
الفرد يدل على قدرة الله تعالى وحكمته من جهات دلالتها على الذات والصفات وذلك
لان ذلك الجوهر الفرد يمكن وقوعه في كل واحد من الاحياز التي لا نهاية لها بدلا عن الاخر
ويمكن اتصافه بكل واحد من الصفات التي لا نهاية لها بدلا عن الاخرى ثم كل واحد من هذه
الاحوال التقديرية دالة على كمال قدرة الله وحكمته لان كلها احوال جائزة والجائز محتاج
الى المرجح واذا كان الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزى كذلك فكيف القول في كل ملكوت
الله فثبت ان دلالة ملكوت الله على نعوت جلاله وسمات عظمته وعزته غير متناهية وحصول
العلوم التي لا نهاية لها دفعة واحدة على التفصيل في العقل البشري محال فاذا لا طريق الى
تحصيل تلك المعارف الا بان يحصل بعضها عقيب البعض لا الى نهاية ولا الى اخر وهذا يتعلق
بالمستقبل لا بالماضي فلهذا السبب والله اعلم لم يقل وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض
بل قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض فهذا هو المراد من قول المحققين السفر
الى الله له نهاية واما السفر في الله فلا نهاية له **المسئلة الثانية** الملكوت هو الملك
والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة واعلم ان في هذه الاراءة قولان
الاول انه تعالى اراه الملكوت بالعين قالوا ان الله تعالى شق له السموات حتى راى العرش
والكرسي والى حيث ينتهي اليه فوقية العالم الجسماني وشق له الارض الى حيث ينتهي اليه تحتية العالم

غير متناهية

بقدره

ومحصل ما تقدم من البرهان [illegible]

فرقي

ورأى ما في السموات من العجايب والبدايع ورأى ما في باطن الارض من العجايب **فالقول**
الثاني ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة والعقل لا بعين البصر واحتج القايلون على صحة
هذا القول بوجوه **الحجة الاولى** ان ملكوت السموات عبارة عن ملك السموات
والملك عبارة عن القدرة وقدرة الله لا ترى وانما تعرف بالعقل وهذا لازم الا ان يقال المراد
بملكوت السموات والارض الا انه بصيرة على هذا التقدير لفظ الملكوت عديم الفايدة والله
لا يجوز **الحجة الثانية** انه تعالى ذكر هذه الاراءة في اول الاية على سبيل الاجمال وهو
قوله وكذلك نري ابرهيم ثم فسرها بعد ذلك بقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا
ربي فجرى ذكر هذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الاراءة فوجب القول بان تلك الاراءة
كانت عبارة عن هذا الاستدلال **الحجة الثالثة** انه تعالى قال في اخر الاية وتلك
حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه فالروية بالعين لا تصير حجة على قومه لانهم كانوا
غايبين عنها فكانوا يكذبون ابرهيم فيها بل وما كان يجب لهم التصديق في تلك الدعوى
بلا دلالة على صدق دعواه وانما كانت الحجة عليهم استدلاله بالنجوم من الطريق التي نطق
بها القران فان تلك الاراءة ثابتة في حقهم كما كانت ثابتة في حقه **الحجة الرابعة**
ان اراءة جميع العالم دفعة واحدة تفيد العلم الضروري بان للعالم الها قادرا على كل الممكنات وهذه
الحالة لا تحصل للانسان عندها استحقاق المدح والتعظيم الا ترى ان الكفار في الاخرة
يعرفون الله تعالى بالضرورة وليس لهم في تلك المعرفة مدح ولا ثواب فاما الاستدلال بالمخلوقات
على الصانع القادر الحكيم فذلك هو الذي يفيد المدح والتعظيم **الحجة الخامسة**
انه تعالى كما قال في حق ابرهيم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض فكذا قال
في حق هذه الامة سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ولما كانت هذه الاراءة بالقلب لا بالبصر
فان الاراءة بالبصر كانت حاصلة للكفار فكذا في حق ابرهيم عليه السلام يجب ان يكون الامر
كذلك **الحجة السادسة** انه عليه السلام لما تمم الاستدلال في النجم والقمر
والشمس قال بعده اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فحكم على السموات والارض
بكونها مخلوقة لاجل الدليل الذي ذكره في النجم والشمس والقمر وذلك الدليل لو لم يكن عاما في
كل السموات والارض لكان الحكم العام بناء على الدليل الخاص خطا فثبت ان ذلك الدليل كان
عاما فكان ذكر النجم والشمس والقمر كالمثال لاراءة الملكوت فوجب ان يكون المراد من
اراءة الملكوت تعريف كيفية دلالة تغيرها على حدوثها ودلالة حدوثها على الافتقار الى
المدبر والموثر فيكون هذه الاراءة بالقلب لا بالعين **الحجة السابعة** ان اليقين
عبارة عن العلم المستفاد بالتامل اذا كان مسبوقا بالشك وقوله تعالى ومن الموقنين
كالعلة لتلك الاراءة فيصير تقدير الاية نري ابرهيم ملكوت السموات والارض لاجل
ان يصير من الموقنين فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من النظر في الدليل وجب ان يكون
تلك الاراءة عبارة عن الاستدلال **الحجة الثامنة** ان جميع مخلوقات الله تعالى

نفس السموات والارض

دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهو انها محدثة ممكنة وكل محدث
ممكن فهو محتاج الى الصانع فاذا عرف الانسان هذا الوجه الواحد فقد كفاه ذلك في الاستدلال
على الصانع وكانه بمعرفة هاتين المقدمتين وقد طالع جميع الملكوت بعين عقله وسمع
شهادتها بالاحتياج والافتقار بسمع عقله وهذه الرؤية رؤية باقية غير زائلة البتة ثم
انها غير شاغلة عن الله بل شاغلة للقلب والروح بالله اما رؤية العين فالانسان لا يمكنه ان يرى
بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال الا ترى ان من نظر الى صفحة مكتوبة فانه
لا يرى من تلك الصفحة رؤية تامة كاملة الا حرفا واحدا فان حدق نظره الى حرف اخر
وشغل نظره به صار محروما عن ادراك الحرف الاول عن ابصاره فثبت ان رؤية الاشياء الكثيرة
دفعة واحدة غير ممكنة وتقدير ان يمكن ذلك الا ان هذه الرؤية غير باقية وتقدير ان يكون
باقية لكنها شاغلة عن الله الا ترى انه تعالى مدح محمدا عليه السلام في ترك هذه الرؤية فقال ما زاغ البصر
وما طغى فدلت هذه الدلائل على ان حمل هذه الاراءة على رؤية القلب اولى فان قيل فرؤية
القلب بهذا التفسير حاصلة لجميع الموحدين فاي فضيلة تحصل لابرهيم عليه السلام بسببها
قلنا جميع الموحدين والمستدلين مشتركون في معرفة حدوث العالم والاستدلال به على الصانع
فاما الاستغراق في هذا الاستدلال والتامل في كيفية دلالة كل واحد من الممكنات والمحدثات
في عالم الاجسام والارواح وذرات الارضين والسموات ثم سريه في هذه الحالة في كل حين واوان
وعصر وزمان على ما هو المراد من قوله نرى ابرهيم بدلالة قوله ربنا ابرهيم فهذه
الحالة لا تحصل الا لعظماء الانبياء كابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم **المسئلة
الثالثة** اختلفوا في الواو في قوله وليكون من الموقنين فذكروا وجوها ثلثة **الاول**
الواو زائدة والتقدير نرى ابرهيم ملكوت السموات ليكون من الموقنين **والثاني**
التقدير نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض ليستدل بها وليكون من الموقنين **الثالث**
ان يكون هذا كلاما مستانفا لبيان علة   التقدير ليكون من الموقنين نريه ذلك
الرابع ان الاراءة قد تحصل وتصير سببا لمزيد الضلال كما في حق فرعون قال تعالى
ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى وقد يصير سببا لمزيد الهداية واليقين فلما احتمل هذين
الاحتمالين قال في حق ابرهيم عليه السلام انا اريناه هذه الايات ليراها فيكون من الموقنين
لا من الجاحدين • **المسئلة الرابعة** اليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال
الشبهة بسبب التامل ولهذا السبب لا يوصف علم الله تعالى باليقين لان علمه غير مسبوق بالشبهة
وغير مستفاد من التفكر واعلم ان الانسان في اول ما يستدل فانه لا ينفك عن شبهة وشك
من بعض الوجوه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت صارت سببا لحصول اليقين
وذلك لوجوه **الاول** انه يحصل لكل واحد من تلك الدلائل نوع تاثير وتقوية فلا تزال
القوة تتزايد حتى ينتهي الى الجزم • **الثاني** ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكة فكثرة
الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جارية مجرى تكرار الدرس الواحد فكما ان كثرة

التكرار تفيد الحفظ المتاكد الذي لا يزول عن القلب فكذا هاهنا **الثالث** ان القلب كان عند
الاستدلال الاول كان مظلما جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد بالدليل الاول امتزج نور
ذلك الاستدلال بظلمة القلب فحصل منه حالة شبيهة بالحالة الممتزجة من النور والظلمة
فاذا حصل الاستدلال الثاني امتزج نوره بالحالة الاولى فيصير الشروق اتم فيه كما ان الشمس اذا
قربت من المشرق ظهر نورها في اول الامر وهو الصبح وكذلك الاستدلال الاول يكون كالصبح
وكما ان نور الشمس لا يزال يتزايد بسبب تزايد قربها من سمت الراس فاذا وصلت الى قرب الراس
حصل النور التام فكذا العبد كلما كان تدبره في مراتب مخلوقات الله تعالى اكثر كان شروق
نور المعرفة والتوحيد اجلى الا ان الفرق بين شمس المعرفة وبين شمس العالم ان ارتفاع شمس العالم
وتصاعدها حد معين ومقطع معين اما شمس المعرفة والتوحيد فلا نهاية لتصاعدها ولا غاية
لتزايدها فقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض اشارة الى مراتب الدلائل والبيان
وقوله وليكون من الموقنين اشارة الى درجات انوار التجلي وشروق شمس المعرفة والتوحيد انما
قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا واعلم ان الفا في قوله فلما جن عليه عطف على قوله تعالى
قال ابرهيم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان كان قد راى رؤيا عبرها
المعبرون بانه يولد له غلام ينازعه في ملكه فامر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد فحبلت ام ابرهيم
به وما اظهرت حبلها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم وسدت
الباب بحجر فجاء جبريل فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه فكان يتعهده هو جبريل صلى الله
عليه وسلم وكانت امه تاتيه احيانا وترضعه وبقي على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له ربا
فسال الام فقال لها من ربي قالت انا قال ومن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت ملك
البلد فعرف ابرهيم جهلها بربها فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على الرب
فراى النجم الذي كان اضوأ النجوم في السماء فقال هذا ربي الى اخر القصة ثم القائلون بهذا القول
اختلفوا فمنهم من قال ان هذا القول كان قبل البلوغ وجريان القلم ومنهم من قال ان هذا كان
قبل البلوغ واتفق اكثر المحققين على فساد القول الاول واحتجوا عليه بوجوه • **الحجة الاولى**
ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر غير جائز على الانبياء بالاجماع **الحجة الثانية**
ان ابرهيم عليه السلام كان قد عرف قبل هذه الواقعة ربه بالدليل والدليل على ذلك انه تعالى
اخبر عنه انه قال قبل هذه الواقعة لابيه ازر اني اراك وقومك في ضلال مبين **الحجة
الثالثة** انه تعالى حكى عنه انه دعا اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالرفق
حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وحكى في هذا الموضع انه
دعا اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالكلام الخشن واللفظ الموحش ومن المعلوم ان
من دعا غيره الى الله فانه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظة ولا يخوض في التعنيف
والتغليظ الا بعد المدة المديدة واليأس التام فدل هذا على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد
ان دعا اباه الى التوحيد مرارا واطوارا ولا شك انه انما اشتغل بدعوة ابيه بعد فراغه عن مهم

الحالة

نفسه فثبت ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان عرف الله بمدة **الحجة الرابعة**
ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض حتى راى من فوق العرش
والكرسي وما تحتهما وما تحت الثرى ومن كان منصبه ومنصبه في الدين كذلك وعرفانه
الله تعالى الى هذا الحد كيف يليق به ان يقول بربوبية الكواكب **الحجة الخامسة**
ان دلائل الحدوث ظاهرة في الافلاك والكواكب من خمسة عشر وجها شرحناها في باب
كيفية دلائل خلق السموات على الصانع القديم ومع هذه الوجوه الظاهرة كيف يليق باقل العقلاء
نصيبا من العقل والفهم ان يقول بربوبية الكواكب فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء
الحجة السادسة انه قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقوله
لاكونن عبارة عن المستقبل وهذا يقتضي ان يكون غير ضال في الحال والجاهل بالله لا شك انه ضال
الحجة السابعة انه تعالى قال في وصف ابرهيم عليه السلام اذ جاء ربه بقلب سليم اي
لم يكن سليما عن الكفر وقال ايضا اذ جاء ربه بقلب منيب **الحجة الثامنة**
انه تعالى مدحه فقال ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اي اتيناه رشده
من قبل اي من اول زمان الفكر وكنا به عالمين بصفوته وطهارته كما عالمين ونظيره قوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالاته **الحجة التاسعة** قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين اي وليكون بسبب تلك الاراءة من الموقنين ثم قال بعده فلما جن
عليه الليل والفا لا تقتضي التراخي فدلت الفاء في قوله فلما جن عليه الليل على ان هذه الواقعة
انما وقعت بعد ان صار ابرهيم من الموقنين العارفين بربه **الحجة العاشرة**
ان هذه الواقعة والقصة انما حصلت بسبب مناظرة ابرهيم مع قومه والدليل عليه انه تعالى
لما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان
هذه المباحثة انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لا لاجل ان ابرهيم
عليه السلام كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه **الحجة الحادية عشر** ان القوم يقولون
ان ابرهيم انما اشتغل بالنظر في الكواكب والقمر والشمس حال ما كان في الغار وهذا باطل لانه
لو كان الامر كذلك كيف تقول يا قوم اني بريء مما تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا
صنم **الحجة الثانية عشر** قال الله تعالى وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد
هدان وكيف تحاجونه وهم بعد ما راوه وهو ما راهم وهذا يدل على انه عليه السلام انما اشتغل
بالنظر في النجم والقمر والشمس بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها
فذكر قوله لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها لهم على فساد قولهم **الحجة الثالثة عشر**
انه تعالى حكى عنه انه قال للقوم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهذا
يدل على ان القوم كانوا خوفوه بالاصنام كما حكي عن قوم هود انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالغار قبل مخالطة القوم **الحجة الرابعة**
عشر ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار ولا شك ان الشمس كانت طالعة ثم غربت

في نسخة الاصل

كان

فكان ينبغي ان يستدل بغروبها على انها لا تصلح للالهية واذا ابطلت صلاحية الشمس للالهية بطل
ذلك في القمر والنجم بطريق الاولى هذا اذا قلت بان هذه الواقعة كان المقصود منها تحصيل
المعرفة لنفسه واما اذا قلنا المقصود منها الزام القوم وافحامهم وهذا السؤال غير وارد لانه انما اتفق
مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلع القمر وطلع الشمس وعلى
هذا التقدير فالسؤال غير وارد فثبت بهذه الدلائل الظاهرة انه لا يجوز ان يقال ان ابرهيم صلى
الله عليه وسلم قال على سبيل الجزم هذا ربي فلما بطل هذا بقي هيهنا احتمالان الاول
ان يقال هذا كلام قاله ابرهيم بعد البلوغ ولكن الغرض منه اثبات ربوبية الكواكب بل الغرض
منه احد امور **الاول** ان ابرهيم عليه السلام لم يقل هذا ربي على سبيل الاخبار بل الغرض منه
انه كان يناظر عبدة الكواكب وكان مذهبهم ان الكواكب ربهم والهتهم فذكر ابرهيم عليه السلام
ذلك القول الذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتى يرجع اليه فيبطله كما ان الواحد منا اذا ناظر من يقول
بقدم هذا الجسم فيقول الجسم قديم واذا كان كذلك فلم نراه ونشاهده مركبا ومتغيرا فهذا انما قال
الجسم قديم لاعادة الكلام الخصم حتى يلزمه عليه المحال فكذا هاهنا قال هذا ربي حكاية لكلامهم ثم عقبه
بما يدل على فساده وهو قوله لا احب الافلين وهذا الوجه هو المعتمد في الجواب والدليل عليه
انه تعالى مدحه في اخر الاية على هذه المناظرة بقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
الحجة الثاني ان قوله هذا ربي معناه في زعمكم واعتقادكم ونظيره ان يقول احد
للجسم على سبيل الاستهزاء ان الهه جسم محدود اي في زعمه واعتقاده وقال تعالى وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وقال ويوم يناديهم فيقول اين شركاي وكان عليه السلام
يقول يا اله الالهة وتاويله انه اله الالهة في زعمهم **الوجه الثالث** المراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة قرائن الحال والله اعلم
الوجه الرابع في الاية اختصار والتقدير يقولون هذا ربي ونظيره قوله تعالى
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا والتقدير يقولان ربنا **الوجه الخامس**
ان يكون ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال لذليل ساد قوما هذا سيدكم على سبيل الاستهزاء
الوجه السادس انه عليه السلام اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب الا انه صلى الله عليه
كان قد عرف من تقليدهم لاسلافهم ونفور طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة
الى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه فمال الى طريق استدراجهم الى استماع الحجة بان ذكر كلاما يوهم
انه مساعد لهم في الظاهر مع طمانينة قلبه بالايمان حتى يتمكن بعد ذلك من ابطال ما ذكره
وانما استحل ذكر هذه الكلمة لانه لم يمكن له طريق الى الدعوة وكان ذلك بمنزلة المكره على كلمة الكفر
عند الاكراه يجوز اجراء كلمة الكفر على اللسان قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
واذا جاز ذكر كلمة الكفر على اللسان لمصلحة بقاء الشخص الواحد فبان يجوز ذكرها لتخليص
عالم من الناس عن الكفر والعقوبة الابدية كان اولى وايضا المكره على ترك الصلوة
لو صلى حتى قتل استحق الاجر العظيم ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار استغل

ممنا ٢

فالبعد الاكراه

بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فهاهنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك
القتال اثم ولو ترك الصلوة وقاتل استحق الاجر فنقول ان من كان في الصلوة فراى صبيا اشرف
على حرق او غرق وجب عليه قطع الصلوة لانقاذ ذلك الطفل والاغنى عن ذلك البلا فكذا
هاهنا ان ابرهيم عليه السلام تكلم بهذه الكلمة ليظهر من نفسه موافقة القوم حتى اذا ظهر من نفسه الدليل
المبطل كان قبولهم لذلك الدليل اتم وانتفاعهم باستماعه اكمل ومما يوكد هذا الوجه انه
تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع اخر وهو قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
فتولوا عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة
فاستدل ابرهيم عليه السلام بالنجوم موافقة لهم وتمشيا على قاعدتهم الظاهرة مع انه لو كان
مباعنه في الباطن ومقصوده ان يتوصل به الى كسر الاصنام فاذا جازت الموافقة في الظاهر
على المتمسك بعلم النجوم لغرض كسر الاصنام فلم لا يجوز كلمة الكفر باللسان لغرض ابطاله بالدليل
القاطع وايضا المتكلمون قالوا لا يقبح من الله اظهار خوارق العادات على يد من يدعي الالهية لان
صورة هذا المدعي وشكله مكذب لدعواه فلا يحصل التلبيس بسبب ظهور تلك الخوارق على يده
ولكن لا يجوز اظهارها على يد من يدعي النبوة لانه يفضي الى التلبيس فكذا هاهنا قوله هذا ربي
كلام لا يفضي الى الافساد لان دلائل فساده ظاهرة وفي اظهار هذه الكلمة منفعة عظيمة وهي استدراجهم
لقبول الدليل فكان جايزا **الوجه السابع** في الجواب ان القوم لما دعوه الى عبادة
النجوم وكانوا في تلك المناظرة اذا طلع النجم الدري فقال ابرهيم هذا ربي اي هذا هو
ربي الذي تدعوني اليه ثم سكت زمانا حتى افل فقال لا احب الافلين اما الاحتمال الثاني
وهو ان يقال ان ابرهيم صلى الله عليه انما ذكر هذا ربي قبل البلوغ فنقول ان الله تعالى كان
قد خص ابرهيم عليه السلام بالعقل الكامل والفهم الوافر فخطر بباله قبل بلوغه اثبات الصانع
تعالى فتفكر فراى كوكبا النجم فقال هذا ربي فلما شاهد حركته قال لا يجوز ان يكون ربا
وكذا القمر والشمس ثم بلغه تعالى في اثنا هذا الفكر والاستدلال حال التكليف فقال في الحال اني بري
مما تشركون فهذا احتمال لا باس به وان كان الاحتمال الاول اولى بالقبول لما ذكرنا من الدلايل الكثيرة
على ان هذه المناظرة انما جرت لابرهيم وقت اشتغاله بدعوة القوم الى التوحيد اما قوله
تعالى حكاية عن ابرهيم قال لا احب الافلين ففيه سوالات **السوال الاول**
كيف يدل الافول على انه لا يصلح للربوبية اقصى ما في الباب ان يقال الافول عبارة عن الحركة وكل ما
يصح عليه الحركة فانه لا بد ان يكون اما متحركا واما ساكنا وكل ما كان متحركا او ساكنا فهو محدث
وكل افل فهو محدث الا انا نقول كونه محدثا لا يمنع من كونه ربا لابرهيم وذلك لان القوم ما
كانوا ينكرون وجود الله تعالى بل لعلهم كانوا يقولون انه تعالى خلق الشمس والقمر والنجوم
ثم انه تعالى فوض تدبير هذا العالم اليها والبشر عبيد الكواكب ومخلوقة لها والكواكب محدثة
ومخلوقة للاله الاكبر فاذا كان كذلك لم يلزم من افول الكواكب صحة قوله لا احب الافلين
ولا يصح ايضا لاجل افول الكواكب صحة قوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض

ولا ايضا

ولا ايضا صحة قوله وما انا من المشركين الجواب من وجوه **الاول** ان افول هذه الاجسام
يدل على حدوثها وحدوثها يدل على انها مخلوقة لموجود قديم ازلي مختار ويجب ان يكون
قادريته ذلك القادر ازلية والا لافتقر حدوث قادريته الى قادر اخر ولزم التسلسل فاذا كان
قادريته ازلية وجب ان تكون متعلقة بجميع الممكنات واذا كان كذلك امتنع وقوع شي من
الممكنات الا بقدرته واذا وقع شي من الممكنات لا بقدرته بل بقدرة غيره لكان من الممكنات
ذلك الغير سببا لتعجيزه عن ايجاد الشي الذي كان مقدورا له وذلك محال لانه اقدر من
غيره ولا ضعف لا يمكنه تعجيز الاقدر واذا ثبت هذا ثبت ان حدوث الاجسام يدل بهذه الوسايط
على ان جميع المحدثات يوجد بقدرته واذا كان كذلك كان المحدث الموجد للناس والحيوان والنبات
والمعادن هو الاله القديم القادر المختار جل جلاله فحينئذ تكون الكواكب معزولة عن ربوبية
البشر وثبت عند ذلك ان افول الكواكب تدل دلالة قطعية على صحة قوله لا احب الافلين
وعلى صحة قوله اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
واعلم ان هذا الوجه لا يتمشى الا على مذهب اهل السنة والجماعة في مسئلة خلق الافعال **الوجه
الثاني** في الجواب ان افول الكواكب يدل على حدوثها وحدوثها تدل على افتقارها
في وجودها الى القادر المختار ومن كان قادرا على خلق هذه الافلاك والكواكب من غير شي
من الوسايط فبان يكون قادرا على خلق البشر بدون شي من الوسايط اولى واليه الاشارة
بقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وبقوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فثبت بهذا الطريق كونه
قادرا على خلق البشر وقوله قادرا على تدبير هذا العالم السفلي بدون واسطة الاجرام الفلكية
اما كون الافلاك والانجم قادرة على الخلق والايجاد عالمة بمصالح اهل هذا العالم ومفاسدها
فذلك غير معلوم لان كل شي يسنده المنجم الى الكواكب والفلك فالعقل لا يستبعد اسناده الى الاله
العالم واذا كان كذلك فحكم العقل طرح المجهول والاخذ بالمعلوم فيسند العقل تدبير هذا العالم
السفلي الى الاله لا الافلاك والانجم فلهذا السبب قال عليه السلام اني بري مما تشركون **الوجه
الثالث** ان الافول لما دل على حدوث الافلاك والانجم دل على حدوثها وعلى افتقارها
الى الاله القديم القدير الخبير الذي يكون علمه في غاية الكمال وحكمته في نهاية الجلال
واذا كان كذلك كان الاشتغال بطاعته وخدمته اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك
والانجم لانه بتقدير ان يكون مدبر هذا العالم السفلي هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعته
واجبا وبتقدير ان يكون مدبر هذا العالم هو الافلاك والانجم كان الاشتغال بطاعة الاله
الاعظم اعراضا عن الضعيف وتمسكا بالقوي الاقوى وهذا حسن في العقول اما لو كان
مدبر هذا العالم هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعة الافلاك والانجم اعراضا عن القوي
وتمسكا بالضعيف وهذا قبيح في العقول فعلمنا ان بجميع التقديرات صح قول ابرهيم صلوات
الله عليه لا احب الافلين وصح ايضا قوله اني بري مما تشركون **السوال الثاني**

ان الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا دليل
على الحدوث فلم ترك ابرهيم الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في ذلك على الافول
والجواب لا شك ان الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث الا ان الدليل الذي
تمسك به الانبيا عليهم السلام في معرض الدعوة لا بد ان يكون ظاهرا جليا بحيث تشترك في فهمه الذكي
والغبي على الحدوث والعاقل وكدلالة الحركة على الحدوث وان كان دلالة يقينية الا انها دقيقة
لا يعرفها الا الاذكيا من الخلق اما دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة يعرفها كل احد وان الافل
زوال سلطانه وقت الافول وكانت دلالة الافول على هذا المقصود اتم وايضا قال بعض
المحققين الهوى في حظيرة الامكان افول واحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص وحصة
الاوساط وحصة العوام والخواص يفهمون من الافول الامكان وكل ممكن محتاج والمحتاج لا يكون
مقطعا للحاجة فلا بد من الانتهاء الى ما يكون منزها عن الامكان حتى ينقطع الحاجات بسبب
وجوده على ما قال وان الى ربك المنتهى فاما الاوساط فانهم يفهمون من الافول الحركة وكل
متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا يكون الافل الها بل يكون الاله الذي هو
احتاج اليه ذلك الافل واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم يشهدون ان كل
كوكب يقرب من الافول والغروب فانه يزول نوره ويبطل ضوؤه سلطانه ويصير كالمعزول
ومن كان كذلك لم يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة اعني قوله لا احب الافلين مشتملة على نصيب
المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال فكانت اكمل الدلائل وافضل البراهين السؤال
الثالث لا شك ان تلك الليلة كانت مسبوقة بنهار وكانت الشمس افلة في ذلك النهار
السابق بعد ان كانت طالعة واذا كان الافول دليلا على انه لا يصلح للالهية فلم لم يتمسك ابرهيم
عليه السلام بافول الشمس والنهار السابق على تلك الليلة على انها لا تصلح للالهية ثم اذا اخرجت
الشمس عن صلاحية الالهية مع كبرها وجلال ضوئها فبان تخرج النجم والقمر عن صلاحية الالهية
كان اولى لا يقال انه صلى الله عليه وسلم انما تجلى في تلك الكهف وهو اول من نظر من ذلك
الكهف الى الخارج كان دليلا فراى الكواكب في تلك الساعة ثم بعده راى القمر ثم بعده راى الشمس
لانا نقول انه من البعد ان يبقى شخص عاقل في غار من اول طفوليته الى زمان بلوغه حد كمال العقل
والتكليف مع انه ما نظر من ذلك الغار الى خارج ذلك الغار في تلك المدة الطويلة وما
كان يفرق بين النهار وبين الليل وما كان يدخل نور الشمس في ذلك الغار من الثقب هذا محال
في العرف والجواب ان هذا الاشكال لازم على من يقول انه عليه السلام انما شرع في هذه
الوقعة لطلب معرفة الله لنفسه واما على قول من يقول انه صلى الله عليه وسلم انما استدل
بهذه النجوم حال اشتغاله بالدعوة الى التوحيد ومنع القوم عن عبادة الكواكب فالسؤال
زائل لانه من المحتمل انه اتفق انه كان هو صلى الله عليه وسلم جالسا معهم وليلة الافول ليلة
من الليالي ثم انه زجرهم عن عبادة الكواكب وبين لهم ان ذلك ضلال وجهل فبينا هم في ذلك
الكلام اذ وقع بصرهم على كوكب مضيء فو ... في تلك المناظرة ثم لما افل ذلك الكوكب طلع

القمر فاعاد عليهم ذلك الكلام وبقوا فيه الى ان طلعت الشمس فاعاد ابرهيم صلى الله عليه وسلم
ذلك الكلام فهذا تقرير جميع ما يتعلق بتقرير دلالة ابرهيم صلى الله عليه اما قوله تعالى
فلما راى القمر بازغا الى قوله قال اني بريء مما تشركون فلا اشكال فيه البتة الا في موضع واحد
وهو ان القائل ان يقول الاية مشعرة بان في الليلة الواحدة طلع الكوكب ثم افل وبعده طلع القمر ثم
افل فهذا غير ممكن في الليلة الواحدة والجواب فيه قولان الاول ان الكوكب كان
في الربع الغربي من الفلك فافل ثم طلع بعده القمر فتوصل الى نصف السماء وانحدر الى الربع الغربي
من الفلك فيما يوجه الى الافول بالافول وهذه الاحوال يمكن حصولها في الليلة الواحدة والقول
الثاني ان طلوع الكوكب والمعنى قوله كان في ليلة وطلوع القمر وافوله كان في ليلة اخرى
ثم اعلم ان القوم كانوا على مذهب الحلولية ومعنى هذا المذهب انهم كانوا يقولون البشر عبيد الكواكب
والكواكب عبيد الله سبحانه والدليل عليه ان ابرهيم قال يا قوم اني بريء مما تشركون وكونهم
مشركين يدل على انهم كانوا معترفين باثبات الاله وانما كانوا مشركين لانهم اثبتوا للشمس والقمر
والنجوم نصيبا في المعبودية وتدبير العالم فلما ابطل ابرهيم عليه السلام هذا المذهب بتمامه ثم اقبل
على التوحيد المحض فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض عبارة عن كلمة لا اله الا الله
فصار كلمة لا اله الا الله مكشوفا في هذا المقام وهذا اخر الكلام في هذه الاية وبالله التوفيق

الفصل الثاني في شرح مناظرة ابرهيم مع ملك زمانه وهو قوله تعالى الم
تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه اما قوله تعالى الم تر فهي كلمة توقف بها المخاطب على امر
يعجب منه ولفظه لفظ الاستفهام ونظيره قولهم اما ترى الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت
كفلان في صنعه كذا اما قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه فقال مجاهد هو نمرود
بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة للمغالبة يقال حاججته فحججته اي
غالبته فغلبته والضمير في قوله في ربه يحتمل ان يرجع الى ابرهيم وان يرجع الى الطاغي
والاول هو الاظهر بدليل قوله وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله والمعنى حاجه قومه
في ربه اما قوله ان اتاه الله الملك ففيه قولان احدهما ان الهاء في اتاه عائد الى ابرهيم
والمعنى ان الله اتى ابرهيم الملك واحتجوا على هذا القول بوجوه الاول قوله تعالى
فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما اي سلطانا بالنبوة والقيام
بدين الله الحجة الثانية انه لا يجوز ان يتولى الله الملك للكفار ومن يدعي الربوبية
لنفسه الحجة الثالثة ان عود الضمير الى اقرب المذكورين الى هذا الضمير فوجب
ان يكون هذا الضمير عائدا اليه القول الثاني وهو قول جمهور المفسرين بان
الضمير عائد الى ذلك الانسان الذي حاج ابرهيم واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى
ان قوله اتاه الله الملك يحتمل ثلاث تاويلات وكل واحد منها انما يصح اذا قلنا الضمير عائد الى
الملك لا الى ابرهيم فاحد تلك التاويلات ان يكون المعنى حاج ابرهيم في ربه لاجل ان اتاه الله الملك
على ان معنى ان اتانا الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج كذلك ومعلوم ان هذا انما يليق بالملك العاتي

والتاويل الثاني ان تكون المعنى انه جعل محاجته في ربه شكرا على ان اتاه ربه كما يقال
عاداني فلان لاني احسنت اليه يريد انه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونظيره قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وهذا التاويل ايضا لا يليق الا بالكافر
والتاويل الثالث انه حاج وقت ان اتاه الله الملك وهذا لا يليق بالنبي المعصوم وانه يجب
عليه اظهار المحاجة قبل حصول العلم الملك العظيم وبعد اما الملك تعالى فانه لا يليق به
اظهار هذا العتو الشديد الا بعد ان تحصل له الملك العظيم فثبت انه لا يستقيم لقوله ان
اتاه الله الملك وتاويل الا اذا حملناه على الملك العالي **الحجة الثانية** ان المقصود
من هذه الاية بيان كمال حال ابرهيم في اظهار الدعوة الى الدين الحق ومتى كان الكافر سلطانا
مهيبا حال ما كان ابرهيم غير ملك كان هذا المعنى اتم مما اذا كان ابرهيم ملكا وقد كان
الكافر كذلك فوجب المصير الى ما ذكرناه **الحجة الثالثة** ما ذكره ابو بكر الاصم وهو
ان ابرهيم عليه السلام لو كان ملكا ما قدر هذا الكافر على ان يقتل احد الرجلين ويستبقي الاخر
بل كان ابرهيم عليه السلام يمنعه منه اشد المنع وهذا الاستدلال ضعيف لانه من المحتمل ان يقال
ان ابرهيم كان ملكا وسلطانا في الدين والتمكن من اظهار المعجزات وذلك الكافر كان قادرا
على الظلم فلهذا السبب امكنه قتل احد الرجلين وايضا فيجوز ان يقال انما قتل احد الرجلين قودا
وكان الاختيار اليه واستبقا الاخر اما لانه لا قتل عليه او بذل الدية واستبقاه وايضا قوله
انا احيي واميت خبر ووعد ولا دليل في القران على انه فعله ثم القايلون بهذا القول اجابوا
عن دلايل القايلين بالقول الاول اما الحجة الاولى وهي التمسك بقوله تعالى ولقد اتينا ال ابرهيم
الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فجوابه ان هذه الاية دالة على حصول الملك لال ابرهيم
وليس فيه دلالة على حصول الملك لابرهيم واما الحجة الثانية وهي قوله لا يليق
بحكمة الله ان يعطي الكفار الملك فجوابه ان المراد من الملك التمكين والقدرة والبسطة في الدنيا والحس
يدل على ان الله تعالى قد يعطي الكفار هذا المعنى وايضا فلم لا يجوز ان يقال انه تعالى اعطاه
الملك حال ما كان مومنا ثم انه بعد ذلك كفر بالله تعالى واما الحجة الثالثة وهي قولهم
عود الضمير الى اقرب المذكورين واجب فجوابه ان هذا معارض بما ان الروايات الكثيرة وردت
بان الملك هو الذي حاج ابرهيم في ربه واما قوله اذ قال ربي الذي يحيي ويميت ففيه
مسائل **المسالة الاولى** الظاهر ان هذا الكلام جواب عن سؤال سابق غير مذكور
وذلك لان من المعلوم ان الانبياء عليهم السلام انما بعثوا للدعوة والظاهر انه اذا ادعى الرسالة
فان المدعو يطالبه اولا باثبات ان للعالم الها الا ترى ان موسى عليه السلام لما قال اني رسول
رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين فاحتج موسى عليه السلام على اثبات الصانع بقوله
رب السموات والارض فكذا ههنا الظاهر ان ابرهيم عليه السلام ادعى الرسالة فقال نمرود
من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت الا ان هذه المقدمة حذفت لان الواقعة دلت عليها ويحتمل
ان يكون ابرهيم قد ذهب اليه ودعاه اولا الى التوحيد من غير ذكر النبوة **المسالة الثانية**

اعلم ان دليل ابرهيم عليه السلام كان في غاية الصحة وذلك لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بواسطة
افعاله التي لا يشاركه فيها احد من القادرين والاحياء والاماتة كذلك لان الخلق عاجزون عنهما
والعلم بذلك بعد الاختبار ضروري فلا بد من مؤثر اخر غير هولاء القادرين الذين نراهم ونشاهدهم
حتى يكون مؤثرا في الاحياء والاموات وذلك المؤثر اما ان يكون موجبا او مختارا والاول باطل لانه
يلزم من دوامه [illegible] دوام الاثر فكان يجب ان لا يتبدل الموت بالحيوة ولا بالعكس وذلك
محال وايضا فانا نرى في الحيوانات اعضاء مختلفة الشكل والصفة والطبيعة والخاصية وتاثير
الموجب بالذات لا يكون كذلك فعلمنا انه لا بد في الاحياء والاماتة من موجود قادر مختار مؤثر
بالقدرة والاختيار وذلك هو الله تعالى وهذا دليل شريف في غاية القوة ذكره الله تعالى في مواضع
من كتابه كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وسنفسرها ان شاء الله تعالى
لتقريرهم فصلا مفردا فان قيل انه تعالى قدم الموت على الحيوة في ايات منها قوله كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقال خلق الموت والحيوة وقال ابرهيم صلوات الله عليه في الثنا
على الله والذي يميتني ثم يحيين فلم قدم في هذه الاية ذكر الحيوة قبل الموت قلنا انه اذا كان المقصود
من ذكر الدليل هو الدعوة الى الله وجب ان يكون الدليل ظاهرا واضحا ولا شك ان عجايب الخلقة
حال الحيوة اكثر واطلاع الانسان عليها اتم فلا جرم وجب تقديم الحيوة هاهنا في الذكر واما
في تلك الايات فالمقصود منها اسباب تقرير الاحوال الماضية فلا جرم وجب فيها تقديم الموت
على الحيوة اما قوله تعالى انا احيي واميت فاعلم ان المشهور في كتب التفسير ان ابرهيم عليه
السلام لما احتج بهذه الحجة دعا ذلك الكافر بشخصين وقتل احدهما واستبقى الاخر وقال انا
ايضا احيي واميت فهذا هو المنقول في الكتب وهو عندي في غاية البعد ويدل عليه وجوه
الحجة الاولى ان الظاهر من حال ابرهيم عليه السلام انه شرح حقيقة الاحياء والاماتة
على الوجه الملخص فان ايراد الكلام المجمل المبهم عندما يكون هو الغرض والتفهيم والتعليم والزجر
عن الباطل والدعوة الى الحق لا يليق باقل الناس علما فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء ومتى
لحظ الانسان حقيقة الاحياء والاماتة امتنع ان يشتبه على السامع هذا الاحياء والاماتة
التي اوردهما الكافر في معرض المعارضة وبعد في الجمع العظيم ان يكونوا في الحماقة بحيث لا
يعرفون هذا القدر من الفرق **الحجة الثانية** ان من بلغ في الجهالة والحماقة بحيث لا
يعرفون الى هذا الحد فاي فضيلة تحصل للانسان بسبب الزامه وافحامه لكنه تعالى جعل الحاجة
سببا للفضيلة العظيمة حيث قال فبهت الذي كفر واعلم ان القايلين بهذا القول
قالوا ان الكافر لما اورد هذا السؤال عدل ابرهيم عليه السلام من ذلك الدليل الى دليل اخر فقال
ان الله تعالى ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهذه الحجة
ايضا في غاية البعد ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الانتقال من الدليل الاول
الى الدليل الثاني يوهم العجز والجهل وذلك يقتضي صيرورته حقيرا في الاعين وصيرورته
بحيث لا يلتفت الى قوله ولا يبالي بكلامه والانبياء عليهم السلام يجب عليهم ان يصونوا انفسهم

عن هذه الحالة لين هذه الحالة تحل بما هو المقصود من تبليغهم ورسالاتهم وتقتضي ان لا
يلتفت القوم اليهم وان لا يقيموا لهم وزنا فثبت انه لا يجوز عليهم الانتقال من دليل الي دليل

الحجة الثانية ان هذا السؤال كان في غاية الركاكة والجواب عنه ما حصل بادني
تنبيه فان كان القوم قد بلغوا في الجهالة والحماقة الي حيث لا ينتفعون بذكر الفرق بين هاتين
الصورتين لم ينتفعوا ايضا بذكر هذا الدليل الثاني البته وان كانوا بحيث يذكرون الفرق بين
الصورتين كان التنبيه على الفرق اولى من الانتقال الى الدليل الثاني

الحجة الثالثة
ان ذلك السؤال وان كان في غاية الركاكة الا انه وقع في اسماع الحاضرين فالسكوت عن الجواب
يقتضي بقاء تلك الشبهة في القلوب وذلك غير جائز لين ازالة الشبهة على من يقدر على ازالتها
فرض مضيق فكيف يجوز الاخلال به وليس لاحد ان يقول انه صلى الله عليه وسلم انما ترك ذلك
الجواب لانه كان خايفا من ذلك الملك لانا نقول لما لم يمتنع الخوف من الملك عن ذكر الدليل الثاني
فلان لا يمتنع عن ذكر الفرق الذي هو اوضح واجلى كان اولى

الحجة الرابعة
انه انما كان يحسن الانتقال من دليل الي دليل اخر لو كان الدليل الثاني افصح واقوى وهاهنا
ليس الامر كذلك لين جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق
قدرة عليه ولا يبعد في العقل وجود ملك عظيم الجثه اعظم من السموات والارض وانه هو
الذي يحرك السما والدليل على ان هذا الاحتمال قايم قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانيه والعرش اعظم من السموات بكثير فاذا لم يبعد ان يكون الملك حاملا للعرش
فاي بعد في ان يكون محركا للسموات والارض والشمس والقمر فثبت ان الاحيا لا يكون الا من
الله اما تحريك السموات فانه يصح من غير الله فاذا كان كذلك كان دلالة الاحيا والاماتة
على وجود الله اقوى واظهر من دلالة طلوع الشمس على وجود الله تعالى اذا ثبت هذا فنقول
انه لا يليق بالنبي المعصوم ان يترك التمسك بالدليل القوى ويلتزم العجز والانقطاع ويتمسك
بعده بدليل ضعيف لا يقبل التمشيه ويكون الداعي له الى ذلك سوال ركيك في غاية
السقوط فان مثل هذا العمل لا يليق بالانبيا

الحجة الخامسة ان دلالة الاحيا
والاماتة على وجود الصانع الحكيم اقوى من دلالة طلوع الشمس على وجود الصانع من وجه
اخر وذلك لانا نشاهد في ذات الانسان او صفاته من التبدلات واختلاف الحالات
وتعاقب الصفات وكل ذلك ظاهر الدلالة على وجود الصانع المختار اما الشمس فلا
يرى في ذاتها ولا في صورتها ولا مجاري حركاتها شيئا من التبدلات بل القايلون بان
المؤثر في وجود العالم علة بالايجاب لا فاعل بالاختيار يعظم شبههم في هذه الصورة فانهم
يقولون نرى احوال الشمس في الطلوع والغروب باقيا على نهج واحد وطريقة واحدة وذلك
يوهم ان حركة الشمس والقمر والكواكب بالطبع لا بتحريك القادر المختار فثبت ان دلالة
الاحيا والاماتة على وجود القادر المختار اقوى من دلالة طلوع الشمس وغروبها عليه وكان
الانتقال من الاول الى الثاني انتقالا من الاقوى الي الاضعف وهذا لا يليق باحد من الاذكيا

فضلا

فضلا عن اكمل العقلا

الحجة السادسة ان نمرود لما بلغ في الحماقة والوقاحة
الى حيث عارض الاحياء والاماتة بذلك السؤال الركيك فكيف يومن منه عند استدلال
ابرهيم عليه السلام بطلوع الشمس من المشرق ان يقول طلوع الشمس من المشرق حصل بفعلي فان
كان لك اله قادر مختار فقل له حتي يطلعها من المغرب وعند هذا التزم المحققون من المفسرين
انه لو التزم هذا السؤال لكان يجب في حكم الله تعالى ان يطلع الشمس من المغرب ومعلوم ان
اظهار فساد ذلك السؤال الركيك اهون من التزام طلوع الشمس من المغرب بكثير وايضا فعند
طلوع الشمس من مغربها يصير الاستدلال بطلوع الشمس من مشرقها ضايعا ايضا وحينئذ
يصير دليله الثاني ضايعا كما ضاع دليله الاول ومعلوم ان التزام هذه الكلمات لاجل ذلك
السؤال الركيك غير لايق بالعقلا

الحجة السابعة ان العالي في قوله تعالى فان الله ياتي
بالشمس من المشرق يدل على ان هذا الكلام متعلق بالكلام الاول وعلي قول هولاء المفسرين
هذا دليل منقطع عن الكلام الاول غير متعلق به ولا يبقا للفا فايدة اصلا فظهر بهذه الوجوه
ان تفسير كلام الله تعالى بهذا الوجه الذي ذكروه ضعيف والمختار عندي في تفسير هذه
الاية ان يقول ان ابرهيم عليه السلام لما احتج على وجود الصانع تعالى بالاحيا والاماته قال
المنكر اتدعي الاحيا والاماته من الله تعالى ابتداء من غير واسطة الاسباب الارضيه والسماويه
او تدعي صدور الاحياء والاماته من الله تعالى بواسطة الاسباب الارضيه والسماويه اما
الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فلا يدل على المقصود لان الواحد منا يقدر على الاحيا والاماته
بواسطة الاسباب الارضيه والسماويه فان الجماع قد يفضي الى الولد الحي بواسطة الاسباب
الارضيه والسماويه وتناول السم قد يفضي الى الموت فلما ذكر نمرود هذا السؤال اجابه ابرهيم
عليه السلام بان الاحيا والاماته حصلا من الله تعالى بواسطة الاتصالات الفلكيه والحركات
الكوكبيه الا انه لا بد لتلك الاتصالات الفلكيه والحركات الكوكبيه من فاعل ومدبر واذا كان
المدبر لتلك الحركات الكوكبيه والاتصالات الفلكيه هو الله تعالى كان الاحيا والاماته
حاصلان بواسطة تلك الحركات الفلكيه ايضا من الله تعالى واما الاحيا والاماته الصادرات
عن البشر بواسطة الاسباب الفلكيه فليست كذلك لانه لا قدرة للبشر على الحركات الفلكيه
فظهر الفرق والحاصل ان الاحيا والاماته وان حصلا بواسطة الاسباب الفلكيه الا ان مدبر الفلك
هو الله تعالى فكان الاحياء والاماته الصادران عن الله تعالى بواسطة الفلك صادران في
الحقيقة عن الله بخلاف الواحد منا فانه لا تاثير له في الفلك فلم يكن الاحيا والاماته الصادران
بواسطة الفلك صادرين عن البشر فان قيل هذا السؤال والجواب الذي ذكرتم كيف نفهم
من الاية واي مناسبة بينهما وبين ما هو المذكور في الاية قلنا ان مدار امر القران على الايجاز
والاختصار لا على الاطناب فقول ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت محمول على الاحيا
والاماته المعتادين الذين اشرت اليهما وهو الاحيا والاماته الحاصلان بواسطة الاسباب
الفلكيه فقال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق اي هب ان هذه الاحيا والاماته

وهما ظاهرا الامر موقوفان على الاسباب الطبيعيه السماويه والاتصالات الفلكيه العلويه لم يعرفوا احيا والاماته

لما حصل بواسطة الشمس لكن محرك الشمس هو الله تعالى واما انت فلا فقدرتك على تحريك
الشمس بدليل انك لا يمكنك تحريكها من المغرب فظهر ان المذكور في الاية تنبيه على ما ذكرنا
الا انه تعالى انما ذكره على سبيل الايجاز والمهمر على ما هو عادة القران واعلم انما فسرنا الاية
بهذا الوجه لان تلك المطاعن باسرها وذلك ان السؤال كلام لا يليق بالعقلا فان كل من
تمسك بالاحياء والاماتة لابد ان يورد الطبيعي والمنجم عليه هذا السؤال ولا جواب عنه الا الجواب
المذكور في الاية ولا يكون فيه انتقال من الدليل الاول الى دليل اخر ويكون الكلام الثاني متعلقا
بالكلام الاول ايضا الثاني في قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق دلالة في تعلق الكلام
الثاني بالاول ونظير هذا التقرير قوله تعالى في سورة النحل هو الذي انزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في
ذلك لاية لقوم يذكرون فجعل الله مقطع الاية الاولى من هذه الايات الثلاث بقوله
يتفكرون ومقطع الاية الثانية بقوله يعقلون ومقطع الاية الثالثة بقوله تعالى
تتذكرون وفي ترتيب هذه المقاطع اسرار عجيبة وذلك انه تعالى استدل في الاية الاولى
على وجود الصانع المختار بحدوث الانواع المختلفة من النبات في الارض الواحدة والماء الواحد
الا ان هذا الدليل في هذا المقام غير تام وذلك لان القائل ان يقول حدوث الانواع المختلفة
من النبات انما كان لتاثير الكواكب والشمس والقمر ولما كان هذا السؤال كما ذكر في هذا
الدليل كان الدليل قبل الجواب عن هذا السؤال غير تام فكان محال التدبير والتفكر باقيا
فلهذا السبب جعل مقطع هذه الاية بقوله تتفكرون ثم انه تعالى اجاب عن السؤال من
وجهين الاول قوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وشرح هذا الجواب ان يقال هب ان حدوث
الانواع المختلفة من النبات انما كان بتاثيرات الكواكب واختلاف الفصول الا ان
حركات الكواكب لا بد لها من مدبر ولا يتسلسل بل لا بد من الاعتراف بشيء هو مسبب
الاسباب ومدبر الكل فيكون حدوث النبات في الحقيقة واقعا بتدبير ذلك المدبر الاول
وعند هذا يتم الاستدلال ولا يبقى للفكر مجال فلا جرم جعل مقطع هذه الاية قوله
تعقلون يعني ان كنت كامل العقل واعترف بوجود الاله القادر المختار في هذا
المقام فان الدليل قد تم ولم يبق بعده للفكر والنظر مجال وهذا بعينه برهان بعينه هو التقرير
المذكور في قصة ابراهيم عليه السلام فان المنكر لما احال الاحياء والاماتة على الاسباب
الفلكية من حيث انه شبه دلالة الاحيا بالاحيا الصادر منا فعند هذا قال ابراهيم عليه
السلام ولا بد لتلك الاسباب الفلكية من مدبر فهو الله تعالى فلا جرم انقطع ذلك الكافر
وسكت قال تعالى في صفته فبهت الذي كفر فالحاصل ان المراد من قوله فبهت الذي كفر

ان

ان المراد من قوله ان في ذلك لاية لقوم يعقلون والوجه الثاني من الجواب
عن ذلك السؤال قوله وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
وتقريره هذا الجواب هو ان الارض والماء والهواء والشمس والقمر لكل واحد طبيعة واحدة (وتابار واحده)
ونسبة هذه الاشياء باسرها الى كل واحد نسبة الغصن من اغصان الشجرة الواحدة بل الى كل
واحد من اجزاء الورقة الواحدة على غاية صغرها ونهاية رقتها واحد وكان ينبغي
ان يكون الاثر حاصلا على السوية فلما راينا في الشجرة الواحدة اختلافات كثيرة في اجزائها بل
شاهدنا في الورقة الواحدة اختلافا في اجزائها علمنا ان هذه الاثار غير مستندة الى الطبائع
والنجوم وانما جعل مقطع هذه الاية بقوله افلا تتذكرون لانه قد تقرر في بداية العقول
ان الموجب لابد ان يكون تاثيره بالسوية ولاجل هذا قالت الفلاسفة المقتضى لشكل الجسم
هو طبيعته وتاثير الطبيعة الواحدة لابد وان يكون متشابها فلا جرم قالوا يجب ان يكون شكل
الجسم البسيط هو الكرة ثم انا شاهدنا الاختلاف العظيم في خلقة النبات والحيوان فاما النبات
فانك ترى الاترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس
وهذا شيء واحد حصل فيه الطبايع المختلفة وترى الرمان فيه القشر الغليظ والشحم القابض
العفص ثم ترى الحب فيه ذلك الماء اللطيف العذب وفيه ذلك النوى الغليظ البارد واليابس
القابض بل تجد الورقة اللطيفة من الورد احد وجهيها في غاية الصفرة والوجه الاخر في غاية
الحمرة ثم ترى في وسط تلك الورقة اللطيفة عرقا ممتدا من اصلها الى طرفها ثم ترى العروق
الصغيرة متشعبة من ذلك العرق المتوسط ثم يتشعب من كل واحد من تلك الشعب شعب
اخرى متشعبة ادق من الشعر مرات فاذا شاهدت هذه الاختلافات الكثيرة في التركيب واللون
والخاصية وكان قد تقرر في عقلك ان الموجب بالذات يكون تاثيره متشابها لا مختلفا فكيف
يجوز من عقلك ان تقول ان تولد هذه الانواع المختلفة انما كان بسبب تاثيرات الانجم
والافلاك وهذا برهان قاطع على انه لا يمكن اسناد الحوادث الارضية الى الافلاك والانجم
فلاجل هذا السر جعل مقطع هذه الاية قوله افلا تتذكرون يعني الا تذكرون ما كان متقررا في
عقولكم ان تاثير الموجب بالذات لا يكون مختلفا مع انك تشاهد بحسك هذه الاختلافات
الكثيرة فتامل ايها المسكين في هذه الاسرار لتعلم ان القران بحر عميق لا ساحل له واعلم
انا لما شرحنا هذين النوعين من المناظرات لابرهيم صلى الله عليه وسلم لتعلقهما بالنجوم والشمس
والقمر فلنذكر سائر مناظراته في التوحيد وان لم يكن لها تعلق بالنجوم والشمس والقمر والله
اعلم

الفصل الثالث في شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام مع ابيه في

التوحيد قال تعالى في سورة مريم واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اعلم ان الغرض من هذه السورة
من اولها الى اخرها بيان التوحيد والنبوة والمعاد والمنكرون للتوحيد هم الذين اثبتوا معبودا
سوى الله وهم فريقان منهم من اثبت معبودا غير الله حيا عاقلا فاهما وهم النصارى من الادمي

كعيسى ومنهم من اثبت معبوداً غير الله جماداً وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشتركا في
الضلال الا ان ضلال الفريق الثاني اعظم فلما بين الله تعالى في هذه السورة ضلال الفريق الاول
وهم النصارى تكلم بعده في شرح الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان فقال واذكر في الكتاب
ابرهيم ما لوا و في قوله واذكر عطف على قوله ذكر رحمت ربك عبده زكريا كانه لما انتهت قصة
زكريا وعيسى قال يا محمد قد ذكرت لهم حال زكريا فاذكر لهم حال ابرهيم وانما شرع في قصة
ابرهيم عليه السلام لوجوه الاول ان ابرهيم كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه
وطهارة دينه على ما قال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه
نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم على ما هو قولكم انا وجدنا آباءنا
على امة فاعلموا ان اجل آبائكم قدراً واعظمهم فخراً وشرفاً هو ابرهيم فكونوا من المقلدين له في
ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فتأملوا في هذه الدلائل التي ذكرها ابرهيم عليه السلام
ليعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ملة ابرهيم اما تقليداً او استدلالاً والثاني
ان كثيراً من الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين
آبائنا واجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابرهيم عليه السلام وبين انه ترك دين ابيه وابطل قوله
بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة الاب ليعرف الكفار ان ترجيح جانب الاب على جانب
الدليل رد على الاب الاشرف الاكبر الذي هو ابرهيم والثالث ان كثيراً من الكفار
كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون الاستدلال على ما قالوا انا وجدنا آباءنا لها عابدين ويحكي
الله تعالى عن ابرهيم التمسك بطريق الاستدلال تنبيهاً لهؤلاء الجهال على سقوط هذه الطريقة
ثم انه تعالى قال في صفة ابرهيم انه كان صديقاً نبياً وفي الصديق قولان احدهما انه مبالغة
في كونه صادقاً وهو الذي يكون عادته الصدق لان هذا البناء ينبئ عن ذلك يقال رجل خمير وسكير
للمولع بهذه الافعال والثاني ان يكون معناه ان يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير
مشهوراً به والاول اولى وذلك لان المصدق بالشيء ربما لا يوصف بكونه صديقاً الا اذا كان
صادقاً في ذلك التصديق فيعود ذلك الامر الى الاول فان قيل الدليل على القول الثاني
قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون قلنا انما سماهم صديقين لكونهم
صادقين في ذلك التصديق واعلم ان النبي يجب ان يكون صادقاً في كل ما اخبر به لان الله تعالى
صدقه ومصدق الله صادق والا لزم الكذب في خبر الله ولان الرسل شهداء الله على الناس على ما
قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً والشهيد انما يقبل قوله
اذا لم يكن كاذباً فان قيل اما قولكم في ابرهيم عليه السلام حين كذب ثلاث كذبات
وهي قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وقوله هذه اختي قلنا معاذ الله ان يكذب ابرهيم
عليه السلام وسنجيب عن هذا الكلام في باب عصمة الانبياء فثبت ان كل نبي يجب ان يكون
صديقاً والظاهر انه لا يجب ان يكون كل صديق نبياً فلهذا السبب وصفه اولاً بكونه
صديقاً ثم بعده وصفه بكونه نبياً واما النبي فسيجيء في باب النبوات تفسيره وقوله

كان صديقاً قيل انه صادق وقيل انه وجد صديقاً اي كان من اول وجوده الى انتهائه
موصوفاً بالصدق والديانة وهذا يؤكد ما قبله ذكر ان قوله هذا ربي كان في مقام
المناظرة ابطالاً لمذهب القوم عليهم وما كان في معرض الاخبار اما قوله يا ابت فالتاء عوض
من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقد يقال يا ابتا
لكون الالف بدلاً من الياء اعلم انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام انه تكلم مع
ابيه اربعة انواع من الكلام **النوع الاول** قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئاً وصف الاوثان بصفات ثلاثة كل واحد منها قادح في العبودية وبيانه
من وجوه **الاول** ان العبادة غاية التعظيم فلا يليق الا بمن له غاية الانعام وهو الذي
يكون قادراً على خلق اصول النعم وفروعها كما قررناه في تفسير قوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتاً فاحياكم **الثاني** ان العقل حاكم بانه لا يجوز الاشتغال
بشكر من لا نعمة له عليك فاذا لم يجز الاشتغال بشكره فلان لا يجوز الاشتغال بطاعته
وعبادته كان اولى **الثالث** انها اذا لم تسمع ولا تبصر ولا تميز من يطيعها ممن
يعصيها فاي فائدة في عبادتها وهذا يدلك على ان الاله يجب ان يكون عالماً بكل المعلومات
من الكليات والجزئيات حتى يكون العبد آمناً من وقوع الغلط في الثواب والعقاب **الرابع**
ان الداعي يبتغي العبادة والدعاء اذا لم يسمع دعاء الداعي فاي منفعة في عبادته واذا كان لا يبصر
حتى يعرف من يتقرب اليه فاي فائدة تحصل من ذلك التقرب **والخامس** ان
السامع المبصر الضار النافع افضل ممن كان عارياً عن هذه الصفات فالانسان موصوف
بهذه الصفات والصنم عارٍ عنها فيكون الانسان اشرف وافضل من الصنم واقدام الاشرف
الاعظم على عبودية الاخس الاذل لا يليق بالعقلاء **والسادس** انها اذا كانت
لا تنفع ولا تضر لم يحصل اليها رغبة ولا منها رهبة فاي فائدة في عبادتها **السابع**
انها لا تقدر على حفظ نفسها عن اضعف الحيوانات كما قال تعالى ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره بل لا تقدر على صيانة انفسها
عن الكسر والاذلال فان الله تعالى اخبر عن ابرهيم صلى الله عليه وسلم انه كسرها وجعلها جذاذاً
فاذا كانت لا تحفظ نفسها عن الكسر والافساد فاي رجاء للغير فيها **والثامن** ان الله
تعالى نزه نفسه عن الشرك في اول سورة النحل فقال تعالى عما يشركون ثم احتج عليه بوجوه
اولها بخلقه السموات فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
وثانيها بخلقه الانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وثالثها بخلق الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم الى قوله والخيل والبغال والحمير
ورابعها بخلقه النبات فقال وهو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر
وخامسها بخلقه البحر فقال وهو الذي سخر البحر وسادسها بخلقه الجبال فقال

بدهة

فالتي في الارض رتبتها ان تمتد بكم ثم ختم ذكر هذه الدلايل باعادة المقصود وهو نفي الشركاء
والانداد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وكل ذلك اشارة الي ان التسويه
بين النافع والضار وبين ما لا ينفع ولا يضر في العبادة سفه والسابع ان ابرهيم عاب
الاصنام من ثلثة اوجه من حيث انها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني فكانه قال العبادة لا تليق
الا لمن هو الحي فانه يسمع بدليل قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان ويبصر بدليل قوله
انني معكما اسمع وارى ويقضي الحوائج بدليل قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وثامنها
قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال في لقمن عقيب هذه الاية قل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فقوله الحمد لله معناه الشكر لله على اعترافهم بذلك وقوله بل اكثرهم
لا يعلمون فمعناه انكم لما اقررتم بان المدبر هو الله فكيف تشتغلون بعبادة غير الله فان
الاقدام على هذا العمل مع الاقرار بذلك القول لا يليق بمن له عقل وفهم ومعرفة فان قال
قائل السوال قد ذكرتم ان عبدة الاوثان معبودهم هو الكواكب في الحقيقة فكيف تتوجه
هذه الدلايل عليهم الجواب انا بينا في تفسير قوله تعالى لا احب الافلين ان على كل التقدير ان
الاعراض عن مدبر الافلاك والانجم والاشتغال بعبادة الافلاك والانجم او بعبادة اصنامها
وتماثيلها عين الجهل فانه لما دلت الدلايل على افتقار الافلاك والانجم الى الاله الخالق البارئ
المدبر وثبت ان خالق الافلاك لابد وان يكون قادرا على خلق الناس لان القادر على
الاقوى قادر على الاضعف كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم واذا
كان الامر كذلك كان الاشتغال بخدمة رب الافلاك والانجم اولى من الاشتغال بخدمة
الافلاك والانجم وقد سبق تقرير هذا المعنى على الاستقصا **النوع الثاني**
من كلام ابرهيم عليه السلام مع ابيه قوله يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا واعلم ان هذه الاية فيها اشارة الى ان روح النبي صلى الله عليه وسلم
متميز على ساير الارواح بمزيد الكمال والجلال وتقديره هو ان العالم عالمان عالم
المحسوس وعالم المعقول والمعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال في المحسوس والا كان
متخيلا موهوما والمحسوس لا يكون محسوسا حتى يثبت له مثال في المعقول والا كان
سرابا معدوما واذا عرفت هذا فنقول عالم الروحانيات عالم عظيم لا يعرف عددهم
واصنافهم واجناسهم الا الله سبحانه وتعالى ولا بد فيه من مدبر مطاع نافذ الامر
والقضية في جميع الروحانيات وهياكل الروحانيات هي العرش والكرسي والافلاك
والكواكب فلا بد وان يكون ذلك المدبر من جنسهم فلا بد ان يكون كاملا بالفعل لان
الاخراج من القوة الي الفعل لا يحصل الا ممن كان له مدبرا عن القوة خارجا الي الفعل من
كل الوجوه فاما العالم الجسماني فلا بد وان يكون فيه مدبر كامل من جميع الوجوه فلهذا يكون
نافذ القضية في جميع الجسمانيات ويكون تدبيره اخراج ما بالقوة الى الفعل في ابنا جنسه

ثم

ثم مدبر العالم الروحاني هو الروح الاعظم ومدبر العالم هو الرسول الاعظم ثم يكون بين
الروح والرسول مناسبة علويه وملاقاة عقليه فيكون الروح الاعظم مصدرا ويكون الرسول
الاعظم مظهرا والروح مبدا والرسول نهاية واول الفكر اخر العمل واذا عرفت ان الرسول مدبر الجسمانيات
باخراج ما فيها من الكمالات من القوة الي الفعل عرفت ان المراد من قول ابرهيم اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا وهذه اسرار عظيمة وقد نبهنا على شرحها **النوع
الثالث** قوله لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا والمعنى لا تطعه
فانه عاص لله فنفره بهذا الوصف عن القبول منه لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم
ان ابرهيم عليه السلام لما كان عظيم الدرجة في الاخلاص في طاعة الله فلا جرم لم يذكر من جنايات
الشيطان الا كونه عاصيا لله ولم يذكر البتة كونه عدوا لادم عليه السلام وكان النظر في عظم حاله
في معصية الله عم فكره واطبق على ذهنه وهذا كما ان عيسى صلى الله عليه وسلم اول ما تكلم ذكر ما
يدل على تنزيه الله ولم يذكر ما يدل على براءة امه كان اشتغاله بتنزيه الله تعالى شغله عن
الالتفات الى حال الام وايضا فان معصية الله تعالى لا تصدر الا عن ضعيف الراي ومن كان
كذلك كان حقيقا بان لا يلتفت اليه فان قيل ان هذا القول يتوقف على اثبات امور احدها
اثبات الصانع والثاني اثبات الشيطان والثالث اثبات ان الشيطان عاص لله ٥
والرابع انه لما كان عاصيا لله لم تجز طاعته في شيء من الاشيا والخامس اثبات ان الاعتقاد
الذي كان يعتقده والد ابرهيم مستفاد من طاعة الشيطان ومن شان الدلالة
التي يوردها الانسان على خصمه كونها مركبه من مقدمات مسلمه معلومه ولعل والد ابرهيم
كان منازعا في كل هذه المقدمات وكيف يستحسن ابرهيم ذكر هذا الكلام قلنا الحجة
المعول عليها في ابطال مذهب ابيه هو الذي ذكره اولا في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا
يغني عنك شيا فاما هذا الكلام فيجري مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر والتامل
في تلك الدلالة **النوع الرابع** قوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
وفي قوله اخاف قولان قال الفرا معناه اعلم والاكثرون على انه محمول على الظاهر وحمل
هذا اللفظ على العلم انما يجب لو كان ابرهيم عالما بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت
فوجب اجراوه على ظاهره فانه كان يجوز في ابيه ان يومن فيصير من اهل الثواب ويجوز فيه
ان يموت على الكفر فيكون من اهل العقاب ومن كان كذلك كان خايفا لا قاطعا واعلم ان من
يظن وصول ضرر الي غيره فانه لا يسمى خايفا الا اذا كان بحيث يلحقه من ذلك الضرر تالم
قلبه كما يقال انا خايف على ولدي اما قوله فتكون للشيطان وليا فذكروا في الولي وجوها
الاول انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والولاية سبب للمعية
فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وانما لم تجز حمله على الولاية الحقيقية لقوله تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا ٥ وحكي عن الشيطان انه يقول لهم اني كفرت بما اشركتمون من قبل

والثاني ان حمل العذاب على الخذلان اي اخاف ان يمسك خذلان الله فتصير موليا للشيطان ويبرا الله منك كما قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا **والثالث** وليا اي تاليا للشيطان يليه كما سمي المطر الذي ياتي تاليا وليا فان قيل معناه اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا يقتضي ان تكون ولاية الشيطان اسوا حالا من العذاب فما معنى ذلك الجواب ان رضوان الله اعظم واشرف من الثواب كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فوجب ان تكون ولاية الشيطان هي التي تكون في مقابلة رضوان الله اكبر من العذاب واعظم فهذا هو الاشارة في تفسير هذه الكلمات الاربعة التي رتب ذكرها ابرهيم عليه السلام لابيه واعلم انه عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لانه نبه على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جايزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاشتغال بما لا ينبغي ثم انه عليه السلام اورد هذا الكلام الحسن اللطيف مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلام يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب وختم الكلام بقوله اني اخاف وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وانما فعل ذلك لوجوه **الاول** قضى حق الابوة كما قال تعالى وبالوالدين احسانا والارشاد الى الدين الحق من اعظم انواع الاحسان فاذا انضاف اليه رعاية الادب والرفق كان ذلك نورا على نور **والثاني** ان الهادي الى الحق لا بد وان يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام لا على سبيل العنف لان الايراد على سبيل العنف يصير مانعا من الاستماع والقبول **والثالث** ما روى ابو هريرة قال عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكافر تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اني اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري قوله تعالى قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم اعلم ان ابرهيم لما دعا اباه الى التوحيد وذكر الدليل على فساد عبادة الاوثان واردف ذلك الدليل بالوعظ البليغ واورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق قابله ابوه بجواب يضاد ذلك فقابل حجته بالتقليد فانه لم يذكر في مقابل حجته الا قوله اراغب انت عن الهتي فاصر على ادعا الهتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم وقابل رفقه في قوله يا ابت بالعنف حيث لم يقل يا بني بل قال يا ابرهيم وانما حكى الله ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخف على قلبه ما كان يصل اليه من اذى المشركين فيعلم ان الجهال متمسكون على هذه السيرة المذمومة واعلم ان قوله اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم ان كان المراد منه الاستفهام فهو خذلان لانه قد عرف منه ما تكرر منه من وعظ وتنبيه ووعد ووعيد انه راغب عن ذلك فما فايدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فاي عجب في الاعراض عن حجر لا يضر ولا ينفع انما التعجب كله من الاقدام على عبادتها اما قوله لئن لم تنته لارجمنك

ففي

ففي الرجم قولان **الاول** انه الرجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله والذين يرمون المحصنات اي بالشتم ومنه الرجيم للمرمي باللعن وقال مجاهد الرجم كله في القران بمعنى الشتم **والثاني** انه الرجم باليد وعلى هذا التفسير ففيه وجوه **الاول** لارجمنك باظهار امرك للناس ليرجموك فيقتلوك **والثاني** لارجمنك بالحجارة لتتباعد عني **والثالث** قال المورج لارجمنك لاقتلنك بلغة قريش **والرابع** قال ابو مسلم لارجمنك المراد منه الرجم بالحجارة الا انه قد يقال ذلك في معنى الطرد والابعاد على سبيل الاتساع والدليل على انه اراد الطرد قوله تعالى واهجرني مليا اما قوله واهجرني ففيه وجهان **البحث الاول** عطف واهجرني على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك والتقدير لارجمنك فاحذرني واهجرني **البحث الثاني** في قوله واهجرني قولان احدهما المراد في قوله واهجرني في القول والثاني واهجرني بالمفارقة من الدار والبلد فهي كهجرة الرسول والمؤمنين اي تباعد عني حتى لا اراك وهذا الثاني اقرب الى الظاهر اما قوله مليا ففيه وجهان الاول مليا اي مدة بعيدة ماخوذ من قولهم اتى على فلان ملاوة من الدهر اي زمان بعيد والثاني مليا بالذهاب عني قبل ان اصيبك فلا تقدر ان تذهب من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له قادرا عليه ثم ان ابرهيم عليه السلام لما سمع من ابيه هذا الجواب اجابه بامرين احدهما انه وعده التباعد منه وذلك ان اباه لما امره بالتباعد اظهر الانقياد وقوله سلام عليك توديع ومتاركة كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا يدل على جواز متاركة المنصف اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاساة بالاحسان ويجوز ايضا ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده بالاستغفار ثم انه لما ودعه بقوله سلام عليكم ضم اليه ما دل على انه وان بعد منه الا ان شفقته عليه باقية وهو قوله ساستغفر لك ربي واحتج من طعن في عصمة الانبيا عليهم السلام بهذه الاية وتقريره ان ابرهيم استغفر لابيه وابوه كان كافرا والاستغفار للكافر غير جايز فثبت بمجموع هذه المقدمات ان ابرهيم فعل ما لا يجوز انما قلنا انه استغفر لابيه بقوله تعالى في هذه الاية سلام عليك ساستغفر لك ربي وقوله ايضا واغفر لابي انه كان من الضالين واما ان اباه كان كافرا فذلك نص القران واما ان الاستغفار للكافر غير جايز فيدل عليه وجهان الاول قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين والثاني قوله تعالى في سورة الممتحنة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فامر بالتاسي بابرهيم في هذا الفعل فدل على ان هذا الفعل معصية والجواب قوله الاستغفار للكافر غير جايز قلنا الكلام عليه من وجوه الاول على ان القطع ان الله تعالى يعذب الكافر لا يعرف الا بالشرع فلعل ابرهيم عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لابيه والثاني

الا في هذا القول

ان الاستغفار قد يجي بمعنى الاستبطا كقوله تعالى قل للذين امنوا يستغفروا للذين لا يرجون
ايام الله والمعنى سأسأل ربي ان لا يعجل عذاب كفرك في الدنيا **والثالث** انه صلى
الله عليه وسلم انما استغفر لابيه لانه كان يرجو منه الايمان فلما ايس من ذلك ترك الاستغفار
ولعل شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجى منه الايمان والدليل على وقوع هذا
الاحتمال قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فبين ان المنع من الاستغفار انما حصل بعد ان تعرفوا
انهم من اصحاب الجحيم ثم قال تعالى بعد ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فدلت هذه الاية على انه انما وعده بالاستغفار
بشرط ان يؤمن فلما لم يؤمن فقد انعدم الشرط فلا جرم لم يوجد المشروط فان قيل فاذا كانت
القضية كذلك فلم منعنا من التاسي به قلنا الاية تدل على انه لا يجوز لنا التاسي به في هذا المعنى الا
ان المنع من التاسي به في ذلك لا يدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشياء هي من خواص
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لنا التاسي به مع انه كان مباحا ذلك للرسول عليه
السلام **والرابع** لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الافضل فحسنات الابرار سيئات المقربين
اما قوله انه كان بي حفيا اي لطيفا رفيقا يقال احفى فلان في المسئلة لفلان اذا الطف فيه
وبالغ في الرفق والمراد انه تعالى لكثرة الطافه وانعامه على عودني الاجابة فاذا استغفرت لك
حصل المراد كانه جعل ذلك على يقين انه ان تاب غفر الله له ذلك **والوجه الثاني**
من الجواب قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله والاعتزال عن الشي هو التباعد عنه
والمعنى اني افارقكم في المكان وافارقكم في طريقتكم ايضا وابعد عنكم واشتغل بعبادة ربي الذي ينفع
ويضر فانكم بعبادة الاصنام سالكون طريق الضلال فوجب علي مجانبتكم ومعنى قوله عسى الا اكون
بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اكون كذلك وانما ذكر هذا الكلام على سبيل التواضع فقوله والذي
اطمع ان يغفر لي وقوله شقيا مع ما قبله من التواضع فيه تعريض بشقاوتهم في دعا الهتهم على ما
قررناه في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله تعالى فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا
وجعلنا لهم لسان صدق عليا واعلم ان احدا لا يخسر على طاعة الله فان ابرهيم صلى الله عليه وسلم
لما اعتزلهم في دينهم وبلدهم واختار الهجرة الى ربه ما ضره ذلك في الدين ولا في الدنيا بل نفعه
فعوضه الله اولادا انبيا ولا منصب في الدين اعظم من ان يجعله الله رسولا الى خلقه ويوجب عليهم
طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظم المنزلة في الاخرة فصار جعله تعالى اياهم انبيا من اعظم
النعم في الدنيا والاخرة ثم بين تعالى انه مع ذلك وهب لهم من رحمته اي وهب لهم مع النبوة اشيا
اخرى وانهم لم يذكرها فيدخل فيه المال والجاه والاتباع والنسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال وجعلنا
لهم لسان صدق عليا ولسان الصدق الثنا الحسن وعبر باللسان عما يحصل باللسان واستجاب
الله دعوته في قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعى كل اهل الاديان انهم

على دينه وملته وقال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وقال ملة ابرهيم حنيفا وقال تعالى ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا قال بعض العلماء ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما
تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله في اولاده فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا وتبرا من ابيه في الله على ما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فلا جرم سماه الله
ابا المؤمنين وقال ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين في ليذبحه لله على ما قال فلما اسلما وتله
للجبين لا جرم فداه الله كما قال وفديناه بذبح عظيم واسلم نفسه لله كما قال اسلمت لرب العالمين
فجعل الله النار بردا فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم واشفق على هذه الامة فقال
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم لا جرم اشركه الله في الصلوة فانهم يقولون في اخر التشهد كما صليت
وباركت على ابرهيم وال ابرهيم وكان دخيما في اداطاعات ربه كما قال وابرهيم الذي وفى
لا جرم جعل الله موضع قدميه مباركا فقال واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل
الخلق في الله فقال فانهم عدو لي الا رب العالمين لا جرم اتخذه الله خليلا فقال واتخذ الله ابرهيم
خليلا ليعلم صحة ما ذكرنا انه لا يخسر احد على طاعة الله تعالى **الفصل الرابع**
في شرح مناظرة ابرهيم مع قومه بكسر الاصنام قال تعالى في سورة الانبيا ولقد اتينا ابرهيم رشده
من قبل وكنا به عالمين اعلم انه تعالى قبل الشروع في شرح هذه الواقعة مدح ابرهيم عليه
السلام بقوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وفيه مسائل **المسئلة الاولى** في الرشد
قولان **الاول** انه النبوة واحتج من ذهب الى هذا القول بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى
انما يخص بالنبوة من يعلم من حاله انه يقوم في المستقبل بحقوقها ويحترز عن كل ما لا يليق بها ويحتنب
عما ينفر قومه من قبول التكاليف فهذا يتاكد هذا بقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
ويتاكد ايضا بقوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما والقول
الثاني ان الرشد هو الاهتدا لوجوه **الاول** هو الصلاح في الدين والدنيا قال تعالى
فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقال تعالى في سورة هود اليس منكم رجل رشيد
وقال قوم هود انك لانت الحليم الرشيد ومرادهم لانت السفيه الضال ذكروه على وجه
الاستهزاء وقال وما امر فرعون برشيد وفيه قول ثالث وهو ان تدخل النبوة والاهتدا الى كل
المصالح تحت اسم الرشيد اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا الا وقد عرفه ذاته وصفاته وافعاله وذلك
ايضا على مصالح نفسه ومصالح قومه وكل ذلك من الرشد واعلم ان لفظ الرشد جاء في القران
على خمسة اوجه **احدها** الحق قال تعالى في سورة البقرة قد تبين الرشد من الغي
والثاني الاسلام قال تعالى في الاعراف وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا **والثالث**
الهداية قال تعالى في سورة البقرة لعلهم يرشدون وقال في سورة الكهف ومن يضلل الله
فلن تجد له وليا مرشدا وقال ايضا في هذه السورة على ان تعلمني مما علمت رشدا
وقال في سورة الحجرات اولئك هم الراشدون **والرابع** معرفة المصالح في امور الدنيا قال
تعالى في سورة النساء فان انستم منهم رشدا **والخامس** فعل الصواب على سبيل الاطلاق

قال تعالى في سورة الجن فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا وتقرب منه قوله تعالى في سورة الكهف
ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فالوجوه الثلثه الاول مختصه
بالدين والوجه الرابع مختص بالدنيا والوجه الخامس يعم الكل ما يتعلق بالدين وما يتعلق
بالدنيا **المسئلة الثانية** احتج اصحابنا على ان الايمان يحصل بخلق الله تعالى بهذه الاية
وذلك لانا بينا ان لفظ الرشد يتناول الاهتدا الى كل مصالح الدين والدنيا واعظم وجوه
الاهتدا الى مصالح الدين هو الى معرفة الله فكانت معرفة الله تعالى اعظم وجوه الرشد والله تعالى
قال ولقد اتينا ابرهيم رشده فدل هذا على ان ايمان ابرهيم انما حصل بتخليق الله وايجاده اجاب
الكعبي عن هذه الحجة بان مثل هذا الكلام انما يقال فيمن عرض عليه ما ينفعه فاذا قبله يقال
ان فلانا اوتي الرشد وهذا كمن اعطى المال لولدين فقبله احدهما وثمره ورده الاخر او اخذه
ثم ضيعه فيقال فلان اعطى ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال هذا فيمن ضيع المال والجواب
هذا الكلام مشوش ونحن قد بينا ان لفظ الرشد يتناول اعظم وجوه الايمان والله تعالى نص على انه
اتاه رشده فكان هذا صريحا في ان الله تعالى اتاه ايمانه واعطاه معرفته واما قوله تعالى
من قبل ففيه وجوه الاول قال ابن عباس وابن جرير الطبري اتينا ابرهيم نبوته
واهتداه من قبل موسى والثاني اتينا ابرهيم رشده في صغره قبل بلوغه حين كان
في الغار وهذا قول من حمل الرشد على الاهتداء الى وجوه المصالح والا لزمه ان يحكم
بنبوته قبل البلوغ والثالث قال ابن عباس في رواية الضحاك المراد حين كان في صلب
ادم حين اخذ الله ميثاق النبيين والرابع وهو كلام خطر ببالي وهو اشارة الى
العناية الازلية الى ان السعيد من سعد في بطن امه والى قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما
هو كائن الى يوم القيمة بمعنى انه جرى القضا الازلي والحكم السرمدي بجعله من اسعد الابرار
لا انه حدث في اليوم وذلك ليس من مذهب اهل السنه واجماعه انه تعالى قضا بسعادته
في هذا اليوم فحصلت هذه السعادة في هذا اليوم من نتائج ذلك القضا الازلي والمعتزله يقولون
انه اشتغل بالايمان فصير اشتغاله بالايمان موجبا على الله ان يقضي له بالسعاده وهذا في غاية
البعد لان العقل يقتضي ان يكون صفة الخالق متصرفه في صفة المخلوق ولا يجوز ان يكون صفة
المخلوق وفعله متصرفه في صفة الخالق ولهذا قال ابو بكر الواسطي لا اعبد ربا يرضيه طاعتي
ويغضبه معصيتي والمراد انه لا ينبغي ان يجعل طاعة العبد ومعصيته موثرين في رضى الرب
وغضبه ويكون رضاه اوقع العبد في الطاعه وغضبه يوقعه في المعصيه حتى يكون الخالق
متصرفا في المخلوق لا ان يكون متصرفا في الخالق اما قوله تعالى وكنا به عالمين والمراد
منه ما هو المراد من قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والمعنى انه تعالى علم اختصاص
روحه القدسيه باحوال عجيبه واسرار بديعه وهي مستغرقه في معرفة الله تعالى وموا ظبته
على طاعته واقباله على الدعوة الى الله وبالجمله فكانت روحه في الارواح كالشمس التي نورت
نير الظلمات وتزيل الضلالات والجهالات ونظير هذا الكلام قولك في رجل كبير قد انا عالم

بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه ادل مما اذا شرحت جلال كماله اما قوله
تعالى اذ قال ابرهيم لابيه وقومه قال صاحب الكشاف اذ اما ان يتعلق باتينا او برشده او
بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت اما قوله تعالى ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون فالتماثيل اسم للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشي بالشي
اذا شبهته وتمثال الممثل يسمى بالتمثال واعلم ان القوم كانوا يتخذون لكل كوكب تمثالا
مخصوصا على ما هو المشهور من مذهب اصحاب الطلسمات فجعل ابرهيم هذا القول منه
ابتدا كلامه ليتنظر فيما يتشابه نورد ونه من شبهه حتى يبطله عليهم قال صاحب الكشاف
لم يبق للعاكفين مفعولا بل اجراه مجرى ما لا يتعدى كقوله فاعلين العكوف لها او واقفين
لها فان قيل لم لم تقل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلنا لو قصد التعديه لعداه
بصلته التي هي على اما قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاعلم ان القوم لم يذكروا
في الجواب الا طريقة التقليد الذي يوجب مزيد الانكار عليهم لانهم اذا كانوا على
الخطا في امرهم لم يعصمهم من هذا الخطا ان اباءهم ايضا سلكوا هذا الطريق واعلم ان عادة
الكتاب في اكثر الامر التعويل على طريق التقليد ونظيره قوله تعالى في المايده واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا
يعلمون شيئا ولا يهتدون وقال في سورة يوسف وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقال في لقمن واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
وقال في الزخرف انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وقال في ص اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي
عجاب ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق وقال تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا
لولا ان صبرنا عليها واعلم ان الشعبي توكل ويلتم فلا ترى الدنيا الشيا الا وهو يذم التقليد
ثم انك اذا فتشت عن احواله تراه غارقا في التقليد من قرنه الى قدميه والخروج عن طريقة التقليد
والتعويل اذا كانت الرساله دون الالهيه ثم انها لا تثبت بالتقليد من لسان اعقل الخلق فكيف
تحصل معرفة الربوبيه من لسان الاباء والاسلاف بل هاهنا ما هو اقوى من كل ذلك
وهو انه تعالى قال لموسى عليه السلام اني انا الله فقال موسى هذه الدعوى فاين الدليل فجعل الله
دليله عليه ان جعله بحيث يسمع ذلك الكلام بجميع اعضائه حتى من رجله فحينئذ علم المقصود فلما
لم يكف كلام الحق في معرفة الحق فكيف يكفي كلام الخلق في معرفة الخالق **الوجه الخامس**
انصف من نفسك فان الله تعالى لا يطالبك الا الانصاف قال الامام الواحدي رجل اعتقد ان الله

سنة عن الخشية والمكان تقليداً وبقي عليه سبعين سنة فهو من اهل النار فلو انه قرب اجله
فقال الهي تبت عن ذلك التقليد والآن لا اعلم انك على العرش ام لا واجوز كلا الامرين واشرع
في النظر لاتفكر حتى اعرف الحق ثم انه لم يجد مهلة النظر حتى مات في تلك الساعة قالوا انه من
اهل الجنة فعند اعتقاده الحال التقليدي هو كان من اهل النار وان كان ذلك الاعتقاد حقاً
كان من اهل الجنة وما ذلك الا انه اتصف حين اعترف بالتحير • الوجه السادس
روي عن علي رضي الله عنه رجع عن بعض الغزوات فكانت حصته من الغنيمة بما انه ذله واناه
سائل فجعل عنا راحة الطوارح فعلم ان ذلك من وسوسة ابليس فاخذ الكل ودفعه الى
السائل اذ هذا اكبر من الجهاد الذي رجع عنه ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم مستبشراً فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فقال رجعت عن الجهاد وقص عليه القصة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم طسا بدا تولت صاحبه شبهه عن شبهه والنكتة تدل على ان من يعلم وعلم ثم
اشتغل بالتعليم كان هذا خيراً لكن كان صار عنا واعطى وبذل المال في الدنيا وفائدة خطا العلم
في الاخرة ابد الاباد ودهر الداهرين والوجه السابع ان واحداً راد حديقة
ملك فقال الملك اذهب فتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعليم وذاق لذة العلم بعث
الملك اليه اسلك في التعليم فقد صرت اهلاً لخدمتي فقال كنت اهلاً لخدمتك حين لم ترني
اهلاً لخدمتك وحين رأيتني اهلاً لخدمتك رأيت نفسي اهلاً لخدمة الله وذلك اني كنت اظن ان
الباب باب الجهل فلما تعلمت علمت ان الباب باب ربي واعلم ان القوم لما قالوا وجدنا اباءنا لها
عابدين اجاب ابراهيم لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقاً بسبب
كثرة المتمسكين به فعند ذلك استبعدوا هذا الكلام لشدة الفهم بذلك التقليد قالوا له
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين واعلم ان القوم لما وهموا انه انما يقول ذلك الكلام على سبيل
المزاح اظهر ابراهيم في ذلك الوقت مما يعلمون به انه مجد في اظهار ما قاله وذلك بالقول
اولاً ثم بالفعل ثانياً اما الطريقة القولية فهي قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين اما وجه دلالة السموات والارض على اثبات
دليل الصانع القدير الحكيم فقد تقدم شرحه والمعنى ان الخالق الذي خلق السموات والارض
لمنافع العباد وهو الذي يحسن ان يعبد لان من يقدر على ذلك فهو الذي يرجى نفعه ويخاف
ضره فرجع حاصل هذه الطريقة الى الطريقتين المتقدمين احدهما كون السموات
والارض مخلوقة محدثة كما قال لا احب الافلين والثاني قبح عبادة الاصنام
كما قال تعالى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً فهذه الطريقة مشتملة على
تينك الطريقتين وقال صاحب الكشاف الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل
وكونه للتماثيل ادخل في الاحتجاج اما قوله وانا على ذلكم من الشاهدين معناه اني
قادر على اثبات ما ادعيته بالحجة واني لست مثلكم في ادعاء ما لا اقدر على اثباته بالحجة وذلك
الكم ما قدرتم على اثبات مذهبكم الا على قولكم انا وجدنا اباءنا لها عاكفون واما الطريقة العقلية
[illegible]
[illegible]

فهي قوله تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين واعلم ان القوم لما اتهموا قبتهم لما لم يستعملوا
بالدلائل العقلية عدل ابراهيم الى الفعل وفي كيفية القصة وجهان الاول قال
السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم
فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج فلما كان هذا الوقت ببعض
الطريق القى نفسه وقال اني اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي الضعفاء من الناس نادى قال وتالله لاكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين واحتج هذا القائل بقوله تعالى انا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم • والثاني قال الكلبي كان ابراهيم عليه السلام من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا
اذا خرجوا من عيدهم لم يتركوا الا مريضاً فلما هم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء
وقال لاصحابه اراني اشتكي غداً فذلك قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح من
الغد معصوباً راسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف احد غيره وقال تالله لاكيدن اصنامكم وسمعه
رجل منهم هذا القول فحفظه عليه ثم ان ذلك الواحد اخبر عنه وانتشر ذلك الخبر في جماعة فلذلك
قال الله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم واعلم ان كلا الوجهين ممكن ومثل القصة ان ابراهيم عليه
السلام لما دخل بيت الاصنام وجد سبعين صنماً مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان
من ذهب وفي عينيه جوهرتان مضيئتان بالليل فكسر الكل بفاس في يده حتى لم يبق الا الاكبر
ثم علق الفاس في عنقه اما قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيراً لهم فاعلم ان الجذاذ من الجذ
وهو القطع وفيه سؤالات السؤال الاول ثم قال فجعلهم وهذا الجمع لا يليق
الا بالعقلاء واما الجواب من حيث اعتقدوا فيها انها كالناس وفي انها تعظم وتقرب اليها
فلعله كان فيهم من يظن انها تضر وتنفع والسؤال الثاني ما معنى قوله الا كبيراً
لهم قلنا يحتمل الكبير في الخلقة ويحتمل في التعظيم اما قوله لعلهم اليه يرجعون فيحتمل رجوعهم
الى ابراهيم ويحتمل رجوعهم الى الكبير اما الاول فتقديره من وجهين الاول ان يكون
لعلهم يرجعون الى الدين الحق وهو الاقرار بالتوحيد ويعدلون عن الباطل وعبادة الاوثان
الثاني انه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما ظهر انه هو المنكر لدينهم والساب
لالهتهم اما الثاني وهو قوله الضمير يرجع الى الكبير ففيه وجهان الاول لعلهم يرجعون
اليه كما يرجع الى العالم الكبير في حل المشكلات فيقولون لذلك الكبير كيف كسرها كلا وكيف
بقيت صحيحاً كيف علق الفاس في رقبتك وهذا قول الكلبي وهو بناء على شدة حماقة القوم
وهاهنا انهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم والثاني انه عليه السلام قال ذلك مع
علمه انهم لا يرجعون اليها استهزاء بهم وان قياس حال من يسجد له ان يرجع اليه في حل المشكلات
ثم قال تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي من فعل هذا الكسر والحطم الشديد
لظالم معدود في الظلمة اما لجراءته على الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا
افراطاً في كسرها وتمادياً في الاستهانة بها اما قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
والمعنى انهم كانوا من قبل قد عرفوا وسمعوه انه يقول في الهتهم فغلب على قلوبهم انه الفاعل

ولو لم تكن الا قوله ما هذه التماثيل لكفا واعلم انه لا بد ههنا من الكلام في الفتوة فنقال
ابرهيم عليه السلام وصف بالفتوة لانه استعمل الفتوة في كل الاشيا اعطى البدن للنيران
والمال للضيفان للقربان وحكي ان جبريل صلى الله عليه وسلم وقف في وسط غنمه
وكان له غنم كثير حتى قيل انه كان عنده كلابه اثني عشر الف كلب كل كلب مطوق بطوق
وقلادة من ذهب فقال جبريل سبوح قدوس رب الملائكة والروح فنظر ابرهيم يمينه ويسره
فلم ير احدا فقال يا هذا العبد الذي يذكر الله لك ثلث غنمي واذكره فذكره ثانيا واعطاه الثلث الثاني
فذكره ثالثه فاعطاه الثلث الثالث فذكر رابعا فوهب منه الكلاب مع ما على اعناقها من
الطوق فذكر خامسا فوهب منه العبيد الذين كانوا يحفظون الاغنام فذكر سادسا فقال لم
يبق لي ملك فاستعبدني فاوحي الله الى جبريل كم تعذب خليلي فاظهر عند ذلك جبريل
نفسه وقال حق ان يكون خليلا وهذه الاغنام والعبيد مردوده عليك انا جبريل لا حاجة
لي الى شيء منها فقال يا جبريل هذا شي اخرجته من ملكي لوجه الله فلا اعيده الى ملكي وقد
وقفته على جميع المسلمين ياكل كل من مر عليه وقال بعض الحكما راس الفتوة لا اله الا الله
الا ترى الى قصة اصحاب الكهف قال تعالى انهم فتية امنوا بربهم لانهم سماهم فتية امنوا بربهم
فلما كان ابرهيم عليه السلام دعا العالمين الى الله تعالى كان باسم الفتوة اولى اجتمع ابو حفص الحداد
مع الجنيد في بغداد فساله عن الفتوة فقال اذكروا انتم فانكم اصحاب البيان والعبادة فقال
الجنيد الفتوة اسقاط الرؤية وترك النسبة بالفتيان فقال ابو حفص ما احسن ما قلت لكن الفتوة
عندي اداء الانصاف وترك المطالبة بالانتصاف فقال الجنيد قوموا با اصحابنا فقد زاد ابو حفص
على ادم وذريته وسال ابو حفص الحداد واحدا من الصالحين بنيسابور عن الفتوة فقال يا ابا حفص
تسالنا عن فتوتنا ام عن فتوتكم فقال ابو حفص اجب عن الفصلين فقال اما فتوتنا معشر السلطان
وكل ما نقوله باللسان وفيما به واما فتوتكم معشر العارفين فما تقولونه بالسر مع الله توفون
به فقال ابو حفص لو سالت عنه لما كنت اهتدي اليه وقال الفضيل بن عياض
سيد الفتيان يوسف الصديق عليه السلام وذلك لانه تحمل المحن العظيمة من اخوته ثم لما قدر
عليهم ما قال لهم الا قوله لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل الفتوة ان لا يوخر ولا
يدخر ولا يعتذر وقيل ان لا يخاصم في الاخرة احد وقيل الفتوة بذل المجهود والرضا بالمجهود
وترك طلب المفقود وحفظ الحدود والسكون الى الموعود والقيام بخدمة المعبود واعلم
انه تعالى سمي في القران بالفتى خمسة اشخاص سمى ابرهيم عليه السلام في هذه الاية بالفتى وسمي
يوسف تراود فتاها عن نفسه وخدمه يوسف وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم ووسع
اذ قال موسى لفتاه واصحاب الكهف اذ اوى الفتية الى الكهف واما سمي ابرهيم بالفتى انه كان
وافيا بعهود الله فقال تعالى وابرهيم الذي وفى وسمي يوسف بالفتى لانه كان حافظا العهد
العزيز مصر وهو قوله انه ربي احسن مثواي وسمي خزنة يوسف فتيانا لانه كان
ان يكون امينا حافظا المال وسمي يوشع فتى لانه كان حافظا الاسرار موسى عليه السلام

ولا يخاصم احد

لعار

فقال اراكم اذا ويتا الى الصخرة وسمي اصحاب الكهف فتيانا لانهم كانوا يبغضون الجاحدين الله ان
يدعون من دونه الها ويحبون الله قال تعالى ربنا رب السموات والارض وروى في الاخبار
ان واحدا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وساله حاجته فقال النبي عليه السلام لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه احسن اليه وذهب علي بن ابي طالب وجاء معه دينار وخمسة دراهم
ورغيف تام ونصف رغيف فساله الرسول عليه السلام عن كيفية الموافقة فقال ان هذا السائل
لما سال وقع في قلبي ان اعطيه دينارا ثم قلت يكفيه خمسة دراهم ثم قلت يكفيه رغيف واحد
ثم قلت يكفيه نصف رغيف ثم طردت الوسوسة عن قلبي وجئت بكل هذه الاشيا فقال
النبي عليه السلام لا فتى الا علي واعلم انه قيل الفتوة على اقسام احدها الفتوة باليد روى ان
عليا رضي الله عنه كان يحارب كافرا فقال الكافر اعطني سيفك فدفع علي سيفه اليه
فقال له ذلك الكافر مجنون انت لم دفعت سلاحك الي وانا خصمك واطلب قتلك فقال
سالت وقبيح بالفتى ان يرد السوال استعملت الفتوة معك وان انت قتلتني كان ترك
الفتوة منك وثانيها الفتوة بالعين وكماله لمحمد عليه السلام كما قال ما زاغ البصر وما طغى
ويروى ان رجلا تزوج امراة فقبل الدخول بها ظهر بالمراة جدري فقال الرجل ظهر في عيني
نوع ضعف وظلمة ثم قال عميت فزفت اليه المراة ثم ان المراة ماتت بعد عشرين سنة ففتح الرجل
عينيه فقيل له في ذلك فقال ما عميت ولكن تعاميت ان تحزن المراة فقيل له سبقت الفتيان
وثالثها الفتوة بالمال يروى ان واحدا من الحاج نام فتوهم ان هميانه سرق فخرج فراى جعفر
الصادق فتعلق به فقال اخذت همياني فقال كم كان فيه قال الف دينار فادخل داره
فاعطاه الف دينار فرجع الرجل الى داره فراى هميانه في بيته فاستحيى فخرج الى الصادق
معتذرا اليه ورد عليه الدنانير فابى ان يقبلها وقال شيء اخرجته من يدي لا استرده فقال
الرجل من هذا فقالوا جعفر الصادق وحكي عن الشبلي انه قال خطر ببالي اني بخيل ولئيم
فقلت احرث نفسي فنويت ان كل ما اخذ في هذا اليوم اهبه لاول شخص اراه او لا فخرجا في
الحال خادم من دار الخلافة ووضع عندي صرة فيها خمسون دينارا فاخذتها وخرجت
من الدار فرايت حجاما يحلق راس اعمى فدفعت الصرة الى الاعمى فقال الاعمى ادفعها الى هذا الحجام
فقلت انها ذهب فقال الاعمى يا هذا البخل ثم اخذها ودفعها الى الحجام فقال الحجام انا نويت
ان احلق راس هذا الفقير لله ولا اخذ الذهب والحاصل ان ذلك الذهب ما قبله لا الاعمى ولا
الحجام ورابعها الفتوة بالنفس كما يقال ان واحدا من الشطار ذهب اليه واحد من غلمان
الملك مختفيا فطلبه السلطان منه فانكر فضربه الف سوط فما سلمه فاتفق انه احتلم تلك الليلة
وكان البرد شديدا فلما اصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك فقال استحييت
من الله ان اصبر على ضرب الف سوط لاجل مخلوق ولا اصبر على مقاساة الماء البارد لاجل امر الله
وخامسها الفتوة بالهمة كما قيل لبعض الزهاد لو ان الله اعطاك الدنيا بكليتها ماذا
تفعل فقال اجعلها كلها لقمة واجعلها في فم يهودي حتى يصل العدو الى العدو ويبقى الحبيب للحبيب

فأنا

حذر م

نام بالمدينة

وقال بعضهم ان الله تعالى سمى ثلاث فرق رجالا احدهم الذين لا يمنعهم الدنيا عن
خدمة المولى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والثاني رجال يتطهرون
عن النجاسة رجال يحبون ان يتطهروا والثالث رجال تصلبوا في مقام العبودية
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم يقال بالفارسية جوان مردان نوكل عوالى فرد سود
نعى ابن سه حصلت او را عادت سود دبرار مشغول نبود ن نعس حلاى دو ردا ردو جامه
دنوال لورد شاد وراداد و سرحوا دذا من سدكى باسه وارد وقيل سأل شقيق البلخي
جعفر بن محمد الصادق عن الفتوة فقال ما تقول انت فقال شقيق يا ابن رسول الله ان اعطينا
شكرنا وان منعنا صبرنا قال جعفر عليه السلام الكلاب التي عندنا بالمدينة كذلك تفعل
فقال شقيق يا ابن رسول الله ما الفتوة فقال ان اعطينا آثرنا وان منعنا صبرنا قوله
تعالى فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون وفي قوله لعلهم يشهدون وجهان
احدهما انهم كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فارادوا ان يجيئوا به على اعين الناس لعلهم
يشهدون عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه والثاني لعلهم يشهدون فيبصرون
ما يصنع به فيكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله قوله تعالى قالوا انت فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم واعلم ان في الكلام حذفا وهو فأتوا به قالوا انت فعلت طلبوا منه
الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذائه فظهر منه ما انقلب الامر حتى تمنوا الاخلاص منه بل فعله
كبيرهم هذا وغرضه منه اظهار جهلهم في عبادة الاوثان فان قيل قوله بل فعله كبيرهم كذب
الجواب فيه للناس قولان الاول انه ليس بكذب وهو قول جمهور المحققين وذكروا
في الاعتذار منه وجوها الاول ان قصد ابرهيم ما كان ان ينسب ذلك الفعل الى
الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي وهذا كما قال صاحبك
وكتب كتابا بالخط رشيق وانت مشهور بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن
الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره
لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي والمخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزاء به واثبات للقادر والثاني ان ابرهيم غاظته تلك الاصنام حين ابصرها
مصطفة وكان غيظه من كبيرها اشد لما رأى من تعظيم القوم له كان اكثر فاسند الفعل اليه لانه هو
السبب في اقدامه على كسرها والفعل قد يسند الى مباشره وقد يسند ايضا الى الحامل عليه
والثالث ان يكون ذلك حكاية لما يلزم على مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه والرابع انه كناية عن غير
مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم ابتداء الكلام وعن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله
ثم يبتدئ كبيرهم هذا الخامس يجوز ان يكون فيه وقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدئ فيقول
هذا فاسألوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم والسادس
ان يكون في الكلام تقديم وتأخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فيكون

علم

اسناد

اسناد الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع كونهم فاعلين قرأ
محمد بن سميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم **والقول الثاني**
وهو قول طائفة من اهل الحكايات ان ذلك كذب واحتجوا بما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات كلها في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا
وقوله لسارة هي اختي وفي خبر آخر ان اهل الموقف اذا سألوا ابرهيم الشفاعة فقال اني
كذبت ثلاث كذبات فهذا القول باطل اما الخبر الذي رووه فلان يضاف الكذب الى رواته
اولى من ان يضاف الى الانبياء عليهم السلام والدليل القاطع عليه انه لو جاز الكذب على الانبياء
لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبروا عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرع
ثم ان ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام ان في المعاريض لمندوحة
عن الكذب واما قوله اني سقيم فلعله كان به سقم او يكون ذلك محمولا على انه سيصير كذلك كقوله
تعالى انك ميت وانهم ميتون اما قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ففيه
وجوه **الاول** ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما نبههم على قبح طريقهم تنبهوا فعلموا ان عبادة
الاصنام باطلة فانهم على غرور وجهل والثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها
فقالوا انكم انتم الظالمون لابرهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفأس في رقبة الصنم
الكبير والثالث انتم الظالمون لانفسكم حيث سألتموه عن هذا السؤال حتى انه يستهزئ
بكم في الجواب اما قوله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فقال صاحب الكشاف نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وفي المعنى وجوه الاول انهم لما
تفكروا وعلموا انهم هم الجاهلون والظالمون ثم نكسوا انقلبوا عن تلك الحالة واخذوا في
المجادلة بالباطل وتقريرهم ان هذه الاصنام مع انها غير ناطقة فهي الهة معبودة والثاني
انهم انقلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم من الخجالة والانكسار من كلام ابرهيم
والثالث قال ابن جرير ثم نكسوا على رؤسهم معناه انهم احتجوا على ابرهيم بما كان في
الحقيقة حجة عليهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فاقروا بهذا الكلام للحيرة التي لحقتهم
والمعنى نكست حجتهم واقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم اما قوله تعالى افتعبدون من
دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون والمعنى
ظاهر وهذا الذي ذكره ابرهيم عليه السلام لابيه وقد سبق شرحه ثم يحتمل انه قال لهم ذلك
وقد عرفوا صحة قوله ويحتمل انه قال لهم ذلك وقد ظهرت الحجة وان لم يعقلوا وهذا هو
الاقرب لقوله افلا تعبدون ولقوله افلا تعقلون وقال تعالى قالوا حرقوه وانصروا
الهتكم ان كنتم فاعلين واعلم انه ليس في القرآن من القائل بهذا القول والمشهور انه نمرود
بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل ان الذي قال حرقوه رجل اسمه
هيزر خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة واما كيفية القصة فقال مقاتل لما
اجمع القوم على احراقه حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له

احدم

فالنوه في المنجنيق ثم جمعوا الحطب الكثير حتى ان المراة لو مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن
حطبا لابرهيم ثم نقلوا اليه الحطب على الدواب اربعين يوما فلما اشتعلت النار اشتدت
وصار بحيث لو مر الطير في اقصى الهوى لاحترق ثم اخذوا ابرهيم ورفعوه على راس البنيان
وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن
فيهما من الملئكة الا الثقلين صيحة واحدة يا ربنا ليس في ارضك احد يعبدك غير ابرهيم
وانه يحرق فيك فاذن لنا في نصره فقال سبحانه ان استغاث بكم فاغيثوه وان لم يستغث الا بي
فانا وليه وناصره وكافيه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الرياح فقال ان شئت طارت
النار في الهوا وجاء ملك البحار فقال ان شئت سلطت البحار على هذه النار وجاء ملك السحاب فقال
ابرهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم فلما وضع في المنجنيق ورمي به قال لا اله الا انت سبحانك
رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فجاء جبرئيل فقال يا ابرهيم هل من حاجة
قال اما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال تعالى يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم قال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابرهيم من بردها
وقال ولم يبق يومئذ في الدنيا نار الا وطفيت فاخذت الملئكة بضبعي ابرهيم واقعدوه في الارض
فاذا عين ماء عذب وورد احمر ولم تحرق النار منه الا وثاقه وبعث الله ملك الظل اليه
فقعد الى جنبه يؤنسه واتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابرهيم ان ربك يقول
لك اما علمت ان النار لا تضر احبائي ويقال انه صلى الله عليه وسلم بقي في تلك النار اربعين
يوما او اكثر ثم ان نمرود نظر من صرح له واشرف على ابرهيم فراه جالسا في روضة وراى
الملك جالسا الى جنبه فنادى نمرود يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم
فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها فلما خرج قال نمرود من الرجل الذي رايته معك قال ذلك
ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود اني متقرب الى الهك بالقرابين لما رايت
من قدرته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة الاف بقرة فقال ابرهيم عليه السلام لا يقبل الله
منك ما دمت على دينك فقال لا استطيع ترك ملكي ولكني اذبحها له ثم كف عن ابرهيم
عليه السلام ثم هاهنا لطائف ٥ اللطيفة الاولى حصل هناك ناران نار الدنيا ونار حب المولى
فظنوا ان نار الدنيا تحرقه لكن نار محبته بالمولى اقوى وظنوا فهذه النار تطلب نار نمرود
هكذا يكون يوم القيمة فان جميع الخلق يدخلون نار جهنم كما قال وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا فيجتمع هناك نار جهنم ونار المحبة ثم ان نار المحبة تبطل نار
جهنم وتدفعها كما قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال عليه السلام
حاكيا لنا سبه ان ابرهيم عليه السلام قال في الظاهر للشمس والقمر هذا ربي فالقاه الله تعالى
في النار ثم لما كان ذلك القول صورة بلا معنى لا جرم صير الله تعالى هذه النار صورة بلا معنى
وذلك تنبيه على ان كل من قال هذا القول فانه يتخلص عن النار ٥ الثانية الملئكة
قالت ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فصاروا معجبين بتسبيحهم فالقى الله تعالى خليله

في النار حتى تسبح الخليل من وسط النار ليظهر حكمة قوله اني اعلم ما لا تعلمون الرابعة
ان ابرهيم عليه السلام ابدا كان يخاف النار ويقول ابدا اوه من النار ولهذا قال تعالى ان ابرهيم
لاواه حليم فبعث الله تعالى نمرود وقال اجج نارا عظيمة والقى ابرهيم فيها وجعلها بردا وسلاما
على ابرهيم لكي يعلم ابرهيم ان الخوف ليس من النار بل من خالق النار الخامسة
من كنت معه رحمتي جعلت النار له ما كما في حق ابرهيم ومن كنت له حربا جعلت الماء له
نارا كقوم فرعون اغرقوا فادخلوا نارا السادسة ان ابرهيم عليه السلام لما نظر في الملكوت
قال لا احب الافلين ثم ناظر مع الملك فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق ثم ناظر مع ابيه
فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ثم ناظر مع القوم فقال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن ثم ناظرهم بالمعاملة فكسر الاصنام وجعلها جذاذا ثم لما القي في النار قال
حسبي الله فلما قال له جبرئيل هل لك من حاجة قال له اما اليك فلا فلما قال له سل ربك
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فلما انتهى الى هذا الحد كانه خرج من طبع البشر بالكلية وصار
ملكا مقربا فالحق ان الله تعالى قال ان ابرهيم انسلخ من طبيعة البشر فيا نار ايضا انت
انسلخي من طبيعتك كوني بردا وسلاما على ابرهيم واحد نواحد السابع لما القي
ابرهيم عليه السلام في النار ظن الخلائق كلهم ان النار تحرقه وظن ملك المطر والرياح والسحاب
ذلك فعرضوا انفسهم اليه فلم يلتفت ابرهيم عليهم وكان قلبه مشغولا برحمة ربه فقال الله
على بلا شيا غير علمكم فانتم تنظرون الى ظاهر ابرهيم ولا تعرفون باطنه وانا اعرف
ظاهره وباطنه وانتم تنظرون الى ظاهر النار فتريدون منها الاحراق والافساد وانا اعلم
ظاهرها وباطنها والا قد انكشف لكم انكم لا تعلمون باطن ابرهيم لانه لم يلتفت الى احد منكم
وقت الحاجة وساكشف لكم انكم لا تعرفون باطن النار يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم
حتى تعلموا ايها الملئكة انه لا يجري بظواهرها الا شيئا ونحافيها لا تعرفها احد غيري فحينئذ يظهر
لكم صدق قولي اني اعلم ما لا تعلمون فكذلك كنتم رايتم من ظواهر بني ادم الشهوة والفساد
والقتل فكشفت لكم من بواطنهم العلم والحكمة والعبودية التاسعة لين الحق سبحانه
قادر على ان يمنع نمرود عن ذلك العمل من اول الامر لكنه تعالى اراد ان يظهر للملئكة انقطاع
ابرهيم الى الله واعراضه عن كل الوسائط والاسباب وذلك لان ابرهيم عليه السلام ادعى هذه
البراءة بقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين وفي قوله لا احب الافلين وفي قوله وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض وفي قوله وما انا من المشركين وفي قوله ومحياي ومماتي لله رب
العالمين وفي قوله اسلمت لرب العالمين وكل هذه الاحوال تدل على انه بلغ في مقام الرضى بقضاء
الله الى الغاية القصوى وكان الحق عالما بصدقه في هذه الدعاوى فلم يمنع نمرود عن عمله ليظهر
للملئكة في هذه الدعاوي وتبين للخلق انه فني عما سوى الله ولم يبق له حياة ولا قوة الا بالله
الى الله والله اعلم التاسعة وبعضهم بان الدنيا احقر من ان يخاطبه الله تعالى ولكنه
خاطب مع نار المحبة ونار صحبة المعرفة فقال كوني بردا وسلاما على ابرهيم والغرض ان لا

بقي ابرهيم بالكليه في نار المعرفه والمحبه العاشـ؎ـس بقي ما هنا سوالان **السوال الاول** ان ابرهيم عليه السلام لم يخف من النار وموسى خاف من العصى حين صارت حية لقوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى والجواب لان انقلاب العصا حية فعل الخالق ونار نمرود فعل المخلوق والرسول المعصوم يخاف الله ولا يخاف غير الله **السوال الثاني** لم يحصل لمحمد صلى الله عليه وسلم واقعه مثل هذه الواقعه والجواب بل وقعت قال الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل فاعلم كما انقلب الخليل بنعمة من الله وفضل واعلم ان هذه الكلمه وهي قوله حسبنا الله ونعم الوكيل تفيد النجاه من الغموم والهموم عن عبد الله بن طلحه الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال عند غم او هم حسبي عشر مرات حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم اذهب الله همه ومن سلم على عشرا فكانما اعتق رقبه وكان لفتح الموصلي اربعمائه درهم عند صديق يتجر فيه فارسل اليه الصديق ان احمل الى المال فقال وهل ظهرت مني خيانه فقال لا ولكن احملها الي فحملها اليه فتصدق بها على المساكين ثم جلس وحيدا فريدا وقال لا احب ان يكون اعتمادي على شي غير الله حسبي الله ونعم الوكيل ولما قرب وفاة ابي يزيد قال لاصحابه اني على تمانين سنه اشتهي فرصة ان اقول حسبي الله ولا اقدر عليه فقالوا كنا ننظر انه لا يمر بك ساعه الا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى فقال لم اقل ذلك لاني لو قلت حسبي الله ثم ملت الى الدنيا والاخره يقول الله تعالى لي كذبت يا ابا يزيد لو كنت انا حسبك لما اشتغلت بغيري قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فيه مسائل **المسله الاولى** قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم المراد انه جعل النار بردا وسلاما خطاب الجماد لا يجوز لان هناك كلاما كقوله فكون اي يكونه ليس ثم هناك امر وكلام والاكثرون على انه حصل هذا القول ثم هولاء قولان احدهما وهو قول السدى هو ان جبريل عليه السلام والثاني وهو قول الاكثرين ان القائل هو الله تعالى وهذا هو اللايق بالظاهر **المسله الثانيه** ذكروا في كيفيه برد النار وجوها الاول انه تعالى ازال عنها ما كان فيها من الحر والاحراق فابقى ما كان فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شي قدير والثاني انه تعالى خلق جسم ابرهيم عليه السلام كيفيه مانعه من وصول اذى النار اليه كما يفعل لخزنه جهنم في الاخره والثالث انه تعالى خلق بينه وبين النار حايلا يمنع من وصول اثر النار اليه قال المحققون الاول اولى لان ظاهر قوله يا نار كوني بردا وسلاما ان نفس النار صارت بارده حتى سلم ابرهيم عليه السلام من تاثيرها لا ان النار بقيت كما كانت واعلم ان كثيرا من جهال الاطبا والطبيعيين ينكرون هذه الحاله ويقولون من المستحيل زوال صفه الاحراق عن جرم النار وهذا قول باطل ويدل عليه وجوه **الحجه الاولى** الاجسام متماثله وكما ان جسم الماء يقبل البرد والرطوبه وكذا جسم النار يقبلها وكما ان جسم النار موصوف بالحر واليبس فكذا جرم الما قابل لهما واذا كان الامر

كذلك

كذلك ثبت انه يمكن انقلاب الما نارا وانقلاب الما نارا ثبت ان هذا في نفسه ممكن الوجود وثبت ان للعالم صانعا قادرا على جميع الممكنات فوجب القطع بكونه تعالى قادرا على برد النار **الحجه الثانيه** انا نشاهد ان شعلة النار اذا تصاعدت انطفت ولا معنى لذلك الا انطفا الا ان الجرم اللطيف الهوا حين كان موصوفا بالاشراق والاحراق كنا نشاهدها فاذا تصاعدت زال عنها صفه الاحراق والاشراق فصار هوا واذا كان الامر كذلك ان الجرم الموصوف بالاشراق والاحراق لا يبعد في العقل زوال هاتين الصفتين عنه ثبت ان جرم انقلاب جرم النار الى البرد امر جايز ممكن الوجود **الحجه الثالثه** انا اذا سددنا منفذ الكير والحنا عليه بالنفخ فانه يشعل النار فيه وما ذلك الا لان الهوا المحتقن داخل الكير يسخن بسبب الحاح النفخ فيه فاذا قوى النفخ اشتعل نارا فاذا علمنا ان الهوا يمكن ان ينقلب نارا واذا امكن انقلاب الهوى نارا امكن ايضا انقلاب النار هوا باردا **الحجه الرابعه** ان اهل الطبايع يقولون ان الحيوان والنبات انما يتولد في امتزاج الطبايع الاربع واذا كان كذلك لزمهم الاعتراف بان جرم النار موجود في الوان النبات والحيوان وما ذاك الا لان جرم النار انكسرت حرارته وحصلت فيه حرارة معتدله لايقة بابدان الحيوان والنبات انما يتولد في امتزاج الطبايع الاربع فاذا كان الامر كذلك ثبت ان حرارة النار مع بقايا نارا قابلة الانكسار واذا كان الامر كذلك ثبت ان انقلاب النار بردا وسلاما امر ممكن الوقوع في نفسه **الحجه الخامسه** ان عند الاطبا القوة الحادثه والقوة الهاضمه انما تقوى على افعالها بمشاركه الحرارة الغريزيه زعموا ان الحرارة الغريزيه عبارة عن جوهر النار الذي صار حارا من بدن الحيوان ومن المعلوم ان هذه الحرارة الغريزيه غير محرقه فعلمنا ان على قولهم النار تقبل الانكسار الحر **الحجه السادسه** انا نشاهد ان النعامه تبتلع الحديد المحماه وان السمندل يعيش في النار ولا يحترق بها البته واذا كان هذا ممكنا في الحيوانات الخسيسه فاي عقل يستبعد ذلك من قدرة الله تعالى في حق الرسول المعصوم **الحجه السابعه** انا نرى النار مستوليه على جميع انواع الحجارة والاجساد الا حجرا واحدا هو سلطان الاحجار وهو الياقوت وجسدا واحدا وهو سلطان الاجساد وهو الذهب والسبب انه في ولايه للنار على هذا الحجر وهذا الجسد هو ان هذا الحجر والجسد من الاشيا المنسوبه الى الشمس فاذا حصل في الاحجار والاجساد حجر وجسد لا ولاية للنار عليهما بسبب انتسابهما الى الشمس فكيف يستبعد ان يحصل في النوع البشري شخص لا يكون للنار عليه ولاية بسبب مزيد اختصاص له بحضرة خالق الشمس والقمر وبالجمله فكل من حصل اسرار قدرة الله تعالى وحكمته على مقدار ما الفدو شاهد كان عن المعقول خارجا وفي ربقة الجهل والها اما قوله وسلاما على ابرهيم فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كما ان الحر كذلك بل لا بد في الكل من الاعتدال ثم الى تحصيل الاعتدال في الكيفيات طرق احدها ان يقدر الله ان يرد هاوحرها بالمقدار الذي لا يوذي ولا يفسد والثاني ان يجعل بعض اجزاء النار بردا وبعضه

بتركه على حرارته فحينئذ يختلط الحار بالبارد فيحصل الاعتدال ان يخلق الله تعالى في جسمه
زيادة حر فحينئذ يسلم من ذلك البرد الشديد بل ينتفع به ثم هاهنا سؤالات **الاول**
هل صارت كل النيران في ذلك الوقت بهذه الصفة الجواب المذكور في القران النار
الماهية فيلزم حصول هذا البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل بل
اختص هذا الخطاب بتلك النار والمعجز على هذا التقدير اعظم لان اختصاص تلك النار المعينة
بهذه الحالة تدل على ان المقصود به رعاية حال ابرهيم عليه السلام **السؤال الثاني**
هل يجوز ما روي من الله تعالى ما لم يقل سلاما لاهلكت البرد لابرهيم والجواب هذا
بعيد لان برداً لم يحصل منها فاما ما حصل من حكم الله تعالى من القادر على الحر والبرد **السؤال**
الثالث هل يجوز ان يقال انه كان في النار انعم عيشا منه في سائر احواله الجواب لا
يمتنع ذلك لما فيه من مزيد النعم عليه ويجوز ايضا ان يقال انما صار انعم عيشا لعظم ما ناله
من السرور بخلاصه من ذلك الامر العظيم ويعظم سروره بسبب خيبة اعدائه وبسبب
ظهور دلائل دين الله تعالى اما قوله تعالى واراد به كيدا فجعلناهم الاخسرين والمعنى
ارادوا ان يغلبوه فصاروا مغلوبين غالبوه بالجدال فلقنه الله الحجة ثم عدلوا الى القوة فخلصه
الله من عذابهم قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين في الاخبار ان
هذه الواقعة كانت في حدود بابل فنجاه الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة واختلفوا فيها
قيل انها مكة كقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقيل انها ارض
الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله والسبب في بركتها في الدين ان اكثر الانبياء
صلوات الله عليهم بعثوا منه فانتشر شرائعهم واثارهم الدينية منه واما في الدنيا فلانه تعالى
بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب العيش قوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين اعلم انه تعالى بعد ان ذكر انعامه على ابرهيم
وعلى لوط عليهما السلام بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه بذكر سائر النعم التي خص ابرهيم
عليه السلام بها وهو قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة العطية الخاصة وكذلك
النفل وسمي الرجل الكثير العطا نوفلا وللمفسرين هاهنا قولان الاول قال ابن عباس وابي بن
كعب ان ابرهيم عليه السلام لما سال الله ولدا وهو قوله رب هب لي من الصالحين فاجاب الله دعاءه
ووهب له اسحق واعطاه يعقوب غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشي المتطوع به من
الادميين فكانه قال ووهبنا له اسحق اجابة لدعائه ووهبنا له يعقوب نافلة على ما سال
كالصلوة النافلة التي هي زيادة الفرض وعلى هذا القول تكون النافلة هو يعقوب عليه السلام
خاصة والقول الثاني ان النافلة هاهنا مصدر من وهبنا وهو مصدر من غير لفظ
الفعل ولا فرق بين ذلك وبين قوله ووهبنا له هبة او وهبنا له عطية وفضلا من غير
ان يكون جزاء مستحقا وهذا اقرب لانه تعالى جمع بينهما ثم ذكر قوله نافلة ولما صلح ان يكون

الوجه

دصفا

المسكنة

وصفا لهما او هو اولى والنعمة الثانية قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من
ابرهيم واسحق ويعقوب انبياء مرسلين وقال اخرون عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه
وهذا الوجه اقرب لان لفظ الصلاح يتناول الكل ولانه تعالى قال بعد هذه الاية واوحينا
اليهم فعل الخيرات ولو حملنا الصلاح على النبوة لزم التكرار واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله وجعلناهم صالحين يدل على ذلك الصلاح من قبله اجاب الجبائي
انه لو كان كذلك لما مدحهم على كونهم صالحين وعلى كونهم ائمة وعلى كونهم عابدين ولما اثنى
عليهم بسبب هذه الخصال علمنا انها افعالهم فاذا ثبت هذا فلا بد من التاويل وهو من وجهين
الاول ان يكون المراد انه سبحانه اعطاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا لاجله والثاني
ان المراد انه تعالى سماهم بذلك كما يقال في زيد انه فسق ولان فضله وكفره اذا وصفه بذلك
وكان مصدقا عند الناس كما يقال في الحاكم انه زكى فلانا وعدله اذا حكم بذلك واعلم
ان هذه الوجوه مختلفة اما اعتمادهم على المدح والذم فيجي الجواب عنه ان شاء الله تعالى
واما الحمل على اللطف فباطل لان فعل الالطاف عام في حق المكلفين فلا بد في هذا الحفظ من
مزيد فائدة وايضا فلان قوله جعلته صالحا كقوله جعلته متحركا فحمله على تحصيل شي سوى
الصلاح ترك الظاهر واما الحمل على التسمية فهو مجاز اقصى ما في الباب انه قد يصار اليه عند
الضرورة في بعض المواضع وهاهنا لا ضرورة فيه وذلك انه تعالى لما اخبر عنه كان وقوعه
واجبا والا لزم انقلاب خبر الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وذلك محال والمفضي
الى المحال محال • النعمة الثالثة قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وفيه قولان احدهما
جعلناهم ائمة يدعون الناس الى دين الله والطاعات بامرنا والثاني ان الدعوة الى الحق
والمنع عن الباطل لا يجوز الا بامر الله تعالى لانه لو لم يكن الامر معتبرا لما كان في قوله ما
فائدة • النعمة الرابعة قوله تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدل على انه تعالى
خصهم بشرف النبوة وذلك من اعظم النعم على الاب ثم انه تعالى لما بين اصناف نعمه عليهم
بين بعد ذلك اشتغالهم بعبوديته فقال وكانوا لنا عابدين كانه سبحانه لما وفى بعهد
الربوبية والاحسان والانعام فهم ايضا اوفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة
والعبودية والله اعلم واحكم بالصواب واليه المآب **الفصل الخامس في**
نبا طرة اخرى لابرهيم في تقرير التوحيد قال تعالى في سورة الشعراء واتل عليهم نبا ابرهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اعلم انه تعالى
ذكر في اول هذه السورة شدة حزن محمد عليه السلام بسبب كفر قومه وهو قوله لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم انه تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف محمد ان مثل تلك
المحنة كانت حاصلة لموسى عليه السلام ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم عليه السلام ليعرف محمد ان حزن ابرهيم
بهذا السبب كان اشد من حزنه لانه من عظيم المحنة على ابرهيم ان يرى اباه وقومه كانهم في
النار وهو لا يتمكن من انقاذهم فقال لهم ما تعبدون وكان ابرهيم عليه السلام يعلم انهم

عبدة الاوثان ولكن سالهم ابرهيم ان ما تعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما يقول
التاجر لمالك معلم وانت تعلم ان ماله الرفيق لم تقول الرفيق جمال وليس بمال نعم اجابوا
ابرهيم بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين والعكوف الاقامة على الشي وانما قالوا نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل واعلم انه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد
اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة على الجواب وهي قولهم فنظل لها عاكفين وانما ذكروا هذه الزيادة
اظهار الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام فقال ابرهيم عليه السلام منبها على فساد مذهبهم هل
يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وهذا هو الحجة التي ذكرناها في سورة مريم
وشرحناها بالاستقصاء فعند هذا قال القوم بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فاجابهم
ابرهيم عليه السلام بقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون وكل ذلك قد تقدم
تفصيله في الفصل الذي قبل هذا الفصل ثم قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فاعلم انه عليه
السلام ما ذكر الاعداء الا بهذه الكلمة الواحدة ثم مدح الحق بالفاظ كثيرة وفيه تنبيه على ان
الاشتغال بعيب الاعداء اشتغال بالاعداء وهو مانع من الله وكان تقليله اولى لما ان الاشتغال
يجب ان يكون بالثناء على الله وفيه قوله **السؤال الاول** كيف يكون الصنم عدوا
وهو جماد والجواب فيه وجوه الاول انه تعالى قال في سورة مريم في صفة
الاصنام سيكفرون بعبادتهم قيل في تفسيره ان الله تعالى يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى
يقع منهم التوابيخ لهم والبراءة منهم وعلى هذا الوجه ستصير هذه الاوثان اعداء لهؤلاء الكفار
في الاخرة فاطلق ابرهيم عليه السلام لفظ العداوة عليهم على هذا التاويل الوجه الثاني
في الجواب ان الكفار لما عبدوها وعظموها ورجعوا اليها في طلب المنافع ودفع المضار نزلت
منزلة الاحياء العقلاء في اعتقادهم الكفار ثم انها صارت اسبابا لانقطاع الانسان عن السعادة
ووصوله الى الشقاوة فلما جرت هذه الاصنام مجرى الاحياء وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب
للمضرة لا جرم جرت مجرى الاعداء والثالث في الجواب المراد من قولهم فانهم عدو لي العابدون
دون الاصنام التي هي المعبودة **والسؤال الثاني** لم قال فانهم عدو لي
ولم يقل فانها عدو لكم والجواب انه عليه السلام صور المسألة في نفسه على معنى اني فكرت
في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة نصح بها نفسه فاذا
تفكروا قالوا ان ابرهيم ما نصحنا الا بما نصح نفسه به فيكون ذلك ادعى للقبول **السؤال
الثالث** لم لم يقل فانهم اعداء لي والجواب لفظ العدو والصديق يقع على الواحد
وعلى الجماعة قال الله تعالى وهم لكم عدو ثم قال ابرهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين
واعلم انه تعالى لما حكى عنه انه استثنى رب العالمين حكى عنه ما وصفه به مما يستحق
العبادة لاجله وهي اربعة انواع من الصفات **الصفة الاولى** قوله تعالى الذي
خلقني فهو يهدين واعلم انه تعالى اثنى على ذاته بهذين الوصفين فقال سبح اسم ربك الاعلى
الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى واعلم انا نفرض مثالا واحدا ونحقق فيه معنى الخلق

الاشتغال بكونه

والهداية

والهداية نقول الانسان مخلوق من قالب هو من عالم الخلق ومن قلب وهو من عالم الامر
وتركيب البدن الذي هو من عالم الخلق مقدم على ايجاد الروح الذي هو من عالم الامر على ما
قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والتسوية اشارة الى تركيب المزاج وتعديل
الامشاج ونفخ الروح اشارة الى اللطيفة الربانية النورانية وتمام هذا التقرير سيجي في
تفسير قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وبالجملة فالخلق اشارة الى تعديل البدن
فالهداية اشارة الى ابداع القوى المدركة والمحركة فيه فثبت ان قوله خلقني فهو يهدين كلمة حاوية
لجميع المنافع في الدنيا وفي الدين ثم فيه دقيقة وهو انه قال خلقني فذكره بلفظ الماضي وقال فهو
يهدين ذكره بلفظ المستقبل والسبب فيه ان خلق الذات لا يتجدد ساعة فساعة بل لما حصل
بقي الى الامد المعلوم واما الهداية فهي امر يتكرر كل حين واوان سواء كانت الهداية في الدنيا او في
الدين فبين تعالى انه هو الذي خلقه في الماضي وانه هو الذي يهديه في المستقبل وفي كل
حين واوان الى وجوه المصالح بضروب الهدايات **الصفة الثانية** قوله والذي
هو يطعمني ويسقين وقد دخل فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق وذلك انه تعالى لما خلق
الطعام وملكه منه فلو لم تكن معه ما يتمكن به من اكله والاغتذاء به نحو الشهوة والقوة
والتمييز لم تكمل هذه المنفعة وذكر الطعام والشراب ونبه على ما عداهما وقال بعضهم
يطعمني طعام المعرفة ويسقيني شراب المحبة وقيل الذي يطعمني طعام المناجاة ويسقيني
شراب الوصول الى الدرجات وههنا بحث وهو انه روى الامام محمد بن علي الحكيم الترمذي
في كتاب نوادر الاصول عن عقبة بن عامر انه عليه السلام قال لا تكرهوا مرضاكم على
الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم واعلم ان سبب الانقطاع عشق القلب عن البدن
لتواتر الالام والاوجاع عليه وكلما كان ذلك العشق اقل كان حب الدنيا اقل ومرض
القلب ليس الا حب الدنيا فعلى هذا كلما كان مرض البدن اتم كان عود القلب
الى الصحة اتم فكلما ازداد القلب طهارة من درن الذنوب وسقم حب الدنيا كان شبع القلب
باغذية المعرفة وريه شراب المحبة اتم ومما يدل على ما قلناه ان اقل الناس اكلا الانبياء ثم
الاولياء وكلما كان العبد اكثر حظا من اليقين كان اقل اكلا وروى عن عامر بن عبد القيس انه
داوم شهرا لا ياكل شيئا وقال ابرهيم التيمي لقد اتى علي شهر ما اكلت طعاما ولا شرابا
الا حبة عنب اكرهني عليها وما انا بصائم واني لاقضي حوائجي وقال عليه السلام الكافر
ياكل في سبعة امعاء والمؤمن ياكل في معا واحد فالمؤمن انما يشبعه فمعنى قوله عليه
السلام فان الله يطعمهم ويسقيهم انه يطهر قلوبهم عن الذنوب فاذا طهرهم من عليهم
بعد ذلك باليقين فاشبعهم واراهم واذا قوي القلب وابتهج بمعرفة ربه وصار فرحا
بخدمة ربه وبالمثول في طاعته ومجالسة الملائكة المقربين صار الجسد بحيث لا يحتاج الى
الغذاء الا ترى ان الانسان اذا ناله فرح شديد صار بحيث ينسى الحاجة الى الطعام هذا كله
كلام الشيخ محمد بن علي ثم قال فللقلوب مع اهل الله شان لا يعرفه الا اهل القلوب

المرض

الصفة الثالثة قوله واذا مرضت فهو يشفين قال الجنيد واذا مرضت بوحشة الخلق
شفاني بانس الحق وقال الشبلي اذا مرضت من همّ الاشتياق شفاني بلقاء الخلاق وفيه سؤال
وهو انه لم قال مرضت دون امرضني والجواب من وجوه الاول ان المرض انما يحصل
باستيلاء بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلاء انما يحصل بسبب ما بينهما من التنافر
الطبيعي اما الصحة فهي انما تحصل عند بقاء الاخلاط على اعتدالها وبقاؤها على اعتدالها
انما يكون بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها الى الصحة انما يكون ايضا بسبب
قاهر يقهرها على العود الى الاعتدال والاجتماع بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى
التفرق والنزاع فاذا حدوث المرض انما كان بسبب طبايع الاخلاط وحدوث الصحة انما
كان بسبب ان الله تعالى قهرها على الاجتماع والاعتدال • والثاني وهو ان الشفا
من اعظم نعم الله على الانسان والمرض ليس كذلك ومن عادة الله تعالى ان كل ما كان منفعة
ولذة فانه يضيفه الى نفسه وكل ما كان الما فانه لا يضيفه الى نفسه الا ترى انه قال
كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب في قلوبهم الايمان فلما آل الامر الى المشقة فما اضافها
الى نفسه فقال كتب عليكم القصاص في القتلى كتب عليكم الصيام فلما كانت عادة الله
جارية برعاية هذه الدقيقة لا جرم ان ابرهيم عليه السلام اعتبر هذا المعنى فاضاف
المرض الى نفسه والشفا الى الله فان نقضيه بقوله والذي يميتني ثم يحيين فاعلم ان الموت
سبب لخلاص الروح عن زحمة البدن والاتصال لحضرة الله تعالى ورحمته فكيف يعد ذلك
من المكاره ولهذا قال عليه السلام من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة والسبب انه عليه السلام
كان عالما بان وفاته تقع في شهر ربيع الاول وكان شديد الاشتياق اليه اما المرض فانه لا يخلص
الروح فيه عن البدن بل يبقى في الزحمة والثاني ان غرض الخليل عليه السلام في هذا المقام
اظهار لسان الشكر لا اظهار لسان الشكوى فاضافة المرض الى الله تعالى شكاية فاضاف
المرض الى نفسه والشفا الى الله ليكون ابلغ في الشكر • الصفة الرابعة قوله تعالى
والذي يميتني ثم يحيين وقد شرحنا في تفسير قوله والذي خلق الموت والحيوة في تفسير قوله
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الصفة الخامسة والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وهو اشارة الى ما هو مطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالنجاة
واعلم ان ابرهيم عليه السلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله من اول الخلق الى آخر الابد
في الدار الاخرة وهاهنا سؤالات • السؤال الاول لم قال اطمع والطمع عبارة عن الرجا
وانه عليه السلام كان قاطعا بذلك والجواب من وجوه ثلثة الاول ان هذا
الكلام لا يستقيم الا على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب لاحد على الله شي والثاني لعله عليه
السلام قال هذا الكلام قبل النبوة والثالث غرضه موافقة كلام الله في قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا فلما علق الله تعالى ذلك بالمشية وافقه الخليل فعلقه بالطمع وهذا من غاية
حسن الادب والسؤال الثاني انه لما اسند الخطيئة الى نفسه مع ان الانبياء منزهون عن الخطايا

والجواب

والجواب لعله ذكر هذا الكلام قبل النبوة او محمول على ترك الاولى السؤال الثالث لم علق
مغفرة الخطيئة بيوم الدين وهو تعالى انما يغفر في الدنيا والجواب ان اثر هذا الغفران
انما يظهر يوم الدين • السؤال الرابع ما فائدة لي في قوله ان تغفر لي خطيئتي يوم الدين
والجواب من وجوه الاول ان الجود افادة ما ينبغي لا لغرض هذا هو صفة الحق فقط
اما كل من سواه فانه فيه غرض فان الاب اذا عفى عن ولده والسيد اذا عفى عن عبده فذلك
انما يكون لطلب الثواب او للخوف من العقاب او لطلب المدح والثنا او لدفع الرقة الجنسية
عن القلب واذا كان كذلك لم يكن المقصود من العفو رعاية جانب المعفو عنه بل رعاية
جانب النفس اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي اما الحق تعالى فانه كامل لذاته فيمتنع
ان يحصل له صفة كمال لم يكن او يزول عنه نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا
لرعاية جانب المعفو عنه فقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يعني هو الذي اذا غفر
كان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل امر عائد اليه البتة • والثاني كانه يقول الهي خلقتني لا لي
ولا لاجلي لانك حين خلقتني ما كنت موجودا واذا لم اكن موجودا استحال تحصيل شي لاجلي
ثم مع هذا فانت قد خلقتني اما لو عفوت كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني ولا تمنع انني
كنت محتاجا الى ذلك الخلق فلان تغفر لي ولاجلي مع اني في نهاية الاحتياج الى العفو
كان اولى بفضلك ورحمتك الثالث ان ابرهيم عليه السلام كان لشدة استغراقه
في بحر المعرفة شديد الفرار عن الالتفات الى الوسايط ولذلك لما قال له جبريل الك حاجة
قال اما اليك فلا فههنا قال اطمع ان تغفر لي خطيئتي يوم الدين اي اريد ان تغفر لي خطيئتي
بمجرد اني عبدك ومحتاج اليك وخاضع بين يدي رحمتك لا ان تغفرها لي بواسطة
شفاعة شافع واعلم ان الاحوال ثلثة اما الماضي او الحاضر او المستقبل وقد ذكر الخليل نعم
الله تعالى عليه في هذه الاحوال الثلثة اما في الماضي فهو قوله الذي خلقني فهو يهدين
واما في الحاضر فقوله والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين واما في المستقبل
فهو اما في الدنيا او في الاخرة اما في الدنيا فهو قوله والذي يميتني ثم يحيين واما في الاخرة فهو
قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فالحق هذا الثنا بقوله تعالى رب
هب لي حكما والحقني بالصالحين واعلم ان كل ما مضى ثنا على الله تعالى وقوله تعالى رب
هب لي حكما دعا فتقديم الثنا على الدعا واجب بحكم النقل والعقل اما النقل فكما في هذه الاية
وايضا روي النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة انه قال من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين واما العقل فلان الداعي اذا قدم الثنا على الله تعالى استنار روحه
بنور معرفة الله تعالى واتصل قلبه بعالم الالهية وسرادقات الصمدية ومقامات الفردانية وارتفعت
الحجب وتلالات الانوار الالهية في القلب فيصير القلب كالقمر اذا وقع في مقابلة الشمس
فيكمل نوره واذا كمل نوره قوي تاثيره واذا اتبعه بالدعا صارت تلك القوة الحاصلة بسبب
الذكر والثنا معينا على تحصيل المطلوب فلهذا المعنى وجب تقديم الثنا على الدعا كما فعله

الخليل عليه السلام في هذا المقام فان قيل لم تقتصر ابرهيم عليه السلام على الثنا فان الدعا
استغنى بطلب الحفيه وهو مانع من الاستغراق لاستماق روى عنه انه قال حسبي من
سؤالي علمه بحالي والجواب ان في هذا المقام كان مشغولا بدعوة الخلق الى الحق بدليل انه
قال ماهينا فانهم عدو لي الا رب العالمين ولا جرم ذكر الثنا ثم ذكر الدعا ثانيا لاجل
تعليم الخلق اما لما خلا بنفسه اقتصر على الثنا وهو قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي واعلم
ان ابرهيم عليه السلام سال الله تعالى انواعا من المطالب **المطلوب الاول** قوله
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ولقد اجابه الله اليه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين
واعلم ان النفس الانسانيه لها قوتان قوة نظريه عاقله وقوة عمليه فاعله فالقوة النظريه
عبارة عن القوة التي باعتبارها تقبل الجلايا القدسيه عن عالم الغيب والقوة العمليه عبارة عن القوة
التي باعتبارها تقوى على تدبير هذا البدن وذلك لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير
لاجل العمل به فقوله هب لي حكما اشارة الى سعادة القوة النظريه وقوله والحقني بالصالحين
اشارة الى سعادة القوة العمليه وانما قدم سعادة القوة النظريه على سعادة القوة العمليه لان القوة
النظريه متقدمه على القوة العمليه بالشرف وبالذات والدليل عليه الوجوه التي ذكرناها في
الفصل الاول من هذا الكتاب في بيان علم الاصول اشرف من علم الفروع واما فسرنا معرفة
الاشيا بالحكم وذلك لان الاسباب لا تعرف حقايق الاشيا الا اذا تحصل في ذهنه صور الماهيات
ثم نسب بعضها الى بعض بالنفي والاثبات فتلك النسبة هي الحكم ثم ان كانت تلك النسبة الذهنية
مطابقة للنسبة الخارجية كانت النسبة الذهنية ممتنعة التغيير فكانت مستحكمة قويه فمثل هذا
الادراك يسمى حكمة وحكما وهو المراد من قوله عليه السلام ارنا الاشيا كما هي واما الصلاح فهو كون
حين القوة العمليه متوسطه بين طرفي الافراط والتفريط فذلك لان الافراط في احد
الجانبين تفريط في الاخر وبالعكس والصلاح لا يحصل الا بالاعتدال ولما كان الاعتدال
الحقيقي شيا واحدا لا يقبل القسمة البته والا فكان البشريه في هذا العالم قاصرة عن ادراك ذلك
الحد على سبيل الحقيقه لا جرم لم يمكن البشر البته الا بقدر على الخروج عن ذلك الحد فان قيل الا ان
خروج المقربين عنه يكون بالقلة بحيث لا يحس به وخروج العصاة عنه يكون متفاحشا جدا
فقد ظهر هذا من احتياج كل احد الى ان يستعين بتوفيق الله في تحصيل هذا الصلاح سوا كان نبيا
او وليا فظهر بهذا احتياج ابرهيم عليه السلام الى ان يقول والحقني بالصالحين • **والمطلوب
الثاني** في هذا الدعا قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين واعلم ان مراتب السعادات
ثلثة النفسانيه والبدنيه والخارجيه فالنفسانيه قسمان كمال القوة النظريه وهو المراد بقوله
هب لي حكما وكمال القوة العمليه وهو المراد بقوله والحقني بالصالحين واما البدنيه فقسمان
وهو الصحة والجمال واما الخارجيه فقسمان المال والجاه والمال اشد جسمانيه لانه تملك الاعيان
والجاه اشد روحانيه لانه ملك الارواح وان ابرهيم عليه السلام طلب السعادات النفسانيه
بقسميها ولم يلتفت الى السعادات البدنيه بقسميها العلمه بانها غير خارجة واما السعادات

الخارجيه فطلب قسما واحدا منها وهو الجاه والثنا الحسن وهو المراد بقوله واجعل لي لسان صدق
في الاخرين وقد اعطاه الله تعالى ذلك وهو قوله وتركنا عليه في الاخرين فان قيل فاي
غرض له ان يمدح ويثنى عليه والجواب من وجهين الاول وهو على لسان الحكمه
وبيانه من وجهين الاول ان الارواح قد بينا انها موثرة في الحكمة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا
فيعجز عن التاثير فاذا اجتمع منها طايفة فربما قوي مجموعها على ما عجزت الاحاد وعنه هو المعنى
شاهد في المشاهدات الجسمانيه اذا ثبت هذا فالانسان الواحد اذا كان عن شي عليه
الجمع العظيم وعدحوه فربما صار انصراف هممهم عند الاجتماع اليه سببا لفيضان زيادة كمال
عليه من عالم القدس **الثاني** وهو ان عوام الخلق ربما كانوا غير مستعدين لقبول الانوار
من عالم القدس فاذا اتصلت هذه الارواح بالارواح القويه التي تكون للانبيا فاذا تجلت الانوار
الالهيه في تلك الارواح القويه النبويه انعكس اثر من تلك الانوار الى هذه الارواح الضعيفه
المتعلقة بها بسبب شدة المحبه فيحصل بهذه الارواح الضعيفه نوع من السعادة بسبب تلك
العلاقه فالوجه الاول من الجواب جعلنا الثنا والمدح سببا لحصول مزيد سعادة الممدوح
وفي الوجه الثاني جعلنا ذلك الثنا والمدح سببا لحصول مزيد سعادة للمادح
والوجه الثالث من الجواب هو كلام اهل الظاهر ان من صار ممدوحا فيما
بين الناس بسبب ما كان له من الفضايل فانه يصير ذلك المدح داعيا للمادح الى اكتساب
مثل تلك الفضايل التاويل الثاني بقوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الاخرين انه
سال ربه ان يحصل من ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الى الله وذلك هو محمد عليه السلام
فالمراد من قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين بعثه محمد عليه السلام والتاويل الثالث
قال بعضهم المراد اتفاق اهل الاديان على حبه ثم ان الله تعالى اعطاه ذلك لانك لا ترى
اهل دين الا ويحبون ابرهيم • **المطلوب الثالث** قوله واجعلني من
ورثة جنة النعيم واعلم انه لما فرغ من طلب مراتب السعادات في الدنيا طلب بعده سعادة
الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث وسنذكر السبب في انه تعالى لم سمى الجنة ميراثا
المطلوب الرابع قوله واغفر لابي انه كان من الضالين والكلام فيه قد تقدم في الفصل
الثالث في تفسير قوله سلام عليك سأستغفر لك ربي **المطلوب الخامس** قوله ولا
تخزني يوم يبعثون وفيه سؤالات السؤال الاول انه قال واجعلني من ورثة جنة
النعيم اسمع الخزي لانه من حصل له الجنة فقد زال الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون
وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان يصيب الكافر فقط فكيف يخاف
منه الرسول المعصوم قلنا كما ان حسنات الابرار سيات المقربين فكذلك درجات
الابرار درجات المقربين وخزي كل احد ما يليق به • **السؤال الثاني**
قوله يبعثون ضمير عن اي شي الجواب انه ضمير العباد لانه معلوم وان لم تكن مذكورا او ضمير
الضالين واعلم ان في الاية وجهان من التاويل الاول قيل معنى الاية لا يعاتبني يوم يبعثون

الخلة والا فقل يا ابرهيم دعيت الى خليل الله فهات صدق الله الدعوى والنكتة ان ابرهيم لما
خاف من هذا المقام او لا يخاف ايها المذنب ان تطلب يوم القيمة بحق الايمان والتوحيد كما
قال ليسأل الصادقين عن صدقهم الثاني ان الخليل عليه السلام لما قال ولا تخزني يوم يبعثون
لم يظهر جوابه في نص القرآن ثم الله تعالى اعطى هذا الامان لامة محمد عليه السلام فقال يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه اما قوله الا من اتى الله بقلب سليم واعلم ان الله تعالى اكرم نبيه
هذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفي تفسير القلب السليم
وجوه الاول المراد منه سلامة القلب عن الجهل والاخلاق الذميمة كما ان سلامة البدن
عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب ومرضه عبارة عن زوال احد تلك الامور ۞
الثاني ان السليم هو اللديغ من خشية الله الثالث السليم هو الذي سلم واسلم وسلم
وسالم واستسلم وهذه الاحوال كانت حاصلة لابرهيم كما قال تعالى اذ قال له ربه اسلم قال
اسلمت لرب العالمين وقال الشبلي القلب السليم كقلب الخليل كان سر قلبه من جانب التحت
الى الفوق ومن الفوق الى الرضا ومن اليمين الى العطا ومن اليسار الى ترك الهوى ومن القدام الى الدنيا
ومن الخلف الى البقا الفصل السادس في تفسير استدلال نوح عليه السلام قال
تعالى حكاية عن نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا قال مقاتل ان قوم نوح عليه السلام
لما كذبوا نوحا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فرجعوا فيه الى نوح
عليه السلام فقال نوح استغفروا ربكم من الشرك يفتح عليكم ابواب النعمة واعلم ان الاشتغال
بالايمان وسائر انواع الطاعات سبب لانفتاح ابواب الخيرات ويدل عليه وجوه ۞ الحجة
الاولى ان الكفر سبب لخراب العالم قال تعالى في صفة كفر النصارى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فلما كان الكفر سببا لخراب
العالم وجب ان يكون الايمان سببا لعمارة العالم الحجة الثانية الايات الدالة على هذا
المعنى منها هذه الاية ومنها قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم وقال ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ۞ الحجة الثالثة انه قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فاذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج اليه على سبيل التبع
الحجة الرابعة انه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بين انك مخلوق
لاجل عبادته ثم قال خلق لكم ما في الارض جميعا فبين ان جميع الارض مخلوق لك ثم انه تعالى
قال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلما وفيت بعهد العبودية فهو المراد بقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون لابد ان يفي الحق بعهد الربوبية فهو المراد بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا ۞
الحجة الخامسة روي عن عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار

فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء المجاديح ثلاثة كواكب مخصوصة
ونوءه يكون عزيزا سنة عمر رضي الله عنه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ الحجة
السادسة ان قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا يحتمل ان يكون المراد منه انزال الغيث
والمطر على ما هو ظاهر اللفظ ويحتمل ان يكون المراد منه فتح ابواب السماء بامطار التوفيق
والهداية والارشاد ويجب حمل اللفظ عليهما جميعا اما الاول فما روي ان الحسن جاءه رجل
وشكا اليه الجدب فقال استغفروا الله وشكا اليه اخر من الفقر واخر قلة النسل واخر
قلة ريع ارضه وامر الكل بالاستغفار فقال له بعض القوم اتاك رجال يشكون اليك انواعا
فامرت الكل بالاستغفار فتلا هذه الاية واما الثاني فروي عن بكر بن عبد الله ان اكثرهم
ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وتحقيقه من جهة العقل ان الاستغفار
اذا قوي على الرفع بعد الذنوب فلان يقوى على الدفع والمنع كان اولى فان قيل لم قال انه كان
غفارا ولم يقل انه الان غفار قلنا المراد منه انه كان غفارا في حق كل من استغفر كأنه
تعالى قال لا تظنوا ان غفاريته انما حدثت الان بل هو ابدا هكذا كان فكما ان حرفتكم هو الذنب
والمعصية فكذا ان حرفته هو الغفارية وقوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اعلم ان
الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة ولذلك قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب لا جرم اعلمهم الله تعالى ان ايمانهم بالله يجمع لهم الحظ الوافر في الاخرة والخصب والغنى
في الدنيا والاشياء التي وعدهم من منافع الدنيا في هذه الاية خمسة اولها قوله يرسل السماء
عليكم مدرارا وفي السماء وجوه الاول ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب
الى الارض والثاني المراد بالسماء هو السحاب والثالث المراد بالسماء المطر من قوله
اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم
رجل او امرأة معطار ومتفال ۞ والنعمة الثانية قوله ويمددكم باموال وبنين
وهذا لا يختص بنوع واحد من المال بل يعم الكل والنعمة الثالثة قوله وبنين ولا شك
ان كثرة الاولاد الذكور سبب لبقاء الذكر واستداد الظهر ۞ والنعمة الرابعة قوله
ويجعل لكم جنات اي بساتين والنعمة الخامسة قوله ويجعل لكم انهارا فبدا بذكر
هذه النعم بانزال الماء من السماء وختمها باخراج الماء من الارض والسبب فيه انا بينا ان تولد
النعم في هذا العالم انما يكون بنزول الماء من السماء الى الارض واعلم انه تعالى لما امرهم بالاستغفار
ووعد على الاستغفار هذه المنافع اكد ذلك فرغب فيه فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا
وتعظيما بفعله في حقكم كان القوم لما قيل لهم انكم متى استغفرتم الله اعطاكم هذه النعم الكثيرة فالقوم
استبعدوا ذلك وقالوا كيف ان تعطينا هذه النعم العظيمة بمجرد الاستغفار فاحتج بقوله
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي ما لكم لا ترجون من الله ان يفعل في حقكم هذا التوقير والتعظيم
مع انه فعل في حقكم ما هو اعظم واجل منه وهو انه خلقكم اطوارا ۞ الوجه الثاني
ان القوم كانوا بالغوا في الاستخفاف بنوح عليه السلام فامرهم الله تعالى بتوقيره وترك الاستخفاف

أي فيقيل لهم انكم اذا وقد ترجون صلاحا كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا تأتون به لاجل الله ولاجل امره وطاعته فان كل ما يأتي به الانسان لاجل الله فانه لا بد ان يرجوا منه خيرا **والوجه الثالث** وهو ان يكون المراد من الوقار الحلم وترك التعرض والمعنى ما لكم لا تأملون ان يترك الله معاملتكم بالعذاب بحلمه ولطفه ويمهلكم لتؤمنوا وقوله لله لبيان من اثبت له الوقار • **والوجه الرابع** وهو ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر فكانه قال ما لكم فعند هذا تم الكلام ثم قال على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار لا ترجون لله وقارا اي لا ترجون لله ثباتا وانكم لو رجوتم ثباته وبقاءه لخفتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف برسله واوامره والمراد من قوله ترجون اي تعتقدون لان الراجي للشيء معتقد له ثم انه تعالى لما امر في هذه الاية بتعظيم الله استدل على التوحيد بوجوه من الدلائل **الحجة الاولى** حجة ماخوذة من الانفس وهي قوله وقد خلقكم اطوارا وفيه وجهان الاول قال الليث الاطوار الطور التارة يعني حالا بعد حال فانه كان ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة والثاني قال ابن الانباري الحال والمعنى خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا كما قال واختلاف ألسنتكم وألوانكم واعلم انه تعالى خلق البشر بحيث لا يشبه بعضهم بعضا في الصورة والحكمة فيه انه لو حصلت المشابهة لحصل الاشتباه فما كان يتميز زوج المرأة عمن لم يكن زوجها ولا عبد هذا الانسان عن عبد غيره وحينئذ لم يتميز الحلال عن الحرام والمستحق عن غير المستحق وذلك يفضي الى زوال المصالح وحصول المفاسد فلهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية تخصيص كل شخص بصورة مخصوصة ثم انه من اعظم الدلائل على القادر المختار لان الاب والام واحد وتاثير الطبائع والنجوم والافلاك واحد ثم يكون مع هذه المشابهة والتساوي يكون كل واحد منهم مختصا بصورة مخصوصة معينة فهل لا يكون الا بتاثير القادر المختار • وروي ان واحدا استعظم امر الشطرنج عند عمر رضي الله عنه وقال انه رقعة مختصرة ثم انه يقع فيه انواع غير متناهية من اللعب فقال عمر رضي الله عنه رقعة الوجه اصغر من رقعة الشطرنج وكل عضو من اعضاء الوجه مع موضع معين من الوجه لا يتغير عنه فان العين لها موضع معين وكذلك الانف والفم ثم مع هذا يقع فيه من الاختلاف ما لا نهاية له فانك لا ترى انسانين في المشرق والمغرب تماثل صورتاهما من كل الوجوه وهذا يدل على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى • **الحجة الثانية** على التوحيد حجة ماخوذة من الآفاق وهي قوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واعلم انه تعالى تارة يبدأ بدلائل الانفس وبعدها بدلائل الآفاق كما في هذه الاية وذلك لما ذكرنا ان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه فلا جرم بدأ بالاقرب فالاقرب لان الاقرب اعرف وتارة يبدأ بدلائل الآفاق ثم بدلائل الانفس اما لان دلائل الآفاق ابهر واعظم او لانها اشرف واعلم ان هذا في الحقيقة دلائل ثلاثة الاول السموات السبع الطباق وقد تقدم في الباب المتقدم كيفية دلالتها على الصانع المختار وثانيها كون القمر نورا وثالثها كون الشمس سراجا والله تعالى وصف الشمس والقمر بانواع من الصفات

الصفه

الصفة الاولى ذكر القمر نورا والشمس سراجا في آيات احدها هذه الاية وثانيها في يونس هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الآيات لقوم يعلمون وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واعلم ان الاستقراء يدل على ان احوال هذا العالم مختلفة بحسب اختلاف الشمس والقمر فلنبين ذلك اولا في الشمس ثم في القمر ثانيا اما تاثيرات انوار الشمس في هذا العالم فمن وجوه • **الاول** التاثيرات الحاصلة بحسب اليوم والليلة وذلك انا نرى جميع الحيوانات في الليل كالميتة فاذا طلع نور الصبح ظهرت في اجساد الحيوانات نور الحياة فكان لطلوع نفخ في ابدان الحيوانات قوة الحياة وكلما كان طلوع ذلك النور اكثر كان ظهور قوة الحياة في الابدان الحيوانية اكمل ثم كما طلع قرص الشمس بالتمام ترى الناس وسائر الحيوانات يشتدون بالحركة والقوة والاشتداد وما دامت الشمس صاعدة الى وسط سماءهم كانت حركتهم في الزيادة والقوة فاذا مالت الشمس عن وسط السماء اخذت حركاتهم وقواهم في الضعف ولا يزال يزداد الضعف الى زمان غيبوبة الشمس وكل ما زادت غيبوبة نور الشمس ازداد الضعف والفتور والنقصان في الابدان الحيوانية وفي القوى المدركة والمحركة ورجعت الحيوانات الى بيوتها واحجرتها كالميتة المعدومة فاذا طلعت الشمس عليهم في اليوم الثاني رجعوا الى الحالة الاولى من الحياة والقوة والحركة **الوجه الثاني** في تاثيرات الشمس بحسب حركتها اليومية وبيانه انها لو كانت واقفة في موضع واحد لاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتد البرد في سائر المواضع لكنها تطلع في اول النهار من المشرق فتقع على ما يحاذيها من جانب المغرب ثم لا تزال تدور وتغشي جهة جهة حتى تنتهي الى طرف المغرب فتشرق حينئذ على الجوانب الشرقية وحينئذ لا يبقى موضع مكشوف الى الشرق والغرب الا وياخذ حظا من شعاع الشمس • **الوجه الثالث** في تاثيرات الشمس بحسب الفصول الاربعة وبيانه انه لو لم يكن للشمس حركة في الميل لكان تاثيرها مخصوصا بمدار واحد وكان سائر المدارات تخلو عن المنافع الحاصلة منه وكان يبقى كل واحد من المدارات الجنوبية والشمالية على كيفية واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات واحالتها كلها الى النارية ولم تكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي لممر الشمس على كيفية الاحتراق والبعيد عنه جدا على كيفية البرد الشديد والمتوسط بينهما على كيفية متوسطة فيكون في موضع صيف دائم يوجب الاحتراق وفي موضع شتاء دائم يوجب الجمودة والنجس وفي موضع ربيع دائم او خريف دائم ولا يتم فيه النضج اما اذا حصلت للشمس ميل تارة الى الشمال واخرى الى الجنوب حصل في كل بقعة من بقاع الارض هذه الفصول الاربعة التي هي معينة على النشوء والنماء وحصول مصالح الحيوانات والنبات **والوجه الرابع** في تاثيرات حركة الشمس من حيث انها تتم الدورة في سنة واحدة وذلك لانا لو قدرنا ان الشمس تتحرك حركة بطيئة لكان هذا الميل قليل النفع وكان التاثير شديد الافراط فكان يعرض قريبا مما لو لم يكن له ميل ولو كانت سرعة حركتها اسرع من ذلك لما كملت المنافع وما تمت فاما اذا كا

هذه الحركة لا في غاية السرعة ولا في غاية البطء حصلت المنافع المذكورة والمصالح المذكورة **الوجه الخامس** في تأثيرات الشمس بسبب قربها من سمت الرأس وبعدها عنه اعلم ان كل موضع تكون الشمس بعيدة جدا عن سمت رؤس اهله اشتد البرد فيه وهو مثل المواضع الذين تحت القطبين فانه لا يكون هناك حيوان ولا نبت فيه نبات من شدة البرد ويكون هناك ستة اشهر نهارا وستة اشهر ليلا ويكون هناك رياح عاصفة جدا وثلوج متوالية ويدل عليه البحر الارمني فانها اقرب الى مدار الشمس من الموضع المذكور بكثير مع انه يشتد فيه الرياح العواصف وتشتد ظلمته حتى انه لا يمكن ركوبه لشدة برده وظلمته ويستدل عليه ايضا بحر الشام. فانه اذا حصلت الشمس في اوائل العقرب الى ان تحصل في اول الحوت ففي هذه الاشهر الاربعة لا تستطيع الناس ركوب هذا البحر **الوجه السادس** في تأثيرات الشمس في احوال الحيوانات حسب قربها من سمت الرأس وبعدها عنه اعلم ان الاستقراء يدل على ان السبب الظاهر لاختلاف الناس في اجسامهم والوانهم واخلاقهم وطبايعهم وسيرهم اختلاف احوال الشمس في الحركة وذلك لان الناس ثلاثة اقسام احدها الذين يسكنون خط الاستوا الى محاذاة ممر راس السرطان وهم يسمون بالاسم العام السودان لان الشمس تمر على سمت رؤسهم في السنة اما مرة او مرتين فتحرقهم وتسود ابدانهم وشعورهم والذين مساكنهم في غاية القرب من خط الاستوا فهم الزنج والحبشة والشمس لقوة تأثيرها في مساكنهم تحرق شعورهم وتسودها وتجعلها جعدة كثيفة وتجعل وجوههم قحلة وجثتهم غليظة واخلاقهم خشنة فالسواد فيهم اقل وطبايعهم اعدل واخلاقهم ايبس واجسامهم انظف كاهل الهند واليمن وبعض المغاربة وكل العرب والقسم الثاني الذين مساكنهم على ممر راس السرطان الى قريب من محاذاة بنات نعش الكبري وهم يسمون بالاسم العام البيضان فهولاء لان الشمس لا تسامت رؤسهم وايضا لا تبعد عن مسامتة رؤسهم بعدا كثيرا لم يعرض لهم شدة من البرد والحر فلا جرم صار الوانهم متوسطة ومقادير اجسامهم معتدلة واخلاقهم حسنة كاهل الصين والترك وخراسان والعراق وفارس والشام ثم هولاء كل من كان اميل منهم الى ناحية الجنوب كان اتم في الذكاء والفهم لقربه من منطقة البروج وممر الكواكب المتحيرة فتكون حركاتهم اشبه بحركات الكواكب السيارة في السرعة والخفة ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق فهو اقوى نفسا واشد تذكرا لان المشرق يمين الفلك لان الكواكب منه تطلع والانوار من جانبه تظهر واليمين لا شك انه اقوى ومن كان الى ناحية فهو الين نفسا واشد تأنيثا واكثر كتمانا للامور والقسم الثالث الذين تكون مساكنهم محاذية لبنات نعش وهم الصقالبة والروس فانهم لكثرة بعدهم عن ممر البروج وحرارة الشمس صار البرد عليهم اغلب والرطوبة الفضلية اكثر لانه ليس هناك من الحرارة ما ينشفها فلذلك صارت الوانهم بيضا وشعورهم سبطة شقر وابدانهم عظيمة ورخصة وطباعهم مايلة الى البرودة واعلم ان كل واحد من هذين الطرفين وهما الاقليم الاول والسابع يقل فيه العمران وينقطع بعضه عن بعض لغلبة الكيفيتين الفاعلتين

العرب

ثم لا تزال تزداد العمارة في الاقليم الثاني والسادس والثالث والخامس ويقل الخراب فيها واما الاقليم الرابع فانه متواصل العمارات قليل الخراب وذلك لفضل الوسط على الاطراف باعتدال المزاج **الوجه السابع** في تأثيرات الشمس بحسب قربها وبعدها من الارض اعلم ان المواضع التي سامتها حضيض الشمس وهي البراري الجنوبية وهي محترقة نارية لا يكون فيها حيوان البتة واما البلاد المقاربة لتلك المواضع فسكانهم كلهم سود الالوان على التفصيل الذي ذكرناه واما المواضع التي سامتها اوج الشمس فهي في جانب الشمال وهي غير محترقة بل معتدلة واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب قرب الشمس من الارض في الحضيض وبعدها عنها في الاوج ليس بكثير بل قليل ثم ان بسبب ذلك التفاوت القليل صار الجنوب محترقا فعلمنا بهذا ان الشمس لو صارت الى فلك الثوابت لفسدت الطبايع من شدة البرد ولو انها انحدرت الى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية فلهذه الحكمة جعل الباري جل ثناؤه الشمس وسط الكواكب السبعة لتكون حركتها المعتدلة وقربها المعتدل سبب الطبايع والمطبوعات في هذا العالم على حد الاعتدال فاما اهل الاقليم الاول فلاجل قربهم من حضيض الشمس كانت سخونتها عليهم شديدة فلا جرم هم اكثر سوادا لان تأثير الشمس فيهم اكثر واهل الاقليم الثاني سمر الالوان واما الاقليم الثالث والرابع فاعدل الاقاليم مزاجا بسبب اعتدالهما وايضا فغاية ارتفاع الشمس انما يكون عندكونها في ابعد بعدها عن الارض فلاجرم صار اهل هذا الاقليم معدنا للاشخاص الفاضلة والصور الجميلة واما الاقليم الخامس فسخونة الهواء هناك اقل من الاعتدال بقدر يسير فلا جرم صار فيه حر البرد والثلوج وصارت طبايع اهلها اقل نضجا من طبايع اهل الاقليم الرابع لان ابعدهم عن الاعتدال قليل واما اهل الاقليم السادس والسابع فاهلها فيهم حدة وتوحش ولغلبة البرد والرطوبة عليهم اشتد بياض الوانهم وزرقة عيونهم وعظمة وجوههم واستدارتها فقد ظهر ان صور الناس واشكالهم انما اختلفت بحسب اختلاف الشمس فهذه اشارة قليلة الى كيفية تأثيرات الشمس واما القمر فتأثيراته من وجوه **الاول** تأثير ابدان الحيوانات في وقت زيادة ضوء القمر تكون اقوى واسخن وبعد الامتلاء تكون اضعف وابرد وتكون الاخلاط التي تكون في بدن الانسان ما دام القمر زايدا في ضوءه فانها تكون زايدة ويكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسنا فاذا انقص ضوء القمر تناقصت هذه الاحوال **الثاني** ان التجارب الطبية دلت على ان احوال البحر مربوطة باحوال زيادة ضوء القمر ونقصانه **الثالث** انه تكثر البان الحيوانات في النصف الاول من الشهر وتتناقص في الثاني **الرابع** ان الانسان ان نام في ضوء القمر حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل ويهيج عليه الزكام والصداع واذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة تحت ضوء القمر تغيرت طعومها وروايحها ولاصحاب التجارب اعتبارات كثيرة من هذا الباب ويكفينا هذا القدر في بيان منفعة كون الشمس ضياء والقمر نورا فان قال قايل ظاهر كلامكم في هذا الفصل مشعر بان المؤثر في احوال هذا العالم هو الشمس والقمر وكلامكم في الابواب المتقدمة صريح في ان المؤثر هو قدرة الله فكيف الجمع بين القولين والجواب اليس انا نترك

الخبز مشبع والماء مروي وان كنا نعتقد ان خالق الشبع هو الله تعالى فكذا ههنا أليس انه تعالى قال
هو الذي خلق الموت والحيوة وقال والذي يميتني ثم يحيين وقال الله يتوفى الانفس حين موتها
ثم قال قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال اذا جا احدكم الموت والوفاه منسوب الى الله تعالى بالتخليق
والايجاد منسوب الى ملك الموت توفته رسلنا لحصول الموت والوفاه منسوب الى الله بالتخليق
والايجاد منسوبا الى ملك الموت بالامر لقبض الارواح ومنسوب الى اتباع ملك الموت لاجل انهم
يباشرون انما لا اجرى الله تعالى عادته بخلق الموت عقيبها فكذا ههنا اجرى الله تعالى عادته
بخلق الحوادث المختلفة بحسب قرب الشمس وبعدها فتلك الحوادث منسوبة الى قدرة الله تعالى
بالتخليق والايجاد ومنسوبة الى الشمس على سبيل اجراء العادة **الصفة الثانية**
من صفات الشمس والقمر كونهما مسخرين قال تعالى في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض الى قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقال في الرعد الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وقال
في لقمن الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وقال في الزمر خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار واعلم ان هذا
التسخير من وجوه احدها انها مع غاية ثقلها بقيت في جو السماء وذلك لا يكون الا بتسخير الله
وحفظها في جو الهواء والثاني انها متحركة بالاستدارة على نهج واحد لا يقع في تلك الحركات
اختلاف بالبطوء والسرعة ولا بالرجوع والاستقامة ولا بالارتفاع والانخفاض بل لكل واحد
منهما سير مقدر ونهج مقدر وجهة مقدرة وذلك لا يكون الا بتسخير مسخر سبحانه وتعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا واعلم ان العقول قاصرة عن معرفة منافع ما لكل واحد من الكواكب
من القرب والبعد والحركة والجهة ولكن العقل لما دل على المنافع والحكم وجب ان يقاس الباقي
عليه فيقطع بان الله تعالى في كل واحد منها حكما مخفية واسرارا مطوية لا تصل اليها العقول
الخلق ولا تنتهي الى مباديها اوهام الملائكة المقربين فضلا عن افهام البشر وتكون الغاية القصوى
لنا ان نعترف بجلال خالقها وكمال حكمة مدبرها قال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار **الصفة الثالثة** كون القمر اية الليل وكون الشمس اية النهار
قال تعالى في بني اسرائيل وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وقال في يس والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي
لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فهذه الايات دالة على ان
سيرها وحركاتها بحكم بالغة وعلى هذه الحركات تنتهي بالاخرة الى الانقطاع والسكون فعاقبة كل
متحرك سكون ونهاية كل سكون ان لا يكون وهذا الذي حكم بان الشمس والقمر لا تدرك كل واحد
منهما صاحبه انما يكون الان فاما عند انتهائها الى الانقطاع فهناك يجتمعان كما قال في سورة القيمة

فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر فتامل الان في
ضوء هذه الكواكب ثم اعرف زوال الضوء عنها في العاقبة كما قال تعالى اذا الشمس كورت واذا
النجوم انكدرت وتامل الان في حركاتها العجيبة ثم اعرف انتهاء حركاتها الى السكون كما قال تعالى
كل يجري الى اجل مسمى الا هو العزيز الغفار فهذا جملة الكلام في صفات الشمس والقمر **الحجة
الثالثة** قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا واعلم انه تعالى رجع
ههنا الى دلائل الانفس وهو كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا فانه تعالى بين انه خلقهم من الارض ثم
يردهم اليها ثم يخرجهم منها مرة اخرى واعلم ان في قوله انبتكم من الارض نباتا بحثان **البحث
الاول** في معنى الاية وجهان الاول معنى قوله انبتكم من الارض نباتا اي انبت الاب
الاول لكم من الارض وهو ادم عليه السلام والثاني انبت الكل من الارض لانه تعالى انما خلق البشر من
النطفة والنطفة متولدة من الاغذية المتولدة من الارض **البحث الثاني** كان ينبغي ان يقال
انبتكم من الارض انباتا لكنه لم يقل ذلك بل قال انبتكم من الارض نباتا والمعنى انبتكم فنبتم نباتا وفيه
دقيقة لطيفة وذلك لانه تعالى انما ذكر هذا ليستدل به على اثبات الصانع والانبات صفة لله
تعالى وتخليقه وصفة الله تعالى غير محسوسة فلا يمكن الاستدلال بها على وجود الصانع اما
النبات صفة المخلوق وهي مشاهدة محسوسة فيمكن الاستدلال بها على وجود الصانع فكان
العدول من لفظ الانبات الى لفظ النبات لهذه الدقيقة اللطيفة **الحجة الرابعة**
قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا واعلم ان شرح صفات
الارض قد تقدم فلا نعيده والله اعلم **الفصل السابع في شرح مناظرة
موسى عليه السلام مع فرعون في اثبات الصانع المختار** اعلم ان قبل الخوض
في شرح تلك المناظرة تقدم مقدمات لابد منها الاولى ان كتب القصص ناطقة بان فرعون
كان يدعي كونه خالق السموات والارض والحيوان والنبات حتى ذكروا ان ابليس ذهب الى
دار فرعون وهو في المستراح فقرع الباب فقيل من قال ابليس فهل يخفى على رب الخلق ما وراء
الباب فلما دخل عليه ابليس قال فرعون من شرنا قال ابليس انت قال لم قال لاني اطوف الشرق
والغرب وكان منتهى امري في ادم اني قلت انا خير منه اما انت فمع نقصك وقصورك
تقول انا ربكم الاعلى فكيف اكون اشر منك ثم خاف ابليس ان يرجع فرعون عن طريقته بسبب
هذه المناظرة فقال له هل تعرف اشر منا فقال الذي يستعجل عمل الاخرة في كسب الدنيا وامثال
هذه الحكايات في كتب التذكير كثيرة واعلم انه بعيد عندي ان يقال انه كان يدعي
انه خالق السموات والارضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوانات ويدل
عليه وجهان **الحجة الاولى** ان فرعون وقومه اما ان يقال انهم كانوا عقلاء
او مجانين فان كانوا عقلاء امتنع منهم ادعاء كونه خالقا للسموات والارضين لان العلم بفساد
ذلك ضروري وما كان كذلك امتنع وقوع الخلاف فيه بين العقلاء واما ان قلنا انهم كانوا
مجانين فهذا باطل لوجوه احدها لو كان الامر كذلك لما كان يليق بحكمة الله تعالى

ارسال الرسل اليهم ولا انزال الكتب عليهم وكيف وقد قال عليه السلام رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ والثاني وهو مناظرات فرعون مع موسى عليه السلام يدل على انه كان في غاية الخبث والمكر والدهاء وذلك لا يليق بالمجانين والثالث ان ضبط تلك الممالك وتسخير اولئك الاقوام الكثيرين لا يتأتى من المجنون

الحجة الثالثة ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام والدليل عليه انه لما هرب موسى عليه السلام منه الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين ويقال انه ما كان بين مصر وبين مدين الا مسافة ثمانية ايام ومع هذا القصور في ملك الدنيا كيف يجد العاقل من نفسه ان يدعي كونه خالقا للسموات والارضين فثبت بما ذكرنا فساد هذا الكلام فان احتج القائلون بذلك القول بانه تعالى حكى عنه انه قال انا ربكم الاعلى وحكى عنه في سورة القصص انه قال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فادعى الربوبية في الاية الاولى والالهية في الاية الاخرى وذلك يدل على ما قلناه والجواب انا بينا بالدلائل القاطعة ان مثل ذلك الانسان اذا كان عاقلا فانه لا يجوز ان يدعي كونه خالقا للسموات والارضين فلا بد من تاويل لفظ الرب ولفظ الاله فنقول الرجل لعله كان دهريا يظهر القول بانكار الصانع وكان يقول الافلاك والكواكب واجبة الوجود لذواتها وهي المؤثرة في حوادث هذا العالم واذا كان كذلك فلا امر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا رسول ولا تكليف ثم انه يجب على ملك البلدان يقوم بتحصيل مصالح الرعية ويجب على الرعية الانقياد لامره فاذا كان الملك هو الذي يتولى مصالحهم ويهتم بتربيتهم ويعتني بشانهم كان ربا لهم ومربيا لهم واذا كان هو مربيا لهم ومنعما عليهم وجب عليهم ان يكونوا منقادين لاوامره وتكاليفه ومعترفين بعبوديته وعبادته واذا كانوا كذلك كان هو معبودا لهم والاله هو المعبود فكان مراده من ادعاء الربوبية والالهية هذا المعنى ويحتمل ايضا ان يقال انه كان من الصابئة وهم الذين يقولون البشر عبيد الكواكب والكواكب عبيد الاله الاكبر للعالم فلا جرم يجب على البشر عبادة الكواكب ويجب على الكواكب عبادة الله تعالى والقائلون بهذا القول يسمون بالمعنى منه واصحاب الوسائط وهذا القول اقرب والدليل عليه قوله تعالى حكاية عن فرعون ويذرك والهتك فاثبتوا له الهة وهي اما الكواكب واما الاصنام وعلى هذا التقدير فقوله انا ربكم الاعلى معناه انتم عبيدي وتحت امري وانا عبد الشمس والقمر وهما عبيد الاله الاكبر وقوله ما علمت لكم من اله غيري معناه انا الحكم والهي هو الشمس والقمر واله الشمس والقمر هو الاله الاكبر فيرجع حاصل الكلام الى ان فرعون كان اما من الدهرية واما من الصابئة فاما ان يقال انه خالق للسموات والارض فهذا غير لائق باحاد العقلاء

المقدمة الثانية انه تعالى حكى عنه في القصص انه قال يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا واعلم ان كثيرا من الناس روى انه لعنه الله لما امر ببناء هذا الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الفا سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الاجر والجص ونشر الخشب وضرب المسامير فشيدوا ذلك الصرح حتى بلغ مبلغا لم يبلغه بنيان احد من الخلق فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام عند غروب الشمس فضرب بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة وقعت في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى على ذلك الصرح ورمى بنشابة الى السماء فاراد الله تعالى ان يفتنهم فردت النشابة اليه وهي ملطوخة بالدم فقال فرعون قد قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبرئيل حتى خرب ذلك الصرح وفرعوا على هذه الحكاية وجوها كثيرة من الكلمات واعلم ان مثل هذا العمل لا يليق بالعقلاء ويدل عليه وجوه

الحجة الاولى ان فرعون وقومه لما كانوا من العقلاء فلا شك انهم كثيرا ما يكونون في اعلى جبل يكون من اعلاه الى سفله فرسخ او فرسخان ثم ان كل احد يرى السماء من اعلى ذلك الجبل ومن سفله على قدر واحد من غير تفاوت البتة ومن المعلوم ان وضع بناء يكون مقدار ارتفاعه في الهواء فرسخين كالمتعذر وبتقدير ان يحصل ذلك فانه لا يتفاوت قدر السماء في الحس بسبب الصعود وعلى اعلاه ومتى كان كذلك فالعاقل العارف بهذا كيف يليق به ان يبني الصرح حتى يصعد منه الى السماء

الحجة الثانية ان الذي يقال انه رمى السهم الى السماء فرجع ملطخا فقال قتلت اله موسى هذا ايضا من السخف الذي لا يليق بالعقلاء فكيف يليق بالعاقل ان يحاول ايصال السهم وبتقدير ان يفعل ذلك كيف يمكنه ان يقتل اله السماء بهذا القدر من العمل فلعل اله السماء يكون مستترا بحجاب داخل السماء ولا يصل اليه السهم تعالى الله عن هذه الاوهام الفاسدة علوا كبيرا واما هذه الكلمات من حادث العقلاء في شيء وانما هو من سخف ارباب الطامات الذين غرضهم تشويش قلوب الاغمار من المستمعين وكلام الله منزه مقدس عن امثاله وتطهير امثال هذه الترهات مسرعا قويا لمن اراد الطعن في القرآن بل الصواب عندنا في تفسير هذه الاية ان هذا الكلام من تتمة قوله ما علمت لكم من اله غيري وذلك لان الرجل كان دهريا فقال لموسى عليه السلام هذا الاله الذي تدعي وجوده غير مشاهد ولا محسوس ولا دليل ايضا على وجوده فانه يكفي بحدوث الحوادث الارضية حركات الاجرام الفلكية واذا كان غير معلوم بالضرورة ولا بالدليل فكيف يمكن اثباته فهذا هو مراده من قوله ما علمت لكم من اله غيري ثم قال عند هذا الكلام على سبيل التهكم يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى ومثل هذا الكلام لا يقال على سبيل التحقيق بل على سبيل الاستبعاد وبيان انه لا سبيل له ونظيره قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية وليس المقصود منه بيان انه يجب عليه ان يفعل ذلك حتى ياتيهم باية بل الغرض بيان انه لا سبيل الى ذلك فكذا في هذه الاية فهذا ما عندي في تفسيرها والله اعلم بمراده

المقدمة الثالثة ان فرعون وان كان من المنكرين لوجود الصانع باللسان لكن من الناس من قال انه كان عارفا بقلبه لربه الا انه لعنه الله كان يظهر الانكار تكبرا وتجبرا وعنادا واحتجوا عليه بوجوه

الحجة الاولى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات فمن نصب التاء في علمت كان هذا خطابا لموسى

مع فرعون وهذا يدل على ان فرعون كان عارفا بربه **الحجة الثانية** قوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا صريح المطلوب **الحجة الثالثة** قوله تعالى في
القصص في صفة فرعون وقومه وظنوا انهم الينا لا يرجعون وهذا يوهم انهم كانوا معترفين بالمبدا
منكرين للمعاد **الحجة الرابعة** انه لما قال فرعون وما رب العالمين قال موسى رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم تعقلون فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني
انا اطلب منه الماهية وهو يذكر ما يدل على الصفة الخارجة عن الماهية فان الخلاقية صفة
خارجة عن الماهية فهذا يدل على ان فرعون ما نازعه في وجود الصانع بل كان يطلب منه الماهية
الحجة الخامسة لما قال من ربكما يا موسى اجابه موسى عليه السلام بقوله ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى وقال اهل اللغة كلمة الذي كلمة تقتضي وضعت للمعارف فجعل متعلق به
وهذا يدل على انه كان قد تقرر عند فرعون ان الخلق والهداية لا بد لهما من قادر مختار
الحجة السادسة قوله في الاعراف ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما
عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم
الرجز اذا هم ينكثون فالقوم لما قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الرجز دل
على انهم كانوا معترفين بوجود الاله سبحانه وتعالى **الحجة السابعة**
انا قد دللنا على ان فرعون كان عاقلا والا لما حسن بعثة الرسول عليه السلام اليه وتوجه
التكليف عليه ولما كان من العقلاء شهدت تغير احواله في نفسه وبدنه وفي ابائه واجداده
بافتقاره الى صانع حكيم مدبر عليم ولهذا قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله فهذا ما قيل في هذا الباب وبالجملة فقد كان كافرا عظيم الكفر سواء كان كفره بسبب
الجهل او بسبب العناد ولما فرغنا من هذه المقدمات فلنرجع الى المقصود ونقول ان سؤال فرعون
لموسى عليه السلام في اثبات الصانع كان على وجهين احدهما انه ساله عن الصانع بكلمة من
والثاني انه سال عنه بكلمة ما اما السؤال بكلمة من فهو في سورة طه قال تعالى حكاية عنه قال
فمن ربكما يا موسى واما السؤال بكلمة ما فهو قوله تعالى في سورة الشعراء حكاية عنه قال وما
رب العالمين وقبل الخوض في التفسير لا بد من بيان الفرق بين السؤالين فنقول المطلوب
بسؤال من التعين الحاصل بسبب الصفات العرضية يقول من هذا الرجل فنقول في جوابه انه فقيه
عربي وما يجري مجرى هذه الصفات واما المطلوب بسؤال ما فهو التعين الحاصل بسبب الماهية
ومقومات الحقيقة يقول ما هذا الشيء فيكون جوابه انه جسم او جوهر او عرض ذلك اذا عرفت ذلك
فنقول علمنا بصفات الله تعالى من قدرته وعلمه وارادته متقدم على علمنا الحقيقة ذاته المخصوصة وكنه
ماهيته وذلك لان العلم بكنه الحقيقة اما ان لا يحصل للبشر وان امكن حصوله للبشر الا ان هذه
المرتبة تكون متاخرة عن العلم بقدرته وعلمه بل كنه حقيقته المخصوصة متقدم بالرتبة على صفاته
لان الذات موصوفة والموصوف متقدم بالرتبة على الصفة الا ان المحكي في القران هو كيفية التوسل بالدلائل
الى معرفة الله تعالى واذا كان كذلك كان السؤال من متقدما على السؤال بما فلا جرم راعى الله هذا

الترتيب

الترتيب فذكر السؤال بمن في سورة طه وذكر السؤال بما في سورة الشعراء وهذا سر عجيب ولنذكر
البحث عن هذين الموضعين **الموضع الاول** قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن
ربكما يا موسى وفيه سؤالات **السؤال الاول** قوله تعالى حكاية عن فرعون لم قال
فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما **والجواب** لانه اثبت نفسه ربا لموسى وهو قوله الم نربك فينا وليدا
فذكر ذلك على سبيل التعجب كانه قال انا ربكم فلم تدعي ربا اخر وهذا الكلام شبيه بكلام نمرود
عليه السلام لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت ولم يكن الاحيا الذي ذكره شبيها
بالاحياء الذي تمسك به ابرهيم عليه السلام الا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى
ذكر فرعون كونه ربا لموسى وما كان بين الربوبية التي ذكرها موسى وبين الربوبية التي ذكرها فرعون
مشابهة الا في اللفظ **السؤال الثاني** ان فرعون طول المناظرة في سؤال ما ولم يطول
في سؤال من فما الفرق **والجواب** الفرق ما ذكرنا ان المطلوب في سؤال من معرفة الصفات
وهذا مقام واضح ليس فيه من الشبهات كما قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فلا جرم ترك فرعون فيه التطويل اما المطلوب بسؤال ما فهو كنه الماهية
وذلك مقام صعب كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره فلهذا السبب طول في المناظرة
السؤال الثالث ان فرعون قال بعد هذا الكلام فما بال القرون الاولى واي تعلق
لهذا الكلام بما قبله ثم ان موسى اجاب عنه بقوله قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
ثم عاد مرة اخرى الى ذكر دلائل اثبات الصانع وهو قوله الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك
لكم فيها سبلا فكيف وقع ذلك الكلام الاجنبي في البين **والجواب** قد بينا ان الدلائل
الدالة على اثبات الصانع وقدرته وعلمه وحكمته في غاية القوة والظهور ولا مكان لتاتي من الشكوك
والشبهات فيه فلما طالبه فرعون بسؤال من كان جواب موسى في غاية الظهور وعجز فرعون عن القدح
الشكوك والشبهات فيه فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بكلام اجنبي عنه لئلا يظهر قوة
كلامه فساله عن تواريخ المتقدمين فعرف موسى عليه السلام ان غرضه تشويش ذلك الكلام عليه فلم
يلتفت اليه بل دفعه بقوله تعالى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى يعني لا فائدة
لنا في هذا السؤال وهذا الجواب ثم رجع الى تقرير كلامه الاول فقال الذي جعل لكم الارض مهدا
فتامل ههنا في سعي المبطلين في اخفاء الحق والنظر الى قوة قلب المحققين وعدم التفاتهم الى لغوهم وجهلهم
ومن انصف علم ان كل اية في هذا الكتاب الكريم معجز ظاهر فضلا عن كل الكتاب **السؤال
الرابع** ما وجه دلالة قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى على وجود الصانع **والجواب**
اعلم ان هذا الدليل هو الذي حكاه الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام في قوله الذي خلقني فهو يهدين وهو الذي
ذكره الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
وتقريره هذا الدليل على سبيل التفصيل ان الخلق عبارة عن تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة
عن ابداع القوى المدركة والمحركة في تلك الابدان وخلق جواهر الابدان مقدم على ابداع القوى فيها فلذلك
قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فالتسوية للقالب ونفخ الروح

لعنه الله وذلك لان ابرهيم عليه السلام

عبارة عن ابداع القوى فيه وذلك ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه
خلقا اخر فظهر ان الخلق متقدم على الهداية فلهذا المعنى قدم الله تعالى الخلق في الذكر على الهداية ثم اعلم
ان الشروع في شرح عجايب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له ونحن اردنا تصنيفا
مشتملا على جميع تلك الوجوه فذلك التصنيف هو جميع عالم الاجسام والارواح اما عالم الاجسام
فخذ مبدا على سطح العرش الى اسفل سطح تحت الثرى وغص بفكرك في كل ذرة من ذراتها فانك تجد تلك
الذرة في دلالتها على كمال قدرته وحكمته بحرا لا ساحل له فمن الذي يمكنه ان يعرف تمام حكمة الله في خلقه
جناح البعوضة ومن الذي يمكنه ان يعرف كيفية تخليقه لبدن البعوضة وتركيب اعضائه وتاليف
ابعاضه وتاليف العظام والعروق والاعصاب ونفخ الروح فيه وابداع الحواس الخمسة والذهن والتمييز
فيه فاذا عجز عقلك عن معرفة البعوضة فاين انت من معرفة الخالق حكمة والهداية في اجرام السموات
والارض وقال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم اذا عرفت ضعف عقلك في عالم
الاجسام فانتقل الى عالم الارواح واعرف ان عالم الاجسام في عالم الارواح كالقطرة في البحر فكيف
يمكنك تفاصيل عالم الارواح مع انك عاجز عن معرفة روحك حيث قال وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فعند هذا تشاهد عجزك وقصورك عن معرفة اقل الاشيا وعن الاحاطة باقل شاهد من شواهد
جلال الله ودلائل قدسه وعزته وهذا اخر مقام الصديقين كما قال تعالى ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وان اردت امثلة هذا المعنى فتامل في
الابواب المتقدمة المشتملة على عجايب خلقة السموات والارض وفي الاصح اما السؤال
الثاني وهو السؤال بما على ما ذكره الله تعالى في سورة الشعراء ففيه اسرار واعلم ان هذا البحث
لا يمكن الا بتقديم مقدمة عقلية وهي انه اذا كانت حقيقة من الحقائق مجهولة فتعريفها اما ان يكون
بنفسها او بما يكون داخلا فيها او مقوما لها او بما يكون خارجا عنها ولاحقا بها او بما تركب من
القسمين اعني الامور الداخلة والامور الخارجة اما تعريفها بنفسها فمحال لان المعرف معلوم قبل
المعرف فتعريف الشي بنفسه يقتضي تقدم الشي على نفسه وهو محال اما تعريف تلك الحقيقة
بالامور الداخلة في قوام الماهية فهذا في حق واجب الوجود محال لوجهين **الاول** ان هذا انما
يتاتى في الحقيقة التي تكون مركبة من اجزاء القوام وذلك في حق واجب الوجود محال لان كل مركب فهو محتاج
الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته فما ليس ممكنا لذاته فهو غير مركب من الاجزاء فانه يمتنع تعريفه
باجزائه **والثاني** ان بتقدير ان واجب الوجود مركبا من الاجزاء الا ان اجزاء ماهيته غير معلومة فيمتنع
تعريفه باجزائه ولما ثبت فساد هذين القسمين ثبت انه لا يمكن تعريف واجب الوجود الا بلوازمه
واثاره ثم ان تلك اللوازم والاثار الحقيقية بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية فاظهر اثار واجب الوجود
وتوابع قدرته وحكمته هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما اذا عرفت هذه المقدمة
فنقول ان فرعون لما سال موسى عليه السلام بسؤال ما في قوله فمن ربكما يا موسى ووجد كلام موسى في
غاية القوة عدل عن ذلك الى غيره وهو السؤال بما لان الجواب عن هذا السؤال في غاية الصعوبة
ويمكن القاء الشبهات فيه فقال وما رب العالمين فقال موسى عليه السلام رب السموات والارض وما

بينهما ان كنتم موقنين والمعنى انكما اسلمتم في الجواب عن السؤال الاول وهو السؤال بلفظ من
وجب اتيانا هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود وثبت ان واجب الوجود لذاته فرد مطلق منزه
عن التركيب في حقيقته وماهيته وثبت ان الفرد المطلق المنزه عن التركيب من جميع الوجوه لا يمكن تعريف
حقيقته الا بذكر لوازمه واثاره الظاهرة الجليلة وبين ان اظهر اثار واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس
ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته وذاته المخصوصة الا بذكر انه خالق هذه السموات والارضين
فقوله ان كنتم موقنين معناه ان كنتم موقنين بحقيقة هذه المقدمات فاعلموا انه لا جواب
عن سؤالكم الا هذا الذي ذكرت ولما ذكر موسى هذا الحق قال فرعون لمن حوله الا تستمعون
اظهر التعجب من كلام موسى عليه السلام يعني انا اطلب الجواب عن السؤال الدال على الماهية
وهو يذكر الجواب الدال على الصفة وهذا الجواب هو جواب السؤال بمن وانما انا اطلب جواب
السؤال بما فاين احدهما عن الاخر وتمام الاشكال ان تعريف الماهية بلوازمها لا يفيد معرفة
نفس تلك الماهية لانا اذا قلنا في تعريف شي انه الذي يلزمه اللازم الفلاني فهذا يتوجه عليه سؤال
وهو ان تلك الحقيقة هل هي معلومة ام لا فان كانت معلومة فلا حاجة الى تعريفها بذكر هذا
اللازم وان لم تكن معلومة فكيف يعلم انه يلزمها هذا اللازم فتصديق والتصديق مسبوق
بالتصور فلو كان التصور مستفادا من هذا التصديق لزم الدور فثبت ان قوله رب السموات
والارض لا يصلح جوابا عن قوله وما رب العالمين فعند هذا اجاب موسى عليه السلام بقوله ربكم
ورب ابائكم الاولين وكانه عدل عن تعريف تلك الحقيقة بخالقية السما والارض الى تعريفها
بكونه خالقا لنا ولابائنا وذلك لانه لا يمتنع ان يعتقد احد ان السموات والارض واجبة
لذواتها فهي غنية عن الخالق والموجد الى ان يظهر فساد هذا الاعتقاد بالبرهان اما لا يمكن
ان يعتقد احد في نفسه وفي ابائه واجداده كونهم واجبة الوجود لذواتها كما ان المشاهد دلت
على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك كان ممكنا محدثا فيظهر حد
افتقاره الى المرجح والموجد فلهذا السبب عدل موسى عليه السلام عن الكلام الاول الى هذا الكلام
فعند هذا قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى اني سالته عن الماهية فاجاب
بذكر الصفة فلما انكرت عليه هذا الجواب ذكر جوابا مثل الجواب الاول فان المذكور في الجوابين
هو الصفة الخالقية وذكر الصفة لا يصلح جوابا عن السؤال الطالب للماهية فهذا مجنون حيث لا يفهم
السؤال بعد التكرير عليه مرة بعد اخرى قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان
كنتم تعقلون فعدل الى طريق اخر اوضح مما تقدم وذلك لان الجواب الاول اشارة الى دلائل الافاق
والجواب الثاني اشارة الى دلائل الانفس وهذا الجواب الثالث مركب من دلائل الافاق والانفس
معا لان قوله رب المشرق والمغرب اشارة الى دلائل الافاق وقوله وما بينهما اشارة الى دلائل
الانفس فاذا تاملت فيه علمت ان موسى عليه لم يترك شيئا في عالم المحسوسات يدل على الله
الا وقد ذكره لان دلالة العالم المحسوسات على الله تعالى اما من الافاق او من الانفس او منهما
معا واعلم انه اراد بالمشرق قبل طلوع الشمس وظهور النهار وبالمغرب غروب الشمس وظهور الليل

والا فر ظاهر في ان هذا التدبير المحكم العجيب لا يحصل الا بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه
وتعالى وهذا هو بعينه طريقة ابرهيم عليه السلام مع نمرود فانه قال ربي الذي يحيي ويميت
وهو الذي قاله موسى في قوله ربكم ورب ابائكم الاولين ثم لما طالب نمرود بتمام الدلالة قال ابرهيم
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهو عين قول موسى رب المشرق والمغرب
وما بينهما واعلم ان موسى انما قال ههنا ان كنتم تعقلون لانه لما ثبت بالبرهان القاهر انه لا
يمكن تعريف الحقيقة بنفسها ولا بتعريف يمكن حقيقة واجب الوجود باجزائها لما ثبت انه فرد
صمد منزه عن التركيب ولا يمكن تعريفه بما يتركب عن الداخل والخارج لان ذلك يقتضي كون
تلك الماهية مركبة ولما بطلت هذه الاقسام الثلثة لم يبق طريق الى تعريف تلك الحقيقة
الا بذكر لوازمها واثارها الظاهرة فكانه عليه السلام قال وان كنت من العقلاء وتفهم الكلام
وتميز بين الحق والباطل فاعلم انه لا سبيل الى تعريف حقيقته الا بهذا الطريق الذي ذكرت
وههنا اخر هذه المناظرة وهي في غاية الشرف والجلالة واعلم ان من فوائد هذه المناظرة انها تدل
على انه تعالى ليس بجسم ولا متحيز ولا شكل لانه لو كان كذلك لكان الجواب الكاشف عن
الماهية ممكنا فحينئذ يكون جواب موسى باطلا وسؤال فرعون حقا ولما كان القول بذلك
باطلا علمنا انه منزه عن الجسمية والجوهرية والحيز وبالله التوفيق ولما كان ختم هذه المناظرة
على التمسك بشروق الكواكب وغروبها فلنذكر ههنا كيفية هذه الدلالة والله اعلم

الفصل الثامن في شرح كيفية دلالة الشروق والغروب على وجود الصانع الحكيم تعالى

اعلم انه تعالى ذكر كيفية الشروق والغروب
في ايات احدها انه ذكر بلفظ الوحدان فقال رب المشرق والمغرب ومنها انه ذكره بلفظ
التثنية فقال رب المشرقين ورب المغربين ومنها انه ذكره بلفظ الجمع فقال رب المشارق
والمغارب ومنها انه تعالى عبر عن الشروق والغروب بعبارة اخرى فقال والليل اذا عسعس
والصبح اذا تنفس وقال في سورة الفلق قل اعوذ برب الفلق وهو اشارة الى زمان الطلوع
ثم قال ومن شر غاسق اذا وقب وهو اشارة الى زمان الغروب ومنها انه تعالى خص اول زمان
الطلوع فقال فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم
وخص زمان الغروب بالذكر فقال والنجم اذا هوى وقال ابرهيم عليه السلام لا احب الافلين
وههنا مباحث

البحث الاول

ان الطلوع والغروب حالتان عجيبتان
يدلان على الافتقار الى الخالق المدبر الحكيم وذلك لانا اذا نظرنا الى الكوكب اول طلوعه من
افق الشرق فانه يطلع مستنيرا متلالئا ليس في نوره كدورة ولا غبرة ولا ظلمة واذا نظرنا اليه
وهو في افق الغرب نراه قد ذهب نوره ورونقه حتى ان الشمس مع عظم جرمها وكمال نورها
اذا قربت من الغروب فانه يذهب نورها ورونقها واذا اعتبرنا هذه الاحوال علمنا ان اول
طلوع الكوكب يشبه ولادة الصبي ولذلك فان اهل النجوم جعلوا الدرجة الطالعة
من الفلك دليل الحيوة وقالوا ان الولد ظهر في هذا العالم بعد ان كان غير ظاهر كذلك ظهرت

هذه الدرجة في تلك الساعة بعد ان كانت غير ظاهرة فلما حصلت المشابهة بينهما من هذا
الوجه جعل تلك الدرجة دليلا على حياته ثم ان الكوكب بعد طلوعه يزداد كل لحظة تصاعدا
وقوة ونورا واستعلاء وكمالا ولا يزال كذلك الى ان يقرب من وسط السماء الى هذا الوقت
تشبيه حالة الادمي في زمان النشو والنماء ثم اذا قربت الشمس من وسط السماء فهناك تبقى زمانا على
حالة واحدة لا يشاهد فيها لا اثر الارتفاع ولا اثر الانخفاض وهذه الحالة من الشمس وسائر
الكواكب تشبه حال الانسان في زمان الشباب ومدة الوقوف وهذه المدة التي لا يظهر فيها
زيادة ولا نقصان ثم ان الشمس والكواكب بعد ذلك تقع في الربع الغربي من الفلك ولا يزال يأخذ
في الانحطاط قليلا قليلا الا انه يظهر بسبب ذلك الانخفاض نقصان في نورها وقوتها وعوارضها
وهذه الحالة من الكواكب تشبه حالة الانسان في سن الكهولة واخر هذا الوقت هو اول وقت صلوة
العصر ثم من بعد صلاة العصر تاخذ قوة الشمس في النقصان الظاهر والانحطاط البين فينتقص
نورها ويقل ضوؤها ويعظم امتداد ظلها ولا يزال تتزايد هذه النقصانات الى ان يصل الكوكب
الى افق الغرب وهذه الحالة من الشمس والكوكب تشبه سن الشيخوخة واما غروبها في افق المغرب
فلا يكون الا بعد ذهاب نورها واصفرار لونها ونقصان قوتها وارتعاش ذاتها وسقوطها في النظر
على وجه الارض ثم انها تغرب وتصير كانها فنيت وبطلت وهذه الحالة تشبه حالة الانسان عند
الموت فانه لا يذهب نور وجهه ويبطل حسن صورته ويصفر لونه وتضعف قوته ويأخذه
الارتعاش والضعف ثم يسقط على وجه الارض الفراش بحيث لا يمكنه ان يرفع راسه ثم انه بعد ذلك
يموت فهذه الاحوال الاربعة للشمس والقمر وسائر الكواكب تشبه الاحوال الاربعة لكل حيوان ونبات
اعني سن النمو وسن الوقوف وسن الكهولة وسن الشيخوخة ثم حصول الموت بعد ذلك ثم
ان الشمس اذا غربت بقيت اثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم بعد ذلك يزول ذلك الشفق
ولا يبقى في هذا العالم من اثار الشمس شيء البتة وهذا يشبه ان الانسان اذا مات بعد موته يبقى بعد
موته ذكره واثاره اياما قليلة ثم انه يبطل ذلك الذكر وتلك الاثار ولا يبقى في الدنيا منه اثر
ولا خبر فهذه الاحوال الخمسة للشمس تشبه الاحوال الخمسة للانسان فلهذا السبب اوجب الشارع
الحكيم الصلوات الخمس في هذه الاحوال الخمسة وما احسن هذا الترتيب وما اشد مطابقة الحكمة
الشرعية النبوية على الحكمة العرشية الروحانية واعلم انك متى تاملت في جميع الاجرام العلوية
والسفلية من الابداعية والعنصرية ظهر لكل عاقل انها عند الشروق والتصاعد اخذت في الكمال
بعد ان كانت ناقصة وعند الانحدار من وسط السماء الى نهاية الغروب اخذت في النقصان بعد
ان كانت كاملة وتوارد هذه النقصانات بعد الكمالات والكمالات بعد النقصانات على سبيل
الدوام والاستمرار يدل على انه لا كمالاتها لها لذواتها ولا نقصاناتها لها من انفسها بل هي تحت تسخير
مسخر وتدبير مدبر قاهر يتصرف فيها بقدرته ويجريها على حسب ارادته ومشيته الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين

البحث الثاني

في الشروق والغروب وهو ان حال
ما بان ذلك الكوكب في الغروب ترى كوكبا اخر في مقابلته من افق المشرق اخذا في الطلوع

والسفلية

وترى كوكبا اخر قد طلع وهو اخذ في الارتفاع والتصاعد وكوكبا اخر قد بلغ وسط السما وكوكبا
اخر قد وقع في الربع الغربي وقرب من الغروب فاذا اعتبرت هذه الاحوال تراها متشابهة
لاحوال الخلق في هذا العالم فانسان يموت وانسان يتولد وثالث في تلك الساعة يكون طفلا
ورابع شاب وخامس كهل وسادس شيخ وكما ان كواكب السموات مختلفة الاحوال فبعضها
سعد وبعضها نحس وبعضها قوي النور وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب من وسط السماء
وبعضها واقع في اطراف الفلك وبعضها في الشرف والبيت المثلثه وبعضها في الوبال والهبوط
والخلو عن الحظوظ فكذلك ترى اشخاص هذا العالم بعضهم في السعاده وبعضهم في النحوسه وبعضهم
في الغنى وبعضهم في الفقر وكذا القول في الدوله والعلو والذله والسقوط وكما ان مدبر العالم العلوي
دبر نظام تلك الكواكب مع اختلافها في الطلوع والغروب والنورانيه والضعف من غير ان يختل
شي من احوالها فكذلك يدبر احوال اشخاص العالم السفلي مع اختلافهم في السعاده والشقاوه
والغنا والفقر وعند هذا يلوح لك شمة من اسرار قوله كل يوم هو في شان وقوله لا يشغله شان عن
شان وقوله يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه وتمام الكلام في هذه المباحث العميقة ما اليه
الاشارة في سورة الاعراف وهو قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ما ذكرناه من كيفية التسخير والتدبير
وقوله الا له الخلق والامر فيه سر عجيب وحكمة بالغة وهي انك لما شاهدت في اجرام السموات
والارض والكواكب اثار التسخير والتدبير يقع في قلبك ان تعرف وجه الحكمة في كل واحد منها
على سبيل التفصيل فحينئذ يقال لك قف في درجتك ولا تتعد طورك ولا تلق عقلك في بحر
لا ساحل له ولا تكلف نفسك صعود جبل لا نهاية له ولا تطمع في الوصول الى ما هو فوق وهمك
وعقلك وروحك فانك لست من رجال هذه الاسرار ولا في حد قد عقلك قوة الاطلاع
على هذه الانوار ولكن اعترف لنفسك بالعجز والذلة والقصور واعرف خالق هذه الانوار
واعرف خالق هذه الموجودات على سبيل الاجمال بغاية الجلالة ونهاية الكبريا وقل الا له الخلق
والامر والعزة والعلو والسلطان والكبريا تبارك الله رب العالمين ومدبر الاجساد والارواح
العلويات والسفليات اجمعين ثم اذا تركت الخوض في ذلك التفصيل واعرفت بهذا التعظيم
على سبيل الاجمال فعند هذه الحالة ارجع الى نفسك واعتبر حال عجزك وقصورك واشتغل بالدعا
والتضرع فههنا غاية درجات الصديقين ونهاية خطرات افكار العارفين وليس وراه
للعقول مطار ولا مسرى ولا للافكار مجال ولا محط واليه الاشارة بقوله تعالى في اخر
هذه الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية فما اجل هذه التلويحات التي يشتمل عليها القران العظيم
وما اشرف هذه الرموز الحاصلة في مطاوي ايات الذكر الحكيم والله الذي لا اله الا هو انه لا خطر
ببال هذا المسكين الكاتب لهذا الكتاب ولا يلوح في خياله طريق احسن ولا انفع ولا اجذب للارواح

البشريه

الملك

بقوله

البشريه والعقول الانسانية الى حضرة القدس الاحد الصمد من هذه البيانات الالهية والاسرار العلوية
ونظير هذه الاية قوله تعالى في اخر ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقوله
ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى وقوع العقل في هذا البحر الذي لا ساحل له
وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى منع العقل من طلب هذه التفاصيل والحاب ان يقتصر
على الثنا المجمل وقوله فقنا عذاب النار اشارة الى الاشتغال بالدعا والتضرع عقيب حصول
هذه الاية **البحث الثالث** في الاستدلال بكيفية الطلوع والغروب على وجود الخالق المدبر
اعلم ان التعبير عن المشرق والمغرب بلفظ الوحدان اشارة الى مشرق الشمس ومغربها واما
قوله رب المشرقين ورب المغربين فالمراد طلوع الشمس والقمر وغروبهما واما قوله رب المشارق
والمغارب ففيه قولان **الاول** المراد منها طلوع الشمس والقمر والنجوم والثاني
المراد منها طلوع الشمس ومغاربها وذلك لان الشمس اليوم الذي تكون في النقطة الاولى من
السرطان وهو اليوم الاول من الصيف الى ان تحصل من النقطة الاولى من الجدي وهو اليوم
الاول من الشتا ومجموعه ستة اشهر تطلع كل يوم من مطلع اخر وذلك مائه وثمانون مطلعا
ثم انها من اول الشتاء الى اول الصيف ستة اشهر ترجع تطلع من تلك المطالع باعيانها ولما كان
للشمس مائه وثمانون مغربا كان المراد من قوله رب المشارق والمغارب هذه المغارب وهذه
المشارق واذا عرفت هذا فنقول الاستدلال باحوال المشارق والمغارب على الخالق المدبر
الحكيم في غاية الظهور وذلك لان هذه الاجسام الفلكيه والاجرام الكوكبيه لا يمكن ان تكون
حركتها لنفس طبايعها ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الاجسام متساوية في الجسمية
وتمام الماهيه وحكم الاشيا المتساوية في الذات وتمام الماهية التساوي في اللوازم والاحكام
واذا كان كذلك فكلما صح على واحد منها صح على الباقي واذا كان كذلك كان اختصاص كل
فلك وكل كوكب بطبيعته وحيزه وشكله وحركته لا بد وان يكون لاجل القادر المختار
الحجة الثانية ان الشي الذي يكون مهروبا عنه بحكم الطبيعة يمتنع ان يكون مطلوبا
بمقتضى نفس تلك الطبيعة وههنا الاجرام الفلكية متحركة بالاستدارة وكل ما كان متحركا بالاستدارة
فان كل نقطة يفرض كونها مهروبا عنها فان المهروب عنها هو نفس طلبها وتفس التوجه اليها
فثبت ان هذه الحركة ليست بالطبيعة **الحجة الثالثة** لو كانت هذه الحركات طبيعية
لوجب ان يكون شروقها وغروبها على نهج واحد وطريقة واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعة
وجب تساويها وعدم تغيرها لكنا بينا ان الشمس تطلع كل يوم من مشرق اخر وتغرب
في مغرب اخر فثبت بهذه الدلايل ان حركات هذه الافلاك ليست من ذواتها وطباعها فلا بد
وان تكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر وقهر قاهر يحركها على حسب مشيته ومقتضى ارادته
فتبارك الله رب العالمين فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان حركاتها بسبب انها حيا مختار قلنا

وهو اوضاه

علم

وحل

وترى كوكبا اخر قد طلع وهو اخذ في الارتفاع والتصاعد فكوكبا اخر قد بلغ وسط السما وكوكبا
اخر قد وقع في الربع الغربي وقرب من الغروب فاذا اعتبرت هذه الاحوال تراها متشابهة
لاحوال الخلق في هذا العالم فانسان يموت وانسان يتولد وثالث في تلك الساعة يكون طفلا
ورابع شاب وخامس كهل وسادس شيخ وكما ان كواكب السموات مختلفة الاحوال فبعضها
سعد وبعضها نحس وبعضها قوي النور وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب من وسط السماء
وبعضها واقع في اطراف الفلك وبعضها في الشرف والبيت المثلثه وبعضها في الوبال والهبوط
والخلو عن الحظوظ فكذلك ترى اشخاص هذا العالم بعضهم في السعادة وبعضهم في النحوسه وبعضهم
في الغنى وبعضهم في الفقر وكذا العزل في الدولة والعلو والذلة والسقوط وكما ان مدبر العالم العلوي
دبر نظام تلك الكواكب مع اختلافها في الطلوع والغروب والنورانيه والضعف من غير ان يختل
شي من احوالها فكذلك يدبر احوال اشخاص العالم السفلي مع اختلافهم في السعادة والشقاوة
والغنا والفقر وعند هذا يلوح لك شمة من اسرار قوله كل يوم هو في شان وقوله لا يشغله شان عن
شان وقوله يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه وتمام الكلام في هذه المباحث العميقة ما اليه
الاشارة في سورة الاعراف وهو قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
فقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ما ذكرناه من كيفية التسخير والتدبير
وقوله الا له الخلق والامر فيه سر عجيب وحكمة بالغة وهي انك لما شاهدت في اجرام السموات
والارض والكواكب اثار التسخير والتدبير يقع في قلبك ان تعرف وجه الحكمة في كل واحد منها
على سبيل التفصيل فحينئذ يقال لك قف في درجتك ولا تتعد طورك ولا تلق عقلك في بحر
لا ساحل له ولا تكلف نفسك صعود جبل لا نهاية له ولا تطمع في الوصول الى ما هو فوق وهمك
وعقلك وروحك فانك لست من رجال هذه الاسرار ولا في حد قدر عقلك وقع الاطلاع
على هذه الانوار ولكن اعترف لنفسك بالعجز والذلة والقصور واعترف بخالق هذه الانوار
واعترف بخالق هذه الموجودات على سبيل الاجمال بغاية الجلالة ونهاية الكبريا وقل الا له الخلق
والامر والعز والعلو والسلطان والكبريا تبارك الله رب العالمين ومدبر الاجساد والارواح
العلويات والسفليات اجمعين ثم اذا تركت الخوض في ذلك التفصيل واعترفت بهذا التعظيم
على سبيل الاجمال فعند هذه الحالة ارجع الى نفسك واعتبر حال عجزك وقصورك واشتغل بالدعا
والتضرع فههنا غاية درجات الصديقين ونهاية خطرات افكار العارفين وليس وراه
للعقول مطار ولا مسرى ولا للافكار مجال ولا محطى واليه الاشارة بقوله تعالى في اخر
هذه الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية فما اجل هذه التلويحات التي اشتمل عليها القران العظيم
وما اشرف هذه الرموز الحاصلة في مطاوي ايات الذكر الحكيم والله الذي لا اله الا هو انه لا يخطر
ببال هذا المسكين الكاتب لهذا الكتاب ولا يلوح في خياله طريق احسن ولا انفع ولا اجذب للارواح

الفلك

بقوله

البشريه والعقول الانسانية الى حضرة القدس الاحد الصمد من هذه البيانات الالهيه والاسرار العلويه
ونظير هذه الاية قوله تعالى في اخر ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقوله
ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى وقوع العقل في هذا البحر الذي لا ساحل له
وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى منع العقل من طلب هذه التفاصيل والحاب ان يقتصر
على الثنا المجمل وقوله فقنا عذاب النار اشارة الى الاشتغال بالدعاء والتضرع عقيب حصول
هذه الاية **البحث الثالث** في الاستدلال بكيفية الطلوع والغروب على وجود الخالق المدبر
اعلم ان التعبير عن المشرق والمغرب بلفظ الوجدان اشارة الى مشرق الشمس ومغربها واما
قوله رب المشرقين ورب المغربين فالمراد طلوع الشمس والقمر وغروبهما واما قوله رب المشارق
والمغارب ففيه قولان **الاول** المراد منها طلوع الشمس والقمر والنجوم والثاني
المراد منها طلوع الشمس ومغاربها وذلك لان الشمس اليوم الذي تكون في النقطه الاولى من
السرطان وهو اليوم الاول من الصيف الى ان تحصل من النقطه الاولى من الجدي وهو اليوم
الاول من الشتا ومجموعه ستة اشهر تطلع كل يوم من مطلع اخر وذلك مائة وثمانون مطلعا
ثم انها من اول الشتاء الى اول الصيف ستة اشهر ترجع تطلع من تلك المطالع باعيانها ولما كان
... والمشارق والمغارب فهذه المغارب وهذه

٦

وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

فان كل نقطة يفرض كونها مهروبا عنها فان المهروب عنها هو نفس طلبها ونفس التوجه اليها
فثبت ان هذه الحركة ليست بالطبيعة **الحجة الثالثة** لو كانت هذه الحركات طبيعية
لوجب ان يكون شروقها وغروبها على نهج واحد وطريقة واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعة
وجب دوامها وعدم تغيرها لكنا بينا ان الشمس تطلع كل يوم من مشرق اخر وتغرب
في مغرب اخر فثبت بهذه الدلائل ان حركات هذه الافلاك ليست من ذواتها وطباعها فلا بد
وان يكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر وقهر قاهر يحركها على حسب مشيته ومقتضى ارادته
فتبارك الله رب العالمين فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان حركاتها بسبب انها حيا مختار قلنا

وهوايضا

ملم

لا ان على هذا التقدير يكون كل واحد منها مخصوصا باختيار خاص وارادة خاصة فتعود
طلب العلة كذلك الا خاص ولا ينقطع الطلبات ولا تزول الحاجات الى عند الانتهاء الى القضاء
الالهي والتقدير الازلي السرمدي سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن الايات الواردة في
هذا الجنس من الكلام قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس
واعلم ان الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء يقال خنس من بين القوم والخنس في الحديث
الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله خنس اي انقبض ولذلك سمي الخناس والكنس جمع كانس
وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست الظبا في كنسها وتكنست المراة
اذا دخلت هودجها شبه بالظبي اذا دخل الكناس اذا ثبت هذا فنقول المعتبرون من المفسرين ذكروا في
الكنوس والخنوس وجهين الاول ان ذلك اشارة الى رجوع الكواكب واستقامتها فرجوعها
هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه حالة عجيبة وفيها اسرار عظيمة
باهرة فلهذا المعنى اقسم الله بها الثاني ما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره مقاتل
وقتادة انها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في جميع النهار وكنوسها عبارة
عن ظهورها للبصر في الليل وعندي فيه قول ثالث وهي ان هذه الكواكب السبعة السيارة تختلف مطالعها
ومغاربها على ما فسرناه وشرحناه ولا شك ان لها مطلعا واحدا ومغربا واحدا هما اقرب المشارق
والمغارب الى سمت رؤوسنا ثم انها تاخذ في التباعد قليلا قليلا حتى تميل الى سمت رؤوسنا فخنوسها عبارة
عن تباعدها عن هذا المطلع الذي هو اقرب المطالع الى سمت الراس وكنوسها عبارة عن عودها اليه
فعلى التفسير الاول يكون القسم واقعا بالخمسة المتحيرة وعلى القول الذي ذكرناه يكون القسم واقعا بجميع
الكواكب سواء كانت من السيارات او من الثوابت واعلم انه تعالى لما اقسم بها دل ذلك على اختصاصها
باسرار عجيبة واحوال شريفة لا تصل العقول البشرية اليها على ما حققنا الكلام فيه في تفسير قوله في آخر
آل عمران الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الى قوله فقنا عذاب النار ومما يدل
هاهنا انه تعالى ابتدا من اعمال الصديقين بالذكر فقال الذين يذكرون الله قياما ثم انهم يصلون
من الذكر الى الفكر واليه الاشارة بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وهاهنا اشكال وهو
انه تعالى قال في الذين يذكرون الله فجعل الذكر المعتبر اللائق بهذا المقام ذكر الله لا ذكر غيره ثم
جعل نهاية هذا الفكر فكان يجب ان يكون هذا الفكر هو الفكر في الله لكنه لم يفعل ذلك
بل جعل الفكر اللائق بهذا المقام الفكر في خلق السموات والارض وهذا اشتغال بغير الله
فكيف يعقل ان جعل ذكر الله اولا ومبدا الفكر في غير الله غاية وكمالا والجواب انا بينا
في مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون ان الفكر في الله ممتنع لانه لا يمكن التوصل الى جلال الله
وعظمته الا بالنظر في مخلوقاته ومبتدعاته وهذا متاكد بقوله عليه السلام تفكروا في الخلق
ولا تتفكروا في الخالق ولما كان اشرف مخلوقاته المحسوسة السموات والارض كما قال لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس لا جرم جعل الغاية القصوى لسير افكار المقربين والنهاية
العظمى لغايات انظارهم ان يتفكروا في عجائب خلق السموات والارض ثم انما يتسابقا فيما قبل ان الخاطر اذا

نوع

تفرغ في هذا الموضع كان اولى بردعه عنها ومنعه عن الخوض فيها والاقتصار على الثناء لهم والتعظيم
المجمل كما في قوله في الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم قال بعده الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين وهاهنا الثناء ثم قال بعده ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهاهنا الدعاء
وقال في آل عمران ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم قال بعده ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك وهذا هو الثناء ثم قال وقنا عذاب النار وهذا الدعاء فهذه الدرر التي وجدناها
في قعر بحر القرآن هي اشرف المطالب واعظم الرغائب وما ذاك الا بتوفيقه وهدايته
وما هو الا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر يا رب الارباب واله الالهة زدنا من فضلك
واحسانك يا ارحم الراحمين اما قوله والليل اذا عسعس فقال اهل اللغة عسعس من الاضداد
يقال عسعس الليل اذا ادبر وعسعس اذا اقبل ثم منهم من قال المراد هاهنا اقبل الليل لان هذا التقدير
لا يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله والليل اذا عسعس وبادباره وهو قوله والصبح
اذا تنفس ومنهم من قال المراد بقوله عسعس ادبر ثم قوله والصبح اذا تنفس اي امتد ضوؤه وتكامل
فقوله والليل اذا عسعس اشارة الى اول طلوع الفجر وقوله والصبح اذا تنفس اشارة الى تكامل طلوع
الشمس الصبح ونظيره قوله تعالى والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر ثم في كيفية التشبيه قولان
احدهما انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على سبيل المجاز
والثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن
في قلبه فاذا تنفس وجد راحة فهاهنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس
واعلم ان في طلوع الشمس وغروبها احوالا عجيبة فالاول ان طلوع الشمس يشبه تكوين العالم
وتخليقه في اول وقت كن فيكون وغروبها يشبه تخريب العالم وقت قيام القيمة وتقرير
هذا التشبيه ان الظلمة صفة عدمية وهي شديدة المناسبة للعدم الاصلي المستمر من الازل
الى وقت حدوث العالم فكما ان في الليل تكون الظلمة مستقرة مستمرة من الازل الى الابد فكما
كان هناك لوح ولا قلم ولا انوار ولا ظلم ولا سماء ولا ارض ولا طول ولا عرض ولا ذوات
ولا صفات بل كان الله ولم يكن معه شيء غيره وكما ان في آخر الليل يتعلق بحر الظلمات نهر من
النور ويكون ذلك النور محفوفا بالظلمات التي لا حد لها فكذلك ظهر في آخر الليل الاول
نهر من نور ايجاد الله وتكوينه وهذه المخلوقات متناهية والممكنات الباقية على العدم غير متناهية
والمتناهي بالنسبة الى غير المتناهي قليل من كثير فهذه الحالة شبيهة بظهور نور الصبح في بحار ظلمات
الليل واذا عرفت هذا ظهر ان طلوع النور مسبوق بتراكم ظلمات العدم وظهر ايضا ان الانوار
الساطعة على الممكنات من الوجود اقل من الممكنات الباقية في ظلمات العدم لا جرم قدم الله تعالى ذكر الظلمات
على النور وعبر عن الظلمات بلفظ الجمع وعن النور بلفظ المفرد فقال الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور فتامل في هذه الاسرار فهذا حال تشبيه طلوع الصبح
بطلوع صبح الايجاد وليكون من شرق احسان الله تعالى وفضله وعنايته البحث الثاني
ان غروب الشمس في آخر النهار شديد الشبه باماتة جميع الاحياء وقت قيام القيمة وبقاء الخلق

في جميع اقطار السموات والارض وادكان قبل الحدوث كانت ظلمة العدم مستقرة

خامدين ليس لهم حس ولا حركة في الليل شبه بقاء الخلق فيما بين النفختين ثم انتباه الخلق في وقت الصبح
شبه قيام الخلق عند الحشر والبعث وتقرير هذا الكلام وهو ان النفخ في الصور يحصل ثلاث مرات
اوّلها نفخة الفزع قال تعالى في سورة النمل ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وهذه الاحوال بعينها موجودة في الشمس وذلك لان غروبها في المغرب يشبه نفخة
الفزع فان الشمس اذا غربت في مغربها استولى الخوف والفزع على الحيوانات وتوجه كل واحد منها
الى مأواه وسكنه ثم اذا غرب الشفق بالكلية فذلك يشبه نفخة الصعق وهناك سكت كل
حيوان وسلم ويصير الكل خامدا جامدا وكانه صار ميتا او صار معدوما الا من شاء الله من الحيوانات
التي لا تنام وهذا الاستثناء المذكور في الاية حاصل ايضا هاهنا واما طلوع الصبح فكذلك شبه نفخة
البعث والاحياء وذلك لان الشمس اذا قربت من مشرقها فكانها نفخ روح النور في الاموات عالم
الظلمات وهكذا ايضا حال النفخة الثالثة لاسرافيل عليه السلام فانه يصل من نور تلك النفخة اثر
الحيوة الى جميع الحيوانات واعلم ان مشاهدة هذه الاحوال الثلثة في الشمس من اقوى الدلائل على
صحة هذه الاحوال الثلثة في يوم البعث وزمان القيمة وذلك لان الارواح اقوى واعظم
من الاجسام فاذا لم يبعد ان يكون في عالم الاجسام من مخلوقات الله تعالى جسم له هذه التاثيرات
الثلثة فاي بعد في ان يكون في عالم الارواح من مخلوقات الله تعالى ملك يكون له هذه التاثيرات
الثلثة وعند هذه الاعتبارات يظهر صدق افاضل الانبياء عليهم السلام فيما اخبروا عنه من معرفة
المبدا ومعرفة المعاد اما معرفة المبدا فهو ان عالم الاجسام مع ملكها وهو الشمس وعالم الارواح
مع ملكها وهو اسرافيل كلهم مسخرون تحت سرادقات العزة وعتبات الالهية واما معرفة المعاد
فهو قياس عالم الارواح على الاجسام فكما ان كواكب السموات مختلفة بالعظم والصغر والكمال
والضعف كان للشمس كالسلطان لها باسرها وهي مع حاشيتها كالمستولية على كل الكواكب والكل ... عبس
متهيدون تحت ضوئها محبوسون تحت شروق نورها كذلك ان يكون في عالم الارواح شي
يكون كالسلطان لجميع الارواح ويكون الكل تحت رايته منقهورون تحت جلالته واليه
الاشارة بقوله يوم يقوم الروح والملئكة صفا وهو المسمى يمين رب العزة في قوله والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ثم قد شهدت الفطرة السليمة ان الارواح
كالمبدا والاجسام كالمظهر وكل واحد من الاجسام كالمظهر وكل واحد من الارواح والاجسام
مفتقر بعضها الى بعض واحتياج بعضها الى البعض من اصدق الشواهد واظهر الدلائل
على افتقار الارواح والاجساد والانوار في الظلمات بسبب حاجتها الى الفرد الصمد الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
فثبت بما ذكرنا ان التامل في كيفية طلوع الشمس وغروبها مفتاح عظيم لانفتاح انوار
عالم القدس وتجلي ضوء سرادقات الجلال

الفصل التاسع في كيفية الاستدلال باختلاف احوال الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم سبحانه

اعلم ان الايات الدالة على هذا النوع من البحث نوعان احدهما الايات الدالة على تعظيم

احوال الليل والنهار والثاني الايات المشتملة على حكمة خالق الليل والنهار واما النوع
الاول فهي كثيرة في القران فاولها قوله تعالى في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال في اخر سورة ال عمران ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب والمقصود من هذا
الكلام من السورتين واحد وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا واعلم ان نظم هذه الايات
الثلثة اسرار عجيبة فالاول انه تعالى ابتدا في هذه الايات الثلثة بذكر السموات والارض ثم ذكر
عقيبها احوال الليل والنهار والسبب في هذا الترتيب ان تحقق السطح المقعر من الفلك الاعظم
ظهر المكان وتحرك السطح المحدث منه اظهر الزمان والمكان اقرب الينا من الزمان وقد عرفت
ان التعليم المفيد هو الذي يبتدا فيه من الاظهر فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى ولما كان
المقصود من هذه الايات الدلائل الدالة على جلال الله وقدسه لاجرم وقع الابتداء فيها بذكر خلق ... ذكره
السموات والارض فان ذلك مشعر بالمكان ثم وقع الانتقال منها الى ذكر الليل والنهار فانه
مشعر بالزمان ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام قل لمن ما في السموات والارض قل لله فهذا اشارة
الى ان الزمان والمكان وكل ما في المكان ملكه وملكه ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو
اشارة الى ان كل ما في الزمان ملكه وملكه فالمكان والمكانيات والزمان والزمانيات شاهدة
معترفة دالة على كونه سبحانه منزها عن علائق المكان ولواحق الزمان ومناسبات الحدوث
والامكان ومشابهات الافلاك والاركان ومن نظائره ايضا قوله تعالى في صفة السماء رفع
سمكها فسواها وهو اشارة الى المكان ثم قال واغطش ليلها واخرج ضحاها وهو اشارة الى المكان

النوع الثاني

من لطائف هذه الايات انه تعالى جعل هذه الدلائل في سورة البقرة
ايات لقوم يعقلون وجعلها في سورة ال عمران ايات لاولي الالباب وفي سورة الاعراف
انتقل من الغيبة الى الحضور فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والسبب في هذا
الترتيب على ما خطر بالبال والله اعلم باسرار كلامه ان درجات المحققين ثلاثة اولها الذين
يستدلون باحوال السموات والارض على وجود الصانع المختار واليه الاشارة في سورة
البقرة لايات لقوم يعقلون والثاني الذين صاروا مكاشفين بكيفية دلالة كل واحد
من اجزاء الارضين والسموات على الصانع وحكمته وعلمه وعدله وذلك لانا بينا ان لكل واحد
من اجزاء الارضين والسموات دلالات لا نهاية لها على كمال قدرة الله وحكمته
واذا صار الانسان مكاشفا باحوال تلك الدلالات حتى صار عقله محلوقا في بحار
تلك الدلائل فهذا الانسان تدرج من ظاهر عالم العقل الى معراج عالم الاسرار ولاولي الالباب
واليه الاشارة في سورة ال عمران بقوله لايات لاولي الالباب والثالث ان الانسان
في المقام الاول والثاني كان مشغولا بمطالعة الدلائل وبقدر اشتغال العقل بمطالعة الدلائل
يحصل الحرمان عن الاستغراق في نور جلال الله واذا كملت توجه الانسان في مقام الاستدلال

نودي من بطنان الصمدية وسرادقات الجلال والكبرياء اخلع نعليك فان كل دليل فهو مركب
من مقدمتين لا محالة لا ازيد ولا انقص وهاتان المقدمتان كالنعلين في قدم العقل بهما
يتمكن العقل من السفر الى الخالق ومن الممكن الى الواجب وصل الى بيداء الصمدية وبساط جلال
الالهية يؤمر بخلع هذين النعلين فاذا قال العبد لم اخلعهما قيل له لانك بالوادي المقدس طوى
فمن وصل الى الوحدة كيف يلتفت الى الكثرة ومن وجد المدلول كيف يكون مشغولا بالدليل وحينئذ
يترقى من مقام الغيبة الى الحضور والشهود فيصير مخاطبا من الحق الى الحق فيسمع من غير واسطة
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وسمعت بعض المحققين يقول ان
اولى ان يقول العبد ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده وفي وسط السير يقول ما رايت شيئا
الا ورايت الله معه وفي اخر الدرجة يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وذلك لانه في
المقام الاول يستدل بغير الله وفي المقام الاخير يستدل بعين الله على الله وهذه المراتب
الثلثة مطابقة لهذه الايات الثلثة واعلم ان دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم
من وجوه **الاول** كون الليل والنهار مختلفين كما في هذه الاية وقال في يونس ان
في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون وقال
في الحج ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع عليم وقال
في الفرقان وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال في الزمر يكور
الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال المفسرون هذا الاختلاف يحتمل وجهين الاول
انه افتعال من قولهم خلفه يخلفه اذا ذهب الاول وجاء الثاني فاختلاف الليل والنهار
عبارة عن تعاقبهما في المجي والذهاب ومنه يقال فلان يختلف الى فلان اذا كان يذهب اليه
ويجي من عنده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه وكل شي يجي بعد شي اخر فهو خلفه
وبهذا فسر قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة والثاني المراد واختلاف
الليل والنهار في الطول والقصر والزيادات والنقصان وعندي فيه وجه ثالث
وهو ان الليل والنهار كما يختلفان في الطول والقصر في الازمنة فكذا يختلفان في الامكنة فان الاصح
ان الارض كرة واذا كان كذلك فهذه الساعة التي نشير اليها هي هنا وقت الصبح وفي موضع
اخر وقت طلوع الشمس وفي موضع اخر وقت الظهر وفي موضع اخر وقت المغرب وفي موضع
اخر وقت نصف الليل وعلى هذا القياس جميع الاحوال المختلفة في الليل والنهار حاصل في هذه
الساعة الواحدة بحسب كل واحد بقاع الارض هذا اذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول اما اذا
كان في البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه الشمالي اكثر كانت ايامه الصيفية
اطول ولياليه الصيفية اقصر وايامه ولياليه الشتوية بالضد فهذه الاحوال المختلفة
في الايام والليالي بحسب اختلاف طول البلدان وعرضها وهذا ايضا هو المراد من تكرير
الليل والنهار **الوجه الثاني** من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع
الحكيم قوله تعالى في القصص وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه

الذي صح

ترجعون

ترجعون اما كلمة هو فسيجي تفسيرها في اسماء الله واما كلمة الله لا اله الا هو فقدم تفسيرها
ثم انه تعالى اكد ذلك بصفات ثلثة **الصفة الاولى** قوله له الحمد في الاولى والاخرة
وفيه ابحاث ثلثة احدها بيان حقيقة الحمد والفرق بينه وبين المدح والشكر والثاني
ان قوله له الحمد دال على ان غيره لا يستحق الحمد والثالث ان اهل الاخرة مشتغلون بالحمد
كما في هذه الاية وكما في قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي احلنا
دار المقامة من فضله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وتحقيق الكلام في هذه المباحث
سيجي ان شا الله تعالى في تفسير سورة الفاتحة **الصفة الثانية** قوله
له الحكم والمعنى لا في الدنيا ولا في الاخرة الا له الحكم فلان حكم احد سواه لا ينفذ على الغير الا بواسطة
حكمه فلولا امر الله وحكمه لما نفذ على العبد حكم سيده وعلى المراة حكم زوجها وعلى الولد حكم
الوالد وعلى الرعية حكم السلطان وعلى الامة حكم الرسول وقوله الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين
واذا تاملت كما ينبغي علمت ان الحق هو الحاكم في الحقيقة واما في الاخرة فلا شك انه تعالى له
الحكم والقضاء كما قال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله **الصفة الثالثة**
في قوله تعالى واليه ترجعون يعني يرجع كل احد الى حكمه وقضائه لا تصرف لاحد في ذلك اليوم
كما قال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله واعلم انه تعالى لما بين انه هو المستحق للحمد
اتبع هذا الكلام ببعض ما يستحق الحمد وهو اتحاد الليل والنهار فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون واعلم ان وجه
الاستدلال بهذا المعنى على الصانع الحكيم من وجوه **الاول** انه لا بد من النهار
ليحصل فيه الضوء فتنتشر الحركة عند الابصار ولا بد من الليل ليحصل الظلمة فيه فيحصل السكون
عند ذلك الانتشار اما انه لا بد من الحركة فلان الانسان محتاج الى تحصيل المطعوم والملبوس
واعداد المسكن وساير المصالح وكل ذلك مما لا يتهيا الا عند السعي والجد في التحصيل وذلك
لا يتيسر الا في ضوء النهار واما انه لا بد من السكون فلان الانسان اذا سعى وتحرك كثر التعب
فاحتاج الى النوم والراحة ليزول ذلك الاعيا والتعب **والوجه الثاني** في كيفية
الاستدلال ان تقدير ان يسكن الله الشمس في موضع معين في الفلك او وقف الفلك عن الحركة
فحينئذ يدوم النهار في ذلك الجانب من الارض وتعظم السخونة فيه ويدوم الليل في الجانب الاخر
من الارض وتعظم البرودة فيه وحينئذ يخرج كل واحد من جانب الارض عن صلاحية العمارة
وتسكين الحيوانات **الوجه الثالث** ان تقدير تعاقب الليل والنهار فلو كان
الليل اطول مما هو الان او كان النهار اطول مما هو الان لبطلت المنافع ايضا الا ترى ان تحت القطبين
يكون نصف السنة نهارا ونصفها ليلا الا ان هناك لا يصلح لتولد الحيوانات ولا لتولد النبات
فظهر ان المنافع لا تحصل الا بتعاقب الليل والنهار ومع التعاقب ان لا يكون الليل في غاية الطول
ومتى حصلت التعاقب بين الليل والنهار وكان لكل واحد منهما مدة معتدلة ومقدار معتدل

فيه صح

حصلت المنافع وصلحت الامكنه لسكنى الحيوانات الوجه الرابع ان كل واحد من الليل
والنهار يصير لمجي الاخر مغلوبا فلولا قهر قاهر وتدبير مدبر لامتنع ان يصير الغالب والمغلوب غالبا وهذا
تدل على ان لهما محدثا وموجدا وفيه ايضا دلالة على البعث لان الليل ياتي على النهار فيتلفه حتى لا يبقى من
اثر الليل شي ثم ايهما يبقيا على هذا التعاقب دايما فالمقدر المدبر سبحانه على اعادة الليل الذي ذهب
وبطل فدل ذلك على انه قادر على اعادة ما اماته وافناه وان لم يبق له اثر • الوجه
الخامس من قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل دليل على فساد قول الثنويه ان فاعل
الخير غير فاعل الشر لان الامر لو كان كما ذكروا لكان الاله الاتي بالنور غير الاله الاتي بالظلمة فاذا غلب الاله
النور الاله الظلمة فالغالب لا يصير مغلوبا فوجب ان لا يزول النهار ولا يحصل الليل فلما لم يكن كذلك
علمنا ان الليل والنهار والظلمة والنور بتقدير مقدر واحد وتدبير مدبر واحد وهو الله رب
العالمين بقي في الاية سوالات السوال الاول ما معنى السرمد في اللغة الجواب السرمد
هو الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد • الثاني
هلا قال بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه الجواب ان منافع الليل هو السكون
والنوم والراحة واما منافع النهار فكثيرة يطول تعدادها السوال الثالث لم قال
في الليل افلا تسمعون وفي النهار افلا تبصرون فالجواب لان الليل عبارة عن الظلمة وهي عدم
مرتبة الاجرام قال في مقابلها افلا تسمعون والنهار عبارة عن الضوء وهو مرئي فلهذا قال افلا تبصرون
قال الكلبي قوله افلا تسمعون معناه افلا تطيقون من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون معناه
معناه ما انتم عليه من الخطا والضلال • النوع الثالث من وجوه دلالة النهار
والليل على الصانع المختار الحكيم قوله تعالى في اخر هذه الاية ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون واعلم ان تقرير هذا الوجه
ان الليل والنهار ضدان والضدان يكون كل واحد منهما مبطلا لذات الاخر والمنفعة اما الليل
والنهار فانه لا يحصل الانتفاع باحدهما الا عند حصول الاخر فغلب طبيعة الضدين من المعاندة
الى المعاونة مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وانما قلنا انه لا يحصل المنفعة الا بتعاقبهما
وذلك انه لو دامت الظلمة دام النوم وتعذرت الحركات فهلك الحيوانات ولو دام الضوء دامت
السخونة ولم يحصل النوم وتستولي الاعياء والتعب على الحيوانات فيموتون الكل فظهر
ان الانتفاع باحدهما لا يمكن الا عند حصول تعاقبهما ومن المعلوم ان قلب طبيعة الضدين من
المعاندة الي المعاونة لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم انه تعالى بين في هذه الاية انه زاوج بين الليل
والنهار لاغراض لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار ولتشتغلوا بالشكر عن هاتين
المنفعتين النوع الرابع من وجوه دلالة الليل والنهار على الصانع الحكيم قوله تعالى في
سورة الفرقان وهو الذي جعل الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وقال في سورة
عم وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا واما قوله وجعلنا
نومكم سباتا فقد طعن فيه بعض الملحدين فقال السبات هو النوم فيصير التقدير وجعلنا نومكم

نوما

نوما والجواب عنه ان السبت في اصل اللغة هو القطع سبت الرجل راسه يسبته سبتا
اذا حلق شعره وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا يعني قطعا ولهذا تحتمل الاية وجوها الاول
ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما منقطعا لا دايما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع الاشيا
اما دوامه فمن اضر الاشيا فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله تعالى في معرض الانعام
الثاني ان الانسان اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه التعب فسميت تلك الازالة سبتا
وقطعا وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي راحة وليس غرضه منه ان اسم
السبات اسم للراحة المقصود ان النوم يقطع التعب ويزيله وحينيذ تحصل الراحة
الوجه الثالث قال المبرد وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه نوما خفيفا عليكم دفعه
وقطعه تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يدافعه كانه قيل وجعلنا
نومكم نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض الشديدة
اما قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فقال القفال اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان
ويتغطي به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته ويغطيهم جعل لباسا لهم
والمراد كون الليل ساترا واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون
اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اخفا ما لا يحب الانسان الاطلاع عليه قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد • تخبر ان المانوية تكذب •

وكما ان الانسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته ويندفع عنه اذى التعب الجسماني واذى
الافكار الموحشة النفسانية ولهذا السبب فان المريض اذا نام وجد الخفة العظيمة اما قوله
وجعلنا النهار معاشا فاعلم ان المعاش وجهان احدهما انه مصدر يقال له عاش يعيش عيشا
ومعاشا ومعيشة وعلى هذا التقدير لا بد فيه من اضمار والمعنى جعلنا النهار وقت معاش
والثاني ان يكون معاشا مفعلا وظرفا للتعيش وعلى هذه لا حاجة الى الاضمار ومعنى
كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل
النوع الخامس من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم قوله تعالى في يس
واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز
العليم اعلم ان في قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار وفي قوله تجري لمستقر لها عدة اقوال
اصحها انها تجري وتتحرك لانتهاء امرها عند انقضا الدنيا اي لا تزال تجري حتى تنتهي الى الوقت
تقف وتستقر وتترك الحركة ولنذكر هاهنا ان النهار افضل ام الليل وفي ترجيح كل واحد من الطرفين
وجوه اما الذين فضلوا النور على الظلمة فقد تمسكوا بوجوه الاول والثاني الوجوه المتروكة

الفصل العاشر من مباحث متفرقة في هذا الباب النوع الاول

في المباحث المتفرقة على كون القمر هلالا اعلم انه تعالى فرع على كون القمر هلالا احكاما
تتعلق بعلم الاصول والتوحيد واحكاما تتعلق بعلم الفروع والتكليف اما ما يتعلق بعلم الاصول
فهو قوله تعالى في يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ونظيره قوله تعالى في سورة اذا السماء
انشقت فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فقوله اذا اتسق فاعلم ان اصل الاتساق
الاجتماع يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان
متسقة اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال ابن عباس اذا اتسق اي اذا استوى واجتمع
وتكامل وتم واستدار وذلك ليلة ثلاث عشرة واما ما يتعلق بعلم الفروع فهو قوله في سورة
البقرة ويسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فنتكلم في شرح هذين الاصلين اما
الاية الاولى فاعلم انه تعالى جعل الزمان مقدارا من اربعة اوجه السنة والشهر واليوم والساعة
اما السنة فهي عبارة عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك بحركتها
الحاصلة على خلاف الحركة اليومية الى ان تعود الى تلك النقطة بعينها والقوم اصطلحوا على جعل
تلك النقطة هي نقطة الاعتدال الربيعي وهي اول الحمل واما الشهر فهي عبارة عن حركة القمر
عن نقطة معينة من الفلك الخاص به الى ان يعود الى تلك النقطة ولما كان الشهر احوال القمر
وضعه مع الشمس وشهرا وصاعه من الشمس هو الهلال العربي مع ان القمر في هذا الوقت
يشبه الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم لا جرم هذا الوقت مبدا للشهر واما اليوم بليلته
فهو عبارة عن مفارقة نقطة من دائرة معدل النهار نقطة من دائرة الافق وتنقطه من دائرة
نصف النهار وعودها اليها فالزمان المقدر بهذا المقدار عبارة عن اليوم والليلة ثم ان المنجمين
اصطلحوا على تعيين دائرة نصف النهار مبدا اليوم بليلته واما اكثر الامم فانهم جعلوا مبادي
الايام بلياليها من مفارقة الشمس فوق المشرق وعودها اليه من الغداة والحجة من رضي منهم
بان الشمس عند طلوعها كالموجود بعد العدم فجعله اولا اولى وعلى هذا القول فزمان الليل
عبارة عن مدة كون الشمس تحت الارض وزمان النهار عبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض
وفي شريعة الاسلام تستحيل النهار من اجل طلوع الفجر في وجوب الصلوة والصوم وغيرها من
الاحكام وعند المنجمين مدة الصوم في الشرع هي زمان النهار كله مع زيادة زمان من الليل معلومة
المقدار محدودة المبادي واما الساعة فهي على قسمين مستوية ومعوجة فالمستوية جزء من اربعة وعشرين
جزءا من يوم وليلة فهذا هو الكلام المختصر في تعريف السنة والشهر واليوم والساعة واذا عرفت هذا
فنقول اما السنة فهي عبارة عن دورة الشمس ويحدث بسببها الفصول الاربعة وذلك لان الشمس
اذا حصلت في الحمل فاذا تحركت من هذا الموضع الى جانب الشمال اخذ الهوا في جانب الشمال شيئا من
السخونة لقربها من مسامتة الرؤوس لتوالي الاشعاع الى ان يصل الى اول السرطان وحينئذ يشتد الحر
ما دامت في السرطان والاسد لقربها من سمت ثم ينكسر قليلا الى ان تصل الى الميزان وحينئذ يطيب
الهوا ويعتدل ثم ياخذ الحر في النقصان والبرد في الزيادة ولا يزال البرد يزداد الى ان تصل الشمس الى اول الجدي

جعلوا

وحينئذ

وحينئذ يشتد البرد وما دامت في الجدي والدلو فالبرد يكون في غاية الشدة الى ان تنتهي الى اول
الحمل فحينئذ يطيب الهوا ويعتدل وعادت الشمس الى مبدا حركاتها وتمت السنة وحصلت الفصول
الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتا ومنافع الفصول الاربعة مشهورة في الكتب واما
الشهر فهو عبارة عن دورة القمر في الفلك الخاص به وزعموا ان نوره مستفاد من الشمس ولا يكون
احد نصفيه مضيئا بالتمام الا انه عند الاجتماع يكون نصفه الى المضيء هو النصف الفوقاني فلا جرم
نحن لا نرى في تلك الحالة من نوره شيئا وعند الاستقبال يكون صفه المضيء مواجها لنا فلا جرم نراه
مستنيرا بالتمام وكلما كان القمر اقرب الى الشمس كان المرئي من نصفه المضيء اقل وكلما كان
ابعد كان المرئي من نصفه المضيء منه اكثر ثم انه من وقت الاجتماع الى وقت الاستقبال يكون كل ليلة
ابعد من الشمس لا جرم نرى كل ليلة ضوءه اكثر ومن وقت الاستقبال الى وقت الطلوع الاجتماع يكون
كل ليلة اقرب الى الشمس فلا جرم نرى كل ليلة ضوءه اقل ولا يزال يقل حتى عاد كالعرجون القديم فهذا
ما قال اصحاب النجوم واما الاصوليون فانهم يقولون القمر جسم والاجسام متماثلة في الجسمية
والاشيا المتساوية في تمام الماهية يمتنع اختلافها في اللوازم واذن حصول الضوء في جرم الشمس
والشمس امر جائز الوجود لا يمتنع عدمه وما كان كذلك امتنع رجحان وجوده على عدمه الا بترجيح
الفاعل المختار فان ذلك الفاعل يكون قادرا على ايجاده وعلى اعدامه وعلى هذا التقدير فلا حاجة
الى اسناد هذه الاختلافات الحاصلة في نور القمر الى قربها وبعدها من الشمس بل الحق ان حصول
النور في جرم الشمس انما كان بسبب ايجاد القادر المختار واذا كان كذلك كان لا محالة قادرا
على ازالة النور عن جرمه فحينئذ يكون صيرورة الشمس مظلمة في ذواتها امرا جائزا وحينئذ
ينفتح باب عظيم في الدين وهو الايمان بصحة كل ما جاء في صفات الافلاك والكواكب يوم القيمة
نحو قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء كشطت واذا غربت
هذا ظهر دلالة اختلاف حال القمر في الضوء والنور على الفاعل المختار سبحانه وتعالى بقي في الاية سؤالان

السؤال الاول ما معنى قوله والقمر قدرناه منازل والجواب معناه والقمر قدرناه
مسيره منازل او قدرناه منازل على حذف الجار او ذا منازل على حذف المضاف • السؤال
الثاني ما العرجون الجواب العرجون اصل العرق قال الزجاج هو مفعول من الانعراج
وهو الانعطاف واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه الهلال به في دقته وانحنائه وتقويسه فهذا ما
يتعلق بعلم الاصول من مباحث الهلال اما ما يتعلق بعلم الفروع فهو ان لقائل ان يقول خالق
العالم ومدبره لم خصص جرم القمر بهذا الاختلاف فتقول العلماء المسلمين في هذا المقام جوابان
احدهما ان يقال ان افعاله تعالى لا يمكن تعليلها بالغرض والمصلحة ويدل عليه وجوه
الاول

ان من فعل فعلا لغرض فان قدر على تحصيل

ذلك الغرض دون تلك الواسطة كان فعل تلك الواسطة عبثا وان لم يقدر فهو عاجز والثاني
ان كل من فعل فعلا لغرض فان كان وجود ذلك الغرض اولى لذلك الفاعل من لا وجوده كان ذلك

الفاعل ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره وذلك في حق الله محال وان لم يكن اولى لم يكن عرضاً والثالث
انه لو كان فعله فعلاً لغرض فذلك الغرض ان كان محدثاً افتقر حدوثه الى غرض آخر وان كان
قديماً لزم من قدمه قدم الفعل وهو محال فلاجرم قالوا كل شي صنعه فلا علة لصنعه ولا يجوز تعليل
افعال الله واحكامه البتة ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون والجواب الثاني قول من
يقول لابد من افعال الله واحكامه من رعاية المصالح والحكمة والقايلون بهذا القول سلموا ان
عقول البشرية قاصرة في اكثر الامر عن الوقوف على اسرار حكمة الله تعالى في ملكه وملكوته الا ان الله تعالى
اخبر عن الحكمة في اختلاف ضوء القمر في ابيات منها قوله تعالى في سورة البقرة ويسألونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج ومنها قوله في يونس وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق ومنها قوله في بني اسرائيل وجعلنا الليل
والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب وكل شي فصلناه تفصيلاً وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل لتعلموا حتى عاد
كالعرجون القديم وشرح هذا المعنى ان يقول ان تقدير الزمان بالشهور فيه منافع بعضها
يتصل بالدين وبعضها يتصل بالدنيا اما ما يتصل منها بالدين فكثيرة منها الصوم قال تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القرآن ومنها الحج قال تعالى الحج اشهر معلومات ومنها عدة المتوفى عنها
زوجها قال تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً ومنها مدة الحمل والرضاع قال تعالى
وحمله وفصاله ثلثون شهراً ومنها النذور التي تتعلق بالاوقات لفضائل الصوم في اوقات
لا سبيل الى معرفتها الا بالاهلة واما ما يتصل بالدنيا فهو كالمداينات والاجارات ومدة
الحمل والرضاع وغير ذلك مما لا يسهل ضبط اوقاتها الا عند وقوع الاختلاف في ضوء القمر وتحقيق
الكلام فيه ان المصنف الذي يراعي الترتيب يقسم كتابه الى انواع ثم كل نوع منها الى ابواب
ثم كل باب منه الى فصول حتى يكون الاطلاع على مضمون ذلك الكتاب اسهل وايسر وجملة
هذا العالم تصنيف الله تعالى وهو سبحانه وتعالى راعى التسهيل على المكلفين فقسم مدة الزمان
الى الشمس ثم قسم كل سنة اثنى عشر شهراً في كتاب الله ثم قسم كل شهر الى ايام ثم كل يوم الى
الساعات ثم قسم كل ساعة الى الانفاس ثم قسم كل نفس الى اللمحات كما قال تعالى انا آتيك به قبل ان
يرتد اليك طرفك ثم قسم كل لمحة الى الاجزاء التي لا تتجزى والآنات التي لا تنقسم ولما ظهر ان
الاختلاف القمر معونة عظيمة في تعيين الاوقات فتجديدها للوجوه التي ذكرناها لاجرم نبه
على هذه النعمة بقوله قل هي مواقيت للناس والحج لان تعديد جميع تلك المنافع يفضي الى الاطناب
والاقتصار على البعض دون البعض اهمال للبعض فلم يبق طريق الى التنبيه على الكل بطريق
الاختصار ومن منافع اختلاف ضوء القمر انه لو لم يحصل هذا الاختلاف لتأكد شبهة الفلاسفة في
قولهم ان الاجرام الفلكية لا يمكن تطرق التغير الى احوالها فهو سبحانه بحكمته القاهرة ابقى الشمس
على حالة واحدة واظهر الاختلاف في احوال القمر من وجهين احدهما المحو الذي في وجهه
فان بعض اجزائه مخالف لبعض في كيفية النور والثاني ان مقدار ضوءه يختلف في كل يوم

ثم جعل

ثم جعل هذين النوعين من الاختلاف دليلاً على كون الاجرام قابلة للاختلاف والتغير حتى يدل
ذلك على افتقار الشمس والقمر والنجوم والافلاك والعناصر الى مقدر قادر حكيم سبحانه وتعالى
النوع الثاني في المباحث المتعلقة بالبروج قال تعالى في سورة الحجر ولقد جعلنا
في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجاً
وقال تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود واعلم انه تعالى لما ذكر
البروج ذكر المنازل ايضاً فقال في سورة يونس وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل لتعلموا والكلام في المباحث المتعلقة بالبروج والمنازل
طويل الا انا نذكر هاهنا من ذلك طرفاً قليلاً فنقول اما البروج ففيها مباحث الاول
وهو انا بينا ان مصالح هذا العالم لا تنتظم الا بالفصول الاربعة المتعاقبة فالحق تعالى قسم الفلك
باربعة اقسام الربع الاول الذي كانت الشمس فيه كان الزمان ربيعاً والربع
الثاني متى حصل الشمس فيه كان الزمان صيفاً والربع الثالث متى حصل الشمس فيه كان
الزمان خريفاً والربع الرابع الذي متى حصل الشمس فيه كان الزمان شتاء فقسم الفلك
الى هذه الارباع الاربعة ليحدث الفصول الاربعة في الارض ثم انه تعالى قسم كل فصل الى ثلثة اقسام
ابتداء ووسط وانتهاء والحكمة فيه ان الانتقال من احد الضدين الى الضد الآخر يوجب الامراض
والانتقال الشديد فلما كان الشتاء بارداً جداً جعل اول الخريف ضعيفاً في الحرارة حتى ينتقل الانسان
من البرد الشديد الى الحر الضعيف ولا تصير الطبيعة مقهورة ثم ان ذلك الحر لا يزال يتزايد
ويقوى حتى يبلغ الى كمال الحر اللايق بالربيع فحينئذ يقع الانتقال الى الحر الذي هو في الصيف
فلا تصير طبايع الامزجة والابدان مقهورة فاول الربيع ضعيف بالحر لانه يجاور الشتاء وآخر
الربيع قوي الحر لانه يجاور الصيف وبهذا التدبير يحصل من هذا الى ضد فلا تحصل الامراض
والالام بسبب ذلك فلهذا اقتضت الحكمة الالهية ان يقسم كل ربع من ارباع الفلك بثلثة اقسام
احدها يكون مبتدأ لذلك الفصل والثاني وسطاً له والثالث يكون كمالاً له فصار لاجل
هذا الترتيب الفلك مقسوماً الى اثنا عشر برجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً فلاجرم صير السنة
اثنا عشر شهراً كما قال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات
والارض الوجه الثاني في عجائب البروج اعلم ان العوالم ثلاثة العالم
الاصغر وهو بدن الانسان والعالم الاوسط وهو العالم السفلي المؤلف من العناصر الاربعة
والعالم العلوي وهو عالم السموات والكواكب واما العالم الاوسط فخلق فيه اجرام اربعة
الارض والماء والهوى والنار واثقل الاجسام هو الارض فلاجرم الارض تحت جميع الطبايع الاربعة
والنار اقل ثقلاً منه فجعل الماء محيطاً بالارض ثم الهوى خفيف فجعل الهوا بالماء ثم النار اخف
الاجسام العنصرية فجعل النار محيطة بجميع العناصر الاربعة فهذا هو الترتيب المحكم والموضع المتقن
ثم انه تعالى قلب هذا الترتيب في تخليق العالم الاصغر فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل
والدليل ان يافوخ الانسان فوق جميع اعضائه وهو عظم والعظم بارد يابس فطبعه طبع الارض

فجعل الارض فوق جميع الاعضاء ثم جعل الهوا تحت الارض فان النفس هواء ومنفذ النفس هو
الانف وهو تحت اليافوخ ثم جعل الما تحت الهوى لان معدن الماء هو الفم والفم تحت الانف
ثم جعل النار تحت الما لان معدن النار الحرارة الغريزية وهو القلب والقلب تحت الاعضاء
ففي العالم الاوسط جعل الارض تحت الكل والنار فوق الكل وفي العالم الاصغر قلب هذا الترتيب
فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل ليظهر للعقلا ان السبب في حصول الترتيب
تخليق القادر المختار وتكوينه لا تاثير الطبيعة والخاصية واما في العالم الاكبر فقد رتب هذه
الطبايع على خلاف ما وقع ترتيبها في العالم الاصغر وفي العالم الاوسط وذلك لان الحمل برج
ناري ثم يجاوره الثور وهو ارضي ثم يجاوره الجوزا وهو هوائي ثم يجاوره السرطان وهو
مائي فوقع الابتدا بالناري والانتها بالمائي واعلم ان الحكمة في وقوع هذه الطبايع الاربعة
في كل واحد من هذه العوالم الثلثة على ترتيب اخر مخالف لترتيب غيره لتكون ذلك
شاهد بان الطبايع معزولة والخواص باطلة ولا تاثير الا القديم الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد **الوجه الثالث** ان ترتيب العناصر الاربعة
في العالم الاسفل وقع بحيث يكون كل متجاورين منهما وهما يتشاركان في كيفية ويتباينان
بالاخرى مثل الارض والماء يشتركان في البرد ويختلفان في الرطوبة واليبوسة والماء والهواء يشتركان
في الرطوبة ويختلفان في الحرارة والبرودة والهواء والنار يشتركان في الحرارة ويختلفان
في الرطوبة واليبوسة والماء والنار فهما لا يتجاوران لانهما ضدان من كل الوجوه ثم ان هذه الدقيقة
صارت متروكة في ترتيب الطبايع في العالم الاكبر وذلك لان هناك تجاورت البروج
المتضادة الا ترى ان الحوت والحمل متضادان لان الحوت بارد رطب والحمل حار يابس وهما
يتجاوران وكذلك الثور والجوزا متضادان لان الثور بارد يابس والجوزا حار رطب
وهما متجاوران وكذلك السرطان والاسد وكذا السنبلة والميزان وكذا العقرب والقوس
وكذا الجدي والدلو كل واحد من هذين البرجين متضادان بكلي الكيفيتين وهما متجاوران
وهذا من ادل الدلايل على ان تجاور هذه البروج ليس لاجل مشاكلة طبايعها ومجانسة
ذواتها بل ذلك لايجاد القادر المختار والصانع الحكيم جل جلاله وتقدست اسماؤه
الوجه الرابع ان الشمس في غاية السخونة ومنهم من قال ان الحمل برج حار يابس ناري
والسرطان بارد رطب مائي فلو كانت هذه التاثيرات حاصلة بسبب الطبيعة لكانت
اذا حصلت الشمس في الحمل حصل كوكب حار جدا في برج حار جدا فوجب ان تقوى
السخونة جدا ووجب ان ينكسر حره ويضعف لكن الامر ليس كذلك فانه حين يحصل الشمس
في الحمل يكون الحر ضعيفا وحين يحصل في السرطان يكون الحر قويا فعلمنا ان الحر ليس لتاثير
الانجم والبروج بل بتقدير المقدر وتدبير الصانع الحكيم فان قيل اذا حصل الشمس في السرطان
فههنا وان حصلت في البرج البارد الرطب الا انها على سمت الراس فلا جرم قوي الحر بهذا
السبب قلنا هذا باطل بكونها في الاسد لان الشمس كونها حال في الاسد تباعدت عن سمت

الراس مع ان الحر عند كون الشمس في الاسد اشد واقوى وهذه الاعتبارات دالة على ان تغير
احوال العالم بسبب تقدير الصانع المختار لا بسبب احوال الانجم والافلاك **الوجه
الخامس** ان القوم لما سلموا ان البروج مختلفة في الطبايع والماهيات فان واحدا منها يقتضي
السخونة واليبوسة والاخر يقتضي البرودة والرطوبة فلولا اختلافها في الماهية والا لما اختلفت
اثارها واذا كانت هذه البروج مختلفة الطبايع والماهيات كان الفلك مركبا من اجسام
مختلفة الطبايع والحقيقة كما ان الانسان مركب من اعضاء مختلفة واجزاء غير متشابهة
في الحقيقة والماهية وكل مركب فانه ينتهي لا محالة الى الانحلال والاختلال ومباينة كل
واحد من تلك الاجزاء المتنافرة المتضادة من صاحبه وهذا يقتضي ان السموات تنشق وتخرب
ولا يبقى تركيبها وهو مطابق القران العظيم ولنكتف بهذا القدر من الكلام في البروج والمنازل
وبالله التوفيق **النوع الثالث** في المباحث المتعلقة بالشفق قال الله تعالى
فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق اعلم ان تركيب
لفظ الشفق اصله في اللغة رقة الشي ومنه يقال شي شفق اذا كان رديا وذلك لضعفه ورقته
وجوده واشفق عليه اذا رق قلبه عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق العلما على انه اسم للاثر
الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا فذهب عامة العلما الى انه هو الحمرة وهو قول
ابن عباس والكلبي ومقاتل ومن اهل اللغة قول الليث والفرا والزجاج وهو راي حنيفة
في احد الروايتين انه البياض وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه واحتج الاولون على قولهم
بوجوه **الحجة الاولى** قال الفرا سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه
الشفق وكان ذلك الثوب احمر فدل ذلك على ان الشفق هو الحمرة **الحجة الثانية**
ان الايمة مجمعة على ان الشفق هو وقت العشا الاخير فوجب ان يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض
لان البياض لما رقته ويطول لبثه والحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس عن الافق ذهبت
الحمرة **الحجة الثالثة** ان اشتقاق الشفق لما كان من الرقة ولا شك
ان الضوء ياخذ في الرقة والضعف عند غيبوبة الشمس فتكون الحمرة شفقا اما من قال انه البياض
فقد احتجوا عليه بوجوه **الحجة الاولى** انا بينا ان اشتقاق هذا اللفظ يدل على
الضعف والبياض الباقي اثر ضعيف بقي من الشمس فوجب ان يكون مسمى باسم الشفق
الحجة الثانية ان صلوة الصبح وصلاة العشا صلاتان واقعتان على الطرفين فلما
كان صلاة الصبح بطلوع البياض وجب ان تكون صلاة العشا بغروب البياض اما قوله
والليل وما وسق فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي
يكال ويوزن ثم صار اسما للحمل واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت قال القفال لمجموع اقاويل
المفسرين على انهم فسروا قوله تعالى وما وسق على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع
الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام ثم هذا يحتمل ان يكون اشارة الى الاشيا
كلها لاشتماله عليها فانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون

وقال سعيد بن جبير المراد من قوله وما وسق الاعمال التي عملت في الليل قال القفال يحتمل
ان يكون ذلك تهجد العباد لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فجاز ان يحلف
بهم وانما قلنا ان الليل جمع هذه الاشيا كلها لان ظلمته كانها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات
فلا جرم صح ان يقال وسق الليل جميع هذه الاشيا اما قوله والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتكامل
واستدار وذلك ليلة الرابع عشر ثم قال لتركبن طبقا عن طبق فيه مسائل **المسئلة الاولى**
قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بضم البا على خطاب الجنس
لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس ولتركبن بكسر البا على خطاب النفس
وليركبن بالياء على ليركبن الانسان • **المسئلة الثانية** الطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق
لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم يقال للحال المطابقة
لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها
ولنذكر وجوه المفسرين فنقول اما القراءة برفع البا فهي خطاب الجمع فيحتمل وجوها **الاول**
ان يكون المعنى لتركبن ايها الناس امورا واحوالا امرا بعد امر وحالا بعد حال ومنزلا بعد
منزل الى ان يستقر الامر على ما يقضي به الانسان اما من جنة او نار فحينئذ يستقر الدوام
والخلود اما في الثواب او في العقاب ويدخل في هذه الجملة احوال الانسان من حين يكون
نطفة الى ان يصير شيخا ثم يموت فيكون في البرزخ ثم يحشر ثم ينتقل اما الى الجنة واما الى
النار • **والثاني** ان معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيمة احوالا واهوالا بعد شدة
كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كائن وان الناس يلقون فيه الشدائد والاهوال الى ان يفرغ
الله من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار وهو كقوله بلى وربي لتبعثن
ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله يوم يكشف عن ساق وقوله يوما يجعل الولدان شيبا **والثالث**
ان يكون المعنى ان الناس تنتقل احوالهم فمن منعم يشقى ومن شقي ينعم وهو كقوله خافضة رافعة
وهذا التاويل مناسب لما قبل هذه الاية لانه تعالى لما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء ظهره
انه كان في اهله مسرورا وكان يظن ان لن يحور بلى اخبر الله تعالى انه يحور ثم اقسم ان الناس
يركبون يوم القيمة طبقا عن طبق اي حالا بعد حال في الدنيا **والرابع** ان يكون المعنى لتركبن
سنة الاولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيمة واما القراءة بنصب البا من قوله
لتركبن ففيه اقوال الاول ان يكون ذلك بشارة للنبي عليه السلام بالظفر والغلبة على المشركين
المكذبين بالبعث كانه قال اقسم يا محمد لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بجميل العاقبة
فلا تحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وتشرع على هذا القول احتمالات احدها
ان يكون المعنى انه ركب حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشك والاحتمال الثاني ان يكون
المعنى ان الله تعالى يبدله بالمشركين انصارا مسلمين ويكون مجاز ذلك من قولهم طبقات
الناس والقول الثاني ان يكون ذلك بشارة لمحمد عليه السلام بصعوده الى السموات
يشاهد ملكوتها ويشاهد جلال الملائكة والمعنى لتركبن يا محمد الى السموات طبقا عن طبق وهي

سبع

سبع سموات طباقا وقد فعل الله ذلك ليلة الاسرا وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن مسعود
والقول الرابع في هذه القراءة ان هذه الاية واردة في شرح احوال السموات والمعنى لتركبن
يوم القيمة حالا بعد حالة وذلك لانها اولا تنشق كما قال تعالى اذا السماء انشقت ثم تنفطر كما قال
اذا السماء انفطرت ثم تصير وردة كالدهان وكالمهل على ما ذكر الله تعالى هذه الاشيا في ايات
من القران فكانه تعالى لما ذكر في اول السورة انها تنشق اقسم في اخر السورة انها تنتقل من احوال
الى احوال وهذا مروي عن ابن مسعود **النوع الرابع** في المباحث المتعلقة بالاظلال
قال تعالى في سورة الرعد ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو
والاصال وقال في النحل اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل
سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال في الفرقان الم تر الى
ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا ولنشرع في تفسير هذه الاية المذكورة في سورة الفرقان فنقول انه تعالى استدل
بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال على وجود الصانع الحكيم اما قوله
الم تر ففيه وجهان احدهما انه من رؤية العين والثاني انه من رؤية القلب وهو
العلم فان حملناه على رؤية العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان حملناه على
العلم وهو اختيار الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى وذلك لان الظل اذا جعلناه من المبصرات
فتاثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق لكنه معلوم من حيث ان كل متغير ممكن
وكل ممكن فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب اولى من هذا الوجه • **المسئلة
الثانية** المخاطب بهذا الخطاب وان كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر
اللفظ الا ان الخطاب عام في المعنى لان المقصود بالاية بيان انعام الله تعالى بخلق الظل
وجميع المكلفين مشتركون في انه يجب كونهم مستنبهين لهذه النعمة واستدلالهم بها على وجود
الصانع الحكيم سبحانه والكلام الخاص يرجع الى وجهين الاول ان الظل هو الامر المتوسط
بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس وكذا
الكيفيات الحاصلة يكرهها داخل السقف وافنية الجدران وهذه الحالة اطيب الاحوال لان
الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها المزاج واما الضوء الخالص وهو كيفية القابضة
من الشمس فهي لقوتها تبهر حس البصر وتسد السخونة القوية وهي مؤذية فاذن اطيب الاحوال
هو الظل ولذلك وصف الجنة به فقال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى بين ان
هذا الظل من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان الناظر الى الجسم الملون وقت الظل كانه لا يشاهد
شيئا سوى الجسم وسوى اللون ولا نعرف ان الظل امر ثالث به يكمل الانتفاع بمحسوسات هذا العالم
فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على اجسام هذا العالم زال ذلك الظل فلولا وقوع ضوء الشمس
على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا وحقيقة لان الاشيا انما تعرف باضدادها ولولا الظلمة

لما عرف النور وكانه تعالى لما اطلع الشمس على الارض زال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل
كيفية زيادة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا
الاظلال بما فيها من المنافع والخيرات ثم هدينا العقول الى معرفة وجودها بان اطلعنا
الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود كيفية الظل الذي هو منشا المنافع الكثيرة ثم قبضناه اي
ازلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال
في جانب المغرب ولما كانت الحركات الكاينات لا يوجد دفعة بل يسيرا يسيرا فكذا زوال
الاظلال لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا وايضا نقبض الاظلال لو حصل دفعة لاختلت
المصالح ولكن قبضها يسيرا يسيرا يفيد رعاية مصالح العالم والمراد بالقبض الازالة والاعدام
هذا احد التاويلين التاويل الثاني انه تعالى لما خلق الارض والسماء وما خلق الشمس
والكواكب والقمر وقع ظل السما على الارض فحصلت ظلمة شديدة متكاثفة في الارض ثم انه
تعالى خلق الشمس دليلا عليه وذلك لان بحسب حركات الاضواء تحرك الاظلال
فانهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد احدهما ينقص الاخر كما ان المهتدي
يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك الاظلال كانها متبدية وملازمة للاضواء فهذا
هو المراد من جعل الشمس دليلا عليها واما قوله قبضناه الينا قبضا يسيرا فاما ان يكون
المراد انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصاناتها فسمي ازالة الاظلال قبضا لها او يكون
المراد او يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي
الاجرام التي تلقي الاظلال وقوله يسيرا كقوله ذلك حشر علينا يسير فهذا التاويل المخلص
اذا عرفت هذا فنقول الاستدلال به على وجود الصانع المحسن الرحيم ظاهر وذلك لان
حصول الظل امر نافع للاحياء والعقلا واما حصول الضوء الخالص والظلمة الخالصة فهو
موجب للمضار لا للمنافع وذلك لان تركيب الانسان مدكس ضعيف والحواس الانسانية
لا تطيق ادراك الكيفيات القوية واعتبر ان النظر الى الضوء القوي يعمي البصر وسماع الاصوات
القوية يورث الصمم وملامسة الحر القوي والبرد القوي يورث الموت بل لا بد من الاعتدال
في المدركات والمحسوسات والظل كيفية معتدلة لانها كيفية متولدة من امتزاج النور
والنور والظلمة فثبت ان كيفية الظل من المنافع العظيمة اذا ثبت هذا فنقول هذه الكيفية
اما ان تكون من الواجبات او من الجايزات والاول باطل والا لما انقطرت التغيرات اليه
فاذن هو من الجايزات فلا بد لوجوده بعد العدم ولعدمه بعد الوجود من صانع قادر
رحيم محسن يقدر هذه الاظلال في قوتها وضعفها بالمقدار النافع وتقدير بقائها
وانتقالاتها بالمقادير النافعة وما ذاك الا انه سبحانه خصص الشمس والقمر والنجوم
كل واحد منها بمقدار خاص من الضوء ومقدار خاص من نوع الاضاءة ومقدار خاص من الحركة
في الجهة والبطو والسرعة وما ذاك الا من المحسن الرحيم الحكيم فهذا هو الكلام في الاستدلال
بوجود هذه الاظلال على الصانع الحكيم واعلم ان للاظلال انواعا من الخواص العجيبة

الخاصيه الاولى ان الاظلال في نفسها متحركة الا ان الحس البتة لا يشاهد حركتها اما ان العقل
قاطع بكونها متحركة فلانه لولا حصل هذا الانتقال واما ان الحواس لا يشاهد حركاتها فالامر
فيه ظاهر

النوع الخامس

من المباحث المتعلقة بالنجوم واعلم انه تعالى ذكر
في القران انواعا من منافعها الاول كونها زينة السماء والثاني كونها رجوما للشياطين
والله سبحانه وتعالى ذكرهما بين المنفعتين معا في ايتين احدهما قوله تعالى في الصافات
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى
ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه
شهاب ثاقب وثانيها في الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وذكر تعالى في سورة الجن هذه المنفعة الثانية
وهي كون هذه الكواكب رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير فقال حكاية عن الجن
وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فلنتكلم في شرح هاتين الكلمتين
المنفعتين اما المنفعة الاولى وهي كون النجوم زينة لسماء الدنيا ومصابيح فيها فاعلم ان هذا
مشتمل على بحثين احدهما كونه زينة ومصابيح والثاني انها في السما الدنيا اما مصابيح
والثاني انها في السماء الدنيا اما انها زينة للسماء فلا شك فيه واما انه تعالى سماها مصابيح
في سورة الملك وذلك لان المصابيح هي السرج والناس يزينون مساجدهم ودورهم
بالمصابيح فكانه قيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي بمصابيح
لا تساوي بها مصابيحكم في الاضاءة

البحث الثاني

ان ظاهر هذه الاية
يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق افلاك السيارات
واحتجوا عليها بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان تكون كلها هناك وانما
قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك لان الثوابت التي تكون قريبة من المنطقة واقعة
في ممر السيارات تنكسف بهذه السيارات والكسوف لا بد وان يكون فوق الكاسف
فهذه الثوابت فوق اكر السيارات الكاسفة وانما قلنا انه لما كان بعض الثوابت في الكرة
الثامنة وجب ان تكون كلها في الكرة الثامنة لانها باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة
مائة سنة درجة واحدة واذا كانت هذه الثوابت متشابهة في الحركة وجب ان تكون كلها
مركوزة في كرة واحدة واعلم ان هذه الحجة ضعيفة فانه لا يلزم من تشابه الثوابت كلها في
الحركات كونها باسرها مركوزة في كرة واحدة لانه لا يمتنع في العقل وجود كرة تحت كرة القمر
وتكون مشابهة في البطوء لكرة الثوابت وتكون الكواكب التي لا تنكسف بهذه السيارات
مركوزة في هذه الكرة السفلية التي هي سماء الدنيا اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر
والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة الا ترى ان ممثلات جميع السيارات سوى الشمس
والقمر متحركة حركة بطيئة مشابهة لحركة فلك الثوابت وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان يكون
اكثر هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فان قيل هب ان ما ذكرتم محتمل لكن لم قلتم ان هذه

الكواكب الثابتة الواقعة في ممر السيارات المنكسفة بها مركوزة في كرة فوق كرات السيارات
السبعة وحينئذ يعود الاشكال في تلك الكواكب والجواب من وجهين **الاول**
قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح يقتضي ان تكون السماء الدنيا مزينة بمصابيح
وليس فيه دلالة على ان كل الكواكب في هذه السماء الدنيا واما قوله في سورة الصافات
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فصيغة الجمع وان كانت تفيد الاستغراق الا ان اطلاق
لفظ العموم لارادة الاكثر مجاز مشهور في القرآن **الوجه الثاني** في الجواب
ان قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لا يقتضي كون الكواكب موجودة فيها
وذلك لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في سماء اخرى فوقها فهي
لا بد وان تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة
بهذه المصابيح **المنفعة الثانية** الكواكب كونها رجوما للشياطين روي ان الجن
كانوا يصعدون الى السموات ويستمعون الاخبار ويرجعون الى الدنيا ويلقونها الى الخلق
فكان يصير ذلك سببا لتمكن الكهنة من الاخبار عن الغيوب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم حرست السما ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي من هذه الكواكب
بشهاب فاحرقه فهذا هو السبب في انقضاض الشهب وهو المراد من قوله وجعلناها رجوما
للشياطين ومن الناس من طعن فيه واحتج بوجوه **الحجة الاولى** انقضاض الكواكب
امر مذكور في كتب قدماء الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار
يابس فاذا بلغ كرة النار احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب واذا كان الامر كذلك
فكيف يمكن ان يقال السبب فيه رمي الجن بالشعلة من النار **الحجة الثانية** ان هولاء
الجن كيف يعقل ان يشاهدوا واحدا والفا من جنسهم كل ما استرقوا السمع احترقوا ثم
انهم مع ذلك يعودون الى مثل صنيعهم فان العاقل اذا راى الهلاك في شيء مرة واحدا والف
الف مرة امتنع ان يعود اليه من غير فائدة **الحجة الثالثة** انه يروى في الاخبار
ان ثخن كل واحد من السموات مسيرة خمسمائة عام فهولاء الجن ان قدروا على خرق هذه السموات
مع عظمتها فهذا باطل لان الله تعالى نفى ان يكون فيها فطور قال تعالى هل ترى من فطور
وقال وما لها من فروج ووصفها بالشدة فقال سبعا شدادا وان لم يقدر الجن على خرق
اتصال السموات فكيف يمكنهم اسرار الملائكة من هذا البعد العظيم ثم ان عقل ان يسمعوا
اسرار الملائكة من هذا البعد العظيم فلا يسمعون تلك الاسرار من الارض وحينئذ لا يبقى فائدة
في تبعيدهم من السماء **الحجة الرابعة** ان الملائكة انما اطلعوا على احوال المستقبلة
اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او لانهم يلقوها من وحي الله اليهم وعلى التقديرين
فلم يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الشيطان من الوقوف عليها لا سيما وقد وصفهم الله تعالى
بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون واذا لم ياذن الله لهم في ذلك الكلام لا يذكرونه
واذا لم يذكروه عجز الشيطان عن الوقوف عليه ● **الحجة الخامسة** ان القرآن

دل على ان الشياطين مخلوقة من النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار والنار لا
تحرق النار بل تقويها فكيف يعقل ان يقال ان الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب
الحجة السادسة انا قلنا ان هذا القذف كان لصون المعجزات عن شبهات الكهنة
فلم دام ذلك بعد وفاة الرسول عليه السلام **الحجة السابعة** انه تعالى لما قال انا
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين دل هذا على انه خلق الكواكب لهاتين
المنفعتين فاذا كان احدى المنفعتين وهي التزيين كانت موجودة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وجب ان تكون المنفعة الثانية ايضا كانت موجودة قبل المبعث ● **الحجة الثامنة**
ان وصف هذا الانقضاض جاء في شعر الجاهلية ● قال بشر بن ابي خازم ●
والعير يرهقها الغبار وجحشها ● ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ●
وقال اوس بن حجر ●
فانقض كالدري يتبعه ● نقع يثور تخاله طنبا ●
وقال عوف بن الخرع ●
يرد علينا العير من دون الفه ● او الثور كالدري يتبعه الدم ●
الحجة التاسعة روي عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال عليه السلام
ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال
عليه السلام انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته قالوا فثبت بهذه الوجوه ان هذه الشهب لا
يجوز ان يكون المعنى فيها ما ذكرتم والجواب عن الشبهة الاولى انا لا ننكر ان هذه
الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم لمنافع اخرى الا ان ذلك
لا ينافي انها بعد المبعث قد حصلت بسبب وجود دفع الجن وزجرهم روي انه قيل للزهري
اكان يرمى في الجاهلية قال نعم ارايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
والجواب عن الشبهة الثانية انه اذا جاء القدر عمي البصر واذا قضى الله على طائفة
منهم بالحرق لطغيانها وضلالها اوقع في قلوبها من الدواعي المطمعة في ذلك المقصود
ما يبعثها على الفعل المفضي الى الهلاك والبوار والجواب عن الشبهة الثالثة
انا نسلم ان البعد بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام اما ثخن الفلك فلعله لا يكون عظيما
والجواب عن الشبهة الرابعة ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس
وذكر قصة الرمي بالنجوم وقال فيه قال عليه السلام انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا
تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح
الى سماء الدنيا ثم يستخبر اهل كل سماء ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من
سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى السماء الدنيا فتختطف الجن فيرمون والجواب عن الشبهة

الخامسه ان النار قد يكون اقوى من نار اخرى فالاقوى يبطل الاضعف والجواب
عن الشبهه السادسه ما بينا ان الشهب كانت موجوده لسائر المنافع الا انها في زمان محمد
عليه السلام اشتدت وغلظت لهذا المقصود الاخر فعند زوال بعض المقاصد لا يجب زوال
الشهب وهذا هو الجواب عن بقية الشبهات في حكم الشهب وبالله التوفيق المنفعه
الثالثه في تخليق الكواكب انه تعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر
قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون **المنفعه الرابعه** ان يستدل
بحركاتها التسخيريه على وجود الصانع الحكيم كما قال في سورة الاعراف والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره فهذه هي المنافع المذكورة في القران واهل التجارب ذكروا وجوها اخرى
منها ان تحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فانه اذا انكشف السحاب في الليل عظمت
ظلمة الليل وذلك بسبب ان السحاب يحجب انوارها ولا يبعد ادخال هذه المنفعه تحت
قوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون فان ذلك من الاضاءة اذا حصل ترتب
عليه الاهتداء ومنها انه تحصل بسببها تفاوت في الفصول الاربعه وذلك لانها اجسام عظيمة
نورانيه فاذا قارنت الشمس كوكبا دريا مسخنا صار الصيف اقوى حرا وهو مثل نار انضم
الى نار اخرى فانه لا شك ان يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه يستدل ببعض
الكواكب على معرفة القبله ولا شك انها من المهمات واعلم انه سبحانه بين ان له في تخليق
البعوضه حكما عظيمه فقال ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما
الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
فاذا كانت خلقة البعوضه لا ينفك عن حكم باهره ودلائل فكيف يجوز انفكاك خلقه هذه
النجوم الشريفه والكواكب النورانيه الباهره عن حكم شريفه واسرار قدسيه فجميع اجزاء
العالم سمواته وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته لا يخلو
ذرة من ذراته عن حكم كثيره باهره عرفناها او لم نعرفها فسبحانه هو الله العزيز الحكيم
وبالله التوفيق

الباب الثالث في الاستدلال بخلقة الانسان على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى وفيه فصول

الفصل الاول في الحكمة في خلق الانسان اعلم ان هذه المناظرة هي التى شرحها
الله تعالى في قوله واذ قال ربك للملئكه اني جاعل في الارض خليفه الى اخر الايه واعلم انه تعالى
لم يذكر في هذه الايه وجه الحكمه على التفصيل في تخليق الانسان ولم يزد عليهم قوله
تعالى اني اعلم ما لا تعلمون وللعلماء في هذا المقام طريقان الاول الطريقه الاجماليه
التي ذكرها الله تعالى في هذه الايه وتقريرها انه تعالى قادر على جميع المقدورات منزه عن
كل الحاجات عالم بكل المعلومات واذا كان الامر كذلك كان لا محاله عالما بانه ما الذي
ينبغي فعله وما الذي ينبغي تركه فكان عالما لا محاله بكونه غنيا عن كل ما لا ينبغي ومن كان
غنيا عما لا ينبغي كان عالما بكونه واذا كان كذلك امتنع اقدامه على ما لا ينبغي واذا كان الامر كذلك

ثبت ان كل ما يفعله الله سبحانه حكمة وصواب وانه منزه من فعل العبث كما قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا ومنزه عن فعل اللعب كما قال وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما لاعبين ومنزه عن فعل الباطل كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا بل كل ما فعله فهو انما فعله بالحق كما قال ما خلقناهما الا بالحق ولما الملك الملك بالحق
كما قال ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ومتى علمنا ان الامر كذلك علمنا ان له في تخليق البشر
حكما بالغه واسرار عجيبه شريفه ولكنه تعالى ما كشف تفاصيلها للبشر كما قال ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فوجب الايمان بذلك الحكم على الاجمال وترك
الخوض في تفاصيلها الطريق الثاني بيان حكمة خلق الانسان على التفصيل وفيه وجوه
الاول ان المخلوقات على اربعة اقسام احدها الذى له عقل ولا شهوة له وهم
الملئكة قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم وقال يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون والثاني الذي له شهوة ولا عقل له وهم كل الحيوانات سوى الانسان
والثالث الذي له شهوة وعقل وهو الانسان فان رجح شهوته على عقله التحق بالبهائم
بل كان اضل كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون وان رجح
تفصيلا والرابع الذي لا عقل له ولا شهوة وهي الجمادات ثم انه سبحانه كان في العهد
الاقدم والزمان الاسبق خلق الاقسام الثلثه وبقي القسم الرابع وهو الذى يحصل فيه العقل
والشهوة معا فاقتضت قدرته التامه ومشيئته الكامله خلق هذا القسم الرابع كيلا يبقى شيء
من الاقسام الممكنه محروما عن جود ايجاده ونعمة ابداعه فعند هذا قال للملئكه اني جاعل في
الارض خليفه فقالت الملئكه انك اذا جمعت بين الشهوة والغضب والعقل والحكم جاءت
المنازعه فتولد الفساد من الشهوة وتولد سفك الدماء من الغضب فقال المدبر للعالم المحيط
علمه بجميع الكليات والجزئيات اني اعلم ما لا تعلمون ويحتمل والله اعلم بمراده ان يقال انه يحصل
من تخليقهم وتكوينهم كمال الحكمتي ورحمتي وقدرتي ويحصل منه ايضا كمال حالهم ودرجتهم
اما كمال قدرتي فلئلا لا يبقى هذا القسم محروما عن اثر الجود واما كمال الحكمتي فلانه وان
كان الفساد والقتل يحصلان كثيرا الا ان الاكثر عدمهما وحصول العبوديه والتذلل وترك
الخير الكثير ولاجل الشر القليل شر كثير وهو غير لائق بحكمتي واما كمال حالتهم ودرجتهم
فهو يحتمل في ان العمل بمقتضى العقل عند عدم الشهوة ليس في غاية الكمال انما الكمال العمل بمقتضى
العقل عند عدم الشهوة مع قيام منازع الشهوة كما في حق البشر ويحتمل في ظنوننا ان المراد
بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون هو هذا المعنى والله اعلم باسرار كلامه **القسم الثاني**
للمخلوقات اعلم ان مخلوقات الله تعالى بحسب التقسيم العقلي على ثلثة اقسام فاما انها ان
تكون ارواحا قدسيه نورانيه ربانيه بلا جسد واما ان تكون اجسادا بلا ارواح واما ان
تكون مركبة من الارواح والاجساد اما القسم الاول فهم الملئكه ولهذا السر سماهم الله
تعالى في القران روحا قال تعالى في سورة البقرة في صفة عيسى وايدناه بروح القدس نزل به الروح

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

الامين على قلبك وقال في سورة مريم ارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وقال في سورة
عم يوم يقوم الروح والملئكة صفا سمى انا رهم ارواح البشر روحا فقال ينزل الملئكة
بالروح من امره وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ۝ واما القسم الثاني التي يكون اجسادا
بلا ارواح فهي الحيوانات والنباتات والمعادن وان قيل الحيوان روح فكيف لم ادخلته تحت
قسم الارواح قلنا مرادنا من الروح اللطيفة التي تقوى على ادراك المعقولات والمجردات وليس
لساير الحيوانات هذا الروح ولما دخل في الوجود هذان القسمان بقي القسم الثالث وهو
الموجود الذي تحصل من الازدواج بين الارواح العلوية والاجسام السفلية والارواح النورانية
الربانية اللطيفة والاجساد الظلمانية السفلية الكثيفة تحصل من ذلك لازدواج الانسان
فجسده من عالم الخلق وروحه من عالم الامر فلا جرم قال الا له الخلق والامر فحصل جسده
بالسوية وروحه بالنفخ فقال اذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وكان
جسده من قطرة هذا العالم وروحه من قطرة العالم الاعلى فقال في قطرة جسده ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى تمام المراتب الستة ثم قال في قطرة روحه في المرتبة السابعة ثم
انشاناه خلقا اخر ولكان جسده من هذا العالم فقال قل انما انا بشر مثلكم وان روحه منوجه
الى ذلك العالم وهو قوله يوحى الي وبين ان طاعة الجسد هو الاشتغال بالعبادات وان طاعة
الروح هو التوكل على رب الارضين والسموات فقال في اخر هود وتوكل عليه واعلم ان كمال
كمال القدرة وجلال الحكمة في تخليق هذا النوع اتم واكمل وبيانه من وجوه **الحجة الاولى**
ان الروح علوي والبدن سفلي والعلو والسفل ضدان والروح نوراني والبدن ظلماني
والنور والظلمة ضدان والروح لطيف والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان والروح
سماوي والبدن ارضي والسماء والارض ضدان والروح رحماني بدليل انه لا يرغب الا في
معرفة الله ولا يفرح الا بخدمة الله ولا يميل الا الى محبة الله ولا يبتهج الا بمطالعة انوار جلال
الله ولا يطمئن الا بذكر الله ولا يستقر الا على عتبة قدس كبرياء الله واما البدن فاني شيطاني شهواني
لانه لا يغتذي الا بردي عالم الجسماني ولا يفرح ولا يقوى الا بالانغماس في الشهوانيات
والظلمانيات واذا كان الامر على هذه الجملة حصل بين الروح والجسد منافاة عظيمة ومباينة
تامة فالجمع بينهما يدل على قدرة كاملة وحكمة عالية الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
الحجة الثانية ان الشوق الى الله مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام
غير حاصل الا للبشر واعلم ان هذا الكلام لا يتخلص الا بتقديم حقيقة الشوق فنقول ان
الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه اخرى اما الذي لم يدرك
بوجه من الوجوه اصلا ولا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لم يتصور ان يشتاق اليه
وما ادرك بكماله وتمامه لا يشتاق اليه لان الشوق طلب والطلب الحاصل محال ثم ان الشوق
الى المحبوب يقع على وجهين الاول انه اذا رآه ثم غاب عنه بقي في خياله اثر تلك الصورة المحسوسة
واشتاق الروح الى ان ينتقل ذلك الاثر من عالم الخيال الى الحس والوجه الثاني

اعني

ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره ولا سائر محاسنه فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره
قط واذا عرفت هذا فنقول هذان الوجهان غير متصورين في حق الملئكة اما الوجه
الاول فلان ذلك انما يمكن اذا ادرك ثم غاب ويمتنع في حق الملئكة ان يغيبوا عن شيء عن فوق
وكل ما عن فوق فذلك العرفان حاصل لهم ابدا لا يتبدل ذلك العرفان بالغفلة والاذلال
الحضور بالغيبة وهذا هو المراد بقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم وبقوله عليه السلام ان من الملئكة صافين لا يركعون وراكعين لا
يسجدون وبالجملة فاحوالهم باقية ومعارفهم دائمة وهم معصومون عن تغيرات الاحوال
وتبدلات المعارف فان حصل لهم شوق فذاك يكون من القسم الثاني اما الانسان فان هذين
القسمين لا يمكن وقوعهما له بالنسبة الى معرفة الله بل هما لا يمكن لكل العارفين حرزوه ۝
اما القسم الاول فلان الذي يتجلى للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية
الوضوح والجلاء الا انه يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات لا يقصر في هذا
العالم من المحاكيات والتمثيلات وهي مكدرات للمعارف وانما تمام التجلي في الاخرة حيث
يزول الخيالات ويبطل التمثيلات فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح ۝
والقسم الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها
ويكون الحاضر متناهيا والغائب غير متناهي فلو ان العارف خلق في اول وقت حدوث
العالم ثم سار يسير في درجات المعارف الالهية بل طار حول عرش الجلال اشد طيرانا الى اخر
وقت يتخلله الحال ويستحضره العقل من اوان افتراق اهل الجنة واهل النار وكان الحاصل
من طيرانه وسيره متناهيا ويكون ما لم يصل هو اليه غير متناهي واذا كان الامر كذلك ظهر
ان القسم الاول من الشوق يزول في الاخرة ۝ واما القسم الثاني من الشوق الى الله تعالى
فانه لا يزول بل كلما كان انكشف اكثر كان الشوق اكمل واعظم اذا عرفت هذه القاعدة
فنقول كل من بقي على حالة واحدة فان كانت تلك الحالة موجبة للذة ثم بقيت فعند بقائها
واستمرارها لا يبقى لذيذة وكذا ان كان مولما فعند استمراره لا يبقى مولما بل اللذة والالم يحصلان
الا عند الانتقال من احد الحكمين الى الجانب الاخر ولنضرب لهذا مثلا من المحسوس فاحوال الخلق
بالنسبة الى الاغذية الطيبة والاطعمة اللذيذة ثلثة **الاول** حال الملوك المتنعمين المتوسعين
في اكل الاشياء اللذيذة الطيبة ولا يتلذذون بها ذلك لانهم لما واظبوا على كلها اعتادوها
فلا يتلذذون بها **القسم الثاني** للفقراء الذين لا ياكلون الا الاطعمة الخشنة
الخبيثة البشعة ولم يتفق لهم البتة تناول الاطعمة الطيبة **القسم الثالث** الذين
ياكلون في اكثر الامر الاطعمة الخشنة البشعة وقد يتفق لهم في بعض الاحوال تناول الاطعمة اللذيذة
فهؤلاء اذا وجدوا اذا وجدوا طعاما فيه ادنى طيب ولذة فانهم يستلذونها في الغاية اذا عرفت
هذا فنقول الملئكة المقربون وان كانت درجاتهم في العرفات عالية الا ان تلك الدرجات
باقية مستمرة فهم كالملوك المتنعمين وان كانوا مواظبين على الاقتداء بانوار الجلال والاشتياق

استره

الحاسق

حرم لام

من نسيم روح الله الا انه لم يبق لهم ترقي في هذه الحالة ولا انتقال عن هذه الدرجة وتما
ن وقعوا في ظلمة المعصية وانكسار ظلمات الذنوب واما الحيوانات فحالهم يشبه حال الفقرا
المواظبين علي الفقر والصبر والبؤس والمسكنه والجوع والعري ولم يبق لهم انتقال من هذه الحالة
الي حالة اخري طيبة فلا جرم لا يكون لهم الم من الحالة التي هم فيها واما الانسان فتارة يقع في
ظلمات عالم الاجسام وتارة يتخلص منها الي انوار عالم القدس وسبحات سرادقات الجلال
فينتقلون تارة من الشدة الي الرجا والاخري من الرخا الي الشدة اذا انتقلوا من الشدة الي الرخا ومن
الابتلاء الي النعماء عظم التذاذهم فلا جرم يحصل هناك من اللذات والسعادات ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر واذا كانت اسباب هذه الغيبة بعد الحضور والحضور
بعد الغيبة متعاقبة علي الارواح البشرية في دار الدنيا حصلت هناك الام ولذات متعاقبة علي
الارواح البشرية في دار الدنيا واللذة اذا حصلت بحيث يكون قبلها فقدان وبعدها توقع الحرمان
كان الالتذاذ بها اشد واكمل فهذا النوع من السعادة والبهجة الحاصلة للانسان غير حاصلة للملئكة
المقربين ولا لساير الحيوانات فيمكن ان يكون المراد من قوله اعلم ما لا تعلمون هذه الحالة واليه الاشارة
بقوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فقوله وحملها الانسان الي تجلي انوار عالم القدس في
روح الانسان وقوله انه كان ظلوما جهولا اشارة الي طريان ظلمات النفس الجسمانية وانواع
الشهوانية النفسانية **الوجه الثالث** ان تخليق الملئكة ظهرت القدرة والحكمة
وذلك لان كمال قوتهم تدل علي كمال قدرة خالقهم وكمال عصمتهم يدل علي كمال قدس خالقهم
اما تخليق البشر ظهر كمال الجود وكمال الرحمة اما كمال الجود فلانه لا مناسبة بين التراب وبين رب
الارباب ثم انه بكرمه ورحمته جعله مسكن المحبة ومعدن المعرفة كما قال يحبهم ويحبونه واما كمال
الرحمة فلانه مع كثرة معاصيه اظهر منه انواعا من العجائب واودع في قلبه نور عرفانه جلاله واجري
علي لسانه ذكر توحيده وجعل عينه محلا لابصار دلائله واذنه محلا لسماع كلامه والملئكة
ظهرت بهم القدرة والحكمة والبشر بهم ظهر الجود والرحمة **الوجه الرابع** ان الملئكة
خلقوا من الانوار اما انا ر التركيب في البشر اكثر وذلك لانه تعالي خلق الانسان من جوهرين
الروح والبدن واظهره من اثنين من الام والاب وركبه من شيئين من المني والدم وجعل له مطيتين
الليل والنهار وغذاه بغذائين الطعام والشراب واعد له دارين الجنة والنار كل ذلك لتحقق
صدق قوله تعالي ومن كل شيء خلقنا زوجين **الوجه الخامس** ان العبد يعلم ربه
بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام مع انه ابعد الاشيا مشابهة له ومشاكلة ثم
انه لا يعلم روحه ونفسه مع انه هو هو كما قال قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
ليعلم العبد ان كل ذلك بسبب مدد التوفيق والارشاد لا بسبب الجد والاجتهاد **التقسيم
الثالث** للموجودات ان يقول الموجودات بحسب القسمة اربعة احدها موجود
لا اول له ولا اخر وهو الحق سبحانه والثاني موجود له اول واخر وهو الدنيا والثالث موجود الذي
له اول ولا اخر له وهو العبد في الاخرة **واما القسم الرابع** وهو الذي لا اول له ولا اخر هذا

اشارة

العقل علي

محال

محال لما ثبت في علم الاصول ان ما ثبت قدمه استحال عدمه اذا عرفت هذا فنقول ايها العبد
لك اول ولا اخر لك وكذلك الاخرة لها اول ولا اخر لها فانظر انك كفو الدنيا او كفو الاخرة
واذا نظرت لا يخفي عليك انك كفو الاخرة فلما كان الامر كذلك فالحق سبحانه وتعالي خلق
الملئكة للبقا ابد الاباد في الاخرة وخلقك ايضا للبقا ابد الاباد في الاخرة الا ان اظهار القدرة
والرحمة في خلقتك للبقا اتم من اظهارها بسبب خلق الملئكة وذلك لانها ذوات نورانية مبراة
عن الاسقام والاعلال والامراض فلعله يخطر ببال احد ان بقاها انما كان لكونها صافية
نورانية ثم انه تعالي ازال هذه الخيالات بان خلقك من اكثف الاشيا واشده ظلمة وهو التراب
وجعلك محلا للاسقام والاعلال والافات والامراض ثم جعلك في البقاء الابدي كفو الملئكة
المقربين ليظهر للخلق ان البقا لا يحصل الا بايجاده وابداعه واعلم انك قد عرفت ان الدنيا لها
اول واخر وانها تقتضي انها لا تبقي البتة وكما ان من صفتها انها لا تبقي البتة وكذلك من صفتها
ان الانسان كلما كان اشد قبضا للدنيا واشد امساكا كان فوات الدنيا عنه اكثر والدليل عليه انه تعالي
شبه الدنيا بالماء فقال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء والماء اذا عرفت منه بقي في يدك
فاما اذا قبضت يدك لا يبقي من الماء في يدك شيا وكلما كان ذلك القبض اشد كان عدم بقاء الماء
في الكف اكمل فكذا الدنيا مهما اخذتها بالحرص فربما حصلت فاما اذا قبضت عليها بمخاليب حرصك
فاتت وخرجت عن يدك فان قيل فنري ان البخيل الذي يمسك المال يكثر ماله والسخي الذي ينفق
المال يقل ماله قلنا هذا خطا لان الذي يظن انه بقي عليه ماله ليس كذلك لانه يموت فيوخذ
ذلك المال عن غير حمد ولا اجر ولا يبقي عليه الا الحساب والذي ينفقه في سبيل الله بقي كل
ذلك في خزانة رحمة الله كما قال تعالي ما عندكم ينفد وما عند الله باق **التقسيم الرابع**
المخلوقات علي ثلثة اقسام اما كاملة لا يتطرق اليها النقصانات وهم اصحاب العالم العلوي
واجسادهم السموات وارواحهم الملئكة واما ناقصة لا يتطرق اليها الكمالات وهي الحيوانات
والنبات والمعادن وبقي في التقسيم قسم وهم الذين يكونون تارة بالعلم كاملين وتارة يصيرون
ناقصين واذا صاروا في حال الكمال كانوا فوق العرش جالسين مع الملئكة المقربين في حضرة
رب العالمين معتكفين علي عتبة عزة الله مواظبين علي ذكر جلال الله متفكرين في معارج الاء الله
متوكلين علي رحمة الله مشتغلين بخدمة الله مستغرقين في محبة الله محروسين بنور عظمة الله
وتارة ينزلون الي حد النقصان ومقام الشهوة والغضب اما في مقام الشهوة فتارة يكون
كالخنزير اجمع ثم ارسل علي النجاسات وتارة كالذباب الذي كلما ذب ال قاذورات
واما في الغضب فتارة كالكلب العقور واخري كالجمل الصول وثالثا كالنار المحرقة والبحور المغرقة
فهو مع كونه شخصا واحدا يصدق عليه انه ملك نوراني وشيطاني ظلماني وخنزير حريص
وحمار صبور وكلب نابح وثعلب رواغ وفاسق خبيث وملك كريم ولا شك ان تركيب
شخص واحد يظهر منه هذه الاثار المتناقضة والاحوال المتناسبة ادل علي كمال القدرة والظهر
في اظهار الحكمة فلهذا السبب والله اعلم وقال اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ان الانسان الموصوف

بالقياس ولكون الحصر الا

بهذه الصفات بعث الى هذه الدنيا ليكون مسافرا وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه اول مبدا سفره والآخرة مقصده وزمان
حياته مقدار مسافته وسنينه منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه
ويسار به سير السفينة براكبها فقد دعي الى دار السلام كما قال تعالى لهم دار السلام عند ربهم
وقال تعالى والله يدعو الى دار السلام ثم ان دار السلام اشرف البقاع واعز المواضع وقال تعالى
جنات تجري من تحتها الانهار وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين لكن
الطريق الى دار السلام مظلم جدا فهو برحمته يهدي اليه وبفضله يرشد اليه وباحسانه يدعو اليه
وبكرمه يسهل المشي اليه وبجوده يعفو عن الذنوب ويتجاوز عن السيئات فلهذا المعنى قال اني اعلم
ما لا تعلمون فهذا تمام الكلام في حكمة خلق الانسان وبالله التوفيق

الفصل الثاني في شرح فضيلة الانسان

قال الله سبحانه وتعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في
البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اعلم ان هذه
الآية مشتملة على اربعة انواع من التشريفات •

النوع الاول

قوله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم وفيه مباحث **البحث الاول** اعلم انه سبحانه بنى امرك في الاول والوسط والنهاية
على الكرم واعترف العدو بذلك ثم من الحق نهاية كونه ثم شبهك في ذلك بالملائكة المقربين
اما انه بنى اول امرك على الكرم فهو قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم فهذه الآية اول اية انزلها الله على الرسول وقوله اقرا باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اشارة الى اول وجودك فثبت ان اول اية انزلها الله
على محمد عليه السلام انما انزلها لبيان كرمه وجوده لاول احوال خلقتك والمجادلة وفيه دقيقه
وهي ان اول القران مبني على كونه كريما بل على كونه اكرم الموجودات لانه قال اقرا وربك
الاكرم ومما يؤكد هذا الكلام الذي ذكرنا ما روي ان ادم عليه السلام لما عطس قالت الملائكة له قل
الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك الله ولذلك خلقتك واما انه بنى وسط امرك على الكرم فهو
قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم واما انه بنى خاتمة امرك على الكرم فهو قوله يوم القيمة عند
عجزك وشدة خوفك وعدم قدرتك على تمهيد الاعتذار يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
وقال بعض اهل المشرق هذا تلقين الجواب والمقصود ان يقول العبد يا رب غرني غاية
كرمك فلما كان اول هذا الامر واوسطه واخره مبنيا على الكرم ظهر ان العبد لا يضيع في بحار كرمه
ولا يحيف مع كثرة نعمه واما انه اعترف العدو بذلك فلان ابليس وهو عدو الاعداء لما اعترف
بذلك حيث قال ارايتك هذا الذي كرمت علي اما انه تعالى بنى نهاية كرامتك فهو قوله
ان اكرمكم عند الله اتقاكم واما انه شبهك بالملائكة المقربين في هذه الصفة فلانه تعالى وصف
الملائكة بالكرم فقال في صفة جبريل عليه السلام انه لقول رسول كريم وقال في قصة يوسف عليه
السلام ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقال في صفة الملائكة الذين كانوا ضيف ابرهيم عليه السلام
هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين وقال في صفة الملائكة بل عباد مكرمون ثم ههنا

على الكرم

دقيقه

دقيقه وهي انه تعالى قال في بيان صفة الملائكة انهم مكرمون من غير التشديد وقال في
حق البشر ولقد كرمنا بني ادم ذكره مع التشديد والمقصود من هذا التشديد بيان تكثير الكرامات
في حق البشر وقال ابو يزيد البسطامي رحمة الله عليه ان انواع كرامات الله في حق البشر غير
متناهية الا ترى الى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فهذا على سبيل الاجمال
واما على سبيل التفصيل ففيه وجوه **الاول** انه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية
دليله قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وكل مؤمن فهو متوكل على الله بدليل قوله
فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو وقال عن الصحابة انهم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
ثم قال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ومنها انه تعالى يمطر في كل ساعة على المطيعين مطر المودة
قال الله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ومنها انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنها انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة قال الله تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم ومنها انه يمطر على المتذكرين مطر الهداية والتبصير قال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والاستقصاء في
هذا الباب خارج عن وسع البشر وكل ذلك داخل تحت قوله ولقد كرمنا بني ادم **البحث
الثاني** في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم اعلم ان عطية الله تعالى لها اسماء كثيرة في
القران احدها الفضل قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اي
ينبغي ان يكون فرحكم بفضل الله عليكم لا باعمالكم وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة فانهم يقولون
العبد وان اطاع ربه باعظم الطاعات من اول خلق العالم الى قيام القيمة فانه لا يدخل الجنة
الا بفضله ورحمته ولا يكون للعبد على ربه دين ولا حق ومما يدل على صحة هذا المعنى وجوه
الاول ان هذا العبد ان اطاع فهب انه وجد من صحيفة عبدا كان ازكى منه واكثر صدقا وعملا
منه ومع انه وقع في الكفر واذا كان كذلك فكل واحد من هذين العبدين اعني المطيع والعاصي
والمؤمن والكافر والمنكر يصح ان يصدر من كل واحد منهما كل واحد من هذين العملين فهذا
المطيع اختار الطاعة مع انه كان يجوز منه ان يختار المعصية بدلا عن الطاعة فاما ان يقال حصل
هذا الرجحان من غير مرجح فهو يفضي الى نفي الصانع او يتوقف على مرجح وذلك المرجح ان كان
من العبد عاد الطلب الاول ويفضي الى التسلسل وان كان من الله فحينئذ يكون صدور تلك
الطاعة من الله في حق العبد نعمة واذا كان صدور الطاعة من العبد عين نعمة على العبد فكيف يستحق العبد
بنعمة الله عليه في الدنيا نعمة اخرى منه في العقبى فهذا برهان اوضح من ضوء الشمس على ان كل ما
يحصل فانه انما يحصل بفضل الله وبرحمته فلهذا قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا • **الحجة الثانية** وهو ان العبد الى ان يصير بحيث ان يقدر
على ان ياتي بالطاعة ويحترز عن المعصية فقد سبق من الله عليه نعم كما قال تعالى كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فهو الذي خلقه بعد ان كان معدوما
محضا كما قال تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ثم خلقه من التراب كما قال منها خلقناكم

ثم انها بعيد كونه نطفة ردده في اطوار الخلقة واكوان الفطرة ثم نفخ فيه الروح وخلق فيه الحيوة كما قال
تعالى ثم انشاناه خلقا اخر ثم اعطاه القدرة كما قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة ثم اعطاه العقل والعلم كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم
ثم اعطاه الصورة الحسنة كما قال تعالى الله وصوركم فاحسن صوركم ثم اعطاه الاغذية
والارزاق كما قال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم انه بعد هذه النعمة العظيمة الدنيوية انعم
عليه بالنعمة العظيمة الدينية وهو بعث الرسول وانزال الكتب وازالة الختم والوقر والرين
والقساوة عن قلبه واعطاه التوفيق والهداية والعصمة ثم ان هذا العبد بعد هذه النعم العظيمة
اتى بطاعات قليلة كما يليق بقدرته القاصرة وعقله المختصر فهل يحكم العقل بوقوع هذه
الطاعات اليسيرة قضاء لحق تلك النعم العظيمة المتقدمة واذا وقعت هذه الطاعات
قضاء لتلك النعم السابقة امتنع صيرورتها موجبة لنعمة اخرى واذا كان الامر كذلك علمنا ان
دخول الجنة يكون لمحض فضله ورحمته **الحجة الثالثة** انه يمكن ان يصير فعل العبد
علة لاستحقاق الثواب على الله تعالى الا ان فرح العبد بما اعطيه الله بفضله واحسانه يجب ان
يكون اعظم من فرحه بما يجد من كسبه واجتهاده ومثاله ان وجد بكسبه دينارا او وجد
من شريف الملك العظيم خلعة نفيسة على سبيل الاعزاز وان فرح كل عاقل بما حصل من
تشريف الملك يكون اتم واكمل من ذلك القليل الذي حصله بكسبه واذا كان الامر كذلك في
السلطان المجازي والملك المختصر فما ظنك بتشريف سلطان السلاطين على سبيل الحقيقة
في عطاء ملك الابد فلهذا قال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا **الحجة
الرابعة** انه تعالى جعل اشتغال العبد بالطاعة مبدا الجزاء وجعل عنايته له
على تلك الطاعات غاية السعادات الا ترى انه قال اولا اياك نعبد واياك نستعين وقال
اولا والذين جاهدوا فينا ثم قال لنهدينهم سبلنا وفي هذه الدلائل كثرة ومقصودنا
هاهنا اقامة هذه الدلائل القاطعة على صحة قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا **الاسم الثاني** من اسماء عطية الله تعالى المنة قال تعالى بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان وقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ومن الاسماء
الواردة في الحديث الحنان المنان فان قيل اليس انه تعالى نهى رسوله عن المنة فقال ولا تمنن
تستكثر ونهى الله المتصدق عن المنة فقال تعالى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وبين
ان المنة توجب الريا فقال كالذي ينفق ماله رئاء الناس واذا بين ان هذه الخصلة مذمومة
فكيف ارتضاها لنفسه والجواب انه تعالى اذا انعم على العبد ثم من عليه بتلك
النعمة صار العبد مشغولا بالمنة وصار غافلا عن النعمة والمنة صفة الحق والنعمة من جنس
الخلق والاشتغال بصفة الحق اولى من الاشتغال بالخلق **الاسم الثالث**
من اسماء عطية الله تعالى الاحسان قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال
يوسف عليه السلام وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وقال موسى لقارون احسن كما

احسن

الله اليك **الاسم الرابع** اللطيف قال الله تعالى الله لطيف بعباده ومن لطفه انه
نور قلبك بالهدى وحفظك عن الردى والهوى وجعلك من امة المصطفى ووعدك ان يصون بدنك
عن العذاب تحت الثرى ويحشرك في زمرة ارباب البقا ويقيك من عذاب السعير ولظى
ويدخلك جنة المأوى ويعطيك الزيادة المذكورة في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
الاسم الخامس الهبة قال الله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
الاسم السادس الفتح قال الله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق **الاسم السابع** الاكرام والتكريم قال تعالى ولقد كرمنا
بني ادم والتكريم هو جعل الشيء كريما والاكرام ان صيرورة الشيء كريما انما يكون لحصول صفات
الكمال فيه وحصول تلك الصفات لا يكون الا بايجاد الحق وتكوينه فظهر ان التكريم لا يحصل الا
بالكرامة والحسنى لا تحصل الا من جوده واحسانه **البحث الثاني** في قوله ولقد
كرمنا بني ادم واعلم انه قد اختلف المفسرون في المراد بهذا التكريم ذكروا فيه اقوالا كثيرة وحرف
ضبط القول فيها ان يقول هذا التكريم اما ان يكون المراد منه احوالا موجودة في جسد
الانسان او احوالا موجودة في روحها او مجموعهما اما الاحوال الجسدانية فيمكن حمل هذا
التكريم على امور **النوع الاول** ان يكون المراد ولقد كرمنا بني ادم الصور الحسنة
والذي يدل على ان الصورة الحسنة من جملة نعم الله تعالى على العبد بوجوه **الحجة
الاولى** قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم **الحجة الثانية** قوله
تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة واعلم ان الصبغ ما يصبغ به الثياب يقال صبغ الثوب
يصبغه بفتح الباء وضمها وكسرها ثلاث لغات صبغا وصبغا بفتح الصاد وكسرها لغتان
والصبغة فعلة من الصبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ وذكروا في المراد
بصبغة الله وجوها **الاول** المراد به تركيبه وصورته وخلقته وفطرته وعلى
هذا القول فالاية تدل على كمال حسن صورة الانسان من وجهين **احدهما** انه تعالى
لما اضاف هذه الصبغة الى نفسه دل ذلك على كمالها كما في قوله بيت الله وناقة الله **والثاني**
انه قال ومن احسن من الله صبغة وهذا يدل على كمال هذه الصبغة **الثالث** ان المراد
منه دين الله ثم ذكروا في انه لم سمي دين الله بصبغة الله وجوها **احدها** ان بعض النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر ويسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا
فعل الواحد منهم بولده ذلك قالوا الان صار نصرانيا قال الله تعالى اطلبوا صبغة الله
وهي الدين والاسلام لا صبغتهم وقيل السبب في اطلاق لفظ الصبغة على الدين طريقة المشاكلة
نظير قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة
مثلها انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله
فان تسخروا منا فانا نسخر منكم **الثاني** ان اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ
اولادها نصارى يعني يلقنونهم فيصبغونهم بذلك ثم يشربون قلوب اولادهم من هذه

الاديان قال بن الانباري يقال فلان يصبغ فلاناً في الشر يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازماً للثوب وانشد بعلب

دع الشر وانزل بالنجاة تحرزاً • اذا انت لم يصبغك في الشر صابغ •

الثالثة انه سمي الدين صبغة لان هيئته يظهر المشاهد من اثر الطهارة والصلوة وغيرهما قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود والرابع قال القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني صبغة الله متعلق بقوله امنا بالله الى قوله ونحن له مسلمون فوصف هذا الايمان الصادر منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بين هذا الدين الذي اختاره وبين الدين الذي اختاره المبطل ظاهرة جلية كما تظهر المباينة بين الالوان والاصباغ لذي الحس السليم الحجة الثالثة قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واعلم ان التقويم تصيير الشي على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال قومه تقويماً فاستقام وتقوم ثم ذكروا وجوهاً في هذا التقويم منها ما نقل عن يحيى بن اكثم وجماعة انه حسن الصورة يحكى ان ملك زمانه خلى بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني احسن من القمر فانت طالق فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى به من هو اعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاول حسن الاشكال فاعطنا في الاخرة احسن الافعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب • الحجة الرابعة ان كل شخص فله حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيراً ما يتلازما ولذلك اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس ولا الى الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكما قلما توجد صورة حسنة يدبرها نفس ردية فنقش الخواتيم مقرر من السطور وطالعة الوجه عنوان ما في النفس وقال عليه السلام اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه وقال عمر اذا بعثتم رسولاً فاطلبوا احسن الوجه حسن الاسم وحكي ان المامون استعرض جيشاً فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فاذا الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع ازها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع ازها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن الحجة الخامسة في ان كمال الجسم من الفضائل قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم واعلم ان حسن الصورة وان كان امراً مرغوباً فيه الا ان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة افضل من الشهوة وكان حسن السيرة افضل لا محالة من حسن الصورة الحجة الثانية ان يوسف صلوات الله عليه اجتمع له حسن الصورة ووقع في انواع من البلا منها ان اباه كان يحبه اشد كما قال تعالى مخبراً عن اخوته اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله كما قال تعالى حكاية عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضاً يخل لكم وجه ابيكم وثانيها انه وقع بسبب الحسن في اسر الرق قال تعالى

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وثالثها انه وقع بسبب الحسن في زحمة مراودة المرأة قال تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ورابعها انه وقع في الهم كما قال تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وخامسها وقع في الخوف من زوج تلك المرأة قال تعالى والفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب اليم وسادسها انهم جعلوه في السجن بسبب هذه الواقعة وبقي هناك مدة طويلة قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين فهذه هي الافات الحاصلة بسبب حسن الصورة اما الخيرات الحاصلة بسبب حسن السيرة فوجوه احدها انه لما كان عالماً بعلم التعبير خاطبوه بخطاب التعظيم واستفتوا منه تعبير تلك الرؤيا قال تعالى حكاية عنهم يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان وثانيها ان الملك لما وجد عنده هذا العلم طلبه واخرجه من السجن قال تعالى وقال الملك ائتوني به وثالثها انه زالت التهمة عنه في هذا الوقت ببركة العلم قال تعالى قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ورابعها ان الملك اصطفاه لنفسه عند ذلك قال تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي وخامسها ان الملك اثنى عليه قال تعالى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح وسادسها ان يوسف توسل الى ذلك الملك بحسن السيرة لا بحسن الصورة فقال تعالى حكاية عن يوسف قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فثبت بما قلنا انه وقع في ستة انواع من البلا بسبب حسن الصورة ووصل الى ستة انواع من الخيرات بسبب حسن السيرة وذلك يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة الثالثة ان النسوة لما راين يوسف عليه السلام قلن حاش لله ما هذا الا بشراً ان هذا الا ملك كريم شبهن يوسف عليه السلام بالملك وذلك التشبيه كان في حسن السيرة لا في حسن الصورة لانه عليه السلام دخل مطرقاً راسه ولم ينظر الى واحدة منهن مع انه كان في اول زمان الشباب حتى ان النسوة مع غاية شهوتهن لم يذكرون منه الصورة بل ذكرن عنه السيرة فدل على ان حسن السيرة من حسن الصورة • الحجة الرابعة ان حسن الصورة من مفاخر النساء وحسن السيرة من مفاخر الرجال الحجة الخامسة انه تعالى وان كان لا يطلق في حقه لفظ حسن السيرة الا ان المعنى حاصل لان افعاله كلها حسنة من حيث انها كلها احسان وانعام واكرام ولطف وكرم وهو تعالى منزه عن الصورة وهذا يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة • الحجة السادسة ان حسن الصورة لا يبقى الا اياماً قلائل واما حسن السيرة فانه لا يزول ثم ولا يبطل نتيجته فدل هذا على ان حسن الصورة افضل من حسن الصورة فهذا جملة الكلام في شرح قول من قال ان المراد بقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم حسن الصورة وحسن السيرة الوجه الثاني ان المراد من هذا التكريم امتداد القامة وذلك لان السبع كلما كان اكثر ارتفاعاً واشد امتداداً كان اعلى في جنسه

فالاشجار كلما كان اكثر ارتفاعا وامتدادا كان اشرف فلهذا السبب سمي كل من جاوز احاد
جنسه بصفات الشرف فانه العالي والفائق **الوجه الثالث** المراد
بهذا التكريم انه تعالى اكرم الانسان حيث مكنه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح
واعلم انه تعالى خلق الخلق على اربعة اصناف في التركيب منها ما نسبة القائمين وهي الاشجار
والنبات ومنها ما نسبه الراكعين وهي البهائم ومنها ما نسبه الساجدين وهي الحشرات التي
تدب على بطونها ووجوهها ومنها ما نسبه القاعدين وهي الجبال والتلال ثم انه تعالى
اقدر الانسان على جميع هذه الهيئات ومكنه من ان يذكر الله تعالى في جميع هذه الاحوال
كما قال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فمن اتى بركعة واحدة فقد حصلت
في تلك الركعة الواحدة الهيئات الاربع وهي القيام والركوع والسجود والقعود فحينئذ تحصل
له ثواب هذه الاصناف الاربعة فاقدار الله تعالى الانسان على جميع هذه الهيئات وهو
المراد بقوله ولقد كرمنا بني ادم **الوجه الرابع** في هذا التكريم هو انه تعالى خلق
بني ادم من جوهر التراب وللتراب انواع من الفضائل احدها الوصلة وذلك لانه تعالى
خلق ابليس من النار كما قال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار سبب القطيعة والتراب
سبب الوصلة والثاني ان التراب فيه امانة قال تعالى في كل سنبلة مائة حبة وفيه
لطيفة وهو انه تعالى خلقك من شيء فيه امانة فاجتهد حتى لا تبدل الامانة بالخيانة
ولاجل كون التراب امينا قبل ادم عليه السلام الامانة وهو قوله انا عرضنا الامانة على السموات
الى قوله وحملها الانسان والثالث ان التراب طاهر وطهور قال تعالى فتيمموا
صعيدا طيبا ثم قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ولاجل هذا السر اصطفى الله تعالى
ادم فقال ان الله اصطفى ادم ثم اصطفى ابناءه ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا ثم كرمهم فقال ولقد كرمنا بني ادم والرابع التواضع والدليل عليه ان ادم
عليه السلام لما اتى بالزلة قال في الحال ربنا ظلمنا انفسنا ولما اتى ابليس بالمعصية قال له ربه
لم فعلت ⟨?⟩ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتكبر على الله وزاد اثمه ⟨?⟩ والخامس
الطهارة قال عليه السلام التراب طهور المؤمن والماء ايضا طهور قال تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا ثم عجن الماء بالتراب طاهرا وطهورا بطاهر بطهور واعلم
ان النار لا تنطفي الا باحد هذين الشيئين التراب والماء فجعل هذا الطين سببا لانطفاء نار
الوسوسة في الدنيا وانطفاء نار جهنم في الاخرة والله اعلم **الوجه الخامس**
في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم قال ابن عباس كرمناهم بالاكل بالاصابع واما
البهائم فانها تاكل بالفم واعلم ان وجه التكريم في هذا المعنى من وجوه الاول
ان الرأس محل العقل والفكر والذهن والاكل غذاء الشهوة والبطن ولا يليق بالحكمة ان يسجد الرأس
الذي هو محل العقل والفكر لاجل الغذاء الذي هو نصيب النفس بل جعلت اليد خادمة للرأس
حتى ان اليد ترفع اللقمة الى الفم حتى يخدم العبد سيده وفيه لطيفة وهي انه سبحانه اغناك عن

ان الخضوع

ان تخضع راسك وتسجد لطلب الطعام ولا تحرم عملك بسجدة المخلوق لطلب الطعام
الوجه الثاني في شرح هذه النعمة ان البهيمة تاخذ علفها بفمها ساقطة ملوثة اما
الانسان فانه ينظف طعامه باصابعه ويعين جيده عن رديه وههنا دقيقة وهي انه
سبحانه خلق رعاية مصالح البهائم بطبائعها حتى انها بطبائعها تميز بين مصالحها ومفاسدها
فحين رزقت تتناولها العلف عما يؤذيها وتجذب ما ينفعها وهكذا تكون كل الطيور والبهائم
والحشرات من اول الامر اما الانسان فانه خلق رشده بعقله لا بطبيعه حتى ان الانسان قبل
ظهور نور العقل فيه لا يميز بين النافع والضار اما اذا حملنا هذا التكريم على الارواح الروحانية
ففيه وجوه الاول ولقد كرمنا بني ادم بالعقل والفهم واعلم انه تعالى ذكر العقل في
كتابه من وجوه الاول تكثير اسمائه وسيجي بعد ونذكرها هنا بعضها فالاسم
الاول العقل قال موسى في مناظرته مع فرعون رب المشرق والمغرب ان كنتم تعقلون
واوحى الله تعالى الى داود اذا رايت عاقلا فكن له خادما وقال عليه السلام اول ما خلق الله
العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم
علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اعاقب وقال عليه السلام لا دين لمن لا عقل له وقال لا
يعجبكم اسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله وقالت الحكماء في تفسير هذا الخبر من لم يكن عقله
اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر عليه وايضا بالعقل قدر الانسان
على القيام باوامر الله في قوله قد افلح من زكاها وقدر على تحصيل حرث الاخرة في قوله من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه قالوا وثمرة حرث الاخرة على التفصيل سبعة اشياء بقاء بلا
فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنا بلا حاجة وانس بلا خوف وراحة بلا شغل وعز
بلا ذل وايضا اكثر المفسرين على ان معنى قوله الله نور السموات والارض الله هادي من
نور السموات والارض ومعلوم ان كمال تلك الهداية انما تحصل بالعقل وايضا العقل نوعان
غريزي وهي القوة المتهيئة للعلوم الكلية القدسية فوجود هذه القوة في الطفل كوجود النخل
في النواة والسنبلة في الحب ومستفاد وهو كمال حال هذه القوة ثم هذا المستفاد ضربان
ضرب يحصل للانسان حالا فحالا بلا اختيار منه ولا يعرف كيف حصل ومن اين حصل
وضرب يحصل باختياره فيعرف كيف حصل ومن اين حصل ولما انقسم العقل الى الغريزي
والمستفاد قال امير المؤمنين رضوان الله عليه العقل عقلان مطبوع ومسموع • ولا ينفع
مسموع اذا لم يك مطبوع • كما لا تنفع الشمس • وضوء العين ممنوع • والى القسم
الاول اشار النبي عليه السلام بقوله ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والى الثاني اشار بقوله
صلى الله عليه لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت
بعقلك تستبق بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الاخرة واعلم ان
لفظ العقل في اللغة اسم لما يقيد البعير به لئلا يند وسمي هذا المعنى به تشبيها على عادتهم
في تسمية المعقولات باسم المحسوسات تنبيها على انه هو الذي يمنع الانسان ويكون

البديهة

فيه دلالة عن الاقدام على ما لا ينبغي من الافعال **الاسم الثاني** اللب
قال ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقال فاتقون يا اولي الالباب وقال
في الطلاق فاتقوا الله يا اولي الالباب وقال في آل عمران ان في خلق السموات والارض
الى قوله لايات لاولي الالباب واعلم ان اللب من كل شيء هو المقصود الخالص منه وهذا الاسم
يدل على ان المقصود من الانسان انما هو العقل وكيف لا يكون كذلك واشرف الامور الصادرة
عن الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ثم من الظاهر ان معرفة الحق اشرف من
عمل الخير ومعرفة الحق لا تمكن الا بالعقل فدل على ان لب الانسان هو العقل **الاسم
الثالث** النهى ويحتمل ان تكون جمع نهية وان يكون اسما مفردا وجعل اسما للعقل
والذي ينهى عن الاشتغال بالمحسوسات ويتوجه الى عالم المعقولات فلهذا المعنى احال ارباب
العقول على تدبير معاني ارباب المحسوسات الى معرفة ما فيه من المعقولات كقوله تعالى اولم يهد لهم
كم اهلكنا من قبلهم وقال في سورة طه وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى
الى قوله لايات لاولي النهى **الاسم الرابع** الحجر واصله من الحجر اي المنع وهو ان
يحجر الانسان نفسه من فعل ما لا ينبغي قال تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر **والاسم
الخامس** الحجا من حجاه الشيء اذا قطعه ومنه الاحجية فكانه سمي العقل بهذا الاسم لكونه
قاطعا بين الانسان وبين الافعال القبيحة **الاسم السادس** ان العلم ثمرة العقل
ثم انه تعالى سمى العلم نورا والجهل ظلمة فقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور وسماه ايضا روحا في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسماه ايضا
حيوة والجهل موتا فقال او من كان ميتا فاحييناه وقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات
وايضا سماه ماء في قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها واذا كان العلم نتيجة للعقل
وحال النتيجة في العلو والشرف كذلك فاعرف ان الاصل كيف يكون **النوع الثاني**
في بيان فضائل العقل قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي لمن كان له عقل فجعل
من لا عقل له كمن لا قلب له ونظيره قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم وقال من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والمراد بالقلب في كل هذه الايات العقل
وايضا فقد اثبت الله تعالى للعقل ابصارا ورؤية اما الابصار ففي قوله وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون واما الرؤية ففي قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وقال في ابرهيم عليه السلام
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وقال الم تر الى ربك كيف مد الظل وسمى
عدم ادراك العقل عمى في آيات منها قوله تعالى صم بكم عمي ومنها قوله تعالى فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومنها قوله تعالى الذين كانت اعينهم في غطاء عن
ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا فلولا ان المراد من العين هاهنا البصيرة لا البصر لما قال
عن ذكري لان الذكر لا يدرك بحاسة البصر وكيف لا يكون فقد البصيرة اعظم ضررا من فقد
البصر وقد عرفت ان البدن بمنزلة الفرس والنفس بمنزلة الراكب وضرر عمى الراكب نفسه

اشد عليه من عمى فرسه وقال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
وقال للعقل ايضا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قيل ان كان للعقل هذه
الفضائل الكثيرة فلم قال اكثر اهل الجنة البله والجواب من وجوه **الاول** المراد بالبله
الجاهلون بامر الدنيا العالمون بامر الاخرة كما قال ابرهيم عليه السلام الا من اتى الله بقلب
سليم **الثاني** ان يكون من عند الله للجنة فهو ابله في جنب من يعبده لكونه النار بما لكما
الثالث قال الحسن اكثر اهل الجنة البله اي هم حشو الجنة كالعام في البلد **الرابع**
اكثر اهل الجنة البله اي هم العصاة الذين عفى الله عنهم واما العقلاء المطيعون فهم اهل الدرجات
العلى **الوجه الثاني** في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم انه خلق كل ما سواه
لاجلهم فقال في الارضيات هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال في السموات وسخر
لكم ما في السموات والارض وجعل لكم الارض فراشا لنا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا
والسماء سقفا لنا وقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وجعل كل ما في الارض رزقا فقال
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وجعل الشمس موقتا للصلوة فقال فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وجعل القمر معرفا للاوقات صياما وحجا فقال قل هي
مواقيت للناس والحج وزين السماء الدنيا بزينة الكواكب لاجلنا فقال ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح زيننا الكواكب وجعل الكواكب علامات يهتدى بها في اسفارنا فقال وعلامات
وعلامات وبالنجم هم يهتدون وجعل الشمس متحركة حتى نجد حركتها حد القبلة في النهار
وجعل القطب ساكنا حتى نجد بسكونه حد القبلة في الليل وخلق الانعام لمعاشنا وسائر
فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم سخر لنا الخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ثم قال ويخلق ما لا تعلمون اي عددت لكم من المنافع تفضلا ما لا تعلمون ثم ذكر الرسول
عليه السلام عن الله تعالى مثله في الجنة فقال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم خلق النبات لاجل لاجلنا فقال كلوا وارعوا انعامكم ثم قال انا
اعطيناكم هذه الاشياء بالفضل قبل الطاعة وبالكرم قبل السؤال كما قال وآتاكم من كل ما سالتموه
ثم جمع جميع النعم فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم وهذه
الخاتمة اعظم مما تقدم من النعم وذلك لان الانسان لما اشتغل بالشكر لم يشتغل بتعديد
نعم الله تعالى عليه جهد برحمته عذره في ترك ذلك الشكر فقال انها كثيرة وعقلك لا يقدر
على استحضارها على التفصيل فكان هذا الترك للعجز وكنت معذورا فيه وهو المراد من قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان الله غفور رحيم يعني غفور يستر عيبك في الدنيا
ورحيم يتجاوز عن تقصيرك في الاخرة فقال في سورة ابرهيم وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها
ان الانسان لظلوم كفار وهذا اشارة الى ان العبد الذي يقدر عليه من الشكر فانه لا
يفعله ويتغافل عنه **الوجه الثالث** في تفسير قوله ولقد كرمنا بني آدم
انه سخر قلبه لمعرفته ومحبته ولسانه لشهادته وبدنه لخدمته ثم في القيمة يعطيه كما ينبغي

قد بين الى ان يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده **الوجه الرابع** انه جعل اباهم
ادم رسولا الى الملئكة حيث قال انبئهم باسمائهم ثم جعله مسجودا لهم حيث قال
اسجدوا لادم ثم لعن ابليس لاجل مخالفته فقال اخرج منها فانك رجيم ثم اباح كل الجنة فقال
وكلا منها رغدا حيث شئتما ثم لما وقع في الزلة تاب عليه فقال فتاب عليه انه هو التواب
الرحيم ثم اكرم بالاصطفاء فقال ان الله اصطفى ادم ثم خصه بالاجتباء من بعد العصيان
فقال وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومعلوم ان اكرام الاب
سبب لاكرام الابن **الوجه الخامس** انه جعل فيهم الانبياء والرسل والابرار
كما قال موسى عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا **الوجه
السادس** اكرمنا بالخط الحسن وقيل بالخلق الحسن قال تعالى يزيد في الخلق ما يشاء
الوجه السابع اكرمنا بالفصاحة والبلاغة قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم
قال عليه السلام ان من البيان لسحرا وقالت الحكماء المرء باصغريه **الوجه الثامن** انه
تعالى اكرمنا بالاطعمة الصافية اللذيذة كالسمن والعسل اما السمن فقال فيه من بين فرث ودم
لبنا خالصا سائغا للشاربين واما العسل فقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه
فيه شفاء للناس وكذا الزبد والسكر ثم انه تعالى اباح الاكل فقال قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم من كرمه انه اعطاهن الاغذية اللطيفة ثم اوقع في
القلب ايثار الغير بها عند الحاجة اليها كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة حتى يجدونها في القيمة اكمل واحسن كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله
باق وعصا من حال من قال في صفته اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا **الوجه
التاسع** اكرمنا بالامر والنهي وتشريف التكليف الا ترى انه لما كان ولد الانسان عليه عن
من عبده لا جرم يكون تكاليفه على ولده اكثر من عبده **الوجه العاشر** قال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ولقد كرمنا بني ادم بالدعوة الى الجنة قال تعالى والله تعالى يدعوا
الى دار السلام فاكرمكم بالدعوة الى الدار ووعد لقاء الملك الجبار كما قال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة **الوجه الحادي عشر** انه تعالى خلق الخلق اصنافا فاخلقه
ثم خص الحيوان بمزيد التفضيل والشرف وذلك لانه لو خلق العرش والسموات والشمس والقمر
ولم يخلق حيوانا البتة لكان الكل عبثا لانه سبحانه منزه عن النفع والضر وليس هناك حيوان
ينتفع به البتة وكان خلق هذه الاشياء خاليا عن الحكمة اما لو خلق العرش وخلق بعوضه
وقال خلقت هذا العرش لتنتفع به هذه البعوضه خرج التخليق عن ان يكون عبثا ودخل
في ان يكون حكمة فثبت بهذا ان العرش يمكن جعله تبعا للبعوضه ولا يمكن جعل البعوضه
تبعا للعرش فلهذا المعنى قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم فضل الادميين
على كل الحيوانات كما قال وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم فضل الذكور على النساء
فقال الرجال قوامون على النساء ثم فضل المومن على الكافر فقال وبشر المومنين بان لهم من الله

قال تعالى الذي علم بالقلم

فضلا كبيرا ثم فضل العلماء والمجاهدين اما العلماء فقال يرفع الله الذين امنوا منكم الاية
واما المجاهدون فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين
ثم فضل اولوا العزم من الرسل فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فضل الله منهم اربعه
على الباقين وهم الخليل والكليم والروح والحبيب وقال وفضلنا بعض النبيين على بعض
ثم فضل محمدا عليه السلام على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما فكرمك ان جعلتك
مومنا برا تقيا عارفا بربك مجاهدا في طاعة ربك ثم جعلتك على ملة ابرهيم ودين محمد عليه
السلام **الوجه الثاني عشر** في تفسير هذا التكريم انه اكرمنا بالتقوى فقال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والرسول عليه السلام اتقى لقوله وما ينطق عن الهوى ثم ابو بكر اتقى الامه قال
تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى والجنه معدة للمتقين قال تعالى في صفة الجنه
اعدت للمتقين فالحمد لله الذي جعلنا من امة اتقى الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن محبي
اكرم الاتقياء وهو ابو بكر رضي الله عنه **البحث الرابع** في قوله ولقد كرمنا بني ادم
فان قال قائل انكم فسرتم هذا التكريم بهذه الوجوه الا ان فيه اشكالا وهو ان بني ادم فيهم المومنون
وفيهم الكافرون فكيف يليق هذه التشريفات بالكافرين والجواب من وجوه الاول
فيه تنبيه على دقيقة لطيفة وهي ان من ليس بمومن فكانه ليس من الاحياء بل من الموتى
الثاني ولقد كرمنا بني ادم ولقد كرمنا من بني ادم كقوله تعالى واختار موسى قومه
سبعين رجلا الثالث ان تفسير التكريم بالاحوال التي يشترك فيه المومن والكافر
وهي الصورة الحسنة والقد المستقيم والاغذية اللطيفة وكون جميع المخلوقات مخلوقة
لنا ويحصر خواص اهل الايمان بهم وعند هذا نقول التكريم عام في حق الكل والاصطفاء
خاص الا ترى انه تعالى قال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين
وقال الله يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس وقال في حق موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالتي وقال في حق الامة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا **الوجه
الرابع** انه تعالى عمم المومن والكافر في تسعة اشياء الخلق والرزق والاقدار وارسال
الرسل وانزال الكتب والامر والنهي والترغيب والترهيب ثم خص المومنين بسبعة اشياء
احدها الهداية قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ثانيها
المحبة والزينة قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وثالثها
التيسير فسنيسره لليسرى ورابعها التوفيق ما شاء الله لا قوة الا بالله وقال وما
توفيقي الا بالله وخامسها كراهة الكفر وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
وسادسها القبول انما يتقبل الله من المتقين وسابعها المغفرة ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهذا جملة الكلام في تفسير قوله ولقد كرمنا بني ادم **النوع
الثاني** من التشريفات المذكورة في هذه الاية قوله وحملناهم في البر والبحر والمعنى
اعطيناهم المراكب اما في البر فهي الخيل والبغال والحمير لاجل ركوبنا والجمال لاجل ركوبنا وحمل امتعتنا

والذين اوتوا العلم درجات واما المجاهدون
فقال وفضل الله المجاهدين ثم فضل
الانبياء عليهم السلام

حملتك

كما قال و تحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس واما في البحر فهي السفن والزوارق
وفيه نكتة وهي ان الدنيا سجن المومن ودار البلا ثم انه في الدنيا اعطي انواع المركوبات والاخرة
دار الرحمة والاحسان فكيف يترك العبد في القيمة بغير مركوب فلهذا قال يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا واكبس على المحاسن والنجايب وقال الصادق البر هو النفس والبحر هو القلب
فمن حمله في النفس فقد اكرمه بنور التدبير ومن حمله في القلب فقد اكرمه بنور التاييد وقال
بعضهم وحملناهم في البر والبحر اي تكفلنا تحصيل مصالحهم في كل الاحوال **النوع
الثالث** من التشريفات المذكورة في هذه الاية قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات
اي اطعمناهم الاطعمة اللذيذة كالسمن والعسل والزبد والسكر وما رزقناهم شيا من الخبيث
والاذى وذلك لان الجن ياكلون العظم ودوابهم ياكلون الروث والبهايم تعلف التبن
والعشب والطيور تلتقط الحب والسباع تاكل الجيف مما اغذية بني ادم فهي لطيفة
نقية انما المسكين انعم ما اطعمك الا الطيبات ولا تتناول بسوء اختيارك الخمر ولحم الميتة
كما قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال ورزقناهم من الطيبات
اي تارة مطبوخا واخرى غير مطبوخ واما سائر الحيوانات فغير مطبوخه اصلا وقيل
ورزقناهم من الطيبات المعرفة والمناجاة كما قال عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني
النوع الرابع من التشريفات في هذه الاية قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
الكلام في هذه الاية متعلق بمسلة تفضيل الملك على البشر وستجي هذه المسلة بالاستقصا
ان شا الله تعالى وبالله التوفيق قال كعب الاحبار الخلق ثلاثة اصناف الملئكة ولهم عقل
بلا شهوات والبهايم ولها شهوة بلا عقل والادمي وله كلاهما فمن كانت شهوته راجحة
على عقله فهو اخس من البهايم كما قال اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
فعلى هذا القياس من كان عقله راجحا على شهوته وجب ان يكون افضل من الملئكة
وايضا فهذه المراتب الاربعة بمجموعها غير مذكور لاحد سوى بني ادم وهذا يدل على انهم
افضل واعلم ان قوله ولقد كرمنا بني ادم فيه تشريف عظيم وذلك لان التكريم عبارة عن
جعل الشي كريما والكريم هو الذي يكون منشا الكرم وهذا تنبيه على انه تعالى جعل بني ادم
للحيوانات ومصلحا لاحوالها وضابطا لامورها على الوجه الاصلح الاليق فيصير معناه كونه
خليفة الله في ارضه كما قال اني جاعل في الارض خليفة ثم قال في المرتبة الثانية وحملناهم في البر
والبحر وفيه اشارة الى علو درجته وتعظيم مقاماته والتحقيق فيه وهو ان الانسان كانه
جالس على الحد المشترك وهو اخر مراتب العالم الارضي واول مراتب عالم السموات فنسبته
الى الارضيات بالفعل والترتيب ونسبته الى السموات بالانفعال والقبول كقوله ولقد
كرمنا بني ادم اشارة الى كونه متصرفا في السفليات وقوله وحملناهم في البر والبحر اشارة الى فيضان
انوار السموات عليه ثم قوله ورزقناهم من الطيبات اشارة الى بيان الرتبة الواصلة اليه
من عالم الغيب اما الى نفسه وروحه فبالعلم والحكمة والعصمة والتسديد واما الى جسده

وقالبه

وقالبه فبالاغذية الموافقة واما قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فهو اشارة الى دقيقة
عجيبة وذلك ان الملئكة ارواح عقلية محضة مطهرة عن علايق الحس والخيال والشهوة
والغضب فالحيوانات اجساد محضة لا حظ لها من عالم العقول وعيان العصمة واما الانسان
فهو مستجمع للمنزلتين ومستحضر للدرجتين فهو مع الملئكة ملك ومع السباع سبع
ومع البهايم بهيمة ومع الشياطين شيطان فكونه مستجمعا لكل هذه الاحوال يصلح ان يكون
مرادا من قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والله اعلم بالمراد من كلامه **الفصل
الثالث في بيان اول الاباء هو ادم عليه السلام** اعلم ان اول
المخلوقات على قسمين منهم من كان من جملة المكلفين ومنهم من لم يكن كذلك واجمع العقلا على
ان المكلف افضل ممن لا يكون مكلفا وكيف لا يكون كذلك وقد قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وهذا نص صريح في ان المقصود من الخلق انما هو التكليف واذا كان كذلك
فكل ما بقي في الخلق من يكون قايما بعهدة التكليف بقي عالم الخلق فاذا لم يبق احد يقوم باداء
التكليف صار عالم المخلوقات عبثا والحكيم لا يرضى بالعبث وحينيذ تخرب السموات
والارضون وتقوم القيمة واذا تاملت هذا علمت ان قيام السموات والارضين والجبال
والبحار ودوران الشمس والقمر والنجوم وكلها كالكفيل على قيام ذلك الشخص الاشعث
الاغبر الذي يرده الخلق ولا يقبله احد من الناس وهو قايم باداء تكليف الله فهو قايم باداء
التكليف ومشتغل باداء العبودية والسموات والشمس والقمر والنجوم والعناصر قايمة اليه
باقية تبعا لبقايه فجملة ملوك الارض انما ياكلون من فتات سفرته وانما يشربون من بقية
ما في ركوته وهذا هو المراد من قوله عليه السلام ان لله عبادا في العالم هم السبب الاصلي في مصالح
اهل العالم فبهم ينظرون وبهم يرزقون وفي كل جنس واحد هو كلهم واجلهم واعلاهم
يقربون منه فذلك الاكمل الافرد في القيام بعهدة امر الله المسمى بقطب الارض والذين
يقربون منه ولكنهم بعدما وصلوا اليه فهم اصحابه واذا عرفت هذا فنقول اصناف المكلفين
اربعة الملئكة والجن والانس والشياطين اما الملئكة فقد روي في الاخبار ان الله تعالى خلقهم
من الريح وهذا الخبر متاكد بوجوه عقلية احدها انهم قدروا على الطيران على سرعة الوجوه
وثانيها انهم قدروا على حمل العرش وذلك لان الريح صاعد بالطبع يحمل سنة الاشيا
وثالثها انهم سموا روحانيين واشتقاق الروحاني من الريح وروي ايضا في بعض الاخبار
انهم خلقوا من النور ثم هذه الرواية تاكدت بوجوه عقلية احدها انها صفت عن الكدورات
وخلصت في طاعة رب الارض والسموات وثانيها انها توغلت بقوة نورانيتها في
بحار عرفان جلال الله وثالثها انهم بسبب تلك النورانية تبرات عن المعاصي والذنوب
وعند هذا قال بعض العلما الاولى ان نجمع بين الروايتين فنقول ابدانهم من الريح وارواحهم
من النور فهولاء هم سكان عالم السموات واما الشياطين فهم كفرة واما ابليس فكفره ظاهر
لانه تعالى قال وكان من الكافرين واما ساير الشياطين فهم ايضا كفرة بدليل قوله وان الشياطين

يبوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون فنهاهم بأسرهم اعداء البشر ويدل
قوله تعالى في صفة ابليس ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم
عدو بئس للظالمين بدلا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
اما الجن فمنهم مسلم ومنهم كافر وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
فهذا هو الكلام في تفصيل احوال هذه الاجناس الثلثه واما الجنس الرابع وهو الانسان والبشر ولا
شك ان منهم مؤمن ومنهم كافر واما اصلهم فهو من شخص واحد وهو اول الاباء والذي يدل
على وجوب انتهاء هذه الاشخاص البشريه الى شخص واحد يكون هو اول الاباء وجوه **الحجة
الاولى** انه لو وجد انسان في الازل فذلك الانسان اما ان يقال انه كان مسبوقا بانسان اخر
وما كان مسبوقا بانسان اخر فان كان مسبوقا فالازلي مسبوق بغيره وهذا محال لان الازلي
عبارة عن نفي المسبوقية والجمع بين المسبوقية واللامسبوقية محال وان لم يكن مسبوقا بانسان اخر
فذلك الانسان هو الانسان الاول فالاباء وتنقل الصفات منتهية الى الاب وهو المطلوب
الحجة الثانية ان الانسان لا ينفك عن تغير الحالات وتبدل الصفات
وتنقل الصفات لكن تغير الحالات في الازل محال وهذا يقتضي انه لم يوجد احد من البشر في
الازل واذا كان كذلك وجب القول بانتهاء الناس الى الانسان الاول **الحجة الثالثة**
لو لم يكن للاباء مبدأ لتوقف حصول الواحد منا على انقضاء ما لا نهاية له لكن انقضاء ما لا نهاية
له محال فالموقوف على المحال محال فكان ينبغي ان لا يوجد هذا الولد وحيث وجد
علمنا ان الذين انقضوا لهم مبدأ واول **الحجة الرابعة** لو حصل شيء من الناس في
الازل لما فني لان الازلي لا يقبل العدم **الحجة الخامسة** ان الذين وجدوا فيما قبل
لو لم يكن لهم مبدأ لكانت اعدادهم غير متناهيه ولو كانت كذلك لامتنع انقضاؤها عليها لان
انقضاء ما لا نهاية له محال **الحجة السادسة** ان كل عدد داخل في الوجود فهو
قابل للزياده والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه **الحجة السابعة** مجموع الاباء الذين
لا نهاية لهم من الانسان والاباء الذين لا نهاية لهم من هذه النشأه اكثر عددا من كل واحد من هاتين
الجملتين وحدها فيكون كل واحد من الجملتين وحده اقل من المجموع فاقل من غير متناه والمجموع
ضعف المتناهي فيكون الكل متناهيا **الحجة الثامنة** كل عدد موجود فهو اما
شفع او وتر وعلى التقديرين فهو متناه فكل عدد موجود فهو متناه فثبت بهذه البراهين
وجوب انتهاء الاباء الى الاب الاول فان قيل انا لم نشاهد انسانا يكون الا من نطفة الاب
في رحم الام وهذا يقتضي ان يكون كل انسان مسبوقا بانسان اخر والجواب ان
المحققين من الفلاسفه اتفقوا على انه يمكن حدوث الانسان بالتولد كما يمكن حدوثه بالتوالد فاحتجوا
عليه من وجوه **الحجة الاولى** ان بدن الانسان انما يتولد من اجتماع العناصر الاربعه
فاذا كان كذلك وجب ان يكون المحدث لبدن الانسان هو الله تعالى اما المقدمة الاولى
فالدليل على صحتها ان هذه الاعضاء الحيوانيه لو احترقت لحصل عنها ماء ورماد وتصاعدت

الاوليه

وهو خارج عن الوجود فهو متناه

الجرم

اجزاء كثيره عنها وذلك يدل على ان هذه الابدان الحيوانيه مؤتلفه من هذه العناصر
واما قلنا انه لما كان الامر كذلك كان محدثها هو الله سبحانه وتعالى وذلك لان لهذه العناصر
الاربعه طبايع متضاده متنافره موجبة للتباين مانعة من الاجتماع واذا كان كذلك فهي
مع كونها مسارعة الى التباين لما اجتمعت افتقر اجتماعها الى جامع وذلك الجامع اما ان يكون
قوة حالة فيها او شيئا خارجا عنها والاول محال لان القوة الحالة فيها اما ان تكون حالة في
بسايطها او في الجسم المركب المتولد من امتزاجها والاول باطل لانا بينا ان الطبايع الحالة
في تلك البسايط موجبة للتباين والتنافر فلا تكون موجبة لاجتماعها وامتزاجها والقسم
الثاني ايضا باطل لان القوة الحاصلة للجسم المتولد عن امتزاجاتها متقدم عليه تبع لتلك
الامتزاجات فيتقدم عليها والمتاخر لا يكون نفس المتقدم فثبت ان الجامع لهذه العناصر لا قوة
حالة فيها ولا قوة حالة في الجسم المتولد من امتزاجاتها فاذن ذلك الجامع شيء مباين
عنها وهو الله سبحانه وتعالى فثبت ان المحدث لهذه الابدان الحيوانيه هو الله سبحانه
وتعالى واذا كان كذلك كان قادرا على احداثها كيف شاء واراد فيكون قادرا على احداثها
من غير سبق الاب والام وهو المطلوب **الحجة الثانية** ان الكيفيه المزاجيه
الحاصله في ابدان الحيوانات انما تحدث بايجاد الله تعالى لا لاجل امتزاج هذه العناصر ومتى
كان الامر كذلك وجب ان يكون الله قادرا على ايجاد هذه الكيفيه الملايمه كيف شاء واراد
من غير واسطة الاب والام اما قلنا ان حدوث هذه الكيفيه ليس لامتزاج هذه العناصر
وذلك لان الحار والبارد اذا اختلطا فاما ان يكون تاثير كل واحد منهما في كسر الاخر معا
او على التعاقب والاول باطل لان العله موجودة مع المعلول وعلة انكسار كل واحد منهما
قوتا حال كون كل واحد منهما منكسرا وذلك محال والثاني ايضا محال لان احدهما اذا كسر
الثاني فامتنع ان يصير المغلوب بعد مغلوبيته غالبا فعلى هذا التقدير لا يكون هذا
الامر حاصلا بكونه كونا وفسادا ولما بطل هذان القسمان ثبت ان حصول هذه الكيفيه الملايمه
للحيوة ليس لاجل امتزاج الطبايع والعناصر بل هي كيفيه خلقها الله تعالى واحدثها ابتداء واذا
كان الامر كذلك كان الله تعالى قادرا على خلقها كيف شاء واراد فيكون قادرا على احداثها في
الجسم من غير سبق الاب والام وهو المطلوب **الحجة الثالثة** هب ان حدوث
تلك الكيفيه انما تكون بسبب امتزاج العناصر واجتماع الطبايع لكنا نقول ذلك المزاج انما حدث
لانها اجزاء مخصوصه متقدره اجتمعت واختلطت فلزم من اجتماعها واختلاطها تاثر بعضها
عن البعض ولزم من ذلك التاثير حصول المزاج المخصوص للانسان ولزم من حصول ذلك
المزاج المخصوص حدوث النفس الانسانيه فاذا ما حصلت تلك الاجزاء المخصوصه بذلك
التصوير المخصوص وحصل اختلاط بعضها بالبعض حدث الانسان بالتولد لكن حدوث
تلك الاجزاء المخصوصه بذلك العصور المخصوص مع اختلاط بعض تلك الاجزاء ببعض
امر ممكن والمتعلق بالممكن ممكن فحدوث الانسان على سبيل التولد امر ممكن فهذه نكته متوجهه

..الاخر فلو حصل على قوة كون كل واحد منهما

ما لا ... حال

لمقدار مخصوص مخصوص بصور مخصوصه

جدًا على قول الفلاسفة **الحجة الرابعة** ان انقطاع النوع امر ممكن واذا كان
كذلك وجب ان يكون الحدوث على سبيل التولد ممكنا اما قولنا ان انقطاع النوع ممكن
فلانه ليس بواجب ان يكون على كل انسان انسانا واذا كان هذا الاحتمال قائما لكل ثبت
ان انقطاع النوع امر ممكن واذا ثبت هذا وجب ان يكون الحدوث على سبيل التولد امرا
ممكنا اذ لو لم يكن ممكنا لوجب ان لا ينقطع الانقطاع الذي لا عود له **الحجة الخامسة**
انا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات بالتولد فقد يحدث حباب من السعتر وعقارب
من التبن والبادروج والفار يتولد من المدر والضفادع تتولد من المطر وجميع هذه الاشيا
كما انه يحدث بالتوالد فهي ايضا تحدث بالتولد وليس اذا انقطع هذا التولد فلم نشاهد
في سنين كثيرة وجب ان لا يكون له وجود في القدرة عند تشكل قادر يحصل في الفلك
لا يتكرر الى حين **الحجة السادسة** ان اكثر الناس يتعجبون من تولد
الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من تولدها في الرحم من الماء المهين وهذا عجيب في الحقيقة
وذلك لان الناس يقدرون على تصوير الحيوانات من الطين ومن الخشب ومن الحديد
كما هو موجود ولا يمكنهم ان يصوروا حيوانا من الماء لان الماء جسم سيال لا يتماسك فيه
الصور فكون هذه الحيوانات في الارحام من الماء المهين له اعجب في الحكمة واعظم في القدرة
من تكونها من الطين فان قال قائل اذا كان الصانع المختار قادرا على خلق الولد
من دون الابوين فلم لا يخلق هذا لتكون الدلالة اقوى والجواب ان الحكمة فيه من وجوه
الاول لو خلق البشر من غير هذا الوجه لبطل التعارف بالانساب وفي
بطلانه سقوط المصالح الكثيرة بين الناس في المعاملات وقد نبه الله عليه فقال يا ايها
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل **الثاني** لو لم يحصل التوالد
لبطل صلة الرحم وزوال تعطف القرابات وبطل تلذذ الاباء بالابناء وتعزز الابناء بالاباء
وزوال مصالح كثيرة من العالم وقد نبه الله تعالى عليه فقال وهو الذي خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فكان معناه والله اعلم جعله نسبا لما فيه من
المصالح اللطيفة وكان قادرا على ان يوجد ابتداء **الثالث** ان العاقل قد امر بالتواضع
والاجتناب عن الكبر ثم ان العاقل اذا علم انه خلق من نطفة قذرة وسار في مخرج البول
مرة بعد مرة وتساقى نجاسة يغتذي منها ونبت لحمه وعظمه منها كان كاسر النخوة وقد نبه الله تعالى
على هذا فقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم
القادرون ويل يومئذ للمكذبين فمن علم ان من كان كذلك لم يكن له ان يتكبر بل الواجب عليه
ان يذل لخالقه ويخضع لربه والله اعلم فثبت بهذا ان اصول الفلسفة شاهد بامكان هذا المعنى
واما شهادة الاصول الاسلامية على صحتها فلا شبهة فيها فعلمنا ان الطعن فيه باطل اذا ثبت
ما ذكرناه فنقول ان القران دل على ان ذلك الاب الاول هو ادم عليه السلام قال تعالى يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا

واعلم ان في هذه الاية اسرار وذلك لانه سبحانه افتتح سورتين من كتابه بهذا اللفظ احداهما
اول سورة النساء فقال يا ايها الناس اتقوا الى قوله من نفس واحدة **والثانية** سورة
الحج فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم واما السورة الاولى فهي الرابعة
من سور النصف الاول من القران فان اولها الفاتحة ثم البقرة ثم ال عمران ثم النسا واما سورة
الحج فهي ايضا السورة الرابعة من النصف الثاني فان اولها مريم ثم طه ثم الانبيا ثم الحج وفي
كيفية ترتيب هاتين السورتين عجايب **الاول** ان السورة الاولى اشارة الى
ابتدا في كيفية التكوين والايجاد فانه قال اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها والثانية اشارة الى حال المعاد في كيفية الاعدام والافنا فانه قال ان زلزلة الساعة
شيء عظيم ثم لا شك ان الايجاد مقدم على الافنا ولهذا قدمه الله تعالى في الذكر فقال تؤتي
الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا فقدم ذكر الابقا على ذكر النزع فلهذا السبب قدم سورة النسا
على سورة الحج **والطبقة الثانية** ان الايجاد يشبه الرحمة والاعدام يشبه الغضب وقال
سبقت رحمتي غضبي فلا جرم قدم سورة الايجاد على سورة الافنا **والطبقة الثالثة**
انه تعالى قال هناك الذي خلقكم من نفس واحدة ولم يقل في الحج ربكم الذي اقام زلزلة الساعة
نظيره قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب عليكم القصاص في القتلى كتب عليكم الصيام
فان قيل اسم الربوبية منشا اللطف والرحمة والكرم فكيف يليق بهذه الكلمة التخويف الشديد
الحاصل في قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم قلنا من كمال تربية المؤدب الرحيم المشفق ان يضرب
ولده وان يهدده حتى يزداد سعيه في طلب المكارم والمعالي وهذا هو الجواب عن سؤال
من سال عن قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان فانه يقال ان قوله
سنفرغ لكم ايه الثقلان غاية التهديد وقوله فباي الاء ربكما تكذبان اشارة الى تعديد
الالاء والنعماء فكيف يليق هذا بذاك لانا نقول التهديد من الاب المشفق الرحيم في حق
الولد الكسلان المغفل يكون من اعظم النعم **الوجه الثاني** في الجواب
ان المراة ترضع ولدها الى سنتين ثم انها تلطخ حلمة ثديها بالصبر والاشيا المضرة ثم تضعها
في فم الصبي كانها تقول اني لا افطمك بهذه المرارة شحا عليك وانما ذلك لغرض اخر وهو انه
خلق في الدنيا لذات ونعيم لا تحصى ولا ينالها الا بترك تلك المصة الواحدة فيجرع هذه المرارة
حتى يصل الى تلك الخيرات الكثيرة وكذا الرب سبحانه اعد لك في الجنان لكنك لا تصل اليها
الا بتجرع كاس الموت وتخريب هذا العالم من اعظم النعم في حقك فلهذا المعنى قال اتقوا ربكم
ان زلزلة الساعة شيء عظيم ومن الايات النعم في حقك الدالة على ان اول الاباء هو ادم عليه
السلام قوله تعالى في سورة الاعراف هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها الاية فيه اشكال وهو ان اخر هذه الاية دل على ان هذه النفس الواحدة قدم على الشرك
على ما قال فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون ومعلوم
ان الشرك لا يليق بادم عليه السلام فلا جرم قال المحققون المراد من هذه النفس الواحدة قصي

من كلاب والشرك الصاد ... هواه سمى اولاده بعبد المطلب وعبد قصي وعبد الدار
وعبد اللات والله اعلم

الفصل الرابع في كيفية تخليق ادم عليه السلام

اعلم انه تعالى ذكر في كيفية تخليق ادم عليه السلام ايات احداها انه مخلوق من التراب
فقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال ومن اياته ان
خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال في حق اولاد ادم منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال في سورة النجم هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وقال في سورة نوح والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم اخراجا واعلم ان قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون اشكالا وهو ان ظاهر الاية يقتضي ان قوله كن فيكون متاخرا عن
تخليق ادم وهذا محال لانه لا بد وان يكون قوله كن فيكون متقدما على وجود ادم في الوجود
والجواب من وجهين الاول ان يحمل خلق ادم على خلق بدنه ويحمل قوله
كن فيكون على خلق روحه **الوجه الثاني** ان يحمل الخلق على التقدير وعند
هذا يزول الاشكال لانه يحصل التقدير في علم المقدر اولا ثم يحصل التخليق والتكوين
مفرعا عن ذلك التقدير والله اعلم والاية الثانية ذكر فيها انه مخلوق من الماء قال تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وقال والله خلق كل دابة من ماء وقال الم
نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين والاية الثالثة ذكر فيها انه مخلوق من الطين
فقال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين وقال ايضا اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين والاية الرابعة ذكر فيها انه خلقه من سلالة من طين
وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين والاية الخامسة انه مخلوق
من طين لازب قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب والاية السادسة انه مخلوق من
صلصال من حما مسنون قال تعالى اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون والاية
الثامنة انه خلقه من العجل قال تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم اياتي فلا تستعجلون
الاية التاسعة قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد الى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد
والاية العاشرة قوله الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة فهذا مجموع
هذه المراتب ولنشرح كل واحد منها فنقول **اما المرتبة الاولى** فهي انه مخلوق
من التراب والطين واعلم ان ابليس لعنه الله طعن فيه بسبب كونه مخلوقا من التراب وفضل
نفسه عليه بسبب كونه مخلوقا من النار فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والعلما ذكروا
في تفضيل التراب على النار وجوها **الحجة الاولى** ان التراب في غاية التواضع
والنار في غاية التكبر فلما خلق ادم من التراب ظهر منه التواضع فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم
تغفر لنا ولما خلق ابليس من النار ظهر منه التكبر فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين وقال ارايتك هذا الذي كرمت علي **الحجة الثانية** ان التراب وان كان مظلما

كالحما المسنون ... والاية السابعة انه مخلوق من ...

الا انه ستار للعيوب والنار وان كانت مضيئة الا انها تدل على العيوب وتظهر الفضائح
الحجة الثالثة ان التراب يطفي النار فلهذا السبب كان وجود ادم عليه السلام
سببا لانطفاء ونور ابليس وايضا الشهوة والغضب والحرص مخلوقة من النار الا ترى ان الشهوة
لا تعمل في الغذاء الا بواسطة الحرارة واما ان الغضب نار فظاهر واما ان الحرص نار فكذلك
وذلك لان خاصية الحرص ان الانسان كلما وجد من الدنيا اكثر صار حرصه اعظم كالنار كلما
القيت فيه الحطب اكثر كان اشتعالها اعظم واحتياجها الى الحطب الكثير اشد فثبت ان الشهوة
والغضب والحرص كلها مخلوقة من النار ثم ان الله تعالى اودع هذه الصفات في ذاتك فلاجرم
خلقك من الطين وهو تراب وماء وكل واحد منهما سبب لانطفاء النار وكان المقصود من خلق
الانسان من التراب ان تنطفي هذه النيران ويبقى الانسان مصونا في الدنيا من الخذلان وفي
الاخرة من دركات النيران **الحجة الرابعة** انه سبحانه انما خلق الانسان لخلافة الارض
قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة فخلقك من الارض فان خليفة الارض اذا كان مخلوقا
من الارض كان ارحم باهل الارض **الحجة الخامسة** اراد اظهار القدرة
فخلق الشياطين من النار التي هي في غاية الاشراق والضوء ثم ابتلاهم بظلمات الجهالات
والضلالات وخلق الملائكة من الهوا الذي هو الطف واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق
السموات من امواج مياه البحار وابقاها معلقة في الهوى موصوفة بكمال الشدة كما قال
في صفتها وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وما لها من فروج وقال سبعا شدادا
وخلق ادم من التراب الذي هو اكثف الاشيا واشدها ظلمة واعطاه الطاعة والمحبة
والمعرفة التي هي نور الاشيا واضواها والمقصود من كل ذلك اظهار الضد ليكون ذلك
برهانا باهرا وبيانا ظاهرا على انه هو الخالق بغير احتياج والمقدر والمدبر بلا مزاج وعلاج
الحجة السادسة ان التراب سبب الوصلة دليله قوله تعالى انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة والنار سبب القطيعة ولما كان الامر كذلك لاجرم حصل لادم
عليه السلام شرف الوصلة ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وحصل لابليس صفة القطيعة
اخرج منها فانك رجيم **الحجة السابعة** التراب فيه امانة والنار فيها
خيانة اما الاول فلانك اذا دست اليه كفا من الحنطة رد اليك جرابا من الحنطة قال
تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه واما ان في النار خيانة فانها تحرق الاشيا
ونفسها وايضا لما كان من التراب لاجرم قبل الامانة كما قال وحملها الانسان وحفظها
على احسن الوجوه ولما كان في النار خيانة لاجرم ان ابليس عبد ربه سنين ثم خان في
تلك العبادة كما قال وكان من الكافرين **الحجة الثامنة** ان التراب طاهر
وطهور قال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وجناب الحق سبحانه طيب طاهر
وقال عليه السلام ان الله تعالى طيب لا يقبل الا الطيب فلما كان التراب والماء طاهرين
طيبين لاجرم كان ادم لكونه مخلوقا منهما طاهرا طيبا ولما كان كذلك كان مخصوصا

من الضد

قال عليه السلام التراب طهور المسلم ولو لم يجد ... عشر حجج ... والنار لا ... طاهرة ولا طهور

من رحمة الله بالمزيد كما قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات **الحجة**
التاسعة روى ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة فالاغنياء طمعوا في ان ينزل في
دارهم وكانوا يا خذون بزمام الناقة يجذبونها الى بيوتهم فقال عليه السلام دعوها فانها مامورة
ثم انها سارت حتى وصلت الى باب دار ابي ايوب وبركت هناك وما كان السبب لذلك
الا غاية فقر ابي ايوب وشدة انكساره وهذا ايضا متايد بقوله عليه السلام حاكيا عن ربه
جل جلاله انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي اذا عرفت هذا فنقول التراب اعظم المخلوقات انكسارا
وتذللا وتواضعا لانه تحت كل الاجسام والخلق يضعون اقدامهم عليه ويمشون عليه
ولما كان اعظم الاشيا نقصانا وحقارة هو التراب لاجرم صار محلا ومنزلا لمحبة رب
العالمين قال تعالى يحبهم ويحبونه واما النار فانها تدعي العلو والرفعة والنورانية فكانت
صفة النار صفة لفرعون كما قال تعالى في صفته ان فرعون علا في الارض وجعل
اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم وكانت صفة التراب صفة لموسى عليه السلام
قال تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فلاجرم
صار التراب اعز الاشيا والنار اذلها **الحجة العاشرة** النار يعلوها الدخان
المظلم فنوره تحتاني وظلمته فوقاني واما التراب فظلمته تحتاني ونوره فوقاني اليه يصعد
الكلم الطيب وايضا النار حسنة المنظر قبيحة المخبر وهي كالمنافق وكالمراة الفاجرة
والارض قبيحة المنظر حسنة المخبر وايضا النار ظاهرها نور وباطنها نار والارض
بالضد من هذه الصفات فالحاصل ان باطن الارض كله منفعة وباطن النار كله مضرة
ونظر الخالق تعالى على الباطن والاسرار على الظواهر فلذلك عامل ادم بحسب باطنه
وابليس بحسبه على وفق باطنه **الحجة الحادية عشر** ان نهاية السفل هي الارض ونهاية
العلو هي العرش والعرش احد اركان عالم الاجسام واما النار فليست كذلك لانها ليست
في غاية العلو فان السموات والكرسي والعرش فوقها ولا غاية في السفل فان الهوا والما
والارض تحتها فما كانت النار كاملة في مقام من المقامات **الحجة الثانية عشر**
ان النار سريعة الاشتعال كثيرة الاحتياج الى الغذاء قليلة مدة البقاء اما الارض وانها تعدي ولا تعدى
وتبقى ولا تفنى فثبت فضل التراب على النار **الحجة الثالثة عشر** من الكلمات
المشهورة قولهم كل شي يرجع الى اصله فكانه قيل يا ابليس خلقتك من النار فيكون مردك
الى النار واما ادم فهو مخلوق من الطين والطين خاصيته التواضع والتواضع سبب القرب
من رحمة رب العالمين فلاجرم كانت عاقبة ادم هو رحمة رب العالمين كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى **الحجة الرابعة عشر** ان الارض ليست في نفسها حسنة
ولا طيبة الرايحة الا انها تخرج جميع الاشيا التي لها حسن الصورة وطيب الرايحة والنار
حسنة الوجه الا انها سبب لحدوث الاشيا القبيحة وهي الاحتراق والدخان والفساد وقد
ثبت ان العبرة بالسيرة لا بالصورة وكما حققناه في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم

الحجة

الحجة الخامسة عشر ان التراب والما لا يحصل الانتفاع بهما الا عند فقدان الريح فانه
اذا وصل الريح الى التراب صار غبارا موذيا واذا وصل الريح الى الما تموج وخرج عن حد
النفع واذا وصل الى النار اطفا النار فكانه قيل لادم عليه السلام كان في قلب ابليس ريح التكبر
فاطفات نارة بذلك الريح فاياك ثم اياك احترز عن ريح التكبر لئلا يصير التراب الذي خلقت
منه غبارا والما الذي منه خلقت متموجا مهلكا فثبت من هذه الوجوه فضل التراب على النار
واما المرتبة الثانية في خلقة ادم عليه السلام كونه مخلوقا من الما قال الله تعالى والله خلق كل دابة
من ماء وقال خلق من الما بشرا وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وقال الم يك نطفة من
مني يمنى وفيه فوايد **الفايدة الاولى** ان يكون صافيا يتجلى فيه نور جلال الله ۞
الثانية ان يكون سيالا براسه فيكون بالغا بذاته تعالى على قمة راسه قال تعالى
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض **الثالثة** ان يكون طاهرا في ذاته قال الله تعالى
وانزلنا من السماء ماء طهورا وقال عليه السلام من توضا بعابت ذنوبه كما تحات الورق
من الشجر زمان الخريف والنكتة فيه انه اذا كان استعمال الما في ظاهر الاعضا يوجب زوال
الذنوب فلان يكون خلقة اصل الاعضا من الما ذا نفعا لتمكن الذنوب كان اولى **المرتبة
الثالثة** في تخليق ادم كونه مخلوقا كونه مخلوقا من سلالة من طين وهي فعالة بمعنى المسلولة
لانها هي التي تسل من الطين والحكمة فيه ان يمتزج الكثيف واللطيف والمتحرك والساكن والصافي
والكدر فيكون ذلك دليلا على فردانية الصانع كما قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين
وفيه فايدة اخرى وهي ان من مشى على الطين فلو انزلق رجله سقط وتلوث
ثوبه ولكنه لا يهلك ولا تنكسر اعضاه فلما كان الانسان موصوفا بهذه الشهوة التي هي منبع
الفساد وبالغضب الذي هو منشا سفك الدما علم الحق انه لابد وان لا تنزلق رجله في سلوك
طريقة طاعة الله تعالى فاذا كان طينا تلوث بالمعصية لكنه لا يهلك ولا ينكسر شي من
اعضاه بل يقوم سليما كما قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا **المرتبة الرابعة** في تخليق ادم كونه
مخلوقا من سلالة من طين والسلالة فعالة وهي بمعنى المسلول لانها هي التي تسل من لطف
اجزاء الارض واعلم انه روي في الخبر انه قال صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة ادم
بيده اربعين صباحا فهذه الطينة فانما حصلت لذلك الطين بسبب هذا التشريف وقال
تعالى يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وهذا كمال التشريف في حق ادم عليه السلام
فان قيل فقال تعالى في صفة تخليق الحيوانات اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما
فبين انه تعالى انما خلق الانعام بالايدي وذكر انه انما خلق ادم باليدين وهذا يقتضي
فضل الانعام على الانسان **والجواب** انه تعالى ذكر دقيقة تزيل هذه الشبهة فانه
قال خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون فبين انه تعالى انما خلق الانعام لا لاجلها
لاجل مصالح الناس ورعاية لمهماتهم وكان هذا التشريف ايضا عايدا الى البشر وفيه تنبيه

ذلك

على دقيقة كانه قال هيأت ذلك بالبدن وهيأت ما تحتاج اليه بعد الحيوة من المأكول
والمشروب والملبوس والمركوب بالايدي وذلك لتعلم ان عنايته بك بعد حيوتك اشد
من عنايته بك قبل وجودك **ومن النكت اللطيفة** هاهنا ما سمعت انه كان
بنيسابور امرأة من عقلاء المجانين كان يقال لها نارين فكانت تقول مسكين ابن ادم حاله في
الحق كما قال خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا وقلبه في اصبع الحق كما قال الخبر قلب المؤمن
ثم انه مع انه لا يملك امر جسده ولا امر روحه صار للتكاليف متوجهة عليه والاوامر
الالهية لازمة عليه **المرتبة الخامسة** كونه مخلوقا من طين لازب واللازب
هو اللازم وانما سمي لازبا ولازما لان اللازب واللازم هو الملتصق بالغير والانسان
اكثر الاشيا حاجة ولا جرم كان اكثر الاشيا تمسكا بذيل رحمة الله تعالى واشد الاشيا التصاقا
بجناب فضله واحسانه **المرتبة السادسة** كونه من صلصال من حما مسنون
واثبت له ثلثة انواع من الصفات **الصفة الاولى** كونه صلصالا وهو الذي اذا حرك
تصلصل كالخزف الذي يسمع من داخل صوته **الصفة الثانية** كونه حما وهو الذي
استقر في الماء وتغير لونه الى السواد **الصفة الثالثة** المسنون وهو الذي تغير
رائحته قال تعالى وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير واصله يتسنن وقال
تعالى فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير واعلم ان كونه صلصالا اشارة الى غاية
ضعفه وقلة بقائه فان الطين الذي يصير صلصالا ينكسر ويتفرق بادنى سبب وكونه
من حماء اشارة الى الاخلاق الظلمانية البهيمية التي الاخلاق السبعية التي منشاها قوة الغضب
ونظيره قول الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها اشارة الى الصفات الشهوانية ويسفك
الدماء منشاه من الغضب **اما المرتبة السابعة** وهو كونه صلصالا كالفخار
فاعلم ان الصلصال قبل ان يصير فخارا لم يصلح لامر من الامور واذا جعل فخارا لان يجعل
فيه الماء وذلك الماء اذا استقر فيه صار صافيا عذبا زلالا فيكون ذلك اشارة الى صيرورته
صالحا لحفظ معنى العبودية وزلال المعرفة فيه **اما المرتبة الثامنة**
وهو قوله تعالى خلق الانسان من عجل واشهر الاقوال فيه ان المراد هو ادم عليه وهو قول
مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والكلبي قال مجاهد خلق الله تعالى ادم
بعد كل شي في اخر نهار يوم الجمعة فلما دخل الروح راسه ولم يبلغ اسفله قال يا رب استعجل بتمام
خلقتي قبل غروب الشمس فقال مجاهد فذلك قوله خلق الانسان من عجل وعن السدي لما
نفخ فيه الروح وتمكن الروح في راسه عطس فقالت له الملئكة قل الحمد لله فلما قال ذلك قال الله
سبحانه يرحمك ربك فلذلك خلقتك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما
دخل الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب الى ثمار الجنة قبل ان يبلغ الروح الى رجليه فهذا هو
الذي اورث اولاده العجلة ثم للمفسرين اقوال في العجلة الاول وهو قول المحققين
خلق الانسان من عجل اي خلق عجولا وذلك يدل على المبالغة كما يقال للرجل الذكي هو

واحماء

ستاها هو الشهوة [illegible]

نار

نار تشتعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فيقولون ما انت الا اكل ونوم وما هو الا اقبال
وادبار وهذا الوجه متاكد بقوله سبحانه خلق الانسان عجولا وقال المبرد خلق
الانسان من عجل اي من شانه العجلة كقوله خلقكم من ضعف اي ضعفا **الثاني**
قال ابو عبيدة هو الطين بلغة حمير وانشد والنخل ينبت بين الماء والعجل
الثالث قال الاخفش من عجل اي من تعجيل من الامر وهو قوله سبحانه كن فيكون
الرابع من العجل اي من الضعف وهو قول الحسن **المرتبة التاسعة**
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقيل في الكبد وجهان **الاول** قال صاحب
الكشاف اصله من قوله كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ثم اتسعت
في هذا اللفظ حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة وقال اخرون
الكبد شدة الامر ومنه تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم تغلظ وتشدد والفرق
بين هذين القولين ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد ثم اشتق منه الشدة وفي الثاني
اللفظ موضوع للشدة والغلظ ثم اشتق منه اسم العضو المخصوص **الوجه الثاني**
ان الكبد هو الاستوا والاستقامة **الوجه الثالث** ان الكبد شدة الخلق
والقوة اذا عرفت هذا فنقول اما على الوجه الاول فيحتمل ان يكون المراد منه شدائد الدنيا
فقط ويحتمل ان يكون المراد شدائد التكاليف فقط وان يكون شدائد الاخرة فقط وان يكون
المراد كل هذه الوجوه اما اذا حملنا على شدائد الدنيا فيكون قوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي
خلقناه في اطوار كلها شدة ومشقة تارة في بطن الام ثم زمان الارضاع ثم بعد البلوغ تحصيل
وجوه المعايش ودفع ضرر الاعدا ثم دفع ضرر الالام والاسقام والقصور من الافات النازلة
من السماء والارض **واما الثاني** وهو حمله على شدائد الدين فهو توجه التكاليف
الشاقة عليه قال الحسن يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء ويكابد المحن في اداء العبادات
والرضا بقضاء الله عند نزول الافات والبليات **واما الثالث** وهو حمله على مشاق
الاخرة والموت ومسائلة الملك وظلمات القبر والبعث والعرض على الله تعالى الى ان تستقر به
القرار اما في الجنة او في النار **واما الرابع** وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق
عندي وعندي وجه اخر وهو انه ليس في هذه الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن انه لذة
فهو خلاص عن الالم فانما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص عن الجوع وما يتخيل من اللذة عند
اللبس فهو خلاص عن الم الحر والبرد واذا تفكرت علمت انه ليس للانسان الا الالم والخلاص
عن الالم فهذا معنى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد اي هو طول عمره في مكابدة الالام
ومقاساة المتعبات والموذيات وعند هذا الحرف يظهر انه لا بد في حكمة الحكيم المدبر لهذا العالم
من الحشر والنشر والبعث يوم القيمة لان الحكيم الذي دبر خلق الانسان ان كان مطلوبه ان يولم
الانسان فهذا لا يليق بالرحمة وان كانت مطلوبه ان لا يتالم ولا يلتذ ففي تركه على العدم حصول
لهذا المطلوب وان كان مطلوبه ايصال اللذة والنفع اليه فقد بينا انه ليس في هذه الحيوة لذة وانه

يكون

تعالى خلق الانسان في هذه الدنيا في كبد اى مشقة ومحنة واذن لابد بعد هذه الدار من
دار اخرى لتكون تلك الدار دار السعادات والكرامات والخيرات ٥ واما على الوجه الثاني
وهو ان يفسر الكبد بالاستوا قال ابن عباس في كبد اى قايما منتصبا وساير الحيوانات
تمشي منكسة فهذا امتنان على الانسان بهذه الخلقة **واما المرتبة العاشرة**
من مراتب خلقة الانسان قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف واعلم ان اثار ضعف الانسان
لايحة كما قال بعضهم مسه المعرفة وتوذيه البقة وتقتله الشرقة وان هرون الرشيد لابن
السماك عظني فقال ان عطشت ولم تجد شربة من الماء الابكل ما تملكه ماذا تفعل قال اعطي فاحسان
قال فان احتبس ذلك الماء ولم يخرج الا ببذل كل ما تملكه قال اعطي حتى تخرج قال فاذن
الشربة الواحدة من الماء قيمتها ما تملك مرتين واحدا فان البقة اصغر الحيوانات جثة واضعفها
بنية ثم انها قتلت نمرود اكبر ملوك بني ادم واطغاهم واعظم سلطانا وروى ان الشافعي رضي الله عنه
حضر عند بعض الملوك العظام وكان بجنبه الذباب وكان الذباب يجلس على وجهه فيوذيه ويوذيه
ثم انه كان يلطم وجهه وجد عند طرد الذباب فقال في اثناء هذه الحالة للشافعي ما الحكمة
في خلق الذباب فقال الشافعي في الحال ليذل به عظما الملوك ويظهر عجزهم عن دفعه وقيل
ناظر واحد من الانسان مع الحشرات والهوام في القدرة والقوة فقالت نحلة في اثناء الكلام وان الزنبور
اليس اذا اخذ الادمي سلاحه وسيفه ورمحه بيده نلحه واحدة ونلسعه تايته وتشغله ذلك
عن كل ما هو فيه وتورم جلده وتتالم اعضاه حتى لا يمكنه ان يقبض على سيفه وقالت ذبابة
اليس ان اعظمهم سلطانا واشدهم هيبة اذا قعد على سرير ملكه مع الهيبة والعظمة فانه
يجي احدنا من المطبخ او من الخلا ملوث البدن والجناحين فيقعد على وجهه وبيابسه و
ويلطخه ولا يقدرون على الاحتراز منا وقالت الهوام والحشرات اذا قعد احد في مجلسه
وسريره ويجي احدنا فيدخل في ثيابه فيفزعه ويزعجه واذا اراد ان يبطش بنا يصفع نفسه
بيده ويلطم خده بكفه وكل ذلك دليل عجز الانسان وتمام البيان فيه قوله تعالى يا ايها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله الى قوله ما قدروا الله حق قدره
فهذا هو الكلام في مراتب خلقة الانسان عند وجوده وقبل هذه المراتب كلها العدم المحض
كما قال تعالى لزكريا وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا وقال في سورة الانسان هل اتى
على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فهذه الحيوة الدنياوية كانت معدومة في الازل
الى الان وستصير معدومة من الازل الى الابد فانظر الى طول مدة الازل وطول مدة
الابد ثم انظر الى هذه الحيوة المحفوفة بهذين الطرفين حتى يعرف حقارة هذه الحيوة وصغرها
وقلتها على ان صرفها الى الطاعات يستوجب بها الثواب الابدي والسعادة السرمدي فحينئذ
تكون هذه الحقيرة عظيما وهذا الصغير كبيرا وبالله التوفيق

الفصل الخامس

في عجايب تكوين الاجنة

اعلم انه سبحانه خلق الخلق من اشيا مختلفة فخلق
السماء من دخان ثم قال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان وخلق الارض من زبد البحر

على ما نقل عنه صلوات الله عليه انه قال خلق الله تعالى جوهرة لطيفة ونظر اليها بعين الهيبة
فصارت ماء ثم سلط على الماء حرارة فارتفع منه زبد فخلق منه الارض وخلق الجنة من رحمته
والنار من غضبه فقال سبحانه سبقت رحمتي غضبي وخلق الملئكة من النور كما قال عليه السلام
ان الله خلق الملئكة من النور وخلق الجن من النار قال تعالى خلق الجان من مارج من نار
وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال ابليس خلقتني من نار وخلق ادم من التراب قال تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وخلق حوى من بعض اعضا ادم وقال تعالى
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وخلق عيسى من
الريح قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا وخلق اولاد ادم من النطفة قال تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وخلق ساير الحيوانات من الماء قال
تعالى والله خلق كل دابة من ماء وخلق ناقة صالح من الصخرة قال تعالى هذه ناقة الله لكم
اية ثم كل هذه الاشيا مخلوقة من هذه المواد فهذه المواد يمتنع ان تكون مخلوقة من مواد اخرى والا
لزم التسلسل ويمتنع ان تكون هذه المواد قديمة لانها محل الحوادث وكل ما كان محلا للحوادث
فهو حادث فهذه المواد محدثة فهي مخلوقة لله والله خلقها من العدم المحض والسلب الصرف
فثبت انه تعالى قادر ان يحدث الاشيا ~~من العدم المحض~~ من بعض ثم ههنا يجب ان تامل الانسان
وهو ان كل قادر سوى الله تعالى فانه لا يمكنه التصرف الا في نوع واحد فالخياط يتصرف في الثياب
والحداد يتصرف في الحديد واما الحق سبحانه وتعالى فهو المتصرف في المعدومات والموجودات
على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة فمن ههنا يظهر كمال قدرة الله تعالى ثم ههنا دقيقة اخرى
وهي انه تعالى اذا خلق شيا من شي جعل مرجعه اليه الا ترى ان الملئكة لما كان اصلهم من النور
فهم لما طعنوا في البشر قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لكنهم ما بقوا مستمرين على ذلك
الطعن بل رجعوا الى مقتضى اصلهم وهو النورانية وعادوا الى الصلح والاستغفار فقال تعالى
حكاية عنهم ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وعيسى صلوات الله عليه لما كان اصله نفخة جبريل صلوات الله عليه لاجرم عاد في
الاخرة الى عالم الافلاك فقال تعالى اني متوفيك ورافعك الي وقال بل رفعه الله اليه وكذا
البشر لما كان اصله من التراب لاجرم بالاخرة يرجعون الى التراب ويصيرون ترابا كما قال
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى واذا علم العبد ان مصيره الى التراب فقد
زالت محبة الدنيا عن قلبه واعرض عن الدنيا وعلم انه يجب عليه الاهتمام بعمارة الاخرة والاقبال
على طاعة الله تعالى واذا عرفت هذه المقدمة فنقول ان الله تعالى ذكر في القران كيفية
الخلق فقال في سورة الحج يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا
الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
لكيلا يعلم بعد علم شيا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت

من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة
اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقال في سورة القيمة الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال في المرسلات
الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
الا ان اكثرها شرفا وتفصلا هو المذكور في اول سورة قد افلح وهو قوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين واعلم انه تعالى
ذكر في هذه الاية سبع مراتب في تخليق الاجنة وقبل هذه الاية افتتح هذه السورة بذكر
سبعة انواع من حصال الخيرات والطاعات اولها الايمان وهو قوله تعالى قد افلح المومنون
والكلام في حقيقة الايمان سياتي في باب مفرد ان شا الله تعالى وثانيها الصلوة وهو
قوله تعالى والذين هم في صلوتهم خاشعون واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال
القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات
ومنهم من قال هو عبارة عن مجموع الامرين وهو الاولى فالخاشع في صلوته لابد وان يحصل
له من قسم افعال القلوب نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ومن التذلل ان لا يكون مشتغل
القلب بشي سوى تعظيم خالقه ومن قسم افعال الجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ينظر الى
موضع سجوده ومن التروك ان لا يلتفت يمينا وشمالا فالخشوع عبارة عن مجموع هذه الاشيا
الا ان الخشوع الذي يرى على الانسان ليس الا ما يتعلق بالجوارح فان الذي بالقلب يتعلق
لا يرى وتمام الكلام في هذا المعنى سياتي ان شا الله تعالى في كتاب الصلوة وثالثها
قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وفي اللغو اقوال الاول ان يدخل فيه كلما كان
حراما او مكروها او مباحا ولكن لا يكون للانسان ضرورة ولا حاجة اليه الثاني
انه عبارة عن كل ما كان حراما وهذا التفسير اخص من الاول الثالث انه عبارة عن
المعصية في القول وهذا اخص من الثاني الرابع انه المباح الذي لا حاجة اليه واحتج
هذا القائل بقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف يحمل اللغو على المعاصي مع ان المواخذة
فيها غير حاصلة واحتج الاولون بان اللغو انما سمي لغوا لانه يلغى فكل ما يقتضي الدين الغاءه
كان يسمى باللغو ثم اللغو قد يكون كفرا كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد
يكون كذبا كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما
اذا عرفت اللغو فنقول انه سبحانه وتعالى مدحهم بانهم معرضون عن اللغو والاعراض
عن اللغو هو بان لا يفعل ولا يرضى به ولا يخالط من يعتدم عليه قال تعالى واذا مروا باللغو
مروا كراما واعلم انه سبحانه وصفهم بالخشوع في الصلوة واتبعه بوصفهم بالاعراض عن
اللغو حتى يحصل لهم الفعل والترك والفعل هو الصلوة والترك هو الاعراض عن اللغو ورابعها
قوله والذين هم للزكوة فاعلون والكلام في تفسير اسم الزكوة وفي منافعها سياتي في باب الزكوة
وخامسها قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون والكلام فيه سياتي ان شا الله تعالى

القسم الثالث

في باب النكاح وسادسها قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اعلم انه
يسمى الشي المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان
تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا اماناتكم وانما تودى الاجسام لا المعاني وانما تقع
الخيانة في المؤتمن عليه لا في نفس الامانة والعهد ما عقده الانسان على نفسه فيما يقربه الى ربه
ويقع ايضا هذا اللفظ على ما امر الله به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا والراعي
هو القائم على الشي بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية واعلم ان الامانة والخيانة
متقابلات قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم فكل ما
خرج عن احدهما دخل في الاخر وكل العبادات تدخل في الامانة بدليل قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض وتمام الكشف فيه ان العبادات قد تكون مخفية كالصوم وغسل
الجنابة واسباغ الوضوء وقد تكون بحيث تخفى كيفية الاتيان بها قال عليه السلام اعظم الناس
خيانة من لم يتم صلوته وجملة ذلك ما يلتزمه الانسان بفعل او قول فيلزمه الوفاء به كالودائع
والعقود وما يتصل بها ومن ذلك الاقوال التي تحرم بها النسا وتحرم بها التصرف في العبد لانه
مؤتمن في كل ذلك واما العهد فانه يدخل فيه العقد والايمان والنذور فبين سبحانه ان رعاية
هذه الامور والقيام بها معتبر في حصول الفلاح وسابعها قوله تعالى والذين هم
على صلوتهم يحافظون واعلم انه فرق بين الخشوع وبين المحافظة فان الخشوع صفة
القلب على ما ذكرنا والمحافظة عبارة عن تحصيل شروطها في رعاية الوقت والطهارة والسعي
لادائها وترك التواني فيه فهذه امور سبعة قدم الله سبحانه وتعالى ذكرها ثم قال
بعدها اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وهاهنا سؤالات

السؤال الاول لم سمى الجنة بالميراث مع انه سبحانه وتعالى حكم بان الجنة حقهم
في قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الجواب من وجوه
الاول انه روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال لا مكلف الا وقد اعد الله
له في النار ما يستحقه ان عصى وفي الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل لذلك علامة فاذا امن
البعض ولم يومن البعض صارت منازل من لم يومن منقولة الى الذين امنوا فلما كان حرمانهم
عن تلك الدرجات ودخولهم في النار شبيها بالموت سمى ذلك ميراثا لهذا الوجه وقد قال
الفقها انه كما يورث عن الميت ما كان مملوكا له كذلك يورث عنه ما يقدر فيه كونه مملوكا له وان
لم يدخل في ملكه كالدية فانها موروثة مع انها لم تدخل في ملك المقتول البتة الثاني لما
حصلت الجنة لهم مع انهم ما كانوا عارفين في الدنيا بكمية منافعها اشبه ذلك انتقال
المال الى الوارث الثالث ان الجنة كانت مسكن ابينا ادم واذا انتقلت الى اولاده
كان ذلك شبيها بالميراث **السؤال الثاني** لم حكم على المومنين
بالصفات السبع بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر الواجبات كالصوم والحج الجواب
ان قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ياتي على كل الواجبات من الافعال والتروك

السؤال الثالث

هذه الآية تدل على ان هؤلاء هم الوارثون فاما من لم يات بالطاعات واتى بالمعصية ثم تاب ومات عقيب توبته من غير شيء من الطاعات وجب ان لا يدخل الجنة وهو على خلاف الآيات الدالة على ان التائب من اهل الجنة الجواب ظاهر الآية وان كان يفيد الحصر الا انه يجب حمل الظاهر على ان الكاملين من اهل الجنة هم الموصوفون بهذه الصفات بدليل ان المجانين والصبيان والكاملين يدخلونها وكذلك الفساق من اهل الصلوة لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ونظير حمل هذا الحصر على حالة الكمال قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن الناس من قال الفردوس عبارة عن اشرف موضع في الجنة وعلى هذا التقدير يزول السؤال قال عليه السلام الفردوس مقصورة الرحمن وعن ابي امامة عن النبي عليه السلام انه قال سلوا الله الفردوس فانه سرة الجنة واعلم انه سبحانه لما شرح في اول السورة هذه المراتب السبعة في العبادات اردفها بما يدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وهو ذكر المراتب السبعة في خلقة الانسان اولها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وثانيها قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وثالثها قوله ثم خلقنا النطفة علقة ورابعها قوله فخلقنا العلقة مضغة وخامسها وخلقنا المضغة عظاما وسادسها قوله فكسونا العظام لحما وسابعها قوله ثم انشأناه خلقا آخر فلنشرح احوال هذه المراتب السبعة بعون الله وفضله

اما المرتبة الاولى

وهي قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ففيه سؤال مشكل وهو ان المراد من الانسان ان كان هو آدم عليه السلام فكيف يستقيم قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فان آدم عليه السلام ما كان كذلك وان كان هو اولاد آدم فكيف يستقيم قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فانهم ليسوا مخلوقين من الطين الجواب من وجوه الاول ان لفظ الانسان شامل لآدم واولاده ثم قوله من سلالة منصرف الى آدم وقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين منصرف الى اولاد آدم الثاني ان المراد من الانسان في هذه الآية اولاد آدم والطين هاهنا اسم آدم والسلالة هي الاجزاء الطينية المبثوثة في اعضائه وهي التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية المني صارت منيا وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين الثالث وهو الذي ذكرت فقلت المراد من الانسان هاهنا اولاد آدم هو كذلك لان المقصود من ذكر هذه الآية التنبيه على ما يدل على وجود الصانع وهذا لا يحصل الا بالامر المشاهد وهو تولد اولاد آدم لا تولد ذات آدم فثبت ان المراد من الانسان اولاد آدم بقي ان يقال فما المراد من قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين مع ان اولاد آدم ليسوا كذلك وجوابه ان الانسان انما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية فالحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الطين فالانسان بالحقيقة انما يكون

متولدا من سلالة من طين اقصى ما في الباب ان تلك السلالة من الطين تواردت عليها اطوار الخلقة كما انه يولد من المني بعد تعاقب الاطوار والادوار عليه ولم يكن ذلك قادحا في كونه متولدا من المني وهذا التأويل الذي ذكرته مطابق للفظ ولا يحتاج معه الى شيء من التكلفات والله اعلم بمراده

المرتبة الثانية

قوله تعالى ثم جعلناه نطفة في قرار مكين واعلم ان الاطباء يقولون ان الانسان اذا اكل طعاما فانه ينطبخ ذلك الطعام في معدته لاجل حرارة المعدة وغيرها بالحرارة مما يطيف بها اما من اليمين فمن الكبد واما من اليسار فالطحال واما من قدام فالثرب الشحمي القابل للحرارة سريعا واما من فوق فالقلب متوسط بتسخينه الحجاب ثم ما يكون منه صافيا تدخل في عروق صلاب دقاق في الكبد والذي كالثفل ينزل في الامعاء ثم ينطبخ ذلك المصفى مرة اخرى في الكبد ويحصل عند ذلك الانطباخ رغوة وهي الصفراء وتذهب الى المرارة ورسوب وهو السوداء ويذهب الى الطحال وتنفصل المائية المنصلبة وتذهب الى الكليتين ومنهما الى المثانة ومنها الى الاحليل ويخرج ثم انه تعالى خلق مجرى بين الطحال وبين فم المعدة ومجرى آخر بين المرارة والامعاء ثم ان تلك السوداء ينصب منها شيء على فم المعدة فيحصل في المعدة دغدغة الجوع ولو انسد هذا المجرى لم يحصل للانسان شعور بالحاجة الى الطعام وينصب من تلك الصفراء شيء على الامعاء فيحصل في الامعاء داعية اخراج الفضلة ولو انسد ذلك المجرى لم تنصب تلك الصفراء على الامعاء لم يحصل للانسان شعور بالحاجة الى اخراج الثفل فيبقى الثفل فيها وتتولد القولنج ثم انه يحصل بين هذين الطبخين طبخ ثالث وهو ان ذلك الدم الصافي يخرج من الكبد ويتوزع على العروق وينطبخ مرة ثالثة ثم يحصل طبخ رابع وهو ان تلك الدماء المتوزعة في العروق تنصب على جواهر الاعضاء وتتكيف بتكيف طبايع تلك الاعضاء فبعضها يصير متكيفا بكيفية العظم وبعضها بكيفية اللحم وبعضها بكيفية العصب فهذه اربع مراتب في الطبخ اذا عرفت هذا فنقول انه اذا صارت الشهوة بحيث تنتشر في جميع الاخلاط والاعضاء ثم بسبب تلك الشهوة يتقطع بخار لطيف ورغوة من جميع الاعضاء والاخلاط انما ينقطع مما حصل من الهضم الرابع فيتولد من الهضم جوهر شبيه في الطبع بالعظم ومن اللحم والعروق والاعصاب كذلك ثم كما انه يحصل في تلك الرغوة قوى وطبايع متشابهة لتلك الاعضاء البسيطة فكذلك يحصل فيها قوى وطبايع مشابهة لقوى الاعضاء المركبة فيحصل فيها اجزاء من الدماغ واجزاء من العين واجزاء من اليد واجزاء من الرجل فلهذا المعنى لما سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب مشابهة الولد تارة اباه واخرى امه فقال صلى الله عليه وسلم ان كان الغالب هو ماء الرجل حصلت المشابهة بالاب وان كان الغالب هو ماء المرأة حصلت المشابهة بالام ثم ان هذه الرغوة المختلسة من جميع الاعضاء والاعصاب تصعد في العرقين اللذين خلف الاذنين بامر الحكيم الخبير الى الدماغ وذلك لان الدماغ اشرف الاعضاء للانسان وهو مسكن القوة المذكورة والحافظة فاقتضت الحكمة الالهية ان يحصل من خواص الدماغ الذي هو اشرف الاعضاء بدن الانسان في تلك الرغوة اثر وكيفية ثم انه تعالى خلط بتلك الاجزاء اشياء كثيرة من اجزاء الدماغ ولذلك فان من باشر كثيرا ظهر اثره على العصب في القوى

والكلال والانكسار ثم انه تعالى ينزل تلك الاجزاء من الدماغ الى صلب الرجل وترايب المراة ثم
عند الوقاع ينزل من الصلب والترايب الى مستقر الرحم فهذا هو المراد من قوله سبحانه ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين واعلم انا قد ذكرنا ان هذه النطفة تجري مجرى رغوة تنفصل من الاعضاء
بسبب ذوبان العظم تعرض لها عند استيلاء حرارة الشهوة فيكون بعض تلك الاجزاء من
ذوبان العظم وبعضها من ذوبان اللحم ولما كان البدن الانساني مخلوقا من الطبايع الاربعة
كان ذوبانها ايضا كذلك فيكون المني جسما مركبا من ارضية ومائية وهوائية ونارية
والهوائية والنارية غالبة عليها ويدل عليه ان بياض الرطوبة انما يكون بسبب اختلاط الهوائية
بها كما يكون في الزبد والاجزاء الكثيفة التي في المني مواد الاعضاء والاجزاء اللطيفة هي فيه
مواد الارواح وتلك الاجزاء اللطيفة والكثيفة مختلطا بعضها ببعض في اول الامر
ثم ان الجنسية علة الضم فتنضم الاجزاء اللطيفة بعضها الى بعض والاجزاء الكثيفة بعضها
الى البعض ولما كان اللطيف سريع التحلل والتلاشي اقتضت الحكمة الالهية جعل الاجزاء
اللطيفة في الوسط وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان لها فيصير الكل كالكرة المستديرة فيكون
باطنها مملوا من الاجزاء الروحانية اللطيفة وظاهرها من الاجسام الكثيفة وذلك الموضع الذي
هو مجمع الاجزاء اللطيفة هو الموضع الذي استحكم وكمل كان قلبا فلهذا المعنى قال اهل العلم
اول الاعضاء الانسانية تكونا هو القلب واخرها موتا هو القلب وعند هذا يظهر ان فطرة
النطفة تصير كالكرة ويكون مجمع الارواح في باطن تلك الكرة هو القلب وحينئذ يحصل
ههنا احوال عجيبة الاول ان العالم الاصغر الذي هو الانسان كرة كما ان العالم الاكبر ههنا
ايضا كرة الثاني ان كرة العالم الاصغر تبقى معلقة في جو الرحم تحفظه الخالق العظيم
كما ان كرة العالم الاكبر بقيت معلقة في الخلاء الذي لا نهاية له بحفظ الخالق الحكيم كما قال
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الثالث ان كرة العالم الاصغر الكثيف
محيط وهو اللحم والبشرة والمحاط به اللطيف وهو الكبد والقلب وغيرهما وكرة العالم
الاكبر بخلاف ذلك لان اللطيف محيط وهو السموات والمحاط به الكثيف وهو الارض
الرابع انه تعالى قال في السموات والارض في ستة ايام واما العالم الاصغر فقال
اهل التجارب ان هذه الكرة المتولدة من هذه النطفة تبقى ستة ايام على حالتها الاولى لا تتغير
منها صفة ولا تزول منها حالة الخامس روى انه تعالى لما اراد خلق ادم امر الملائكة
ان ياخذوا من كل ناحية من نواحي الارض قبضة فبعض تلك الاجزاء احمر وبعضها اسود
وبعضها ابيض وبعضها حزن وبعضها سهلة وبعضها عذبة وبعضها ملح فلا جرم جاءت
اولاد ادم على صفات مختلفة بعضهم احمر وبعضهم اسود وبعضهم كريم وبعضهم
نذل سفيه فكذا ههنا لما اراد تخليق ولد ادم امر الملائكة الموكلين بابدان البشر حتى اخذوا من كل
طرف من اطراف بدان الاب والام جزءا على خاصية اخرى فاخذوا من سواد الحدقة
والشعر جزءا اسود ومن بياض اللحمه فالسن والجلد جزءا ابيض ومن الدم جزءا احمر ومن

التي هي

يكون

في العالم الاكبر

وبعضهم

الدماغ

الدماغ الاجزاء الباردة ومن القلب الاجزاء الحارة ومن الكبد الاجزاء الرطبة ومن العظم
الاجزاء اليابسة وبالجملة اخذوا من كل طرف من ابدان الابوين جزءا مناسبا له في الطبيعة
مشاكلة له في الخاصية ثم انه تعالى كما اخبر عن طينة ادم انه خمرها بيده اربعين صباحا فكذا
ههنا خمر هذه الاجزاء بعضها ببعض اربعين صباحا وكما انه سبحانه بحكمته راعى في تخمير طينة
ادم دقايق لا تصل اليها العقول والافكار فكذا في تخمير هذه الاجسام بعضها ببعض راعى اسرارا
لا تطلع عليها افهام الخلق فيقدر لكل شخص في ذلك التخمير نسبة خاصة في المقدار والكيفية ومنها
قدر في الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والغنا والفقر والعلم والجهل لا يعرفها احد الا
هو ولا يقف على كنه اسرارها احد الا هو الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين واعلم انه تعالى
ذكر في ايات كثيرة تولد الانسان عن النطفة فقال في اول سورة النحل خلق الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم مبين وقال في اخر سورة يس اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين وقال في الواقعة افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقال في الانسان
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وقال في عبس قتل الانسان
ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
وامثال هذه الايات كثيرة واعلم انه تعالى ذكر في القران للمني صفات كثيرة منها قوله
في سورة والطارق فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترايب فهذه الاية مشتملة على ذكر الصفتين **الصفة الاولى** كونه ماء دافقا
ولنذكر تفسير الدافق بحسب اللغة وما يتعلق بكونه دافقا من وجه المصلحة اما اللغة فاعلم
ان الدفق صب الماء يقال دفقت الماء اي صببته وهو مدفوق اي مصبوب ولما كان
الماء مدفوقا اختلفوا في انه لم وصف بانه دافق وذكروا فيه وجوها الاول قال
الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وفارس ونابل وتامر اي ذو درع وفرس ونبل
وتمر الثاني قال الفراء انهم يسمون المفعول باسم الفاعل كقولهم سر كاتم وهم
ناصب وليل نايم قال تعالى في عيشة راضية اي مرضية الثالث قال الخليل
في كتاب العين دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة الرابع ان الدافق صاحب الما
فاطلق هذا الوصف على الماء على سبيل المجاز واما وجه الحكمة في كون الماء مندفقا فاعلم
ان وجه الحكمة فيه التنبيه على انه ليس المقصود من المباشرة تحصيل اللذة بل تحصيل الولد
وذلك لان كون الماء مندفقا يمنع من دوام اللذة وذلك لان السيلان المستمر يقوي
في الجانب اللذة ويكثرها واما لما بل الحكمة في الدفق بالقوة ان يكون المني قوة في الوصول الى
قعر الرحم الذي سماه الله قرارا مكينا **الصفة الثانية** كون المني خارجا من بين الصلب
والترايب وترايب المراة عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل واحد من تلك العظام
فهي تريبة وقد اختلف المفسرون فمنهم من قال انه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب
الرجل وترايبه ومنهم من قال انه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترايب المراة

اعلم

واحتج الاولون بانه تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق والذي يوصف بهذا
الوصف هو ماء الرجل ثم عطف عليه بان وصفه بان يخرج من بين الصلب والترائب وذلك
يقتضي كون هذه الصفه صفة لماء الرجل واذا كان كذلك ثبت ان الولد مخلوق من ماء
الرجل واحتج اصحاب القول الثاني بقوله عليه السلام اذا غلب ما الرجل يكون الولد ذكرا
ويعود شبهه الى الاب والى اقاربه واذا غلب ماء المراة فبالضد وهذا صريح في ان الولد مخلوق
من ماء الرجل وماء المراة والله اعلم بحقايق مخلوقاته **الصفة الثالثة**
قوله تعالى في سورة والنجم وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وقال
في سورة القيمة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ولقايل ان يقول
ما الفايده في قوله من مني يمنى مع ان كل مني يمنى والجواب ان فيه تنبيها على
حقارة حال المني والتقدير انه مخلوق من المني الذي جرى على مخرج النجاسه فلا يليق
بمثل هذا الشي ان يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه سبحانه عبر عن هذا المقصود على سبيل
الرمز والكناية ونظيره قوله تعالى في عيسى ابن مريم كانا ياكلان الطعام والمراد قضاء
الحاجة الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى بقوله تعالى كانا ياكلان الطعام وكان الحسن
البصري يقول كيف يليق التكبر والتجبر بمن مر على مجرى البول مرتين **الصفة**
الرابعة قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وايضا قال وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وايضا قال والمراد من قوله مهينا
وجوه الاول قال مالك انه نجس رطبا ويابسا وقال الشافعي انه طاهر
رطبا ويابسا وقال ابو حنيفة انه نجس رطبا طاهر يابسا حجة الشافعي رحمه الله وجوه
الحجة الاولى انه تعالى من خلقنا منها حيث قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولو كان نجسا لما حسن هذا الامتنان فان قالوا
المضغة والعلقه نجسة فنجيب عنه من وجهين الاول انا لا ندري ما حالها حين يكون
في الرحم والثاني ان المني لما يصير علقه ومضغه بسبب انه يمتزج به دم الطمث
والدم نجس فلهذا المعنى العارض حكمنا بالنجاسه الا ان اهل الامتنان بالتخليق منه يقتضي
كونه طاهرا **الحجة الثانية** انه تعالى من علينا بان جعل اللبن طاهرا لاجل انه غذا
ومن المعلوم ان الحاجه الى طهارة الذات اعظم من الطهارة الى طهارة الغذا فلما من علينا
بجعل اللبن الذي هو الغذا طاهرا فبان يمن علينا بطهارة المني الذي هو الاصل كان اولى
واعلم انا وان حكمنا بطهارته الا ان العلما لما اختلفوا في طهارته ونجاسته كان دليلا
على غاية حقارته ونهاية مهانته الثاني ان مهانته لاجل كونه مستقذرا الثالث
ان مهانته لاجل مروره على ممر النجاسة **الصفة الخامسة** انه تعالى
اخبر عن الرحم الذي هو موضعه قرار مكين وهو قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
وفيه فوايد **الفايدة الاولى** ان من ملا كوزا من الماء ثم قلبه انصب ذلك الماء

لحاجه

الى الذي هو الاصل اولى

ثم انه اودع النطفة في قعر الرحم ثم خلق الرحم منكسا ثم حفظ فيه تلك النطفه بقدرته وحكمته فهذا
وان كان عجيبا بالنظر الى قدرتنا الا انه غير عجيب بالنظر الى قدرته وذلك لان اجرام السموات
والارضين والجبال والبحار اثقل بكثير من تلك النطفه كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس فلما امسك السما والارض بقدرته من غير علاقه فوقها ولا دعامة تحتها كما قال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا فبان يقدر على امساك النطفه في قعر الرحم بقدرته كان ذلك اولى واحرى
الفايدة الثانية انه تعالى سمى الرحم قرارا مكينا ومعلوم ان النطفه في الرحم
ليست مستقرة بل بقيت معلقة في الهوى فكيف يجوز تسمية الرحم بالقرار المكين وجوابه
كانه قيل انا امسك النطفه في هوا الرحم بقدرتي كما يمسك الواحد منكم الشي الثقيل في مستقر الارض
والمراد منه اظهار كمال القدرة ونظيره انه تعالى سمى تخليق السماء بناء فقال الذي جعل لكم
الارض فراشا والسماء بناء والشي المعلق في الهوى لا يسمى بناء الا انما الشي المستقر على القرار
هو الذي يسمى بناء الا ان الجواب عنه كانه قيل اني لما امسكت بقدرتي السما في جو الهوى كان
ذلك السكون جاريا مجرى الذي يكون مستقرا على الارض ويبنى عليه البنا والمقصود منه
التنبيه على كمال قدرة الصانع سبحانه وكذا هاهنا سمى الرحم بالقرار المكين لتقرير هذا المعنى
الفايدة الثالثة وهو ان استقرار النطفه في الرحم لما كان بسبب انه سبحانه بقدرته
وحكمته يحفظها فلما كان المستقر هو القدرة الازليه ولا شك ان القدرة الازليه مبراة عن
الخلل والزلل والعجز والنقصان لا جرم سمى السماء بناء والرحم قرارا ونظيره قوله تعالى الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها يعني لها عمد غير مرئي وهي قدرة الله وحفظه وحكمته
والله اعلم **الصفة السادسة** النطفه قوله تعالى في سورة الانسان انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا المشج في اللغه الخلط والامشاج
الاخلاط قال صاحب الكشاف الامشاج لفظ مفرد وليس جمع بدليل انه وقع صفة المفرد
وهي قوله نطفة امشاج ويقال ايضا نطفة مشيج ولا يصح ان يكون امشاج جمعا للمشيج بل
هما مثلان في الافراد نظيره برمة اعشار اي قطع منكسرة وثوب اخلاق وارض سباسب
واختلفوا في معنى كون النطفه مختلطه على وجوه الاول انه اختلاط نطفة الرجل
بنطفة المراه قال ابن عباس ما الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر رقيق فيختلطان ويخلق
الولد منهما فما كان من لحم وعصب وعرق وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم
فمن ماء المراة وقال الحسن من نطفه مشجت بالدم وهو دم الحيض فان المراة اذا حصل ما الرجل
في رحمها وصلبها امسك حيضها فاختلط النطفه بالدم وقال قتادة الامشاج هو ان
يختلط الماء والدم اولا ثم يصير علقه ومضغه وبالجمله فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم
من صفة الى صفة وحال الى حال وقال الاخرون الامشاج عبارة عن كون النطفه مختلطة
من الامهات الاربعه والتقدير من نطفة ذات امشاج وهذا دال على قدرة الله لان الطبايع
المتنافره لا تجتمع الا بقهر قاهر ثم ان كل واحد من تلك الطبايع منافية للحيوة فسائر الحيوة

عليها يكون اظهار الضد من الضد فيكون ادل على كمال القدرة ونظيره قوله تعالى في
سورة يس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ويحتمل ايضا ان يكون المراد
ما ذكرنا من كون النطفة متولدة بعد الهضم الرابع فبعضها فيه خاصية العظم وبعضها فيه خاصية
اللحم وخاصية العروق وتلك الاجزاء مخلوطة بعضها ببعض فيكون امشاجا هذا التاويل
المرتبة الثالثة من مراتب خلقة الانسان صيرورته علقة وزعم اصحاب التجارب
ان المني في اول الامر يصير كرة مستديرة ويبقى على لونه الابيض في الرحم ستة ايام كما شرحناه
ثم انه يظهر بعد ذلك في الباطن اعني مركز هذه الكرة نقطة دموية وتلك الموضع هو الذي ذكرنا
انه مجتمع الارواح وهو الذي اذا تمت خلقته كان قلبا فلهذا المعنى قالوا ان اول عضو يتكون من
البدن هو القلب ثم يحصل بعد ذلك ايضا نقطتان دمويتان احدهما فوق النقطة الاولى وهي
التي اذا استكملت خلقته كان دماغا والنقطة الثانية تحصل عن يمين النقطة الاولى وهي التي
اذا استحكمت خلقتها كانت كبدا ثم ان هذه النقطة الثالثة تمتد في الصفاق امتدادا وهذه
الاحوال تحصل بعد ثلاثة ايام اخرى ويكون تسعة ايام من الابتداء وقد يتقدم يوما ويتاخر يوما
ثم بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر من العلوق يعد السوية في الجميع فيصير علقة وربما
تقدم يوما او يومين فهذا شرح حال العلقة **ثم ههنا اسرار وفوايد**
الحكمة الاولى ان كل من نقش نقشا على شي فانه يحتاج الى امور الاول ان يكون
محل النقش جسما صلبا كثيفا وههنا الحق وضع نقشه على الماء المهين الثاني يجب
ان يكون المكان الذي ينقش فيه واسعا الثالث ان يكون الموضع مضيا وههنا الحق سبحانه
نقش هذا النقش العجيب في الرحم وهو موضع ضيق فقال هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشا واستدل بهذا على الهيته ووحدانيته فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم وايضا نقش هذا
النقش في ظلمات الارحام وقال في الزمر يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فما اعظم درجة الانسان وما اعجب
خلقته وذلك لانه لما ذكر حالا من احوال تخليقه ذكر عقيبه اما التهليل كما في الايتين واما
التعظيم والتقديس كما في قوله تبارك الله احسن الخالقين **الحكمة الثانية**
ان كل نقاش وكاتب اذا اراد ان يكتب شيا على جسم فانه يكتب اولا ذلك النقش على ظاهر ذلك
الجسم ثم انه يصل الاثر من الظاهر الى الباطن وههنا الحق سبحانه اظهر اثار كتابته ونقشه
وتصويره اولا في الباطن وهو ظهور النقطة الثالثة الدموية في الباطن اولا ثم سرايتها من
الباطن الى الظاهر وهذا لتعلم انه كما ان ذاته وصفاته لا تشبه الذوات والصفات فكذلك لا تشبه
افعاله افعال ساير الفاعلين وان اشتبه هذا عليك في مبدا الخلقة والفطرة فله مثال حاضر
في الحال وذلك ان الاعضاء الظاهرة لا تتحرك ولا تسكن الا اذا حدثت في القلب داعية
وارادة لذلك الفعل ومحدث الداعي ذلك والارادات في القلوب هو الله سبحانه وتعالى فهو
المراد بقوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وبقوله عليه السلام قلوب العباد بيد الله وبقوله عليه السلام

قلب

قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالحق سبحانه يكتب في القلب تلك الدواعي والارادات
ثم يتولد منها فنون الافعال والحركات في ظاهر البدن فظهر ان تاثير قدرة الله تظهر الان
في القلب والضماير اولا ثم تسري تلك التاثيرات من البواطن الى الظواهر ولما عرفت هذا
المعنى في الحال فاعرف مثله في تخليق البدن في الابتدا **الحكمة الثالثة** ان كل نقاش
ابدع نقشا حسنا لطيفا فانه يبالغ في صون نقشه عن ربعة اشيا عن التراب فان الغبار يبطل رونق
النقش وعن وصول طراوته عن الماء فانه يغسله ويزيله وعن الرياح فانها تكدر النقوش وتبطلها
وعن النار فانها تحرق وتفني ثم انه سبحانه عكس هذه القضية فاظهر نقش خلقة البشر من التراب
فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب فاظهر نقش خلقة الدواب في الماء فقال
تعالى والله خلق كل دابة من ماء واظهر خلقة عيسى عليه السلام من الهوا فقال فنفخنا فيها
من روحنا ولانه ايضا جعل نفخه سببا لتخليق الحيوانات فقال واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وخلق الجان من النار فقال والجان خلقناه من قبل
من نار السموم وذلك يدل على ان ما يفعله لا يشبه فعل احد من الفاعلين **الحكمة الرابعة**
خلق القلب اولا وذلك لانه سرير الروح ومدرسة المعرفة ومحل الصفوة ومنبع
المحبة والنور الفايض من خطاب فاعلم انه لا اله الا الله لا تحل الا فيه والكلمة الحاصلة
من تشريف يحبهم ويحبونه لا يظهر الا فيه ولا استقرار لقوله من وجد الا بذكر الله تطمين
القلوب لا تحصل الا فيه فلما كان هو المقصود في الثواب والعقاب والوعد والوعيد والترغيب
والترهيب والتحذير لا جرم كان هو المخلوق الاول ثم انه خلق الدماغ فوقه والكبد تحته
لان الدماغ منشا الذي هو الواسطة بين القلب وبين العالم العلوي والكبد منشا الغذا وهي العقل
الواسطة بين القلب وبين العالم السفلي فجعل العلوي في العلو والسفلي في السفل تنبيها على
هذه الدرجات **الحكمة الخامسة** ان القلب سلطان البدن وليست سلطنته
بسبب كبر الجثة والا لوجب ان يكون الفخذ اولى بهذه السلطنة ولا بسبب الحدة والا لكانت
المرارة اولى بها ولا بسبب القوة والا لكانت المواد الحاملة للعظام اولى بها ولا بسبب القطاعية
والا لكانت الاسنان اولى بها ولا بسبب كثرة الرحم والا لكانت المعدة اولى بها فلما بطلت كل
هذه الوجوه ولم يبق للقلب خاصية سوى كونه معدنا للعلم والحكمة والفهم والادراك علمنا انه انما
كان سلطان البدن لكونه موصوفا بالعلم والحكمة كانت سلطنته بالعلم والحكمة والفهم
والادراك فعلمنا ان من كان عالما حكيما كان سلطانا بالحق ونايبا للحق بالخلق فكل من كان
محروما عن العلم والحكمة كانت سلطنته في التلبيس ونيابته بلبس **الحكمة السادسة**
ان الروح سلطان الجسد وسرير الروح هو القلب لا جرم كان القلب هو اول الاعضاء الحادثة
في الجسد فنقول لما كان الروح هذا سلطانا محتاجا الى سرير جسماني كان ذلك السرير اول الاعضاء
المتكونة في البدن فالحق وهو سبحانه سلطان الموجودات فلو كان محتاجا الى سرير جسماني
وهو العرش لوجب على هذا القياس ان يكون العرش اول المحدثات واول المكونات لكنه ليس الامر

كذلك بنص القرآن والخبر اما نص القرآن فهو قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش بين تعالى ان الاستوا على العرش متاخر عن تخليق السموات
والارض اما الخبر فانه روى انه عليه السلام قال اول ما خلق الله القلم وفي رواية ثانية اول ما
خلق الله العقل وفي رواية ثالثة اول ما خلق الله نوري وفي رواية رابعة اول ما خلق الله جوهرة
ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء وجميع هذه الروايات منطابقة على ان العرش ليس هو
المخلوق الاول وذلك يدل على كونه منزها عن العرش والكرسي والمكان والجهة **الحكمة
السابعة** ان القلب سلطان الجسد فكان اشرف اعضاء الجسد هو القلب ثم ان المجسمة
يقولون كل موجود هو اشرف من غيره وجب ان يكون اعلى من غيره فلما كان الحق اشرف
الموجودات وجب ان يكون في المكان اعلى من جميع الموجودات فها هنا القلب سلطان البدن
واشرف الاعضاء مع انه ليس في اعلى موضع من مملكة البدن بل هو مستقر في الوسط فظهر هاهنا
هنا فساد قول المجسمة ان الاشرف يكون اعلى في المكان والجهة بل هاهنا دقيقة اخرى وهي
ان الاعضاء اخس البدن انما هو الشعر والجلد والعظم واعلى شي في البدن هو هذه الثلثة
فعلمنا ان العلو لا يقتضي الشرف والسفل لا يقتضي الخسة **الحكمة الثامنة** ان كل
طباخ وضع اللحم الاحمر في قدر وطبخه فانه يزول تلك الحمرة ويحدث البياض وهاهنا الحق سبحانه
وضع المني الابيض في قدر الرحم وطبخه بنار الطبيعة فانقلب الابيض احمر وايضا كل واحد يسلط الحرارة
على جسم لطيف فان بسبب تلك الحرارة تزداد الرقة والرخاوة والحق سبحانه قلب هذه القضية هاهنا
وسلط الحرارة على النطفة الرطبة البيضا فصيرها منعقدة كثيفة قوية فان قيل انما حصلت
الكثافة والانعقاد لان الحرارة لما عملت في تلك الرطوبة بحركتها بقي الباقي صلبا يابسا فنقول ان كان
الامر كذلك وجب ان يؤثر تلك الحرارة الناعمة برحم المرأة وبساير اعضايها في تجفيف تلك الاعضا
فان تاثير تلك الحرارة في محلها اولى من تاثيرها في الجسم الاجنبي عنها المباين لها فلما لم تؤثر تلك
الحرارة في تجفيف تلك الاعضا اللدم واثرت في تجفيف جوهر النطفة علمنا ان تاثيرها في احد المحلين
وعدم تاثيرها في المحل الثاني بتدبير مدبر المخلوقات وتقدير مقدر الكاينات فالطبايع معزولة
والخواص باطلة والافلاك معطلة والكواكب مسخرة ولا تاثير الا للقدرة الازلية ولا نفاذ
الا للمشية السرمدية سبحانه وتعالى عن قول الظالمين علوا كبيرا ● اما المرتبة الرابعة فهي
صيرورة العلقة مضغة والمعنى انه ينقلب ذلك الدم الجامد مضغة اي قطعة لحم كانها مقدار ما يمضغ
كالغرفة اسم لما يغترف واعلم انا بينا انه يصير علقة في مدة خمسة عشر يوما ثم انه بعد ذلك
باثني عشر يوما يصير مضغة ويتميز الاعضا الثلث بعضها عن بعض وامتدت رطوبة النخاع
وربما تقدم ذلك او تاخر بيومين او بثلثة ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين ○
والاطراف عن الضلوع والبطن يتميز بحسه في البعض ويخفى في البعض ويحس بذلك بعد
تمام الاربعين في الاكثر وفي الاية ابحاث **البحث الاول** وهو ان المضغة اسم
للقطعة من اللحم فقوله ثم خلقنا المضغة عظاما يقتضي تقدم اللحم الذي هو المضغة على تخليق

العظام وقوله ثم كسونا العظام لحما يقتضي تقدم العظام على اللحم وذلك متناقض ●
والجواب ان المضغة اسم للقطعة المصنوعة من اللحم فهذا الجسم المسمى بالمضغة لا يكون لحما
البتة ولا يكون املس السطح وذلك لانه مركب من اجسام مختلفة الصورة فبعضها يكون اذا استحكمت
خلقته كان عظاما وبعضها يكون اذا استحكمت خلقته عصبا وبعضها اذا استحكمت خلقته
كان عروقا ثم ان هذه الاجسام بعد ما استحكمت خلقتها لم يتميز بعضها عن بعض تمام التميز
ولم يظهر فيها صلابة وكثافة بل هي باقية على الرخاوة فهي من حيث كونها لينة رخوة تشبه
اللحم ومن حيث انه لم يبق على كرتها وملاستها بل صارت اجساما مختلفة الطبايع كان اللحم
الممضوغ فلهذا المعنى سمى الله تعالى هذا الجسم في هذا الوقت مضغة ● **البحث الثاني**
انه سبحانه وتعالى وصف المضغة في سورة الحج فقال ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين
لكم ونقر في الارحام ما نشاء والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك
والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء ثم للمفسرين في المعنى اقوال الاول
ان يكون المراد من تمت فيه احوال الخلق ومن لم يتم كانه سبحانه خلق المضغة الى قسمين احدهما تامة
الصورة والحواس والتخاطيط والثاني الناقصة في هذه الامور فبين انه تعالى انه بعد صيرورته مضغة
منها ما خلقه انسانا تاما بلا نقص ومنها ما ليس كذلك قال قتادة والضحاك فكان
خلق المضغ متفاوتة منها ما هو تام خالي عن العيوب ومنها ما يكون معيوبة ويتبع هذا التفاوت
تفاوت الناس في خلقتهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم **والقول
الثاني** المخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير المصور وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط
وشكل واحتج اصحاب هذا القول بما روى عن علقمة عن عبد الله انه قال اذا وقعت النطفة في الرحم
بعث الله ملكا فقال الملك يا رب مخلقة ام غير مخلقة فان قال مخلقة قال يا رب ما صفتها اذكر
ام انثى ما رزقها ما اجلها شقي ام سعيد فيقول الله سبحانه انطلق الى ام الكتاب فاستنسخ صفة
هذه النطفة فينطلق الملك بذلك فينسخها ولا تزال تنسخه معه حتى ياتي على صفة اخر صفتها
والقول الثالث قال القفال التخليق ماخوذ من الخالق فما تتابع عليه الخلق بعد
الخلق حتى تم فهو المخلوق وما لم يتم فهو غير مخلوقة لانه لم يتواتر عليه التخليقات واعلم ان
القول الاول اقرب لانه تعالى قال في اول الاية فانا خلقناكم واشار الى الناس فيجب ان يحمل مخلقة وغير مخلقة
على من سيصير انسانا وذلك يبعد في السقط لانه قد يكون سقطا ولم يتكامل فيه الخلقة ●
فان قيل هلا حملتم ذلك على السقط لاجل قوله ونقر في الارحام ما نشاء وذلك كالدلالة على
ان فيه ما لا يقر في الرحم وهو السقط قلنا ان هذا لا يمنع من صحة ما ذكرنا في كون المضغة مخلقة
وغير مخلقة لانه تعالى بعد ان تم خلقة البعض ونقص خلقة البعض لا يجب ان يكمل ذلك
فيه بل فيه ما يقر الله في الرحم وفيه ما لا يقر وان كان قد ظهر فيه خلقة الانسان فيكون من
هذا الوجه قد دخل فيه السقط اما قوله لنبين لكم ففيه وجهان الاول لنبين لكم ان
انقسام المضغة الى المخلقة وغير المخلقة يدل على ان المتولي لهذا التدبير ليس هو الطبع بل الصانع

كونها

المختار والثاني ان اول هذه الاية هو قوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة فيكون المعنى انا اخبرناكم انا خلقناكم كذا وكذا لنبين لكم ما
يزيل عنكم ذلك الريب في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشيا كيف يعجز عن الاعادة واما
قوله تعالى ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى فالمراد منه ان من تسلم هذه المضغه من بلغه الله
حد الولاده والاجل المسمى هو الوقت المضروب للولاده وهو اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او اربع
سنين اوكما شا الله وقدر انه تعالى كتب ذلك الوقت المعين في اللوح المحفوظ صار ذلك
اجلا **البحث الثالث** من مباحث هذا الموضع انا قد ذكرنا ان اصحاب التجارب
زعموا ان في اربعين يوما يصير الحال بحيث يتبين بعض الاعضا عن البعض وفيه اشكال وذلك
لانه روي في الصحيحين عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفه ثم يكون
علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يرسل الله ملكا ينفخ فيه الروح فيومر باربع كلمات
فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فوالله الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنه
حتى يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وان احدكم ليعمل
بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل الجنه
فيدخلها فهذا الحديث يدل على انها تبقى اربعين يوما نطفه ثم تبقى اربعين يوما علقه ثم تبقى
مثل هذه المده مضغه وذلك على خلاف ما حكيتم عن اهل التجارب والجواب انه
وان تخلقت الاعضا في مدة الاربعين الا ان صورة العلقه والمضغه انما تتم عند انقضا الاربعينات
الثلثه ولا منافاه بين التجربه وبين كلام صاحب الشرع **اما المرتبة الخامسة**
وهي صيرورة المضغه عظاما فاعلم ان بدن الانسان مركب من الاعضا والاعضا تنقسم الى
قسمين الى اعضا بسيطة ومركبه فالاعضا المركبه فهو الذي لا يكون جزو المحسوس مساويا
لكل اليد في الاسم والحقيقة كالعظم فان كل جزء من اجزا المحسوسه يكون مساويا لكل اليد في الاسم
والحقيقة واعلم ان الاعضا المركبه انما تتركب من الاعضا البسيطه فلهذا السبب لم يذكر الله
في هذا المقام شيئا من الاعضا المركبه واما الاعضا البسيطه فهي عشرة العظام والاعصاب
والرباطات والاوتار والاورده والشرايين والاغشيه واللحم والشحم والجلد الا ان
البدن واساسه هو العظام فلهذا السبب خص الله تعالى العظام بالذكر في هذا الموضع واعلم
ان العظام بالذكر في هذا الموضع واعلم ان العظام يمكن تقسيمها على وجهين الاول
ان العظام بحسب منافعها على اقسام احدها ما فيه اساس من البدن فما بين الاساس وعليه
مبناه مثل فقار الصلب فانه سائر البدن عليه مبني كما يبنى السفينه على الخشبه التي تنصب
فيها اولا وثانيها ما فيه من البدن قياس المجن والوقايه كعظم اليافوخ وثالثها
ما فيه قياس الالات التي بها تتم الاعمال وهي عظام اصابع اليدين والرجلين ثم ما كان
من هذه العظام انما يحتاج اليه للدعامه او الوقايه ولا يحتاج اليه لتحريك الاعضا فانه خلق

مصمتا

١٤٥

مصمتا ومما كان منها يحتاج لاجل الحركه فقد زيد في مقداره تجويفه وجعل تجويفه في الوسط واحدا
ليكون جرمه صلبا ولا يصير رخوا بسبب كثرة المنافذ ثم جعل المخ في وسطه ليرطبه
ويمنعه اليبس المفتته وفايدة زيادة التجويف ان يكون اخف وفايدة توحيد التجويف
ان يبقى جرمه اصلب وفايدة صلابة جرمه ان لا ينكسر عند الحركات العنيفه **التقسيم
الثاني** للعظام انما هو بحسب تجاورها على اقسام فاحدها ما يتجاور تجاورا
مفصل سلس وهو الذي لاجل عظمه ان يتحرك حركاته سهلا من غير ان يتحرك العظم الاخر
كعظام الاصابع مع الكف ومفصل الرسغ مع الساعد وثانيها ما يتجاور تجاور مفصل
عسر غير موثق وهو كعظام فقرات الظهر في النصف الاعلى من الظهر ولولا ذلك لما قدر الانسان
تارة على ان ينتصب انتصابا وتارة يصير منحنيا كما في وقت الركوع فاما النصف الاسفل
من الظهر فاصل عظامه موثقه محكمه وثالثها ان يكون المفصل موثقا ليس لاحد عظميه
ان يتحرك وحده البته مثل مفصل عظام السن ورابعها المركوز وهو ما يوجد لاحد
العظمين زياده وللثاني نقرة يركز فيها تلك الزياده ارتكازا لا يتحرك فيها مثل الاسنان
وخامسها المدروز وهو الذي يكون لكل واحد من العظمين اسنان كالمنشار ويكون
اسنان كل واحد منهما منهدمه في تحاريز الاخر كما يركب الصفارون صفايح النحاس كمفاصل
القحف وسادسها ان يكون العظام متلاصقه فمنها ما هي متلاصقه طولا مثل مفصل
ما بين عظمي الساعد ومنه ما هو ملتزق عرضا مثل مفصل الفقرات السفلى من فقار
الصلب واعلم ان عظام البدن جملتها مايتان وثمانيه واربعون عظما ٥ فاما عظام
الراس فخمسه وخمسون سبعه هي عظام اليافوخ واربعة عشر عظام اللحي الاعلى واثنان
هي اللحيان الاسفلان واثنان وثلاثون سنا فالمجموع خمسه وخمسون ٥ واما
خرزات الظهر فتسعه وعشرون سبعه للعنق واحدى عشر تتصل بها الاضلاع وخمسة
هي للقطن وثلثه العجز وثلثه العصعص ٥ فاما الاضلاع فاربعه وعشرون من كل
جانب اثنى عشر ٥ والقص مولف من عظام سبعه والترقوتان عظمان موضوعان على
واحد من جانبي القص واليدان معلومتان وكل واحد من اليدين مولف من احد وثلثين
عظما العضد وطرفه والساعد وهما عظمان ملتصقان بالطول والكف وهي اثنى عشر
الرسغ وهو صفان في كل صف اربعه والمشط اربعة اخرى والاصابع خمسة عشر فالمجموع
احد وثلثون ومجموع عظام اليدين اثنان وستون وعند العانة عظمان ويحدان
وطرفاهما الحقفتان وعظام القدم سبعة وعشرون فهذا هو مجموع عظام البدن
والكلام فيها وفي منافعها طويل والنكته الظاهره في كيفية الاستدلال بهذه الحالة على
الصانع ان العظام اجسام صلبه قويه فكيف تولدت من النطفه السخيفه الرقيقه وايضا
فهذه العظام مختلفه فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض
ورقيق والائق بكل موضع من مواضع البدن عظم مخصوص لو جعل في ذلك المكان

عظم اخر لاختلت المصالح والطبيعه التي لا شعور لها ولا ادراك كيف يمكن اسناد تخليق هذه الاعضا
اليها وكيف يعقل ان يقال ان هذه الطبيعه رتبت هذه الاعضا هذا الترتيب الموافق للمصلحه:
وان هذا مما لا يقبله العقل بل الفطنه السليمه والطبايع المستقيمه يشهد بان تخليق هذه الاعضا
لم تصدر الا عن الصانع الحكيم المدبر العليم • اما المرتبه السادسه وهو قوله
تعالى فكسونا العظام لحما اعلم ان اهل التشريح ذكروا ان جميع عضل البدن خمسمايه وتسعه
وعشرون عضله اعلم ان الخالق سبحانه لما اقتضت حكمته ان تجعل منبع قواه الحس والحركه
هو الدماغ وتكوين الاله الحاصله لها بين القوتين من الدماغ هو العصب ثم كانت لا تحس العصب
ايضا لها بالعظام لان العظام صلبه والعصب لطيف فانبت الخالق بحكمته من عظام شيا شبيها بالعصب
يسما رباطا فجمعه مع العصب وشبكه به كشي واحد الا ان هذا الجرم اللين من العصب ومن الرباط
كان ايضا دقيقا فدبر الخالق في ذلك بان جعل ذلك الجرم منفق ساق ملا خلله لحما وغشاه غشا
دقيقا صلبا وجعل في وسطه شيا كالمحور من جمله العصب فهذا العضو هو العضله وفيه فوايد
كثيره احدها ما انه فيه من اللحم منشا المنافع كثيره منها ان تكون حشوا لخلل الفرج الحاصله
العظام ومنها ان اللحم تتولد منه مثل حشو لحمه ومنها ان تكون حايلا بين عظام البدن
بعضها من بعض ومنها ان يكون حايلا بين عظام البدن وبين الاجسام الصلبه الخارجه
عن البدن ويكون ذلك اللحم شبيها بالمصربه اللينه التي يجلس الانسان عليها فلا يتالم بسبب
المصاكه الحاصله بين عظام البدن وبين الاجسام الصلبه الموجوده من الخارج والفايده
الثانيه ان هذه العضلات من شظايا العصبه تجري فيها قوه الحس والحركه فيتمكن
الانسان بسببها من الحركات الاراديه والافعال الاختياريه • والفايده الثالثه
ان هذه العضلات بسبب ما فيها من شظايا الرباط وبسبب كونها محلله بهذه الاغشيه الصلبه
تكون صلبه قويه لا تعرض لها الاسترخاء ولا انقطاع سريعا فهذه اشاره مختصره الى منافع هذه العضلات
واما المرتبه السادسه اللحم قال تعالى فكسونا العظام لحما فان قيل انه تعالى
ذكر في جميع المراتب المتقدمه لفظ الخلق فقال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه
نطفه في قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما وفي
هذه المرتبه لم يذكر لفظ الخلق بل قال فكسونا العظام لحما فما السبب فيه قلنا السبب فيه اما
العظام والاعصاب والعروق اعضا اصليه متولده من النطفه ولذلك اذا بطل لا يعود واما
اللحم فانه ليس من الاعضا الاصليه ولذلك فانه اذا ذهب بالهزال عاد بالسمن مره اخرى وهو
انما يتولد من دم الطمث لا من المني فلما كان الامر كذلك لا جرم جعل اللحم كالكسوه للاعضا الاصليه
وايضا فقد ذكرنا ان فايده اللحم لما دخلت المحوبه للاعضا ان تكون كالمضربه اللينه التي اذا جلس
الانسان عليها لم يتالم بسبب المصاكه الحاصله بين عظامه وبين الاجسام الصلبه الخارجه
وهذه الفوايد والمنافع شبيه بالفوايد المطلوبه من الثياب الملبوسه فلهذا السبب ذكر في هذه المرتبه
لفظ الكسوه فسبحان من له تحت كل كلمه من كلمات هذا الكتاب الكريم سر شريف ونكته روحانيه

اما

اما المرتبه السابعه وهو قوله ثم انشاناه خلقا اخر فاعلم ان المراد بالخلق الاخر قولان
الاول المراد نفخ الروح وزعموا ان الروح ليس من جنس البدن فلهذا المعنى جعل هذه
المرتبه نوعا اخر من الخلق مغايرا للمراتب المتقدمه واحتجوا عليه بوجوه من المعقول الحجه
الاولى ان المراتب المذكوره لا يكمل الانتفاع بها الا بنفخ الروح فوجب في الحكمه ذكر الروح
عقيب تلك المراتب والمذكور عقيب تلك المنافع هو قوله ثم انشاناه خلقا اخر فدل على ان
المراد نفخ الروح فلما عبر عن نفخ الروح بانه خلق اخر علم ان الروح ليس من جنس البدن
الحجه الثانيه قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والتسويه عباره عن
تخليق الابعاض والاعضا ونفخ الروح فيه اشاره الى تعلق الروح بالبدن ثم انه تعالى
لما اضاف الروح الى نفسه دل على انه متميز في ذاته بمزيد شرف لا يحصل مثله للاجسام
الحجه الثالثه انه تعالى ميز بين عالم الارواح وعالم الاجسام فقال الا له الخلق
والامر فجعل التباين بين هذين النوعين ثم انه تعالى حكم بان الروح من عالم الامر
وقال قل الروح من امر ربي ثم بين انه لا سبيل للبشر الى معرفته فقال وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ولو كانت من جمله الاجسام لما صحت هذه الاحوال • الحجه الرابعه
انه تعالى اضاف الافعال الى النفس فقال ان النفس لامارة بالسو وقال ولا اقسم بالنفس اللوامه
وقال يا ايتها النفس المطمينه ارجعي الى ربك راضيه مرضيه ومعلوم ان جميع الاجزا البدنيه
ليس مبدا للافعال فعلمنا ان النفس تدبر البدن وهو غير البدن الحجه الخامسه
قوله تعالى اخرجوا انفسكم اليوم وهذا في ان النفس شي مغاير للبدن تاره تدخل البدن وتاره تخرج
منه • الحجه السادسه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
وكل احد فانه لا ينسى هذا الهيكل الذي يشاهده بحواسه فدل هذا على ان تلك النفس التي ينساها
الانسان عند فرط جهله شي اخر غير هذا البدن الحجه السابعه قوله تعالى ونفس
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وهذا صريح في ان هاهنا نفسا هي محل الالهامات
ومحل الفجور والتقوى ومعلوم ان كل واحد من اجزا البدن وابعاضه ليس كذلك فهذه
النفس شي مغاير لهذه الاعضا • الحجه الثامنه القران دل على ان الشي المشار
اليه بان هو الانسان المخصوص باق بعد الموت قال تعالى في صفه الشهدا ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم وقال في صفه المعذبين النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا وقال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وقال عليه السلام انبيا الله لا
يموتون ولكنهم ينقلون من دار الى دار فثبت ان الشي المشار اليه بانه هو الانسان باق
بعد الموت للبدن حتى يدرك الالام واللذات واما ان هذا البدن المشار اليه ليس حيا بعد
الموت فهو معلوم بالضروره فلو جوزنا كونه حيا لجاز مثله في جميع الجمادات فهو سفسطه واذا
لاحت المقدمات علمنا ان المشار اليه بقولنا هذا الانسان ليس هو هذا البدن الحجه التاسعه
قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان في كتب الله المنزله اعرف نفسك تعرف ربك

المعول

اوالنفس

ولو كان المراد من النفس هو هذا الجسد المشاهد لما امرنا بمعرفته لان معرفته حاصلة بالضروره والحاصل لا يمكن تحصيله

الحجة العاشرة انا نجد من انفسنا ان نضيف كل واحد من هذه الاعضاء الي نفسنا فنقول يدي ورجلي وقلبي وعيني ورأسي وقلبي ودماغي والمضاف غير المضاف اليه فعلمنا ان النفس غير هذه الاعضاء فان قالوا فقد يقولون نفسي وذاتي وهذا يقتضي ان يكون نفس الشي مغايرا لنفسه وهو محال والجواب انا اذا اضفنا النفس والذات اليها كان المراد من النفس والذات هو البدن وهو مغاير لذلك الشي المشار اليه بانه هو الانسان فهذه اسئلة كلها تجمعها على اثبات النفس ولمن انكر النفس ان يجيب عن الكل بجواب واحد وهو انه لا نزاع ان النفس شي مغاير لهذا البدن المحسوس وكيف لا نقول ذلك والانسان قد يمرض فيهزل غاية الذبول ثم يبري فيسمن بعد ذلك غاية السمن والانسان واحد في الحالتين مع ان اجزاء البدنيه متبدله لكنه لو لا يجوز ان يقال البدن منقسم الي قسمين احدهما اجزاء اصليه باقيه من اول الخلقه الي اخرها والثاني اجزاء متبدله عرضيه رطوبي وترول فالانسان عبارة عن تلك الاجزاء الاصليه فهذا ما في هذا البحث اذا عرفت هذا فنقول اذا احملنا قوله تعالي ثم انشاناه خلقا اخر علي الروح فها هنا لطايف

الاولي قال بعضهم انه تعالى خلق الارواح من عالم الجمال والجلال والقوة العمليه المدبره للبدن من عالم الجلال ولولا ان الارواح مستورة بظلمات الاجساد والا لسجد لها كل كافر

الثانيه قال بعضهم الله تعالى خلق الارواح من النور والطيب والبقا والعلوم والحيوه اما النور فلانه ما دام الروح في الجسد نورانيا فالعينان يبصران والاذنان يسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماغ يتفكر فهذا يدل على ان الروح من عالم الانوار والدليل على انه من جوهر الطيب انه ما دام الروح في الجسد يكون الجسد مصونا عن الفساد والتفرق والانحلال والدليل على انه من جوهر العلو انه ما دام الروح في البدن يكون البدن مرتفعا عن الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد الروح قوة ازداد الارتفاع الا ترى ان الانسان عند استيلاء انوار عالم الروح حاله بيان علي روحه يأخذ في الرقص والسبب فيه ان قوة روحانيه فصارت تلك القوة الروحانيه جاذبه من الارض الي عالم السموات والانبيا عليهم السلام لما كملت هذه الاحوال فيهم صعدوا الي السموات فقال في حق ادريس ورفعناه مكانا عليا وقال في حق عيسى اني رافعك الي وقال في حق محمد عليه السلام فكان قاب قوسين او ادني والدليل على انه من جوهر العلم محل العلم هو الروح وذلك لان العلوم نفوس علويه غيبيه طاهره مقدسه ولا يكون محلها الا الجوهر القدسي العلوي والدليل على انه من جوهر الحيوة انه متى انقطع اثره عن جزء من اجزاء البدن صار ذلك الجزء ميتا كما في المفلوج وان تعلق بكل البدن صار كله حيا وبالجمله فالروح كالشمس والحيوة كالنور القابضه من الشمس وذلك لكل جسم وصل اليه نور الشمس انقلبت احواله من الظلمه الي الضيا كذلك كل عضو يصل اليه نور الروح انقلبت حالته من الموت الي الحيوة

النكتة **الثانيه** دلالة ارتباط تدبير هذا البدن بالروح الي افتقار كل

العالم الي الصانع في غاية الكمال الظهور وذلك لان هذا البدن مملكه صغيرة جدا واذا كانت هذه المملكه الصغيره لا تعقل استغناها عن ملك مطاع فيه فكل العالم الذي هو المملكه الكبري كيف يمكن استغناها عن مدبر يدبرها ومتصرف يتصرف فيها وكما ان المدبر في هذه المملكه واحد ولا يعقل حصول روحين في بدن واحد كذلك المملكه الكبري يجب ان يكون مدبرها واحدا فكذلك مدبر عالم الصغري

النكتة الثالثه ان المومن بذاته علوي وبصفاته علوي اما ذاته فلقوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وايضا افعاله واقواله علويه قال تعالي اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكتابه علوي كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وكلمة الله هي العليا واما الكافر فكلمته سفلي قال الله تعالى واراد به كيدا فجعلناهم الاسفلين وافعاله سفليه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السما وكتابه سفلي كلا ان كتاب الفجار لفي سجين فيا ايها المومن العلوي لا تجعل روحك سفليا بالمعصيه ويا ايها النوراني لا تجعل نفسك ظلمانيه بالاعراض عن الله ثم انه تعالي بين من خلقتك ان العلوي اشرف من السفلي والروحاني افضل من الجسماني وذلك لانه خلق فيك اعضا علويه واعضا سفليه اما العلويه فالقلب والعين واللسان واما السفليه فالبطن والمخرجان فمن استعمل العين في العبره واللسان في الحكمه والقلب في المعرفه صار علويا ومن استعمل البطن في اكل الحرام والفرج في الزنا والحرام صار سفليا خسيسا ثم اكد هذه الدلاله بان جعل الروح التي هي معدن النفس الصاعد فوقانيا والمعده التي هي معدن الهابط سفليا ليعلم ان كل من كان علويا سماويا فهو الشريف وما كان ارضيا سفليا فهو الخسيس

النكتة الرابعه الروح محل العلم ويجب ان يعلم ان الموجودات على ثلثه اقسام موجود لا يجوز ان لا يعلم وهو الله سبحانه وموجود لا يجوز ان يعلم وهو الجماد وموجود يجوز ان يعلم وان لا يعلم وهو انت فان صرت تعلم شيئا فقد تخلقت باخلاق الله وان صرت لا تعلم شيئا فقد صرت مشابها بالجماد وامتيازك عن الجمادات والتحاقك بزمرة الملئكة المقربين ومن ثم ملك المحبة رب العالمين انما حصل بسبب اتصال الروح بالبدن وعند هذا نظهر منقبة الروح

القول الثاني ان المراد من قوله تعالي ثم انشاناه خلقا اخر تعليق الاعضا الجسمانيه واعلم ان تمام الكلام في شرح قدرة الله تعالي وحكمته في خلق الانسان قد ذكرنا في علم التشريح من الطب الكبير الذي صنفناه لنذكر ها هنا نكتا قليله من المنافع الظاهره الجليه التي يصل اليها فهم كل احد فنقول انظر الي النطفه وهي قطره من الماء لو تركت ساعة ليضربها الهوى بطلت وفسدت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وذلك لانه سبحانه اوقع الالفه والمحبه في قلوبهم ثم قادهم بسلسلة الشهوه والمحبه الى الاجتماع ثم استخرج النطفه من الرجل بحركة الوقاع واستخرج دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم خلق المولود من النطفه وسقاه بماء الحيض حتى نما وربا فكيف جعل النطفه وهي بيضا مشرفه علقه حمرا ثم كيف جعلها مضغه ثم كيف

ثم اجزاء المضغه الي العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم في داخل الرحم في الظلمات
الثلاث ولو انكشف الغطا والغشا لكنت ترى التخطيط والتصوير يظهر في النطفه
شيئا فشيا ولا ترى المصور ولا قلمه ولا التة فهل رايت مصورا وفاعلا لا يمس الته
مصنوعه ولا تلاقيه فسبحانه ما اعظم شانه ولنشير هاهنا الي قليل من تشريح الاعضا ◉ اما
الراس فتامل انه سبحانه دوره وشق سمعه وبصره وانفه وفمه فانه تعالى ركب كرة الراس في
الام من ثلثه وعشرين عظما وخلق تلك العظام على كيفيه مختلفه فكيف تولدت العظام
الصلبه من النطفه المستجيبه الرقيقه ثم انه سبحانه قدر كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص
ومقدار مخصوص ووضع مخصوص لو وقع الخلاف ذلك لبطلت المنفعه وفات الغرض ثم
ركب بعضا مع بعض بحيث يحصل من مجموعها كرة الراس على هذه الخلقه المخصوصه واعلم انه
تعالى انما اظهر الاحتياط في عظم الراس لاجل ان الدماغ اشرف اعضا الانسان فانه محل الفكر
والعقل ولما كان في غاية الشرف صانه بسبع انواع من الصوابات وذلك لان الدماغ محيط به
غشا دقيق يقال له غشا السمين وفوق ذلك الغشا غشا اخر صلب وهو يلتصق بمقعر عظم اليافوخ
ثم فوقهما عظم اليافوخ ثم خلق خارج العظم غشا اخر يقال له السمحاق وفوق هذا الغشا طبقه
لحميه وفوق تلك الطبقه اللحميه الجلد وفوق الجلد الشعر فتامل انه تعالى خلق فوق دماغك
سبع طبقات جاريه مجري السموات السبعه والمقصود من تخليقها على الاحتياط في صون
دماغك عن الافات والمقصود من تخليق دماغك ان تكون من المتفكرين في دلايل الله المتاملين
لمخلوقاته لتستدل بها على دلالة خالقها وحكمة باريها **ولنذكر الان** بعض صفات
الدماغ فنقول انه تعالى قسمه في طوله الي ثلاثة اقسام وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل
والبطن المتوسط محل التامل والتفكر وجعل البطن المؤخر محل الاسترجاع والتذكر وكل واحد
من هذه الاحوال الثلثه امور مهمه للانسان لا يحصل الانتفاع بالاشيا الا معها اما الحفظ والتخيل
فامر لا بد منه في الانسانيه ويدل عليه وجوه **الاول** ان الانسان محتاج الي التفهيم والتفهم
بالكلام والكلام مركب من الحروف وهذه الحروف لا توجد مجتمعه البته بل متعاقبه فلو لم تكن
للانسان حافظ الصور المحسوسات بعد غيبتها لكان الانسان اذا سمع حرفا ثم انقضى ذلك
الحرف الاول ووجد الحرف الثاني فعند حصول الحرف الثاني لا يكون الحرف الاول موجودا
في الخارج ولا يكون اثره ايضا باقيا في الحفظ فحينئذ لا يكون المسموع ابدا الا حرفا واحدا والحرف
الواحد لا يفيد المعني البته فثبت انه لولا الحفظ ما كان يحصل التفهيم والتفهيم بالكلام
فكانت هذه المصلحه العظيمه تختل وتبطل ◉ **الثاني** ان الانسان اذا راى شيئا ثم غاب عنه
ثم راه مرة اخرى عرف ان هذا الذي يراه الان هو الذي راه قبل ذلك وذلك لانه لما راه في
المرة الاولي ثم غاب عنه بقيت صورته في الحفظ فلما راه مرة ثانيه صارت هذه الصوره
المحسوسه ثانيا منطبعه على تلك الصوره المحفوظه في الخيال فيحصل الشعور بان هذا
الذي يراه الان هو الذي يراه قبل ذلك فلولا القوه الحافظه لما حصل هذا المعنى ولو لم يحصل هذا

المعنى

المعنى لاختل نظام العالم فما كان يعرف الزوج زوجته ولا السيد عبده واحتاج كل واحد الي ان
يعرف حال كل شخص في كل يوم يراه **الثالث** ان خاصية الانسان ان يتوسل بالفكر الى ان
يصير المجهول معلوما والفكر عبارة عن تركيب الاشيا الحاضره في الذهن ليتوصل بتركيبها الى حصول
المجهول المعلوم ولا معني لحضور الاشيا في الاذهان الا حضور مثالها واشباهها في القوه الحافظه
فالقوه الحافظه في دماغك جاريه مجري اللوح المحفوظ في عالم السموات وبقا صور المحسوسات
في خيالك يشبه بكتابة احوال المخلوقات في اللوح المحفوظ فثبت بما ذكرنا ان القوه الحافظه
من اعظم نعم الله على الانسان ◉ ثم فيه امر اخر عجيب لا يعرفه الا الله سبحانه وذلك لان هذه
الصور التي نتخيلها ونشاهدها حال ما نستحضرها اما ان يقال انها موجوده او يقال انها معدومه
والقول بكونها معدومه باطل لانها نميز بين كل واحد منها وبين غيرها بل كانا نشاهدها
وننظر اليها في خيالنا فانا اذا نظرنا الي قرص الشمس ثم غمضنا العين فانا نشاهد قرص الشمس
حاضرا في خيالنا كانا ننظر اليه فثبت انها موجوده ثم قال قوم ان محل هذه الصوره الخياليه مقدم
دماغنا وقال اخرون بل مقدم الدماغ اله لهذا العمل ومحل هذه الصوره جوهر الروح والروح
ليس بجسم ولا جسماني وكل واحد من القولين عجيب جدا ◉ اما الاول فهو ان مقدم
الدماغ في جسم صغير جدا فكيف انتقش في ذلك الجسم الصغير صور السموات والارضين
والشمس والقمر وصور البلدان والمسالك والممالك والانسان ايضا ربما حفظ كتبا كثيره
فكيف اتسع ذلك الجسم الصغير بهذه الصور العظيمه وقد يحفظ الكلمات التي سمعها من اول
عمره مع كثرتها فكيف ارتسمت هذه الصور الكثيره في هذا الجسم الصغير من غير ان يختلط
شي من هذه النقوش بعضها ببعض ولا شك انها من العجايب التي لا يعرفها الا المدبر الخالق
والقول الثاني وهو ان محل هذه الصور جوهر الروح وهو ليس بجسم ولا جسماني
فهذا اعجب لان هذه الصور لها اطوال وعروض وامتداد في الجهات والاحياز فكيف يعقل
حلولها في شي وليس لها طول ولا عرض ولا امتداد في الجهات وبالجمله فنحن نعلم بالضروره
انا نحفظ صور هذه المحسوسات واذا اردنا ان نعلم انا كيف نحفظها عجزنا عن ذلك
فسبحان الخالق الحكيم ومن جملة نعم الله تعالى علينا في كيفية هذا الحفظ انه جعل الحافظ
لصور المحسوسات الخمسه شيا واحدا والفايده فيه انا اذا سمعنا صوتا علمنا ذلك الشخص
لان القوه الحافظه تعلم ان الذي له هذا الصوت ذلك الشخص فحينئذ يفيد السمع فايدة
البصر ويقوم كل واحد من الحواس الخمس مقام الاخر ◉ واما البطن الاوسط من الدماغ فهو محل
الفكر ومعني الفكر ان تركب القوه المفكره شيئين من الاشيا الحاضره عند قوة الحافظه فيصير
ذلك التركيب سببا لاستحداث صوره جديده عند العقل وجميع التركيبات التي احدثها
اهل الدنيا في بناء المساكن واستخراج الحرف والصناعات فهي من اعمال القوه المفكره والقوه
المفكره تستخرج تلك الصور بهذا الطريق ثم ان القوه العمليه تنقل تلك الصوره من الافكار
الي الخارج ومن المعلوم انه لولا الفكر لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفع الافات

وهما اعظم النعم بخلق القوة الفكرية ومن اراد ان يعرف قدر هذه النعمة فلينظر الى البهايم
والمجانين واعلم ان قوة الفكر كالعلم والقوة الحافظة كاللوح فان القوة المفكرة اذا استنبطت
صورة جديدة ارتسمت تلك الصورة في لوح الخيال فكان المثبت هو الفكر والقابل هو الخيال
فكانت المفكرة قلما والحافظة لوحا واعلم انا وان كنا نعلم بالضرورة انا نتفكر الا انا اذا
اردنا ان نعلم ان هذا الفكر ما هو صعب علينا ذلك فان هذا الذي طلبناه هل نعلمه ام لا فان علمنا
فكيف نطلب العلم به وان لم نعلمه فكيف يمكننا طلب شي لم يخطر ذلك الشي ببالنا ۝ واما
البطن الاخر من الدماغ فهو التذكر ومعنى التذكر ان من حضر في ذهنه امر من الامور ثم
غاب عنه فانه يستوجبه بعد غيبوبته وهذه الحالة حاصلة للانسان فانه ليس كل ما راه مستحضر
الانسان وسمعه في مدة عمره فانه يكون حاضرا في خياله بل اكثر هذه الصورة في اكثر هذه الاحوال
غير حاضرة في الذهن لكنها وان كانت غايبة الا ان الانسان متى اراد استحضارها قدر
عليه فهذا الاستحضار هو التذكر ولا شك ان خلق هذه القوة نعمة عظيمة من الله على
الانسان واعلم ان هاهنا ايضا حالة عجيبة تعجز العقول البشرية عن معرفتها في كيفيتها
وذلك لان هذه الصورة اذا كانت غير حاضرة فتذكرها عبارة عن طلب رجوعها فهذا
الطلب اما ان يكون طلبا لتلك الصورة بعينها او يكون طلبا بصورة ما مبهمة ايه صورة
كانت فان كان الاول فهو محال لانها غير معلومة بعينها اذ لو كانت معلومة بعينها لكانت
حاضرة فما كان الانسان يحتاج الى طلبها امتنع طلبها بعينها والثاني ايضا محال لان
المطلوب اذا كان صورة ما لا هذه الصورة فلم حصلت هذه الصورة بعينها دون ساير الصور
واذا لم حصلت هذه الصورة بعينها حكم العقل بان مطلوبي كان هو هذه الصورة فهذا
اشكال عظيم وبالجملة فكل احد يجد من نفسه بالضرورة انه يحفظ الاشيا و يتفكر فيها ۝
ويستعيدها بعد غيبتها ثم ان العقول متحيرة في معرفة حقيقة هذا الحفظ والفكر والذكر
فسبحانه ما اعظم شانه وابهر برهانه في اصناف ملكه وملكوته فهذا هو الاشارة المختصرة
الى خلقة الدماغ ثم تامل احوال العين فانها مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات
وبالحقيقة فهي مركبة من عشر طبقات وثلاث رطوبات فالطبقة السفلانية هي الطبقة
الصلبة وفوقها المشيمة وفوقها الشبكية وفوقها الجليدية وفوق الجليدية الطبقة اهلت
العنكبوتية وفوقها الطبقة العنبية وفوقها الطبقة القرنية وهي التي بعدها الظاهر طبقة واحدة
لكنها في الحقيقة اربع طبقات ثم يحيط بهذا المجموع الطبقة الملتحمة فاذا عرفت هذا
علمت ان طبقات العين ثلاثة عشر طبقة على عدد طبقات العالم الاكبر فان اعلى الطبقات
للعالم الاكبر العرش وتحته الكرسي وتحته السموات السبع وتحتها الطبقات الاربعة للعناصر
فمجموع طبقات العالم الاكبر ثلثة عشر ومجموع طبقات العين ثلاثة عشر ثم انه تعالى
خص كل واحد من هذه الطبقات والرطوبات بشكل مخصوص ولون مخصوص ومقدار مخصوص
وترتيب مخصوص لو لم يوجد على ذلك الوجه بل على وجه اخر لاختلت المصالح

ثم

ثم تامل في احوال العين من وجوه الاول انه سبحانه وتعالى جعل موضع الابصار
مقدار عدسة واحدة ثم اظهر في تلك العدسة صورة السماء والعالم مع اتساع اطرافها
وتباعد اكنافها الثاني ان البياض مناسب للنور والسواد مناسب للظلمة فجعل
البياض سببا للعمى والسواد معدنا للقوة الباصرة لتعلم ان سبب حصول هذه النعمة فضل
الله وكرمه لا للطبع والخاصية الثالث انه سبحانه جعل الحدقة مصونة بالاجفان
ليسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذا عنها الرابع انه سبحانه جعل الاجفان
سواد اليكون سوادها سببا لاجتماع النور الذي يعين على الابصار ويكون مانعا عن تفرق
ذلك النور الخامس انه خلق لتحريك الحدقة اربعة وعشرون عضلة لو نقصت واحدة
من جملتها اختل امر العين السادس ان العين تشبه المراة ومعلوم ان المراة انما
ينتفع بها اذا كانت في غاية الصقالة والصفا فلما كانت العين لا ينتفع بها الا حال كونها في
غاية الصقالة والصفا لا جرم الحق سبحانه خلق هذه الاجفان متحركة الى الانطباق ابدا من
غير اختيار الانسان حتى لا تبقى الحدقة نقية صافية عن جميع الكدورات واما الذبابة فلما لم
تخلق لعينها الاجفان لا جرم الهمها حتى انها تبد بها نظف غفلتها عن اثار الغبار والكدورة
السابع انه تعالى جعل العين هاديا لصاحبها الى ادراك الاشيا وسببا لاطلاع غيره
بواسطته على ما في قلب صاحبه وذلك لان القلب في داخل البدن والعينان كالزجاجتين
الموضوعتين على جدار البيت فكيف ما كان الشمع في داخل البيت وقع ضوءه على الزجاجتين
فكذلك يستدل باحوال العين على احوال القلب في الرضا والغضب والرغبة والنفرة فسبحان
من جعل العين هاديا لصاحب العين الى معرفة الغير والعين الى معرفة احوال قلب صاحب
العين الثامن هو ان الطف اعضاء البدن هو العين ثم ان جميع الاعضا يتاثر من الحر
والبرد فوق ما يتاثر منهما العين وكان ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك لان الالطف اسرع
تاثرا لكنا نرى ان الرجل على صلابة جلده يتاثر من الحر والبرد فوق ما يتاثر العين خلق
منهما فكان الامر ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك لان الالطف اسرع تاثرا وما ذلك الا لتعلم
ان حصول هذه المصالح ليس بالطبع والخاصية بل بحفظ العليم الرحيم ۝ واما احوال الاذن
فاعلم انه تعالى شق الاذنين واودعهما ماء مرا ليكون ذلك معينا على ادراك السمع وليمنع
الهوام عن الدخول في الاذن ثم راعى فيه انواعا من المصالح الاول انه حوطها
بصدفة الاذن ليجمع الصوت فيردها الى الصماخ ۝ الثاني انه سبحانه جعل في ثقبة
الاذن انحرافات وانعراجات حتى تصير المسافة بهذا السبب طويلة فلو دخل الثقبة شي من
الهوام والحشرات فحينئذ تكثر حركاتها بسبب طول المسافة فيتنبه الانسان ويسعى في
اخراجه عن الاذن الثالث انه سبحانه جعل العينين مقدمتين والاذنين
موخرتين لان العينين يدركان الاجسام والاعراض وهي ادلة وجود الصانع والاذنان
يسمعان الكلام والدلايل العقلية متقدمة على الدلايل السمعية فلا جرم قدم البصر على السمع

الرابع خلق العينين مع الغطا والاذنين بلا غطا لان متعلق العينين اجسام واعراض
باقيه فلولا الغطا فيهما لكانا على خطر ومتعلق الاذنين الصوت فلو كان لهما الغطا لزال
الصوت قبل ارتفاع الغطا فلا يحصل الانتفاع بالسمع الخامس روى كعب الاحبار
قال دخلت على عايشه رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاديان واذناه قمع ولسانه
ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك واذا طاب الملك طاب جنوده
فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الانف فانه سبحانه رفعه
في وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيه حاسة الشم وفيه منافع الاول
انه يستدل باستنشاق الروايح على الاغذيه والمطاعم المسمومه الثاني يستنشق
بمنفذ المنخرين الهوى البارد الطيب فيستغني بالمنخرين عن فتح الفم ابدا الثالث
انه تعالى جعل تجويفه واسعا حتى ينحصر فيه هوا كثير فيكسر برده قبل النفوذ الي الدماغ فان الهوى
المستنشق وان كان ينفذ اكثره الى الريه فان شطرا صالح المقدار ينفذ ايضا الى الدماغ فلذلك
ان المزكوم يضره استنشاق الهوا البارد الرابع انه بتجويفه الواسع يحدث الى نفسه هوا كثيرا
حتى يحصل امام آلة الشم فيكون ادراك الشم اسهل ولذلك فان من تابع في التنسم جذب الهوى
بخيشومه مكررا الخامس انه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل اخراجها فلذلك فان من
قبض على انفه عسر عليه التكلم باكثر الحروف السادس ان يكون للفضول المندفعه من
الراس ستر ووقاية عن الابصار واعلم ان النفس عظيم فلو انقطع عن الانسان لحظه واحده
لمات ثم تامل ان المستنشق الهوا يدخل في المنخرين فينكسر برده هناك ثم يصل الي الحلقوم
فيعتدل براجه هناك ثم يصل الي الريه ويتصفى فيها ثم يصل الي القلب فيروح عن الحراره
الحراره الغريزيه وينفذ من القلب الي العروق المتحركه ويبلغ الي اقاصي البدن ثم اذا سخن جدا
وخرج عن حد الانتفاع عاد من تلك الاقاصي الي القلب ثم الي الريه ثم الي الحلقوم ثم يخرج
الي المنخرين ثم يخرج ويعود مثله فمجموع هذه الافعال وهو المسمى بالنفس للواحد ويقال
ان الانسان يتنفس في كل يوم اربعه وعشرون الف نفس فاعرف مقدار النفس الواحد في المنفعه
فانه لو انقطع لحصل الموت ثم انظر الي كثرة الانفاس لتعرف عظيم نعم الله عليك كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • واما الفم فانه سبحانه جعله آلة لتحصيل مصالح
الروح ولتحصيل مصالح البدن اما مصالح الروح فلانه اودع فيه اللسان الناطق المعرب
لما في القلب واعلم انه سبحانه خلق القلب اميرا للبدن ومعدنا للحراره الغريزيه فاحتاج
القلب الى تعديل تلك الحراره العظيمه بالنسيم البارد المعتدل فاذا استدخل الهوا البارد
ووصل الي القلب واعتدلت حرارة القلب وبقي ذلك هناك ساعة تسخن واحترق فاحتاج
القلب الى اخراج ذلك النفس فجعل المدبر الحكيم الفاطر العليم اخراج ذلك النفس سببا لحدوث
الصوت ثم جعل في الحنجره وفي اللسان وفي الحنك والشفتين مقاطع ومخارج للحروف
مختلفه فحصلت الحروف بهذا الطريق ثم جعل تلك الحروف عند تاليفها وتركيبها موديه

للمعاني

للمعاني فانظر الي كمال الحكمه فان المقصود الاصلي من النفس هو ايصال النسيم البارد الي
القلب واما اخراج النفس فهو جاري مجرى دفع الفضله الفاسده ثم انه سبحانه صرف
هذا المعنى الى رعاية مصلحه اخرى وهو انه جعلها مادة للحروف والاصوات والكلام
ثم انه سبحانه خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والخشونه والملاسه حتى اختلفت الاصوات
لاجل اختلاف هذه الاحوال فكما لا يتشابه صورتان البته فكذلك لا يتشابه صوتان البته
وكما يحصل الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصره فكذلك يحصل الاشتباه بينهم بسبب القوه
السامعه فيحصل في الظلمه هذا التمييز ويحصل للاعمى هذا التمييز واما ما يتعلق بتحصيل مصالح
البدن فهو اعظم الاشيا المحتاج اليها في مصلحة البدن هو الاكل وهو سبحانه اعد في الفم
اسباب الاكل وهو من وجوه الاول انه تعالى خلق في الفم الاسنان ولها منافع
الاول ما ذكرنا انها مقاطع للاصوات فتحدث الحروف المختلفه بسببها الثاني انها
تكون آلة القطع والكسر والطحن ثم انظر الي الحكمه وذلك ان الانسان في اول ما يتناول الغذا
يحتاج القطع فجعل الاسنان المتقدمه حاده عريضة الروس جاريه مجرى السكين وجعل
الانياب مستديرة حادة الروس للكسر وجعل الاضراس مسطحة الروس خشنه كالرحى
لاجل الطحن ولو قدرنا كون الاضراس مقدمه وكون الرباعيات موخره لبطلت المصالح والمنافع
باسرها الثالث يكون زينة للوجه انه سبحانه زين الفم بالاسنان بيض الوانها
ورتب صفوفها وجعلها متناسبه متناسقه كانها الدر المنظوم ثم انه خلق الشفتين
وحسن لونهما وشكلهما لينطبقا ويسدا منفذها وليتم بها مخارج الحروف ومن لطيف
الحكمه انه تعالى جعل الاذن بالاجاب ولا باب وخلق وراء اللسان بابين احدهما الاسنان
والثاني الشفتان وفيه تنبيه على انه يجب ان يكون استماع الكلام اكثر من الاشتغال بالكلام
فان استماع الكلام يجري مجرى الدوا والاشتغال بالكلام كالدا والنوع الثاني
ما حصل في الفم من اسباب الاكل وذلك انه تعالى جعل معدنا للرطوبه العذبه اللعابيه
فالانسان اذا وضع الطعام في الفم وطحنه باسنانه امتزج ذلك المطحون باللعاب
الذي في الفم فوصلت اثار تلك الطعوم اللذيذه في الحال كما انه يصير سببا لقوة البدن
في الاستقبال ثم ههنا انواع من العجايب • الاول ان كل من ادار ادارة الرحا
بسبب ايصال الما اليه وضع الرحا في موضع يكون اسفل من مجرى الما حتى اذا انصب الما
من الاعلى الي الاسفل فحينيذ يترك على ادارة الرحا والله سبحانه ادار رحى الفم الذي يصعد
الما من اسفل المعده ليعلم الخلق ان ذلك بسبب الحكمه والقدره لا بسبب الطبع والخاصيه
والثاني ان الانسان قبل ان يضع الطعام في الفم اجتمعت من تلك الرطوبات بقدر ما
يبتل به ذلك الطعام ولو لم تجتمع تلك الرطوبات في هذا الوقت لتعذر على الانسان مضغ
ذلك الطعام وتعسر عليه ابتلاعه فانظر الى كمال الحكمه في الوقتين والثالث
ان الانسان لما احتاج الى طحن الطعام ومضغه بالاضراس فقد ينقلب جرم الطعام مما

لا يجتمع فيه شي كثير ولو اجتمع لكان في عنا بسبب اجتماعها وكلما وضع الطعام في الفم صح

ان الانسان لما احتاج الي طحن الطعام وضعه بالاضراس فقد ينقلب جزء الطعام مما بين
تلك الاضراس فجعل اللسان متحركا في ذلك الوقت حتى ان اللسان بحركاته المختلفة يجمع
الطعام الي ما بين الاضراس حتي ينطحن على سبيل الكمال والتمام فسبحان من له الحكمة
القاهرة والدلايل الباهرة فهذا اشارة مختصرة الى احوال اللسان وشرح لحال هذه الحواس
ثم هاهنا انواع اخر من الحكمة والفوايد في الراس **الاول** تامل في وضع الحواس وقوة الحفظ
والفكر والذكر في الراس وذلك لانها جعلت في الراس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن الانسان
بسبب ارتفاع هذه الحواس من ادراك الاشيا البعيدة فما احسن قول الحكما الراس صومعة
الحواس **الثاني** قال كان بعضهم يقول عند امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما اعجب امر الشطرنج فان تلك الرقعة على غاية صغرها تشتمل على انواع لا نهاية لها من
اللعب فقال عمر هاهنا ما هو اعجب منه واغرب وذلك لان رقعة الوجه اصغر بكثير
من رقعة الشطرنج ثم ان كل عضو من اعضاء الوجه لا يتغير عن مكانه فالعينان ابدا تكونان
في ذلك الموضع المعين وكذلك الانف والاذن والفم ثم مع ذلك فانه يحصل فيه التفاوت
فانك لا ترى شخصين في الشرق والغرب يتشابهان من كل الوجوه فسبحانه ما اعظم شانه
واعلم ان التفاوت في الصورة ظاهر قوي فيما بين الادميين بعده والتفاوت حاصل بين
صورة الحيوانات الاهلية الا ان التفاوت فيما بين اكثر واما الحيوانات البرية فالتفاوت
فيما بين صورها قليل جدا والسبب فيه ما ذكرنا انه لولا اختلاف صور الناس لما تميز الزوج
عن الاجنبي والسيد عن غير السيد ومالك المال والمتاع والدار عن غيره فكان ذلك
يفضي الي الفساد العظيم فلهذا المعنى اقتضت الحكمة الالهية اظهار التفاوت في صور
الادميين ○ واما الحيوانات الاهلية فقد يتعلق بعض الاغراض باعيانها من بعض
الوجوه الا ان اشتداد الحاجة الي معرفتها باعيانها من بعض الوجوه لاشخاصها ليس
كالحاجة الي معرفة الناس باشخاصها واعيانها فلاجرم اظهر الله المخالفة بينها في الصورة
الا ان تلك المخالفة اقل من المخالفة بين اشخاص الناس ○ واما الحيوانات البرية فلا
تتعلق مصلحة البتة بمعرفة اعيانها واشخاصها فلاجرم لم تظهر المخالفة بين صورها واشكالها
الا في القليل فسبحان من له في كل شي حكمة مرعية واسرار مخفية **الثالث** قال
تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فان تعجبت من هذه الحالة فانظر الي
رقعة وجهك على صغرها فانه سبحانه وضع فيه اربعة من البحار مختلفة الطبايع والصفات
فجعل بحر الاذن مملوا من الماء المر وبحر العينين مملوا من الماء المالح وبحر الفم مملوا من الماء
العذب وبحر الانف مملوا من الماء العفن المتغير وجعل بين كل واحد من هذه البحار حاجزا
مانعا لا يختلط كل واحد منها على صفته وخاصيته حكمة بالغة اما مرارة الاذن فلا يدخلها شي
من الحشرات واما ملوحة ماء العين فلا لا يتطرق تلك العفونة الي ذلك الشحم واما عذوبة
بحر الفم فلاجل ان يجد المطعوم على غاية اللذاذة واما عفونة الانف فلاجل انه جعل مضيا

لفضلات

لفضلات الدماغ فسبحانه ما اعظم شانه **الرابع** قال الباقر ما خلق الله شيا في
العالم الاكبر الا وخلق نظيره في العالم الاصغر فلهذا قال وفي انفسكم افلا تبصرون
يعني ان عجزت عن مطالعة العالم الاكبر فانظر الي العالم الاصغر وذلك لاني خلقت في العالم
الاكبر شمسا وقمرا ونجوما وخلقت في العالم الاصغر مثلها فشمس العالم الاصغر هي الروح
لان الروح تضي جسدك كما ان الشمس تضي العالم واذا خرج الروح من جسدك صار
جسدك مظلما كما ان الشمس اذا غربت صار العالم مظلما والعقل كالقمر فكما ان القمر يستمد النور
من الشمس فكذلك العقل يستمد النور من الروح وكما ان القمر يزيد ضوءه تارة وينقص اخرى
فكذلك العقل يزداد قوته تارة وينتقص اخرى واما النجوم الخمسة السيارة الباقية فنظيرها
في البدن الحواس الخمسة ونظير الجبال عظامك ونظير البحار العروق المنشعبة من تلك
العروق الكبار وكما انه يحصل في البحار حيتان مضطربة فكذلك ترى في بحر فمك لسانك
مضطربا في ذكر الحكمة وفي بحر مقلتك ترى حدقتك مضطربة لمطالعة العبر وكما انك ترى
في بعض احوال الارض نباتا وفي بعضها ليس كذلك فكذلك ترى في بعض اجزائك
شعورا وفي بعضها ليس كذلك وبالجملة فاختصاص كل عضو بصفة خاصة وحلية
خاصة لابد وان يكون بقدرة العزيز العليم **الخامس** انه تعالى جمع اكثر المحاسن في
الوجه فجعل اربعة اشيا من اعضاء الوجه ملونا بلون السواد وجعل موضع النور من الحدقة
ملونا بلون اسود وجعل الاهداب سودا والحاجبين والشعر اسود وجعل اربعة منه ابيض
جعل الملتحمة من الحدقة ملونا بلون البياض وجعل الاسنان بيضا وجعل الجبهة كالسطح
المتخذ من الفضة النقية وجعل الذقن كالكرة المتخذة من الفضة ثم جعل الخدين على لون حمرة
الورد والشفتين على لون حمرة الياقوت ثم جعل الوجه دايرة تامة على شكل القمر والجبهة
نصف دايرة والحاجبين خطين مقوسين وامتداد الانف بالخط كالخط المستقيم فتامل
في رقعة الوجه وانظر الي هذه الاصناف المختلفة وتركيب الحدقة من السواد والسواد فهما
لونان في غاية المضادة والمنافرة فجعل النور في وسط الحدقة ثم جعل السواد محيطا بالنور
ثم جعل آخري محيطا بذلك البياض ثم جعل بياض الجبهة محيطا ثم جعل سواد الشعر مرة
اخرى محيطا بذلك البياض فتامل في هذه الاصباغ العجيبة والتركيبات البديعة لتشهد
روحك وعقلك وحسدك وفكرك وذكرك وجميع اجزايك وابعاضك على جلال
قدرة الخالق وكمال حكمته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا **السادس**
قال صلوات الله عليه اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه فجعل حسن الصورة الظاهرة دليلا
على حسن السريرة في الاعم الاكثر منهم من ذكر فيه وجوها **الاول** كانه قال عليه السلام
من حسن خلقه وجب عليه ان يجعل شكر هذه النعمة حسن الفعل **الثاني** انه
اراد بحسن الوجه الدين وذلك لان العبد انما يتوجه الي ربه بدينه والدين عند الله الاسلام
فاذا رفع المحتاج حاجته الي من حسن دينه لم يرض من دينه ان يرده غير مقضي الحاجة

الا اذا كان عاجزا عن قضائها **والثالث** انه اراد بحسن الوجه المتهجد بالليل بدليل
قوله عليه السلام من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار **والرابع** روى
انه صلوات الله عليه كان يقول في سجدته سجد وجهي للذي شق سمعي وبصري
وايضا فقد يعبر بالوجه عن الذات قال تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وقال عليه السلام وجه دينكم الصلوة ويقال للعربي يا وجه العرب ويقال للطريق
المفضي الى حصول المطلوب هذا وجه هذا الامر وقال الخليل عليه السلام وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض وكل هذه الاستعمالات تدل على انهم يجعلون
الوجه اسما لكل ذلك الشي تارة وتارة لاشرف اجزائه وهذا يدل على ان اشرف اجزاء
بدن الانسان انما هو الوجه والامر في الحقيقة كذلك وذلك لان العين المبصرة للاشياء
فيه والاذن السامعة للاسرار فيه واللسان الناطقة بذكر الملك الجبار فيه فلهذا قال
امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق
بلحم ولا شك ان مصالح هذا العالم لا يتم الا بهذه الحواس واما مصالح العالم الروحاني
والعقبات القدسية لا تتم الا بالفكر والذكر وهما لا يتمان الا بالدماغ واللوح والقلم
هناك والانوار والظلم هناك فلهذا السبب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل
الثوم لانه كان مضرا بالدماغ وكان يحب الطيب لانه يقوي الدماغ وليكتف بهذا القدر
من اثار حكمة الله تعالى في خلق الدماغ والراس والحواس واما ما يتعلق بالقلب
فانه يفرد له فصلا **النوع الثاني** في شرح اثار حكمة الله تعالى في خلق الانسان
وفيه وجوه **الاول** ان تقول تفكر في خلق الجنين في الرحم فانه لا حيلة له في طلب
الغذا فصرف الله تعالى من دم امه ما يكفيه ثم لا يزال ذلك غذاءه الى ان يستحكم بدنه ويقوى
جلده على مباشرة الهوى وحينئذ هيج الطلق بالام وينفصل الولد عن الام فبعد ذلك
يصرف الله الدم الى ثدي الام ويحصل له ضرب اخر من الغذا اوفق له مما كان هو اللبن
الخالص ثم ههنا لطيفتان **اللطيفة الاولى** انه سبحانه لما غذاك حين كنت
في بطن امك بالدم فلاجرم ما اوصل اليك هذا الغذا من طريق الفم بل من طريق السرة
والحكمة فيه ان الفم موضع الذكر والتسبيح والتهليل والدم نجس فلا يليق بالحكمة
تلطيخ الفم الذي هو موضع الذكر والتسبيح والتهليل بالدم النجس ولا شك فيه ان الفم
الذي لم يصر بعد محل الذكر بل ليس الا مجرد صلاحية ان يصير محل الذكر فالله تعالى نزهه عن
التلطيخ بالدم فلان ينزه وقد صار هذا الفم محل التسبيح والتهليل منذ خمسين سنة كان
اولى فلا يجوز ان تلطخه باكل الميتة وهي الغيبة والنميمة واكل الحرام **اللطيفة
الثانية** قالوا فرغ خاطرك عن طلب الرزق وتيقن انه تعالى اذا سد عليك
طريقا فتح طريقا اخر اجود من الاول انظر الى الجنين فانه كان ياتيه غذاء طاهر
وهو الدم من طريق واحد وهو السرة فلما خرج من بطن الام وانقطع ذلك الطريق انفتح طريقان

وكل مناصب العالم والدرجات الشريفة كان منها على مصالح الدماغ صح

اخران

اخران وهما الثديان وخرج منهما غذاء طاهرا نظيفا لطيفا يخرج من بين فرث ودم
ليعلم انه مهما انسد طريق واحد فتح الله تعالى له طريقين احسن وانفع من الاول ثم
اذا تم الحولان وتمت مدة الرضاع انقطع هذان الطريقان ولكن ينفتح طرق اربعة طعامان
وشرابان اما الطعامان فالنبات والحيوان واما الشرابان فالمياه والالبان ثم اذا مات
الانسان انقطعت هذه الطرق الاربعة ولكنه تعالى بفضله ورحمته يفتح عليك الابواب
الثمانية من الجنة لتدخل الجنة من ايها شئت بفضله ورحمته **الوجه الثاني**
في بيان الحكمة انه سبحانه خلقك في احسن تقويم وذلك لانه سبحانه خلق المخلوقات
في عالم الاجسام على اربعة اصناف قوايم كالاشجار وركع كالبهايم وساجد
كالحيتان والحيات وجالس كالجبال ثم انه تعالى خلق الادمي بحيث يكون تارة قائما وتارة
راكعا وتارة ساجدا وتارة قاعدا ثم انه يذكر الله تعالى على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ثم انه يضم الى هذا الذكر فقال ويتفكرون
في خلق السموات والارض فما اعظم هذه الحالة واجل هذه الدرجة وقد يذكر الحكمة
على وجه اخر فيقال النبات رووسها في عمق الارض وارجلها صاعدة في السماء فهي منكسة
كانها وضعت قمة راسها على الارض واما الانسان فانه بالعكس من ذلك فان رجلاه على
الارض وراسه في السماء والحيوانات متوسطة في هاتين الحالتين لا منكوسة كالنبات ولا
مستقيمة منتصبة كالانسان والسبب فيه عند اهل الطبايع ان النبات جسماني محض فلا
جرم كانت رووسها نحو الارض والانسان روحاني محض بالنسبة الى سكان الارض فلا
جرم كانت رووسها تلي عالم الروحانيات وهو عالم السموات ومساكن الملئكة واما الحيوانات
فهي متوسطة في هاتين الحالتين في الجسمانية والروحانية فلاجرم كانت متوسطة بين
الانتصاب والنكس واعلم ان هذا الكلام يوهم ان السبب لهذه الاحوال انما هو الطبع
والخاصية الا انه سبحانه ابطل هذا الوهم وازال هذا الخيال فيقال ايها الانسان ما دام راسك
منتصبا كنت في مقام التكبر وفي متابعة ابليس حيث قال ابا واستكبر وكان من الكافرين
فاذا وضعت راسك على الارض فهناك تقرب من الحضرة الصمدية كما قال واسجد واقترب
لتعرف ان هذا ليس بالطبع بل بفضل الله ورحمته **الوجه الثالث**
ان بدنك شبه الدار الكاملة التي بنيت واكملت بيوتها وخزائنها وفتحت ابوابها واعد فيها
كل ما يحتاج اليه صاحب المنزل فالراس كالغرفة في اعلى الدار والنقب التي في وسط الراس
كالروزن في كل غرفة الدار ووسط دماغه كالايوان في الدار والعين كباب الدور والانف
كالطاق الذي فوق باب الدار والشفتان كمصراعي الباب والاسنان كالبوابين واللسان
كالحاجب والظهر كالجدار القوي الذي هو حصن الدار والوجه كصدر الدار والرئة التي
هي الحاوية للنفس البارد كالبيت الصيفي وجريان النفس فيها كالهوى الذي يجري في البيت
الصيفي والقلب موضع حرارته الغريزية كالبيت الشتوي والكبد كالبيت للشراب

والعروق التي تجري فيها الدم كمسالك الدار والطحال بما فيه من السواد كالخوابي التي بنيت
فيها الدرديات والمثانه بما فيها من البول كبيت السر والسيلان في اسفل البدن كالبواليع
التي تخرج منها القاذورات من الدار والرجلان كالمركوب المطيع والعظام التي بني الجسد
عليها كالخشب التي عليها بناء الدار واللحم الذي في خلال العظام كالطين والعصب الذي
يربط بعض العظام ببعض كالرسن الذي يربط بعض الاشيا ببعض والتجويفات في جوف
العظام كالصناديق في الدار والمخ فيها كالجواهر والامتعه المخزونه في الصناديق فسبحان
من هيا في بيوت هذه الدار ثم ان الروح في هذه الدار كالملك المتصرف فيبصر بالعينين ويسمع
بالاذنين ويشم بالمنخرين ويذوق باللسان وينطق بالفم ويلمس باليدين ويعمل الصنايع
بالاصابع ويمشي بالرجلين ويبرك على الركبتين ويقعد على الاليتين وينام على الجنبين
ويستند بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين ويتخيل بمقدم الدماغ ويتفكر بوسط الدماغ ۵
ويتذكر بموخر الدماغ ويصوت بالحنجره ويستنشق الهوي بالخيشوم ويضغ بالاسنان
ويبتلع بالمري والمقصود من كل هذه الاحوال ان تكون في حضرة الربوبيه مشتغلا بالعبوديه كما
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انه تعالى فوض تدبير هذه المملكه
الى ثلاثه من الروسا **اولها** الشهوه ومسكنها في الكبد وجريانها مع الدم في العروق
الساكنه ولهذا المعنى قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن ادم مجرى الدم وذلك
لان القوه الشهوانيه لا تسري الا من الكبد مع الدم في العروق **وثانيها** القوه الغضبيه
ومسكنها القلب وهي تجري في العروق المتحركه الى جميع اطراف البدن **وثالثها** القوه النفسانيه
المدبره ومسكنها الدماغ وهي تجري في الاعصاب الى جميع اطراف البدن وهولاء الروسا الثلثه
ليسوا اشيا متباينه مستقله بانفسها بل هي الفروع المتفرعه من اصل واحد كالاغصان النابته
من شجرة واحدة وكالمنبع الذي ينشق منه ثلاثة انهار وكالاب الذي يتولد منه ثلاثة اولاد
وكرجل يعمل اعمالا ثلثه فيسمى بثلاثة اسما الحداد والصايغ والنساج مثلا فهولاء الثلثه كملوك
الاطراف الذين لهم الملك الاعظم ۵ والشهوه نسبة افعالها افعال النسا والصبيان
والحمقى من الناس اذ لم يودبهم اباؤهم وازواجهم ۵ والغضب نسبة افعالها العيادين
والقتالين اذا لم يودبهم الملوك ۵ والقوه المدبره نسبة افعالها افعال الحكما والفقها واهل
الخير والصلاح ۵ **الوجه الرابع** انه سبحانه يقول عبدي اردت ان اخرجك
الى الدنيا واعين منك على والديك وعلى اهل الدنيا فلما اردت ذلك زينتك كما تزين الام
المشفقه ولدها حين تريد عرضه على الناس فجعلت جبهتك كالسطح المتخذ من الفضه النقيه
لتكون محل السجود واظهرت في رقعه وجهك انواع النقوش العجيبه فاعطيتك الحاجب المقوس
والعين الملونه والخد المورد وجعلت وجهك كالقمر ثم جعلت العينين للاهتدا والاذنين
للاصغا والفم للاغتذا والمعده للهضم والكبد للاطعام والعروق لتكون كالانهار والمنافذ
لدفع الفضول واليدين للاعمال والرجلين للمشي فلما فعلت بك كل هذه الاعمال لتكون

عند خروجك الى الدنيا مبرا من النقصان فاذا ابرايتك عن النقصان عند ما اخرجتك الى الدنيا
مع انها سجن ودار محنه وموضع همم لا مسكن مقر فاعرف انه كيف يكون عنايتي بك وتحسين
احوالك اذا اخرجتك من القبر الى محفل القيمه **الوجه الخامس** انه سبحانه خلق اليدين
اله للطلب والرجل اله للهرب ثم انه تعالى خلق اليد مركبه من اربعه مفاصل مخصوصه
العضد والساعد والكف والاصابع فان اراد الانسان جعل هذه العظام الاربعه بمنزلة العظم
الواحد فدر عليه فيمة اليد وجعلها كالرمح وان اراد ان ياخذ جسما مستديرا تحت ابطه جعل
اليد كالدائره المحيطه بذلك الشي لاجل انه حصل في اليد هذه المفاصل ثم انه سبحانه جعل الاصابع
خمسا وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب اخر وبهذا الترتيب
صلحت اليد للاعمال الكثيره فان بسطها كان كالطبق يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت الة
للضرب فان ضمها ضما غير تام كانت مغرفه له وان ضم احدهما الى الاخر صار المجموع كالقدح الكبير
ثم خلق الاظفار على روسها زينة للانامل وعمادا لها من وراها حتى يمكنه ان يلتقط بالاصابع
الاشيا الدقيقه وليمكنه ايضا ان يحك بدنه عند الحاجه ثم تامل في هذا المقام فان الظفر الذي هو
اخس الاعضا لو لم يحصل للانسان لصار اعجز الخلق عند الحاجه الى الحك فان احدا لا يقوم مقامه
في كل بدنه **ثم من عجايب** انه اذا احتاج موضع معين من بدنه فانه لا يخطي فيه
البته ولو في وقت النوم والغفله ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب
طويل **ولنذكر منافع اليدين** من وجه اخر فنقول من المعلوم ان مصالح الانسان
ينقسم الى قسمين الى روحانيه والى جسمانيه اما المصالح الروحانيه فلليد فيها اعظم انواع المعونه
وذلك لانه عقل الانسان الواحد لا يستقل باستنباط جميع العلوم المحتاج اليها اذ لا بد من استعانه
بعض العقول بالبعض وذلك لا يتم الا بان يكتب المتقدم ما حصله من العلوم والكتابه لا تحصل
الا باليد واما مصالح الجسمانيه جلب المنافع ودفع المضار اما جلب النفع فلليد فيه اعظم
انواع المعونه وذلك لان الانسان يتخذ بيديه الات يصيد بها ما في البر والبحر والهوا من
الحيوان ويعمل السفن فيقطع بها البحار والمسافه البعيده ويتخذ الات تخرج منها اصوات لذيذه
نافعة للبدن والروح ويبني بيديه المساكن الحسنه وينسج الثياب الحسنه ويتخذ الاطعمه
الطيبه اللذيذه ومعلوم ان كل هذه الاعمال لا تتهيا الا باليدين وتارة ينسج الثياب المنقوشه
بعجايب النقوش وفنون الالوان والاصباغ فيصير لونه احسن من لون الطاووس وتارة يجعل
لنفسه من الدواب ما تشبه بدواب الاعراف وتارة يتخذ لنفسه من اصناف الحلي ما يصير
احسن من دواب الاطواق واما دفع الضرر فهو على قسمين تارة بالجهاد وبالتحرز اما الجهاد
فانما يكون بالسلاح فهو مبتك بيديه ما هو اعظم وابلغ من القرون كالرمح وما هو اقطع من
الانياب كالسيف وما هو ابلغ في النحس من المخالب كالخنجر وما هو اشد رضا من الحافر كالدبوس
والاحجار فاذا تاملت علمت ان اليد مع الرمح قرن ومع السيف ناب ومع الادرع حمه ومع الخنجر
مخلب واما التحرز فاما ان بالهرب او بالتحصين اما الهرب فانه يذلل النفس بيديه فيعلو

حتى يصير سرعه ركض الفرس له فيدرك به اذا طلب ويعجز طالبه اذا هرب واما التخصص
فانه يعمل بيده ما هو افضل مما حصلت الحيوانات من الجلود الغليظة والاضلاع والاصداف وذلك
مثل الترس والدروع وانواع السلاح ويتخذ بيديه القلاع والحصون احسن من ما لسائر الحيوانات
وكل هذه الاعمال انما تتاتى باليدين ثم انهما خادمان كل البدن خدمة عظيمه فبعد ان انواع
الافات والقاذورات من كل البدن ويجران جميع المنافع اليها فلو حاصت العقول ادوارا واعصارا
في معرفة اثار حكمة الله في خلق اليدين لاعترفت بعد التوغل التام بالعجز والقصور واعلم ان
الاستقصا في بيان اثار حكمة الله في خلق الانسان مما لا يمكن شرحه في هذا الكتاب ونعم ما قال
الشيخ ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء فقال والعجب كل العجب ممن يرى صورة الانسان
على حايط فيستحسنه ويصرف جميع همته الى النقاش فانه كيف نقشه وكيف قدر عليه مع انه
يعلم ان ذلك النقش انما تم وكمل بالصنع بالقلم والحايط واليدين والقدرة والعلم والارادة وشي
من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه بل كل ذلك من خلق الله تعالى وانما غاية فعل هذا النقاش
للجمع بين الصنع وبين الحايط على ترتيب مخصوص فاذا كان هذا القدر من العمل سببا للاعتراف
لذلك النقاش بالعلم والحكمه فبان يستدل بظهور تركيب الانسان وتخليقه على كمال علم الخالق
ونهاية قدرته وحكمته كان اولى **الوجه السادس** نظر مع كمال قدرته الى تمام
حكمته وذلك لان الجنين حين ما يكون في الرحم يكون بعض اعضائه مضموما الى البعض ويكون
مجموعة كالكرة الموضوعة في كيس الرحم وذلك لانه يكون قد ضم فخذيه الى صدره ووضع
راحتيه على ركبتيه ووضع راسه على ركبتيه فيكون عيناه على ظهر كفيه ويكون انفه بين
الركبتين ويكون جالسا على رجليه ومعتمدا على عقبيه كالشخص المتفكر المغموم المهموم المنتظر
لورود الامر عليه ويكون وجهه الى ظهر امه حماية القلب وهذه الجلسه ايضا اوفق للانقلاب
ثم اذا صار الجنين كبيرا وضاق عليه الموضع فانه سبحانه يلهمه الى كيفية الخروج فينكس ويعين
على الانقلاب نقل الاعالي في الجنين ثم في ذلك الوقت ينفتح الرحم الانفتاح الذي لا يمكن ان
يحيل في مثله مثله ولابد من انفصال يعوص للمفاصل العظيمه ومدد وعنايه من الله في ذلك
الوقت يعجز عن معرفة كيفيتها العقول البشريه ثم ها هنا احوال عجيبه • **الاول**
ان الجنين كان في البطن الهمه الحق سبحانه بالالهام حتى عرف ان مصلحته عند الخروج في ان ينقلب
وينتكس ثم بعد الانفصال من البطن والخروج الى الدنيا لا يهتدي البته الى شي من مصالحه وذلك
عند كونه في البطن ليس هناك من يعينه على شي من مصالحه فلما كمل عجزه هناك
هداه الى رعاية مصلحته ولما خرج الى الدنيا فها هنا من يعينه على رعاية مصالحه فلا جرم انقطعت
تلك الهدايه وهذا يدل على ان الانسان كلما كان اشد عجزا وقصورا كانت عناية الله به
اتم ولا شك ان عجز الخلق في موقف القيمة اشد واكمل فرجوا من فضل الله تعالى ان يكون
عنايته بهم في ذلك الوقت اتم **الثاني** البيضه اذا انفصلت عن الدجاجة خرج الفرخ
عنها وعدت ولتقطت من الحب ما ينفعها واحترزت عما يؤذيها وفرقت بين امها المشفقه

الفرخ لما كان اذكى ود

بين الهرة الطالبه لاغتيالهما اما الانسان فانه حين انفصاله عن الام لا يميز بين المنافع والمضار
والصديق والعدو فكان في هذا الوقت اكثر جهالة من الفرخ عند خروجه من قشر البيضه
ثم ان الامر لو كان مستمرا على قانون الطبيعه والخاصيه وجب ان يكون اكثر تمييزا من
الانسان في مبدا الامر اكثر تمييزا من الفرخ او ان يكون الفرخ اذكى واكثر تمييزا من الانسان عند
المنتهى والكمال لكنه تعالى قلب هذه القضيه فجعل من كان كثير التمييز في اول الامر قليل
التمييز عند الكمال والغاية وجعل الانسان الذي هو اقل الحيوانات تمييزا في اول الامر اكثر
معرفة وهداية وعقلا لتعرف ان كل ذلك بحسب القدرة والحكمه والعناية لا بحسب الطبع
والعله والخاصيه • **الثالث** ان الصبي بعد الخروج من بطن الام لما احتاج الى الغذا
فانظر كيف هداه الله تعالى الى التقام الثدي ولما كان بدنه نحيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفه
انظر كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف ثم خلق الثديين وجمع فيهما اللبن اللطيف وانبت
على راس الثديين حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم جعل في تلك الحلمه ثقبا ضيقه
جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص فان الطفل لا يقدر على الابتلاع ان لو خرج من الثدي
لبنا كثيرا في فمه بالمص ثم انظر انه تعالى كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك
المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع على الرفق ثم انه سبحانه اخر خلق الانسان الى تمام الحولين
لانه في الحولين لا يتغذا الا باللبن وهو مستغن عن السن فاذا صار كبيرا ولم يوافقه اللبن
واحتاج الى الطعام الكثير الغليظ فيحتاج حينئذ الى المضغ والطحن فلا جرم ست له الاسنان
عند حدوث الحاجة لا قبلها ولا بعدها فتبارك الله احسن الخالقين واحكم الحاكمين
وارحم الراحمين ورب الخلايق اجمعين **الفصل الخامس** في شرح احوال الانسان
من وقت ولادته الى وقت موته من العجايب ذهب اكثر العقلا الى ان اشرف اعضاء البدن
هو القلب وهو الرئيس المطلق لساير الاعضا وهو المخاطب في الحقيقه وهو موضع التمييز
والاختيار واما ساير الاعضاء فمسخرة له والدليل عليه القران والخبر والمعقول • **الحجة
الاولى** قوله تعالى في سورة البقرة قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
وقال في سورة الشعراء وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك
فدلت هاتان الايتان بصريحهما على ان التنزيل والوحي كان على القلب فوجب ان يكون
المخاطب والمكلف هو القلب **الحجة الثانيه** قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والاية داله على بصريحها على ان الذكرى والفهم انما
يحصل بالقلب وتاويل القى السمع الجد في الاستماع حتى يصير سمعه كالشي الذي القي الى الكلام
بلا اضطراب فيه ومن الناس من قال ان او في الاية بمعنى الواو وذلك لان الذكر لابد فيه من
حضور القلب ولابد فيه من القا السمع لان القلب عبارة عن محل ادراك الحقايق والقا السمع
عبارة عن الجد والاجتهاد في تحصيل تلك الادراكات ومن المعلوم انه لابد من الامرين معا
فكان او ها هنا بمعنى الواو والجواب انما ذكرتم محتمل ولكن يمكن ايضا اجرا الايه

على ظاهرها وذلك لان القوى العقلية قسمان منها ما يكون في غاية الكمال والصفا
ويكون مخالفا لساير العقول بالكمية والكيفية اما الكمية فلان حصول المقدمات لديه بهيئة
والحسية والتجربة لها اكثر واما بالكيفية فلا تركب تلك المقدمات على وجه ينساق الى
النتايج الحقة ومثل هذه القوة العقلية ليستغني في معرفة حقايق الاشياء عن التعلم والاستعانة
بالغير الا ان مثل هذا يكون في غاية الندرة • **واما القسم الثاني** وهو
الذي لا يكون كذلك فهو محتاج الى كتساب العلوم النظرية الى التعليم والاستعانة بالغير
والتمسك بالقانون الصناعي الذي يعصمه عن الخلل والزلل اذا عرفت هذا فقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اشارة الى القسم الاول وانما ذكر القلب بلفظ التنكير ليدل
ذلك على كمال التمام بدليل قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة عظيمة طويلة
الله فكذا ههنا قوله لمن كان له قلب كامل في قوة الادراك عظيم الدرجة في الاستعداد
معرفة الحقايق واما قوله او القى السمع وهو شهيد فهو اشارة الى القسم الثاني الذي يفتقر
الى الكشف والاستعانة بالغير وهذا من الاسرار التي عليها بنا اصل العلم المنطقي وقد لاح
بتوفيق الله في هذه الاية فلما كان القسم الاول نادرا جدا وكان الغالب هو القسم الثاني
لاجرم امر الكل في اكثر الايات بالطلب والاكتساب فقال اولم يسيروا في الارض فتكون
لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فان قوله اولم يسيروا في الارض حث على الطلب
والجهد في الكسب وقال صاحب المنطق ان القسم الاول فان كان غنيا عن الاستعانة
بالمنطق لانه نادر جدا والغلبة للقسم الثاني وكلهم محتاجون الى المنطق فانظر الى
هذه الاسرار العميقة كيف تجدها مدرجة في الفاظ القران **الحجة الثالثة**
الايات الدالة على ان استحقاق الجزاء ليس الا على ما في القلب من المساعي فقال لا يواخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها
ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم ثم بين تعالى في اية اخرى ان التقوى بالقلب فقال
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال تعالى وحصل ما في الصدور • **الحجة
الرابعة** قوله تعالى حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير وستعرف ان العقل في القلب وان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسئولا ومعلوم ان السمع والبصر لا فايدة فيهما الا بما يؤديانه الى القلب فكان السؤال
عنهما في الحقيقة سؤالا عن القلب ونظيره قوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور
ومعلوم ان خاينة الاعين لا تكون الا بما تضمر القلوب عن التحديق والنظر **الحجة
الخامسة** قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فخص
هذه الثلثة بالزام الحجة بشيها واستدعاء الشكر عليها وقد قلنا انه لا طائل في السمع والابصار
الا بما يؤديانه الى القلب ليكون القلب هو القاضي فيه والحاكم عليه • **الحجة السادسة**
قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم

١٢٥

سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء فجعل هذه الثلثة تمام ما الزمهم من حجته والمقصود
من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما يؤدي اليه السمع والبصر **الحجة السابعة** قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب لازما لهذه الثلثة ونظيره قوله
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ووجه الاستدلال
بهذه الاية ان المقصود من هذه الاية بيان انه لا علم لهم اصلا ولو ثبت العلم في غير القلب
كثبانه في القلب لم يتم الغرض • **الحجة الثامنة** انه تعالى ذكر الايمان في
القران اضافة الى القلب قال تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال
تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقال
تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم فثبت ان محل هذه المعارف هو القلب واذا كان كذلك
كان محل الارادات هو القلب لان الارادة مشروطة بالعلم واذا كان محل العلم والارادة هو القلب
كان الفاعل هو القلب **الحجة التاسعة** ان محل العقل هو القلب واذا كان ذلك
كان المكلف هو القلب انما قلنا ان محل العقل هو القلب لقوله تعالى اولم يسيروا في الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها وقوله ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب اي عقل اطلق على العقل اسم القلب لان القلب محل العقل وايضا انه تعالى
اضاف اضداد العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض ختم الله على قلوبهم وقالوا قلوبنا
غلف بل طبع الله عليها بكفرهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم كلا بل ران على قلوبهم افلا يتدبرون القران ام على
قلوب اقفالها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فدلت هذه الايات
على ان موضع الجهل والعقل هو القلب فوجب ايضا ان يكون موضع العقل والفهم هو القلب
واما الخبر ما روي النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب وهذا تصريح بان الفاعل هو القلب وما في الاعضاء تبع له وروي ان اسامة
لما قتل الكافر الذي قال لا اله الا الله فقال عليه السلام لم قتلته فقال لانه قال هذه الكلمة
من الخوف فقال هلا شققت عن قلبه وهذا يدل على ان محل المعرفة هو القلب وكان
عليه السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهذا يدل على المقصود **واما
المعقول** فاعلم ان هذه المسئلة مما عظم اختلاف الفلاسفة فيها فزعم ارسطاطاليس
ان النفس واحدة ولها افعال ثلثة الفكر والغضب والشهوة فهذه صفات ثلثة لجوهر واحد
وهو النفس والمتعلق الاول للنفس هو القلب ومنها تتعدى القوة النفسانية الى ساير
الاعضاء وزعم بقراط وافلاطون وجالينوس انها نفوس ثلثة كل واحد منها مستقل
بنفسه وكل واحد منها عضو على حدة فمعدن النفس المفكرة هو الدماغ ومعدن النفس الغضبية
هو القلب ومعدن النفس الشهوانية هو الكبد واعلم ان القران والاحاديث متطابقان

لقول ارسطاطاليس ونحن نورد في هذا المقام هذه المسئله على سبيل الاستقصا فنقول اثبات صحة ما ذهب اليه ارسطاطاليس يتوقف على اثبات مقامين احدهما بيان ان النفس واحد والثاني بيان ان العضو الرئيس على الاطلاق واحد وهو القلب ٥ اما المقام الاول وهو بيان ان النفس واحد فنحن هاهنا بين مقامين اما ان ندعي البديهيه واما ان ندعي الاستدلال اما دعوي البديهه فهو ان المراد من النفس ما اليه يشير كل احد الي ذاته الخاصه بقوله انا وكل احد يعلم بالضروره انه اذا اشار الي ذاته الخاصه بقوله انا فان ذلك المشار اليه واحد غير متعدد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المشار اليه بقوله انا وان كان واحدا الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من ثلثه اشيا وهي القوة المفكره والغضبيه والشهوانيه والجواب هذا باطل وذلك لان بديهه عقلي حاكمه باني اشتهيت وتفكرت وبديهة عقلي حاكمه باني اذا قلت انا اشتهيت انا اتفكر انا اغضب فموضوع هذه القضايا الثلثه شي واحد والتعدد انما وقع في المحمول كما اني اذا قلت هذا الجسم حار اسود يابس فالموضوع واحد والتعدد واقع في المحمولات واذا كان هذا معلوما بالضروره علمنا ان الجوهر واحد في الذات متعدد بالصفات واما طريق الاستدلال فيدل على صحة قولنا وجوه

الحجة الاولى

ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند دفع المنافي والشهوة حالة نفسانيه تتولد عند طلب الملايم ودفع المنافي وطلب الملايم مشروط بالشعور بكون الشي ملايما ومنافيا فالقوة الغضبيه التي هي قوة دافعه للمنافي ان لم يكن لها شعور بكونه منافيا امتنع كونها دافعه للمنافي على سبيل الاختيار والقصد لان القصد الي الدفع والجذب مشروط لا محاله بالشعور بالشي فالشي المحكوم عليه بكونه دافعا للمنافي على سبيل الاختيار لا بد وان يكون له شعور بكونه منافيا فالادراك والغضب صفتان من صفات شي واحد وكذلك القول في الشهوه فثبت بهذا البرهان القاطع ان التفكر والغضب والشهوة صفات ثلاثه لذات واحده الا انها صفات متباينه

الحجة الثانيه

انا اذا فرضنا مبدان يكون كل واحد منهما مستقلا بفعله الخاص امتنع ان يكون اشتغال احدهما بفعله الخاص به مانعا للاخر من الاشتغال بفعله الخاص به ذلك الاخر واذا ثبت هذا فاذا كانت القوة المفكره مبدا مستقلا بنفسها وكذا القوة الشهوانيه والغضبيه وجب ان لا يكون اشتغال القوة بفعلها مانعا للقوة الشهوانيه من الاشتغال بفعلها ولا بالعكس لكن هذا باطل فان اشتغال الانسان بالشهوه وانصبابه اليها يمنعه من الاشتغال بالغضب والانصباب اليه فعلمنا ان هذه الامور الثلثه ليس مبادي مستقله بانفسها بل هي صفات لجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الافعال مانعا عن الاشتغال بالفعل الاخر

الحجة الثالثة

انا اذا ادركنا شيا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوه وقد يكون سببا لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للجوهر الذي يغضب والجوهر الذي يشتهي فحين ما ادرك صاحب الادراك لم يكن من هذا الادراك اثر ولا خبر عند صاحب الشهوه والغضب فوجب ان لا يترتب على ذلك الادراك حصول الشهوه ولا حصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب

علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوه وهو صاحب الغضب فهذا جملة ما يحتج به واحتجوا من قالوا بالنفوس الثلثه بان قالوا انا راينا النفس الشهوانيه حاصل في النبات بدون النفس الغضبيه وراينا النفس الغضبيه حاصل في الحيوان بدون النفس الناطقه ثم راينا هذه الاثار الثلثه حاصلة في الانسان فعلمنا ان كل واحد من هذه الثلثه جوهر مستقل بنفسه منفرد بذاته والجواب ثبت في اصل المعقولات ان الماهيات المختلفه يجوز اشتراكها في اثار متساويه واذا ثبت هذا فنقول من الجايز ان تكون النفس الانسانيه مساويه للنفس النباتيه في افعال التغذي والتغدي وان كانتا مختلفتين في الماهيه ومن الجايز ان تكون النفس الانسانيه مساويه للنفس البهيميه في فعل الغضب وان كانتا مختلفتين في الماهيه وعلى هذا يكون جوهر النفس الانسانيه واحدا بالذات الا انها مبدا الافعال ثلثه احدها النطق ولا يشاركها فيه ساير النفوس وثانيها الغضب ويشاركها فيه البهيميه فقط وثالثها التغذي ويشاركها فيه البهيميه والنبات فان قالوا فالنفس واحده فكيف يكون مصدرا للافعال المختلفه قلنا لم لا يجوز ذلك لا سيما عند حصول الالات المختلفه فهذا هو البيان الملخص في وحدة النفس وهو لعوي في كتب فيه جالينوس المجلدات

واما المقام الثاني

في بيان ان العضو الرئيس على الاطلاق وهو القلب فنقول انا قد بينا فيما تقدم ان المني اذا وقع في الرحم صار كالكره وتجتمع الاجزاء النارية والهوائيه وتصير مادة للارواح وتجتمع الاجزا المائيه والارضيه وتختلط بتلك الارواح لتكون صوانا لها ومانعا لها من التحلل والتفشي وذلك الموضع المتوسط الذي فيه اجتمعت تلك الاجزاء اللطيفه هو الموضع الذي اذا تمت خلقته كان قلبا فبهذا الطريق عرفنا ان اول عضو يكون هو القلب فاذا كانت النفس واحده كان تعلقها الاول بالقلب وبواسطة القلب يسري اثرها الي ساير الاعضاء فثبت ان العضو الرئيس على الاطلاق هو القلب هذا هو الكلام المعول عليه في اثبات هذا المطلوب وهاهنا وجوه اقناعيه ونحن نذكرها

الحجة الاولى

ان العقلا يجدون الفهم والادراك والعلم في ناحية القلب فعلمنا ان القلب محل العلوم فان جالينوس سلم ان القلب محل الغضب فاما انه محل العلم فممنوع وجوابه ان الغضب دفع المنافي والدافع للمنافي له شعور بكونه منافيا فوجب ان يكون القلب محل العلم والشعور

الحجة الثانية

ان النفس هي الحساسه المتحركه بالاراده فاذا تعلقت النفس بالقلب فلا بد وان يفيد الحس والحركه الاراديه فيكون القلب منبعا للحس والحركه الاراديه

الحجة الثالثه

ان الحس والحركه الاراديه انما يحصلان بالحراره اما البروده فعايقه عنهما والقلب منبع الحراره والدماغ للبروده فجعل القلب مبدا للحس والحركه الاراديه اولى من جعل الدماغ مبدا لهما

الحجة الرابعة

كل احد اذا قال انا فانه يشير بقوله انا الي صدره وناحية قلبه وايضا اذا قال الرجل العاقل انا افعل كذا وانا اقول كذا يضع يده على صدره وهذا يدل على ان كل احد يعلم بالضروره ان المشار اليه بقوله انا موجود في القلب لا في الدماغ

الحجة الخامسة

اظهر اثار النفس الناطقه

النطق فوجب ان يكون معدن النفس الناطقه هو الموضع الذي منه ينبعث النطق ولاكن النطق
والكلام انما ينبعث من القلب لا من الدماغ والصوت لان الصوت انما يتولد من اخراج النفس
وادخال النفس واخراجه فعل القلب وذلك لان من ادخال النفس ترويح حرارة القلب والمقصود من
اخراجه دفع الفضله المحترقه واذا كان ادخال النفس واخراجه مقصوداً للقلب بالذات فكان
اسناد هذا الفعل الي القلب اولى من اسناده الي الدماغ اذ لا حاجه البته الي النفس فثبت ان اخراج
النفس فعل القلب والصوت انما يحدث من اخراج النفس فثبت ان فاعل الصوت هو القلب قال
جالينوس الصوت لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ويدل عليه وجوه الاول ان
الالة الاولي للصوت هي الحنجره بدليل انك اذا جرحت قصبة الريه اسفل من الحنجره لم يسمع لذلك
الحيوان بعد هذه الحاله صوتا فثبت ان آلة الصوت هي الحنجره والحنجره مؤلفه من ثلثه غضاريف
والغضاريف تتحرك بعضلات كثيره وتلك العضلات انما تتحرك بالاعصاب والاعصاب نابته
من الدماغ فثبت ان فاعل الصوت هو الدماغ الثاني انا نري عضل الدماغ يتمدد عند
التصويت بالصوت العنيف ولهذا القلب فانه لا يناله التعب عند التصويت الثالث
ان القلب اذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته وان انكشف من الدماغ موضع
بطل في الحال صوت ذلك الحيوان فثبت ان موضع الصوت هو الدماغ لا القلب الجواب
انا بينا بالحجة القويه ان مبدا الصوت هو القلب اقصي ما في الباب ان الدماغ يعين عليه الا
ان هذا لا يقدح في قولنا **الحجة السادسة** ان القلب موضوع في موضع
يقرب ان يكون وسطاً من البدن والعضو الرئيس يليق به ذلك حتى يكون ما ينبعث به من القوى
يصل الي اطراف البدن على القسمة العادلة والدماغ موضوع في اعلى البدن وذلك ينافي
هذا المقصود **الحجة السابعة** ان الناس يصفون القلب بالذكا
يقولون قلب ذكي وقلب بليد وقد جالينوس الناس اذا وصفوا انسانا بان له قلبا
قويا فمرادهم منه الشجاعه واذا قالوا فلان لا قلب له فالمراد منه الجبن والجواب ان هذا
يدل على ان القلب موضع الغضب وهو لا ينافي ان يكون القلب ايضا موضع الفهم والعلم واحتج
جالينوس على ان معدن الادراك هو الدماغ بوجوه **الحجة الاولى** هي ان الدماغ
منبت العصب والعصب آلة الادراك وما كان منبتا لالة الادراك وجب ان يكون معدنا لقوة
الادراك فهذه مقدمات ثلثة **اما المقدمة الاولي** وهو ان الدماغ
منبتا لعصب فالدليل عليه ان الاعصاب الكثيره انما توجد في الدماغ واما القلب فلا يوجد فيه
الا عصبة صغيره واذا كان كذلك وجب ان يكون الدماغ منبتا للاعصاب **واما المقدمة
الثانية** وهي ان الاعصاب آلات الحس والحركة والدليل عليه انك اذا كشفت عن عصبة
وشددتها وجدت ما كان اسفل من موضع الشد فانه يبطل عنه قوة الحس والحركة وهذا يدل
على ان آلة الحس والحركة العصب **واما المقدمة الثالثة** وهي انه لما كان
الدماغ منبتا للحس والحركة وجب ان يكون معدنا لهما والدليل عليه انه اذا كان قوة الحس

والحركة انما تحصل من الدماغ الي جميع اطراف البدن بواسطة هذه الاعصاب النابته
من الدماغ ثبت ان المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ واعلم ان اصحاب ارسطاطاليس
اجابوا عن هذه الحجة من وجهين الاول قالوا لا نسلم ان الدماغ منبت العصب
اما دليل جالينوس على ذلك هو ان الاعصاب عند الدماغ كثيره وفي القلب الا عصبة صغيره
فقد اجابوا عنه من وجهين الاول ان هذه المقدمه الواحده غير منتجه للمقصود بل لا
بد من ضم مقدمة اخري اليها وهي ان القوة والكثره انما تكون عند المبدا والصغر والقلة عند غير
المبدا الا ان هذه المقدمه غير برهانيه بل هي منقوضة من وجوه الاول ان العصبه المجوفه
تكون دقيقه عند المبدا فاذا دخل الموضع الذي تكون الحدقه تغلظ تلك العصبه وتتسع وهذا
نقض على هذه المقدمه الثاني ان الحبه التي تتولد منها ساق الشجره تكون اصغر من ساق
الشجره فلم لا يجوز ان تكون العصبة الصغيره التي في القلب تكون كالحبه التي منها التي انشعبت
الاعصاب الكثيره في الدماغ الثالث لو صح دليل جالينوس لوجب ان يقال ان سبيل العروق
والضوارب هي الشبكه الشبيهه بالشبكه التي في الدماغ لا القلب لان في تلك العروق من
الضوارب عدد لا يحصى وهو في غاية الشبه بعروق الشجره **الوجه الثاني**
من الجواب سلمنا ان الكثره والقوة لا يحصلان الا عند المبدا لكنه لا نزاع ان القلب منبت الشرايين
ثم ان اجرام الشرايين من جنس اجرام الاعصاب فيمكن ان لا تنبت الاعصاب منها انما قلنا ان
العروق من جنس الاعصاب وذلك لان اجرام العروق تنقسم وتنقسم الى الشظايا الكيفيه
لا حس لها وهي بيض اللون عديمة الدم صلبه غير حساسه في نفسها لانك اذا شددت العصبه
برباط شديد قوي يصار بما هو اسفل من موضع الشد عديم الحس وذلك يدل على ان العصب
غير حساس في نفسه وانما يجري اليه الحس من موضع آخر فثبت ان العروق والاعصاب
متشاركه في هذه الصفات والاحوال فعلمنا ان العروق والاعصاب من جوهر واحد واذا
ثبت هذا فنقول لم لا يجوز ان يقال ان هذه العروق والضوارب لما تقسمت وتشعبت
ودقت وصغرت ونفذت في الدماغ التفت بعضها ببعض وانضمت اجزاؤها واتصلت
وصارت على شكل الاعصاب وتحقيق القول فيه ان هذه الشرايين حين ما انفصلت عن القلب
كان تحتاج اليها لتكون حاملة للدم والروح الي جوهر الدماغ فلما صغرت ونفذت في جوهر
الدماغ وحصل هذا المطلوب حصل الاستغنا عنها فلاجرم صرفت الى غرض آخر وهو ان ازيل
عنه وصف التجويف وانضمت تلك الشظايا بعضها الي بعض وصارت على اشكال الاعصاب
فبهذا الطريق صارت العروق اعصابا ولما كانت منبت العروق هو القلب لا جرم كان
منبت الاعصاب ايضا هو القلب بهذا الطريق اجاب جالينوس عن هذا الكلام من وجوه
الاول قال الدليل على ان الاعصاب ليست من جنس العروق وجوه الاول
ان الشرايين ناقصه والاعصاب ليست ناقصه الثاني ان الشرايين مجوفه والاعصاب
ليست مجوفه الا القليل الثالث ان الشرايين محتوية على الدم بدليل انها اذا انبعث

حلت

حكمت ذلك القدر على صاحبه انفجار الدم امرا صعبا والعصب كله لادم له **الرابع**
ان الشرايين مؤلفة من طبقتين احدهما تنحل الى اجزاء ذاهبة في التعرض على الاستدارة والاخرى
تنحل الى اجزاء تذهب على الاستقامة في الطول واما العصبة فهي تنحل الى ليف ابيض عديم
الدم ذاهب على الاستقامة في الطول **الخامس** انك اذا شددت العصبة حصل عدم الحس
والحركة الارادية ولا تبطل منه حركة النبض فان شددت الشريان بطل النبض ولم يبطل الحس
والحركة **السادس** ان العصب عن فعله كثيرا والشريان فعلها كثير فثبت بهذه
الوجوه ان الشرايين ليست من جنس الاعصاب **والوجه الثاني** من الجواب عن هذا
الكلام وان اصل الشريان المتولد من القلب ينقسم الى قسمين قسم يصعد الى جانب الراس
وقسم ينزل الى اسفل البدن والقسم النازل الى الاسفل لا شك انه ينقسم ويتفرق الى العروق
الدقاق ثم انها تعدد فيها ما صارت اعصابا فوجب ان تكون الحال كذلك في الشرايين الداخلة
في الدماغ اجاب اصحاب ارسطاطاليس فقالوا اما الجواب الاول فهو ضعيف لان الصفات
المذكورة للشرايين انما تكون ثابتة قبل نفوذها في جوهر الدماغ اما بعد نفوذها في جوهر الدماغ
لم قلتم ان هذه الصفات تبقى والذي يدل عليه ان الروح الدماغي لا شك انه كان متولدا
في القلب ثم انه تصاعد من القلب وبقي في الشبكة المتولدة تحت الدماغ مدة ثم انه ينفذ في الدماغ
فحدث له حال كونه في الدماغ احوال في صفات ما كانت حاصلة في القلب فلم لا يجوز ان تكون
الحال في الشرايين كذلك وهو ان الصفات المذكورة كانت حاصلة لها قبل نفوذها في جرم الدماغ
وتقسيمها وتصغرها في الغاية اثر فيها جرم الدماغ وقلبها على طبايعها فصارت في الصورة
والخلقة شيئا اخر فهذا الاحتمال لا يبطل ما ذكره جالينوس واما جوابه الثاني فهو ايضا ضعيف
لان الروح القلبي كما صعد الى الراس في الشرايين الصغيرة صعد الى اسفل البدن في الشرايين
الصغيرة ثم ان الجزء الصاعد الى الراس تغير عن حاله بسبب اختلاطه بجرم الدماغ والجزء النازل
وهذا تمام الكلام على حجة جالينوس ان الدماغ منبت العصب واحتج ارسطاطاليس ان منبت
العصب هو القلب فقال الحركة الارادية لا بد وان تكون بالة صلبة قوية والدماغ ليس بحرمة شيء
من الصلابة والقوة واما القلب ففيه انواع من الصلابة منها ان لحمه قوي حركته لا بد وان تكون
اقوى جرما واذا كان كذلك كان القلب منبتا للاعصاب التي هي الالات للحركات القوية اولى
من جعل الدماغ منبتا اجاب جالينوس عنه من وجهين الاول انه بنى كلامه
على المقدمة القياسية والحس دل على ان المنبت هو الدماغ والقياس المعارض للحس لا يلتفت
اليه والثاني ان المتولي لتحريك الاعضاء ليس هو العصب فقط بل العضلات حركتها من
الاعصاب والرباطات والاغشية واللحوم وهي مستندة الى الاعضاء والاعصاب تفيدها
الحس والقوة على الحركة واما ما يختلط بها من الرباطات والاغشية فيفيدها القوة والشدة والامن
من الانقطاع وعلى هذا التقدير لا يمنع كون الدماغ منبتا للاعصاب اجاب اصحاب
ارسطاطاليس عن الاول بان الحس والحركة لم يدلا على كثرة الاعصاب وقوتها عند الدماغ

حار

دقد

١٢٨

وقد بينا ان هذا القدر لا يدل على كون الدماغ منبتا للاعصاب واما الثاني فضعيف
ايضا لان جالينوس استدل بغلظ العصب وكثرته على تولده منه وارسطاطاليس عارض هذا
فقال ان كان هذا الوجه يدل على قولكم لكن كون الدماغ لينا والعصب قويا يمنع من تولده منه
بل يكون العصب قويا صلبا مع كون القلب قويا يدل على كون العصب نابتا من القلب فسقط
كلام جالينوس بالكلية والله اعلم **النوع الثاني** من الجواب عن شبهة جالينوس
سلمنا ان الدماغ منبت للعصب الذي هو اله الحس والحركة لكن لم قلتم انه يلزم من هذا كون الدماغ معدنا
لقوة الحس والحركة بيانه انه لا يبعد ان يكون قوة الحس من القلب الا ان الدماغ معدنا لقوة توصل
الى القلب الداية منه ليستفيد بتلك الالة قوة الحس والحركة من القلب فاذا كان هذا الاحتمال
قايما سقط كلام جالينوس والله اعلم **الحجة الثانية** لجالينوس على ان معدن
القوة المدركة هو القلب وهذه الحجة احسن دلايله انه لو كان قوة الحس والحركة الارادية تنفذ من القلب
الى الدماغ لكنا اذا شددنا على العصبة خيطا شدا قويا وجب ان يبقى الحس والحركة في الجانب الذي
يلي القلب وان يبطلا من الجانب الذي يلي الراس لكن الامر بالضد فعلمنا ان قوة الحس والحركة تجري
من الدماغ الى القلب ولا تجري من القلب الى الدماغ وهذه الحجة لا يحتاج فيها الى المقدمات
الكثيرة المذكورة في الحجة الاولى والجواب لم لا يجوز ان يقال القلب والروح تكونان في غاية
الحرارة فاذا كان بينه وبين الدماغ منفذ مفتوح وصل تبريد الدماغ اليه فاعتدل واستعد
لقبول قوة الحس والحركة واما اذا انسد المنفذ انقطع عنه تبرده فلا جرم لم يبق مستعدا لقبول
الحس والحركة فبطلت هذه القوة من الجانب الذي يلي القلب وانما لم يبطل من الجانب الذي يلي
الراس لان الشرايين في الدماغ كثيرة جدا وكلها مودية اليه قوة الحس والحركة جسم لطيف
نافذ في الاعضاء هو الروح واذا كان كذلك فالدماغ لكونه مبدا لهذا الروح اولى من القلب
وذلك لانا نجد في الدماغ مواضع خالية واما القلب فليس كذلك فان التجويف الايمن منه
مملوء دما اما الشبهة في التجويف الايسر فانه يعتقد فيه انه مملوء من الروح وقال جالينوس
وليس الامر كذلك لان القلب اذا كشف عنه وامكن من غير ان نثقب ونخرق اغشيته لم يمت
الحيوان بسبب ذلك حتى انه يمكنك ان يلبث مدة طويلة بلمسه بيدك وتنظر اليه بعينك وهو
مكشوف لتعرف كيف نبض وتعلم ان نبضه عند ذلك كما لم يزل ينبض قبل ان يكشف عنه
لكن بشرط ان نقع هذا الشرح في موضع لا يكون هواه كاشفا للابراد القلب فانه لو برد صار
النبض حينئذ ضعيفا بطيا متقاربا اذا عرفت هذا فنقول اذا نقبنا التجويف الايسر في
هذه سال في الحال دم ولو كان التجويف مملوا روحا لوجب ان لا يسيل منه البتة دم ولو كان
هذا التجويف في بعضه روح وفي بعضه دم لوجب ان تخرج الروح اولا ثم يسيل الدم بعده وكان
يجب ان لا يسيل الدم في الحال على هذا التقدير فلما سال الدم في الحال علمنا ان التجويف الايسر
مملو من الدم وايضا الحيوان الذي مات يجد في التجويف الايسر من تجويفي قلبه علق الدم
واما الدماغ فان جرمه مراد فلا يمتنع ان يحصل في تلك الفضول اجزاء الروح والجواب هذه الحجة

تدريس

في غاية الضعف وذلك لان هذا الكلام ان صح فهو يقتضي ان لا يكون في القلب روح اصلاً
وجالينوس لا ينازع في كون القلب معدنا للارواح الحيوانية وتسلم ان الروح الحيواني يصعد
من القلب الي الدماغ ويصير هناك روحا نفسانيا **الحجة الثالثة** لجالينوس
ان العقل اشرف القوى فيكون مكانه اشرف واشرف الامكنة اعلاها فوجب ان يكون العقل مكان
هو الدماغ وهو بمنزلة الملك العظيم الذي يسكن القصر العالي وايضا الحواس محيطة بالراس كانها
خدم الدماغ واقفة حوله على مراتبها وايضا محل الراس من البدن محل السما من العالم وكما ان السما
منزل الروحانيات فكذا الدماغ وجب ان يكون مسكنا العقل **والجواب** انما ذكرناه من
البراهين لا تعارضه هذه الاقناعات فهذا آخر الكلام المنقح في هذه المسئلة وكنت قد طالعت
كتاب اراء بقراط وافلاطون وهو كتاب نفيس والمقصود منه هذه المسئلة فتعجب في محاسنه
وضممت اليه اشيا كثيرة من المعقولات ثم خفت من ان يضيع ذلك فكتبته في المكان لئلا يضيع
وبالله التوفيق **المسئلة الثانية** في شرح احوال القلب والذي يدل على شرف
القلب وجوه **الاول** ان المقصود في خلق الانسان اشتغاله لمعرفة الله تعالى وخدمته
وذلك لانه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين ان المقصود من الخلق هو
العبادة ثم قال في اية اخرى المقصود من العبادة هو المعرفة اذ قال تعالى لموسى عليه السلام اقم
الصلوة لذكري وقال في اية اخرى المقصود من العبادة الاخلاص قوله تعالى وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين فظهر ان لب اللب ومقصود المقصود انما هو معرفة الله
تعالى ثم انك قد عرفت ان محل هذه المعرفة والاخلاص هو القلب فحينئذ ظهر ان المقصود
من خلق العالم هو القلب **الحجة الثانية** انه ثبت ان اول ما خلق الله تعالى
جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط الحرارة فارتفع زبد وعلاه دخان
فخلق الارض من الزبد والسموات من الدخان فنقول انه تعالى خلق تلك الجوهرة شيئا
واحدا وسله من العدم الي الوجود فكل واحد من المخلوقات فهي سلالة المعدومات ثم سل
من هذا المخلوق الارض لانه قال كانتا رتقا ففتقناهما وهذه هو السلالة الثانية ثم سل
من الارض قبضة ادم وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فهذا هو السلالة
الثالثة ثم جعل القلب سر سر المضغة فظهرت تلك الحكمة المطلوبة في رابع السلالات
ليعلم انه الشي المعظم من جميع المخلوقات وعند هذا ظهر ان جنس الانسان ينقسم الي قسمين
الي الهيكل الظاهر والي المضغة الباطنة وهي القلب الذي هو سرير معرفة الله تعالى والقلب
تبع للهيكل في الصورة والهيكل الظاهر تبع للقلب في المعنى ولما جعل الهيكل الظاهر تبعا للمضغة
الباطنة علمت انك ما خلقت لاجل هذا الظاهر بل لاجل ان تطلب من هذا الظاهر باطنا ومن
هذا الشاهد غايبا ومن هذا المحسوس معقولا فظهر بما قلنا ان المقصود الاصلي هو القلب
وحصنه هو كل البدن وحصن البدن هو كل الارض وحصن الارض هو كل السموات
وحصن السموات عالم الممكنات والكل مسخر في قبضة قدرته وتحت هيبته اذا عرفت

هذا فنقول للقلب له في القران اسمان احدهما القلب والثاني الفواد قال تعالى كتب في
قلوبهم الايمان لهم قلوب لا يفقهون بها وقال ان السمع والبصر والفواد كل اولئك
كان عنه مسئولا وقال وافئدتهم هوا وقال نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم نقول
انه يحتمل الفواد اسما لجميع هذه المضغة والقلب يكون اسما لجزء مخصوص منه نسبته الي كل
هذه المضغة كنسبة العين الي الهيكل الظاهر والشي يكون اسما للشي الذي نسبته الي غير
هذه المضغة كنسبة النقطة الناظرة الي العين وتلك النقطة هي المسماة بسويدا القلب
فهذه السويدا بالنسبة الي العين الباطنة كسواد العين بالنسبة الي العين الظاهرة
والسبب في ان الابصار الظاهرة تحصل بالسواد والبصيرة الباطنة تحصل بالسويدا
وجهان **الاول** ان الابصار تجري مجرى النور والسواد من جنس الظلمة فالسواد
والابصار متضادان واظهار احد الضدين من الاخر دل على القدرة والحكمة
الثاني لا يكون الانتها على وفق الابتداء فكما في الابتداء ظهر نور الوجود
من ظلمات العدم بايجاد الحق سبحانه فكذلك في الانتها ظهر نور البصر والبصيرة
من سواد العين وسويدا القلب ليكون المبدا والغاية اشد تناسبا من الاحوال وشواهد
المقال على تحقيق قوله تعالى فالق الاصباح وعند هذا ظهر ترتيب عجيب اما الظاهر
فالعين ثم النقطة الظاهرة ثم النور الباصر الموجود في النقطة الناظرة واما الباطن
فالفواد وهو اسم لتمام هذه المضغة ثم القلب ثم النقطة الناظرة وهو سويدا القلب
ثم نور البصيرة اذا عرفت هذا فنقول ان الابصار في عالم الظاهر يتوقف على شرايط
وعلل هي بعينها معتبرة في ادراك البصيرة **الشرط الاول** للابصار ان لا يكون
المبصر في غاية الجلا ولا في غاية الخفا اما الذي في غاية الجلا فكالشمس فان العين
تتحير فيها ولا تقدر على ابصارها بالتمام والكمال واما الذي في غاية الخفا فكالذرة
فكذا للعقل مدركات هي في غاية الجلالة والعظمة ومدركات هي في غاية الخفا والصغر
فاما الاشيا التي في غاية الجلا والاشراق فهي جلال الله وكبرياؤه وتنبيه عظمة الارواح
العالية المقدسة فنور سويدا القلب محترق في هذه الحضرة فلا يصل اليها واليه الاشارة بقول
من قال سبحان من احتجب عن العقل لشدة ظهوره واختفى عنه بكمال نوره واما الذي
في غاية الخفا فكتفاصيل الاحوال وقوله وننشيكم فيما لا تعلمون فان النطفة من حين ما يقع
في الرحم الي ان ينفصل الجنين لها في كل لمحة حالة وفي كل لحظة صفة الا ان التفاوت
بين كل لحظتين مما لا تصل اليه عقول البشر ۝ واما جريان المحدثات فهو انه تعالى لما ذكر
من الحيوانات الانعام قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم قال بعده
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ثم قال ويخلق ما لا تعلمون والمعنى انه لا يمكنكم
ان تحيطوا بها علما لتفاصيل جميع احوال الحيوانات لكثرتها واختلاف احوالها بالجملة فالعقول
قاصرة عن معرفة الاوايل والاواخر ونظيره ان العقول متحيرة في مبدا الخالق والايجاد

وفي منتهى الاعدام والافاايل العقول لا سبيل لها الى معرفة الازل والابد فان كل ما يستحضر
في ذهنه يكون متوسطا بين الازل والابد ولوانه بقي الى يوم القيمة يتقدم الى ما قبل ويتاخر
الى ما بعد لم ير نفسه الا في المتوسطين الازل والابد من هنا عن لواحق الانظار وعلايق
الافكار وتمام الكلام سياتي في باب الصفات في تفسير العدم والبقا وشرح كونه اولا واخرا
ان شا الله تعالى • **الشرط الثاني** ان المبصر اذا كان حاضرا بحيث لم يحرك الانسان
حدقته من جانب الى جانب تحريكات كثيرة فانه لا يرى المبصر فكذا الفواد ما لم يحرك عينه من
معقول الى معقول لا يتمكن من ابصار المطلوب وتلك التحريكات هي المسماة بالفكر والروية
والنظر وكما ان نظر العين عبارة عن تقليب الحدقة من جهة الى جهة طلبا لروية المرئي فكذا
نظر القلب عبارة عن تقليب حدقة القلب من جانب الى جانب طلبا لادراك المعقول • **والشرط
الثالث** ان القوة الباصرة لا يمكنها ادراك المبصرات الا عند صيرورة الهوى مضيئا
بسبب طلوع الاشيا النيرة وكذا العقل لا يقدر على الابصار عند طلوع الاشيا النيرة ثم نيرات
العالم الجسماني اربعة الشمس والقمر والكواكب والنار واعظمها الشمس ثم القمر ثم الكواكب
ثم النار فكذلك نيرات العالم الروحاني اربعة واولها نور جلال الله كما قال تعالى واشرقت
الارض بنور ربها وهي بمنزلة الشمس وكما لا يستطيع ابصار الخفافيش مطالعة قرص
الشمس فكذلك لا يستطيع ارواح البشرية مطالعة نور الجلال وهذه المرتبة بمنزلة الشمس
والمرتبة الثانية انوار الارواح العلوية الروحانية والكروبية كما قال تعالى ينزل الملئكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك واكابر
الانبيا والصديقين هم الذين يطيقون مطالعة هذه الانوار وقال في واقعة موسى
فانه هو رب الشعرى وقال في واقعة الخليل فلما جن عليه الليل راى كوكبا وهذه المرتبة
منزلة القمر وكما ان القمر تارة يكون بدرا يضي للعالم اضاة كاملة وتارة يكون هلالا دقيقا
يظهر قليلا قليلا ثم يختفي فكذا الارواح العالية قد تكون عظيمة الاضاة والانارة كقوله
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وقوله ويستغفرون للذين امنوا وتارة يكون
كالهلال الضعيف وهو قوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا **والمرتبة
الثالثة** انوار الارواح السفلية وهم الصديقون الملازمون لعتبة جلال الله المعتكفون
في حضاير قدس الله تعالى استنارت ارواحهم وانار ارواح غيرهم وهذه المرتبة بمنزلة الكواكب
وكما ان الكواكب قد تكون في العظم الاول دريه متلاليه كما قال تعالى كوكب دري يوقد
من شجرة مباركة وقد تكون ضعيفة جدا كالسها وامثاله فكذا الارواح السفلية منها
ما تكون قوية ومراتبها اربعة اولها الذين يكونون في العظم الاول وهو روح
الخليل والكليم وروح الحبيب فان ارواح الخلق تهتدي بانوار هذه الارواح السفلية لانها
ارواح قدسية قريبة الدرجة من الارواح العلوية ولهذا قال تعالى يا ايها الناس قد جاكم
من الله نور وكتاب مبين وكما ان الغافل بالكواكب هي قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون

فكذا

١٤٠

فكذا دعوة الانبيا اعلام نورانية يهتدي بها في ظلمات بر الشهوات وبحر الضعريات
والشبهات قال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم الاية وثانيها الذين
يكونون في العظم الثاني وهي ارواح اولي العزم كما قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل وثالثها ارواح المرسلين وهم ثلثمائة وثلاثة عشر وهولاء هم الذين يكونون في
العظم الثالث من الكواكب ورابعها ارواح جملة الانبيا وهم كما يقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا وهولاء هم الذين يكونون في العظم الرابع من الكواكب • ثم بعدها
مراتب المومنين وهي ثلثة السابقون والمقتصدون والظالمون كما قال تعالى ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله فالسابقون هم الاوليا كما قال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمقتصد
هم العلما بوال لعلمه الذين يستنبطونه منهم والظالمون هم العوام ولكل واحد من هذه الارواح
اثر ونور واذا اتصلت صارت كالمرايات المتحاذيه وتنعكس انوار بعضها الى البعض فيصير كل واحد منهما
مكملة للاخر من وجه ومستكملة به من وجه ولهذا السبب كان احد مقامات الصديقين
الحب في الله • **والمرتبة الرابعة** من نيرات العالم الروحاني العقل وهو نسبة مرتبة
النار في عالم الجسمانيات واعلم ان نور العقل له عيوب كثيرة كما ان نور النار له عيوب كثيرة
فالاول ان نور النار ممزوج بدخان كثير يسود الثوب ويجفف الدماغ فكذا نور
الدماغ ممزوج بدخان الشبهات وذلك الدخان تارة يسود ثوب العبودية بلطخة التشبيه
والتعطيل واخرى يجفف الدماغ البشرية فيلقي صاحبه في وهم الحلول والاتحاد والثاني
ان نور السراج فيه اشراق وفيه احراق وهكذا نور العقل فيه اشراق وفيه احراق اما اشراقه فهو
التفكر في الخلق واما احراقه فهو التفكر في جلال الله فلهذا السبب قال عليه السلام تفكروا
في الخلق ولا تتفكروا في الخالق الثالث ان نور السراج ينطفي بادنى ريح فكذا نور سراج
العقل ينطفي بادنى شبهة فلهذا السبب قال لمحمد عليه السلام لولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا وقال الخليل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وقال يوسف الصديق توفني مسلما وقال سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
وقال الكليم رب اشرح لي صدري وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة من السما
وتلك المائدة مائدة الهداية والمعرفة **والرابع** ان السراج انما يظهر نوره اذا وضع في بيت صغير
فاما اذا وضع في صحرا واسع فانه يقل ضوءه فكذا سراج العقل انما يظهر نوره اذا وضع في بيت البدن
كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون فان هذا البيت صغير مختصر الا ترى ان سراج العقل لما وضع
في ميدان الارواح انطفا ولم يظهر له لمعان وشروق كما قال تعالى ويسألونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كان حاله في ميدان الارواح لا
يظهر نوره واعرف كيف يكون حاله في صحرا جلال الانوار الصمدية وفضا كمال الاسرار الالهية التي
تقدست عن ان يكون لها بداية ونهاية او مقطع وغاية **والخامس** ظهور نور السراج

مشروطتان يكون بينه وبين قرص الشمس حائل اما لو وضع في مقابلة قرص الشمس انطفا
فكذا العقل انما يضي فيما وراء حجاب الغيب وعالم انوار الصمدية فاما اذا ازيل الحجاب وحلت
الانوار انطفا نور العقل ولهذا قال سبحانه وتعالى لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى فقوله اخلع نعليك اشارة الى تلاشي قوة العقل واضمحلالها وقوله انك بالواد المقدس
طوى اشارة الى تجلي لمعان انوار العظمة والكبريا **السادس** نور السراج وان
طال بقاؤه ولكنه بالاخير ينطفي وان استمر لكنه اذا طلع الشمس فيبطل ضوؤه لا محالة فكذا
نور سراج العقل اما ان ينطفي لطريان الغفلات والشهوات وان يبقى الى اخر الامر لكنه
اذا انقضى ليل الحيوة الدنيوية وتجلا نهار عالم الاخرة وانكشفت الاسرار وتجلت الضمائر
لم يبق لسراج العقل نور ولا قوة البتة فهذا هو شرح نيرات عالم الروحانيات **الشرط**
الرابع ان انتفاع البصر بنيرات عالم الجسمانيات يتوقف على امور فكذلك انتفاع
البصيرة بنيرات عالم الروحانيات يتوقف على مثل تلك الامور وبيانه ان ابصار الاشيا
ورؤيتها تختلف بالكمال والنقصان فتارة ترى الانسان شيا رؤية تامة وتارة تراه
رؤية ناقصة وسبب هذا التفاوت اما ان يكون عائدا الى ذات القوة الناظرة او الى امور خارجة
عنها فكذا ادراكات البصيرة قد تختلف بالكمال والنقصان وذلك التفاوت قد يكون
بسبب ذات البصيرة فهو على وجهين **الاول** اختلاف جواهر الارواح قال تعالى
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين وهذا يدل على ان هذه
السبعة من معشر البشر وجنس الانس مخصوص بمزيد القوة والجلال والرفعة فتارة تظهر
اثار تلك القوة بالنبوة وتارة بالخلافة وقال في صفة عيسى عليه السلام ونفخنا فيه من
روحنا وقال في صفة محمد عليه السلام علمه شديد القوى ثم ترقى من تعليم الملك الى تعليم
الملك وقال الرحمن علم القرآن ثم انتقل من خطاب الغيبة الى خطاب الحضور وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى في حق الانبيا على العموم الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وقال عليه السلام الارواح جنود مجندة وقال عليه السلام الائمة من قريش
وهو اشارة الى اختصاص هذه السبعة بمزيد قوة نفسانية روحانية فلما لم يظهر اثر تلك القوة
بالنبوة بعد محمد عليه السلام فلا بد من ظهور اثرها بقوة الخلافة والرياسة وكل ذلك يدل
على اختلاف الارواح في ماهياتها فمنها ما يكون في غاية الجلالة والقوة ومنها ما يكون في غاية
الضعف وهذا الاستعداد الذاتي لا سبيل الى تبديله البتة **الثاني** اختلاف جواهر
الارواح بسبب الصفات العرضية التي تقبل العلاج ومثاله في عالم الجسمانيات انه قد يكون
بصر اضعف من بصر لا لاجل الخلقة الاصلية بل بسبب قد عرض له وأورث ضعفه او بسبب
انه استعمل كحلا قويا فافاده ذلك الكحل في تلك الساعة زيادة قوة فكذا الارواح ربما عرض
لها عارض فيحصل فيه نوع من الكلال بسبب المعارض واليه الاشارة بقوله وانه ليغان على
قلبي وهذا النوع من التفاوت قد يبطل وقد يزول واما التفاوت الحاصل بسبب

الضعف وهذا الاستعداد الذاتي ... وهذا ... والزيادة ... وقع

الامور

الامور الخارجية فهو انواع **السبب الاول** الاشتغال بغير الله وبيانه في عالم
المحسوسات ان من شغل حدقته بالنظر الى شي وكان نظره اليه مانعا له من ابصار غيره ثم
كلما كان التحديق الى الاول اشد واكمل كان الحرمان عن ابصار الثاني اشد واكمل وكذا عالم
الروحانيات على هذا القياس كلما كان اشتغال القلب بغير الله اشد واكمل كان الحرمان على
الاطلاع على انوار جلال الله اشد واكمل ولهذا المعنى حكم تعالى بوقوع المنافاة بين الامرين وقال
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال في اية اخرى وتحبون المال حبا جما وقال
وانه لحب الخير لشديد وقال زين للناس حب الشهوات وقال عليه السلام حب الدنيا
راس كل خطيئة ثم اذا انصفنا علمنا انا كنا معذورين في حب الدنيا وكيف لا نحبها ونحن انما خلقنا
منها وانما ارتضعنا من طعامها وانما تربينا على ظهرها وانما الفنا وشاهدنا احوالها ولو اتفق
لبعض الخلق على سبيل الندرة اطلاع على شي من الروحانيات فذلك انما يكون بعد استحكام الالف
بالدنيا فمع هذه الاسباب القوية كيف ينفك قلب الانسان عن محبة الدنيا اليس انه عليه
السلام قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها فانظر الى الدنيا كم انتفعنا
بطعامها وشرابها وانهارها واشجارها ولذاتها وطيباتها واذا كان كذلك فلا محالة نكون
مجبولين على حبها فاذا عرفت هذا فنقول كل من احب شيئا نظر اليه بكل عينيه ومن نظر الى
شي بكل عينيه لم يبق عين وايضا اذا كنت محبا لشي عميت عن رؤية معايبه وصرت مشغولا
برؤية محاسنه وفضائله وايضا اذا استحكمت تلك المحبة امتلا القلب منها والظرف اذا امتلا
من الشي لم يتسع لغيره فهذه قلوب لا يدخل فيها محبة الله تعالى واليه الاشارة بقوله كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون وذلك لانه كانت قلوبهم
مملوة من حب الدنيا فما كانوا ينتفعون بما يرونه ويسمعونه ويتكلمون ثم ان هذه الحالة كلما كان
دوامها اكثر كان استحكامها اشد وهو مرض القلب كما قال في قلوبهم مرض والمرض ما لم يكن
مستحكما فانه يرجى علاجه فاذا استحكم وصار بحيث لا يقبل العلاج قرب من الموت واليه الاشارة
بقوله انك لا تهدي من احببت وبقوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
وعند هذا يظهر ان الكل منه وان الخير والشر بتقديره وقضائه وهاهنا سؤالات **السؤال**
الاول اذا استحكم مرض الجسم بحيث لا يرجى علاجه سقط الخطاب فاذا استحكم مرض
القلب فلم لا يسقط الخطاب **الجواب** عنه سقوط الخطاب في هذه الحالة انما كان حتى يعلم الانسان
قبل انتهائه الى هذه الحالة انه لو لم يشتغل بالعلاج قبل الانتهاء الى هذه الحالة فانه سيفضي الى هذه الحالة لا
يمكنه العلاج عنه ولا يسقط عنه ايضا الخطاب فلا جرم لاجل الخوف من هذه الحالة يشتغل بالتوبة
وبالعلاج قبل الانتهاء الى هذه الحالة ثم ان هذه المرتبة لما لم تكن محدودة كان هذا الخوف حاصلا عند الاقدام
على كل حال ما كان ذنبا فكانت التوبة حاصلة عند جميع الذنوب **السؤال الثاني** انكم ذكرتم
انا مجبولون على حب الدنيا وذكرتم ان حب الدنيا يورث الاعراض عن الاخرة ثم انا مع ذلك امرنا
ببغض الدنيا وبحب الاخرة فكيف يجتمع هذا مع قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها **الجواب** يظهر منه

وعند انتهائه الى هذه الحالة

ان العبد لا قدرة له على الوفا بهذه الطاعة الا بفضل المولى واعانته والا بان بجذبه من التوغل في
حب الدنيا الى حب المولى فلهذا السبب امر الله تعالى ان يقول كل يوم مرات اياك نعبد واياك
نستعين وجا في الاخبار المتواترة فضل عظيم في قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
السوال الثالث اليس ان الدنيا ام حاضنة فما السبب في ان اوجب الله تعالى
بغضها والجواب ان حبها مانع عن حب الله تعالى وهذه الاية فرض بعض الابوين الكافرين
وعصيانهما عند دعوتهما الولد الى الكفر قال وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم
فلا تطعهما السوال الرابع ما علامة رجحان حب المولى على حب الدنيا الجواب
ترجيح المحبة على المحبة انما يظهر باحد امرين احدهما قدر الحزن عند الفوات والثاني قدر السرور
عند الوجدان واعلم انه ما لم يترجح حب الاخرة على حب الدنيا ولا ايمان واذا حصل الرجحان
فلا يطيب الايمان الا عند زوال العارض من كل الوجوه وعلامة ذلك ان لا يخطر الدنيا بالبال
الا عند الحاجة اليها كانها شربة ما او مطهرة استنجا السبب الثاني لحصول
التفاوت في هذه الامور الروحانية طيب الغذا وخبثه قال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
وقال تعالى ويحرم عليهم الخبائث والسبب فيه ان الغذا يصير جزا البدن فالقلب ولا شك
ان الذي يصير جزا للشي يختلف حال ذلك الشي بسبب اختلاف حال الذي يصير جزا له فالبيت
ان طينته بالطين الكدر جا كدرا وان طينته بالجص الابيض جا صافيا نورانيا واذا اختلف
حال البدن باختلاف احوال الاغذية لا جرم تختلف احوال تلك الانوار بسبب اختلاف احوال
البدن الا ترى ان الماء الصافي يكون لونه لون الظرف والقارورة فثبت ان طيب الغذا وخبثه
سبب لاختلاف احوال انوار الروحانية السبب الثالث الامكنة والازمنة اما
الامكنة فكقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقال الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله والازمنة فقال تعالى في ايام نحسات وهذا تدل على انها ايام رحمة كانت
متصفة بالسعود اي سعد فيها كل من تقدم فيها على عمل من الاعمال وفي كلام اهل التصوف
الوقت سيف قاطع ولارباب القلوب في هذه الكلمة كلمات والذي يميل اليه قلبي انه تعالى عين
كل وقت لحادث فصار ذلك الوقت مربوطا بذلك الحادث برابط المشية الازلية الذي لا
يمكن دفعه وابطاله فاذا جا ذلك الوقت جا معه ذلك الحادث فكما ان السيف قاطع والوقت
مما عضبه الحق وحربه غالب فاذا كان الوقت الذي فيه يفتح الله برحمته متاخرا فلا ينفع الجد والجهد
في الزمان المتقدم وسمعت بعض المشايخ يقول بعث الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير رحمه الله
عليه واحدا الى النهر ليجيه بما يتوضى به وكان تشطر في الرجوع فقال الشيخ ذلك الما الذي يمكننا
ان نتوضى به بعد ما خرج من النهر السبب الرابع وهو الاقوى الجذبة العلوية
والهداية الالهية ولا تتم جميع الاسباب الا بهذا المعنى قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشا ويهدي
اليه من ينيب وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه فهذه الاحوال شارة الى مبدا هذه الدرجة واما وسطها فقوله

نفروا الى الله ونهايتها في قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وايضا الاشارة الى قوله
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به والاشارة الى وسطه فاعف عنا واغفر لنا وارحمنا والاشارة
الى اخره قوله انت مولانا ثم اذا وصل القلب الى هذه الدرجة يكون في عالم القلوب كالشمس
في عالم الافلاك فعند هذا تبقى مستحقر في انوار عالم الجلال كما قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
ثم صارت هذه الروح ينبوعا لفيض الانوار على اسرار الارواح وبعد هذه درجة اصحاب اليمين كما
قال واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وبعد هذه درجات لا يصل اليها
الخيال ولا يعبر عنها المقال ومن ارادها فليكن من الواصلين الى العين لا من السامعين للاثر
الشرط الخامس للابصار اعلم ان الجنين حين ما يكون في رحم الام في اول ما يخلق الله
عينيه يكون الجفنان ملتصقين ثم بعد زمان يفصل الله احد الجفنين عن الاخر الا ان الجفنين
يكونان منطبقين فاذا انفصل عن بطن الام ينفتح العينين في بعض الاوقات الا انه في اكثر الاوقات
يغمضهما ويكون نائما ثم عند فتح الجنين جاهلا بابيه والام مع ذلك تراعي مصالحه لعلمها بانه
ما كان اوان قدرته على التمييز بين المحسن والمسي ثم لا يزال الطفل ينظر اليهما الى ان يميز من الام
وغيرها ثم اذا نظر وواظب على النظر الف النظر والابصار حتى يصير بحيث لا يمكنه ان ينظر
الى شي اذا عرفت هذه المراتب في العين الظاهر فاعرف مثلها في العين الباطنة ففي اول
الامر يكون عين القلب منطبقا ثم ينفتح ولكنه لا يقدر ان يميز بين الخير والشر ثم لا يزال ينظر
بعين عقله الى ان يصير بحيث يدرك الفرق بين المحسن والمسي فيعرف ان المحسن هو الحق وان
ما سواه فهو سبب الضرر ثم اذا واظب على هذا النظر صار بحيث لا يمكنه ان يصبر على نظر
العقل فكما ان الام تعد الطفل في اول عمره عن التمييز بينها وبين غيرها فكذا الحق هاهنا
تعذر الانسان في اول عمره ان لا يعرف ربه وذلك ما قبل البلوغ ثم اذا واظب على النظر
في افعال الله واثار حكمته في مخلوقاته حصل له عشق ومحبة مع هذا النظر فلا يرى شيئا
بعقله الا وينتقل منه الى مبداه وغايته اما المبدا فهو قدرة الحق واما الغاية فهي حكمة الحق
فيصير بحيث لا يرى شيئا الا ويرى الله بعده وحينئذ يستنير السر كما يستنير القمر
في مقابلة الشمس والقلب في هذا المقام قد استلذ بالنظر والالفة فلا جرم ابدا
يقلب الفواد والقلب حدقته من منظور الى منظور وقد كان القلب قبل ذلك عينا
واحدة واما الان فقد صارت كل ذرة من ذرات المبدعات والكائنات عينا للقلب وذلك
لان العالم كله يصير مراة للقلب والمراة للعين بمنزلة بصر زائد فانه يرى بها ما لا يراه بدونها
فعند ذلك يصير كل ذرة من ذرات الممكنات عينا له والعين ينبوع النور فيصير كل العالم
ينبوع النور في حقه واذا اتصلت انوار العالم به صار كله نورا قال تعالى في هولا
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وفي الحديث ان اهل الجنة ليرون اهل العليين كما
يرون الكوكب الدري في السماء وان ابا بكر وعمر منهم وبالله التوفيق

الباب الرابع في الاستدلال باحوال الحيوانات

الفصل الاول في الاستدلال الكلي باحوال الحيوانات على قدرة الصانع الحكيم سبحانه وتعالى وفيه فصول
وقبل الخوض في المقصود لا بد من بيان شيء الى تقسيم الحيوانات فنقول ان الحيوانات التي تطير في الهوى قسمان صغير الجثة ليس له عظم ولا ريش فهو من الحشرات وما كان له عظم وريش فهو من الطيور اذا عرفت هذا فنقول تمام الحيوانات خمسة قسمان منها من حيوانات الهوى والقسم الثالث حيوانات الما والقسم الرابع حيوانات وجه الارض كالبهائم والسباع والقسم الخامس حيوانات تحت الارض وهي الحشرات كالحيات والخنافس والديدان واشباهها واعلم ان حيوانات الما اعظم الحيوانات وهي ايضا اصغرها والمراد منه انه يوجد في حيوانات الما ما يكون اصغر من جميع الحيوانات واما حيوانات وجه الارض فهي دون حيوانات الما في العظم وبعد حيوانات وجه الارض واخر المراتب في الصغر الحيوانات المتولدة في داخل الارض فهذا هو ضبط هذه الاقسام ثم نقول اعلم انه تعالى استدل بخلقة الحيوانات على وجود الصانع الحكيم تارة مجملا وتارة مفصلا اما المفصل فسياتي شرحه في الفصول الاتية ان شا الله تعالى واما المجمل فقال في سورة البقرة والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ثم ذكر عقيبه مما يدل على وجود الصانع الحكيم ثمانية انواع من الدلائل فقال ان في خلق السموات والارض وهما دليلان ثم قال واختلاف الليل والنهار وهو الدليل الثالث ثم قال والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وهو الدليل الرابع ثم قال وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وهو الدليل الخامس ثم قال وبث فيها من كل دابة وهو الدليل السادس ثم قال وتصريف الرياح وهو الدليل السابع ثم قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وهو الدليل الثامن ثم لما ذكر هذه الدلائل الثمانية مدح المتفكرين والمتاملين فقال لآيات لقوم يعقلون والمقصود انه سبحانه وتعالى احتج بخلقة الحيوانات المختلفة على وجود الصانع وهو قوله وبث فيها من كل دابة ولما كان الامر كذلك وجب علينا ان نبحث عن وجوه دلالة هذا الدليل فنقول الاختلاف في ابدان الحيوانات وفي صفاتها ظاهر ونحن نشير الى بعضها ثم نستدل بها على وجود الصانع الحكيم ◦ واعلم ان الاختلاف بين الحيوانات حاصل من وجوه لا يحيط بها علم البشر الا انا نشير الى بعض تلك الوجوه فالاول الاختلاف الحاصل في صورها واشكالها **فاحدها** الاختلاف الحاصل في الجلد الظاهر وذلك لان بعضها كالسلحفاة يحيط به صدف وبعضها كالسمك على جلده فلوس وبعضها على جلده شوك كالقنفذ وبعضها على ظاهرها ريش وجناح كالطير وبعضها على ظاهره شعر ووبر وصوف كالبهائم والانعام والسباع وبعضها يكون عاريا عن كل ذلك كالانسان **وثانيها** الاختلاف في الالوان والاشكال فمنها ما يكون ملونا بلون واحد وهو الانسان ومنها ما يكون ملونا بلونين كالفرس الابلق ومنها ما يكون ملونا بالوان كثيرة عجيبة حسنة كالطاووس **وثالثها** الاختلاف في الاصوات فمنه ما يكون مصوتا ومنها ما لا صوت له

والمصوت منه ما هو طيب الصوت كالعندليب ومنه ما هو قبيح الصوت كالحمار قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير **ورابعها** قد يكون صغير الجثة عظيم العين كالبوم وقد يكون كبير الجثة صغير العين كالعقاب وقد يكون عينه سريع التغير من الضوء كالخفاش وقد لا يكون كذلك كالخطاف **وخامسها** منها ما يمشي على بطنه ومنها ما له رجل اما الرجلان كالطير والادمي واما اربع كالبهائم والسباع واما ارجل كثيرة ستة او ثمانية وكل طائر ذو جناح فانه يمشي برجليه ومن جملة ذلك ما يكون المشي صعبا عليه كالخطاف الكبير الاسود والخفاش واما الذي يكون جناحه جلدا وعشا فقد يكون عديم الرجل من الحيات **وسادسها** بطير [illegible] ثدي الفيل والانسان يكون عند الصدر وثدي البقر والغنم يكون عند السرة **وسابعها** اذن الفيل صالح للذب مع كونه الة للسمع والفة للقبض مع كونه الة للشم فهذا اختلاف احوال الحيوانات في الخلقة الظاهرة **النوع الثاني** اختلاف احوالها في المسكن والماوى فمنها مائية ومنها ارضية ومنها ما يكون مائيا وارضيا معا ◦ اما الحيوانات المائية فمنها ما يكون مكانه وغذاؤه ونفسه مائيا وله بدل النفس النسيمي النشق ماء يدخله الى باطنه ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه والسمك كله كذلك ومنها ما مكانه وغذاؤه ماء لكنه يتنفس ولا يستنشق مثل اصناف من الصدف لا يظهر البتة للهوا ولا يدخل الما الى باطنها وايضا الحيوانات المائية بعضها ماء الانهار الجارية وبعضها مياه البطائح مثل الضفادع وبعضها ماء البحار وايضا الحيوان المتنقل في الماء منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي السباحة على اجنحته كالسمك ومنها ما يعتمد في السباحة على ارجله كالضفدع ومنها ما يمشي في قعر الماء كالسرطان ومنها ما يزحف مثل ضرب من السمك لا جناح له اي كالدود ◦ واما الحيوانات البرية فمنها ما يتنفس من طريق واحد كالفم والخيشوم ومنه ما لا يتنفس على هذا الوجه بل من مسامه مثل الزنبور والنحل وايضا الحيوانات الارضية منها ما له ماوى معلوم ومنها ما ماواه كيف اتفق الا اذا ولد تقيم الحضانة واللواتي لها ماوي معلوم فبعضها ماواه شق وبعضها ماواه في حفرة وبعضها ماواه قلة راسه وبعضها ماواه وجه الارض وايضا الطير مختلف فبعضها تتعايش معا كالكراكي وبعضها يختار التفرد كالعقاب وجميع الجوارح التي تنازع على الماكول يتفرد لاجل احتياجها الى الاحتيال في الصيد ومنافستها فيه ومنها ما يتعايش زوجا ويكون معا كالقطا ومنها ما يجتمع تارة وينفرد اخرى والحيوانات المنفردة قد تكون مدنية وقد تكون برية وتكون بستانية والانسان من بين الحيوانات هو الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حياته لا تتم الا بالمشاركة المدنية والنحل والنمل وبعض الغرانيق مشاركة للانسان في ذلك لكن النحل والكراكي تطيع رئيسا واحدا فالنمل له اجتماع لكن لا رئيس له ◦ واما الحيوان الذي يكون تارة مائيا واخرى يكون ارضيا فيقال ان ثمة حيوانا يكون في البحر ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويعود الى البحر ويبقى فيه **النوع الثالث** اختلاف احوالها بحسب الاختلاف واعلم ان الحيوانات منه ما هو انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو

انسي بالمولد كالعروق والقوس ومنه ما هو انسي بالقهر كالفهد ومنها ما لا يانس كالنمر والذي يتانس بالقهر منه ما يحصل استينا سه سريعا ثم يبقى متانسا كالفيل ومنه ما يكون ذلك بطيئا كالاسد ويشبه ان يكون من كل نوع صنف انسي وصنف وحشي وبعضها يكون ساكن الطبع قليل الغضب كالبقر وبعضها ردية الحركات كالحية وبعضها كريم شجاعا النفس كبير الطبع كالاسد ومنها قوي وحشي محتال كالذيب ومنها مكار ردي في الحركات كالثعلب ومنها غضوب شديد الغضب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب ومنها شديد الذكا كالفيل والقرد والفرس وبعضها حسود متباهي بجماله كالطاوس وبعضها شديد الحفظ كالجمل والحمار وايضا احوالها في التناسل مختلفة فبعضها تلد اشباه دود كالنحل والعنكبوت والجراد ثم ان تلك الدود تستكمل اعضاها بعد ذلك ويقال انه اذا ظهرت السخونة وقت الربيع طلب الجراد ارضا طيبة رخوة الجسم وطرحت في الارض بيضها ثم طارت بعد ذلك وعاشت اياما وماتت واكلتها الطيور واذا دار الحول وجاء الربيع مرة اخرى وطاب الهوى انفرجت من تلك البيضة المدفونة في تلك الارض مثل الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلا وخرجت لها اجنحة فطارت واكلت من ورق الشجر وسمنت ثم باضت كما في العام الاول فهذه عادتها بتقدير العزيز العليم • واما دود القز الذي يكون على رؤس الاشجار في الجبال فانها اذا شبعت من الرعي ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها شبه العش والكن ثم تنام فيها اياما معلومة واذا انتبهت طرحت بيضا في داخل الكن الذي نسجت على نفسها ثم تنقبها وتخرج منها وتسد ذلك النقب ثم تخرج لها اجنحة فتطير وتنا كل الطير او ماتت من الحر والبرد والريح والمطر وبقي ذلك البيض في تلك الاكناف محرزا ايام الصيف والخريف والشتاء الى ان يحول الحول ويجي ايام الربيع فينشا من ذلك البيض ديدان صغار تخرج من تلك النقب ويدب على ورق الاشجار اياما معلومة فاذا شبعت وقويت اخذت تنسج على انفسها من لعابها كما في العام الاول وهذا دابها وعادتها بتقدير الحكيم العليم فسبحان من هدى كل واحد من هذه الحيوانات الى هذه الاعمال **واعلم** ان الاستدلال باحوال هذه الحيوانات من وجهين الاول انه سبحانه خلق هذه الحيوانات مختلفة الصور متفقة الاشكال بعضها كثيرة كريم الالات فكما اعطى الفيل الجثة العظيمة القوية الشديدة حتى تدفع عن نفسه المكاره بانيابها الطوال الصلاب وتتناول بخرطومه الطويل انواع المنافع وكذلك اعطى البقة على صغر جثتها جناحين صغيرين حتى قدرت بهما على سرعة الطيران وتناول الغذا بالخرطوم فصار الصغير والكبير في هذه المراتب متساويين في جذب المنافع والاحتراز عن المضار متشاكلة • ولها هنا لطيفة عجيبة وهي انك ترى ما كان منها اصغر جثة واقل حيلة كان اكثر راحة واطيب عيشا واقل اضطرابا في جلب المنافع ودفع المضار مما هو اعظم جثة واقوى قوة بنيانا ان منها ما كان قوي القوة كامل البنية يدفع عن نفسه المكاره بالقهر والغلبة كالاسد والفيل ومنها ما يدفع عن نفسه المكاره بالطيران في الجو كالطيور ومنها بالغوص في الماء ومنها بالاختفاء في النقب

ومنها ما يدفع المكاره عن نفسها بالفرار وسرعة العدو كالغزلان والارانب

اي بعضها حيوانا وبعضها بيضا ثم بعضها دودا وبعضها طيرا

والابحر كالنار والنمل كما قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون واما طلبها للمنافع فتارة بقوة البصر وتارة بشدة الطيران كالنسر والعقاب وتارة بقوة الشم كالنمل والجعل وتارة بقوة السمع كالنسر • واما الحيوانات الصغار الجثة الضعاف البنية التي ليس لها شي من الالات ولا شي من الادراكات والاحساسات كالديدان الصغار واشباهها فانها خلقت في اماكن كثيفة ومواضع حرزة واما في النبات او في حب النبات او في اجواف الحيوانات او في الطين او في السرقين وجعل غذاها محيطا بها وجعل في جميع اجزاء ابدانها قوى جاذبة تمتص الرطوبات المغذية لها المقوية لابدانها ولم تحوجها الى الطلب ولا الى الهرب فسبحان الخالق العظيم الذي اعطى كل شي مصلحته • وروي ان الليلة التي اوحي فيها الى موسى كان قلب موسى متعلقا باحوال زوجته فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك على ذلك الحجر فخرج منه حجر اخر ثم ضرب العصا عليه فخرج منه حجر اخر فضرب العصا عليه فخرجت منه دودة في غاية الصغر وفي فمها مقدار رزق من ورق الشجر ثم رفع الله الحجاب عن سمع موسى وكانت تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويذكرني ولا ينساني **الوجه الثاني** في الاستدلال بهذه الحيوانات ان نقول هذه الحيوانات كثيرة جدا ويقال ان حيوانات البحر سبعمائة نوع وحيوانات البر سبعمائة واحد منها هو البشر واذا كان كذلك فكيف يمكن الاطلاع على احوالها وعجائب صفاتها الا ان وجه الاستدلال بها على الصانع الحكيم ظاهر وذلك لانه لو كان السبب لوجودها هو تركيب الطبايع وتاثير الافلاك والكواكب فذلك بالنسبة الى الكل على السوية بل صريح العقل يشهد بان اختصاص كل واحد منها بما له من الاعضاء والقوى والصفات والاشكال لا بد وان يكون بتدبير مدبر قادر حكيم يخلق الاشيا بقدرته ويدبرها بحكمته واعلم انه تعالى قد نبه في القران على عجز البشر عن معرفة احوال الحيوانات في ايات **احدها** انه تعالى لما شرح احوال الحيوانات في سورة النحل في قوله والانعام خلقها لكم الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة قال بعد ذلك ويخلق ما لا تعلمون والمعنى انا شرحنا لكم احوال بعض الحيوانات واما شرح احوال الكل فذلك مما لا يليق بعقولكم بل يجب تفويض معرفتها الى خالقها فهذا ختم الكلام في شرح احوال الحيوانات بقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون و**ثانيها** قال في سورة النور الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ثم قال بعده ولله ملك السموات والارض والى الله المصير وفيه فايدتان **الفايدة الاولى** انه مع جاذبته دال على تمام معرفة المبدا والمعاد وقوله ولله ملك السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الى قدرة الواجب في وجوده الازلي ثم ان حدوث هذه الحيوانات دال على قدرة الصانع ووقوع حدوثها على جهة الاحكام والاتقان دال على علم الصانع وحكمته وكان حدوث هذه الحيوانات من ادل الدلائل

على كونه مليكاً بالحق مالكاً بالصدق فلهذا قال ولله ملك السموات والارض ثم قوله
والى الله المصير دال على ان المعاد حق وان البعث والحشر والنشر حق حتى تظهر في ذلك
اليوم نتايج افعال هذا اليوم **الفايدة الثانية** انه تعالى لما شرح احوال
بعض الحيوانات على سبيل التفصيل وهو قوله والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ثم ذكر
بعد هذا التفصيل هذا الكلام المجمل وهو قوله ولله ملك السموات والارض كان ذكر هذا بعد ذلك
التفصيل تنبيها على انه لا سبيل للعقول البشرية الى الوقوف على تمام تلك التفاصيل وثانيها
قال تعالى في هذه السورة والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من
يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع ثم قال بعد ذلك يخلق الله ما يشاء ان الله على كل
شي قدير وذلك لانه تعالى ذكر انقسام الحيوانات الى هذه الاقسام وهذا الكلام تفصيلي ثم انه
تعالى اردفه بالكلام المجمل وهو قوله يخلق الله ما يشاء والمقصود التنبيه على انه لا سبيل للبشر الى معرفة
تمام هذه التفاصيل وقد ذكرنا في الفصول المقدمات انه في شرح احوال الافلاك جرى على هذا
المنهاج فقال في آل عمران ويتفكرون في خلق السموات والارض اي يطلبون معرفة الحكمة
في كل واحد منها ثم عدل الى التعظيم الاجمالي وهو قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال
في الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم عدل منه الى التعظيم المجمل فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين والمقصود من كل هذه الايات التنبيه على انه ليس للعقول
البشرية الاطلاع على تمام الحكمة الالهية في تدبير العالم العلوي والسفلي بل الواجب تفويض اسرارها
الى علمه المحيط بالغيوب المقدس عن النقصانات والعيوب كما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وهاهنا سوالات **السوال الاول** قال تعالى في سورة الانعام
وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم فظاهر هذه الايه توجب مذهب
التناسخ من وجوه الاول قوله تعالى الا امم امثالكم يقتضي حصول المماثلة بينهما في
الروح والعقل والادراك والتكليف الثاني بانه ثبت بهذه الاية ان كل نوع من انواع هذه
الحيوانات امة فاذا ثبت هذا وجب ان يحصل في كل واحد منها رسول ونذير وان من امة
الا خلا فيها نذير والانذار لا يتحقق الا في حق العقلاء المكلفين وهذا يقتضي كون هذه الحيوانات
عارفة بربها مكلفة بالطاعات الثالث ما روي عن ابي الدرداء انه قال ابهمت
عقول البهايم عن كل شي الا عن اربعة اشيا معرفة الرب والسعي في طلب الرزق ومعرفة
الذكر والانثى واهتمام كل واحد منهما بامر صاحبه والجواب ان لفظ المثل يقتضي
حصول المثلية في كل الامور واذا حملنا الايه على ثبوت المثلية ولو في شي واحد فقد وفينا
بمقتضى اللفظ ثم اختلف المفسرون في معنى المثلية على وجوه الاول انها امثالكم
في كونها امما او جماعات وكان المراد من هذا انواعا مختلفه واقساما متباينه في الخلق
والخلق والطبيعه والشكل الثاني المراد انها امثالنا في كونها مخلوقة لله تعالى
وفي انه سبحانه تكفل بارزاقها كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

ويعلم مستقرها ومستودعها الثالث انها امثالنا ان مقادير اعمالها معلومة
لله تعالى مع انها خالية عن التكليف وخوف العقاب فاحذروا ايها البشر المكلفون فانكم
باحصاء الله اعمالكم اولى الرابع انها امثالنا في انها يحشرون يوم القيمة والله يقضي لهم
بالحق كما يقضي للانسان دليله ما روي في الحديث انه ليقتص للجلحا من القرنا الخامس
لا يبعد حمل الايه على جميع ما ذكرنا من الوجوه لانه لا مخصص ولان على هذا التقدير يكون
الفايده اكثر واما التمسك بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير فالجواب
انه مخصوص بالامه الموصوفه بالعقل بالدلايل العقليه وباجماع الامه والله اعلم **السوال
الثاني** ما الحكمة في خلق الحيوانات الموذيه كالحيات والعقارب والذيب والاسد
الجواب المعتمد عندنا في الجواب انه تعالى مالك الملك والملك والممالك ان يفعل
ما يشا ويحكم ما يريد الا انا نذكر هاهنا وجوها اخرى فالاول انه تعالى
رغب المكلفين في الطاعات بان وعد عليها بالثواب وزجرهم عن المعاصي بان توعدهم
عليها بالعقاب فلا بد وان يشاهد في الحال شيا يشبه الثواب وشيا يشبه العقاب
حتى تتكامل رغبتهم في طلب الثواب ونفرتهم عن الهرب عن العقاب فلاجرم اظهر في
الدنيا انواع اللذات وانواع المحن والافات لتكون ذلك كالمعرف لاحوال الثواب والعقاب
وقد نبه الله تعالى عن ذلك في قوله افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن
المنشون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين اي جعلنا النار سببا للمنافع في الدنيا
وجعلناها ايضا مذكرة للعذاب في الاخرة والثاني انه تعالى خلق الذيب حتى يحرس
الغنم ثم ان الانسان يبالغ في صون غنمه عن الذيب فاذا بالغ في هذا الحفظ مع ان هذه المضرة
قليلة فلان يبالغ في صون طاعاته عن الشبهات والشهوات مع ان نتايج تلك المضرة
عظيمة كان ذلك اولى والثالث اذا احترز الانسان عن سم الحيه والافعى
فلان يحترز عن سم الكفر والبدعه والفواحش والذنوب مع شدة الالام الحاصله فيها
وطول مدتها كان ذلك اولى والله اعلم **الفصل الثاني في الاستدلال
باحوال الطيور على وجود الصانع الحكيم** اعلم انه تعالى ذكر
الاستدلال بوقوف الطير في الهوى على وجود الصانع المختار في مواضع من القران
العظيم احدها قال في النحل الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون وثانيها قال في النور الم تر ان الله يسبح
له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون
وثالثها قال في الملك اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
انه بكل شي بصير اما الايه الاولى فنقول قرا ابن عامر وحمزة والكساى الم تروا على
سبيل المخاطبه والباقون بالياء على الحكايه ولمن تقدم ذكره حجة من قراها على المخاطبه
ان ما قبل هذه الايه مخاطبه وما بعدها مخاطبه فوجب ان تكون هذه الايه ايضا مخاطبه

اما ان قبلها فخاطبه وهو قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون واما ما بعدها فخاطبه فهو قوله تعالى
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
اقامتكم واذا ثبت ان ما قبل هذه الاية وما بعدها على سبيل المخاطبه وجب مجي هذه الاية
ايضا على سبيل المخاطبه حتى يكون النسق واحدا في الكل وجه القراة بالياء ان الغرض
من ذكر هذه الاية الارشاد الى الدليل والارشاد الى الدليل انما يحتاج اليه الجاهل لا العالم
فوجب الحمل هذا على لفظ المغايبه صرفا له الى الكفار والمنكرين قلنا نحن لا ننكر احتمال ما ذكرتم
الا انما قلناه ايضا محتمل لان الدليل كما يذكر للمنكر حتى يصير مقرا فكذلك قد يذكر للمقر حتى
يزداد ايمان على ايمان وغفران على غفران وهذه السوره مشتمله على دلايل كثيره
والاشارات المقصود منها هو التاكيد بسبب تكثير الدلايل اذا عرفت هذا فنقول قوله
تعالى في النحل الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء معناه الم تعلموا واعلم انه تعالى
ذكر في هذه الاية من دلايل المعرفه والتوحيد امرين الاول كون الطير مسخرا والثاني
ان ما يمسكهن الا الله والمراد من كونها مسخره انها في انفسها اجرام ثقيله والجرم الثقيل يكون
هاويا بالطبع الا ان قدرة الله تعالى غالبة على جميع الطبايع والخواص فهو بقدرته يرفع
الثقيل الى فوق وينزل الخفيف الى تحت من غير ان يشق عليه ذلك الفعل ومن غير ان يعب
بسببه والكيف والسموات السبع مع ما فيهما من البحار والجبال والحيوان والنبات هو تعالى
يمسكها بقدرته ويسكنها بحكمته كما قال تعالى رفع السموات بغير عمد ترونها فاذا اقدر
على تسكين هذه الاجسام العظيمه من غير تعب ولا مشقه فكيف لا يقدر على امساك
اجرام الطيور بقدرته في الهوى اليس انه تعالى قلع الجبل في وقت موسى عليه السلم ووقفه في
الهوى كما قال واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظله وظنوا انه واقع بهم فها هنا قدرته على امساك
الطير في الهوى اولى اذا عرفت هذا فنقول كون هذه الاجرام منقاده لقدرته والهيته
من غير منازعه ولا مدافعه هو المراد بكونها مسخره في جو الهواء ومن كونها واقفه بامساكه
وتسكينه فهذا هو الكلام في هذه الايه ٥ واما الايات المذكوره في سورة النور وهي قوله
تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض وظاهر لفظ قوله الم تر خطاب
مع الرسول عليه السلام ولا حرم اشتملت هذه الاية على فوايد زايده على ما في الايات
الاوله اولها قوله تسبح له من في السموات وفي هذا التسبيح ثلثه اقوال وذلك
لان التسبيح المذكور ها هنا اما ان يكون المراد منه انها تنطق بالتسبيح واما ان يكون المراد
حصول هذه الدلاله في حق البعض وحصول هذا النطق في حق الباقين والقسم الاول اقرب
اما القسم الثاني ففيه اشكال لان بعض من في الارض ليسوا مكلفين وهم الاطفال والمجانين
وهولاء يسبحون باللسان واما المكلفون في الارض فبعضهم من لا يسبح بهذا التفسير وهم
الكفار واما تفسير التسبيح بكون هذه الاشيا داله على السبوحيه والعظمه فهذا عام في حق كل

الاية دلايل المعرفه والتوحيد امرين احدهما كون الطير مسخره والثاني انه ما يمسكهن الا الله

الممكا[ت]

الممكنات وهو المراد ايضا من قوله وان من شي الا يسبح بحمده فان قيل التسبيح بهذا المعنى
حاصل في كل المحدثات والممكنات فما وجه تخصيصه في هذه الاية بالعقلا قلنا لان خلقة
العقلا اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب في خلقتهم اكثر وهي
العقل والنطق والفهم مع حصول الشهوه وحصول الغضب وحصول الشيطانه وثانيها
قوله تعالى والطير صافات وللقايل ان يقول ما وجه اتصال هذا بما قبله والجواب
انه سبحانه لما ذكر ان اهل السموات واهل الارض يسبحون ان الاشيا التي مقرها فيما بين
السماء والارض وهي الطيور فهي تسبحه لله تعالى وذلك لان ابدان هذه الطيور اجرام ثقيله
ثم انه سبحانه اعطاها قوة يقوى بها على الوقوف في جو السماء صافه باسطة اجنحتها وذلك
من اعظم الدلايل على كمال قدرة الصانع ونهاية علمه وحكمته واعلم ان هذا الوصف قد وصف
الله تعالى الملايكة به فقال والصافات صفا وترى الملايكة حافين من حول العرش والملايكه
ايضا وصفوا انفسهم بهذا الوصف فقالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبالجمله فهذا
يشعر بكون الصافين واقفين في موقف الهيبه ومقام العظمه مشتغلين بتسبيح جلال الله وتعظيم
كبريايه على وجه الخشوع والخضوع وثالثها قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه ففيه
ثلثه اوجه احدها ان يكون المعنى كل من الطير قد علم صلاته وتسبيحه فهذا قول
جماعة من اصحاب الاخبار قال ابو ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري
ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال انها تقدس ربها وتسأله
قوت يومها وثانيها ان يكون معنى الايه كل مسبح قد علم صلاته وتسبيحه ويدل على
صحة هذا التاويل قوله سبحانه والله اعلم بما يفعلون وثالثها ان يكون الهاء راجعة الى الله
تقدير الايه كل مسبح ومصلي قد علم صلاة الله التي كلفه اياها فهذا تاويل لفظ الايه والكلام
الذي لا بد من البحث عنه في هذا المقام انه هل يجوز ان يكون الطيور والبهايم عارفة بربها
اولى فاكثر ارباب اصحاب الاثار والاخبار جوزوا ذلك واحتجوا عليه بان كون هذه الطيور
عارفة بربها مشتغله بتسبيح ربها امر جايز في العقول والنصوص وردت بوقوعها
فوجب الاعتراف بذلك اما الجواز العقلي فيدل عليه وجهان احدهما الاجمال والثاني
التفصيل اما الاجمال فهو ان حصول الفهم والعلم في ذوات هذه الحيوانات من جملة
الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات فاذا لاحت المقدمات وجب القطع بهذا الجواز
اما التفصيل فهو انا نشاهد من هذه الحيوانات افعالا لا يصدر الا من افاضل العقلا وذلك
يدل على كونها عاقله ومتى كان الامر كذلك ثبت جواز كونها عارفة بربها ونحن نذكر ما
وجوه الاول ان الفارة تدخل ذنبها في قارورة الدهن ثم تلحسه وهذا الفعل لا يصدر
عنها الا بعلمها بقياس مركب من مقدمات وهي انها محتاجة الى الدهن ان كان راسها ضيقا لا
يدخل لها فيه وتحصل مقصوده بهذا الطريق وهذا يدل على عقله الثاني ان النحل تبني البيوت
المسدسه وهي لم تفعل الا لعلمها بانها محتاجة بان تبني بيوتها من اشكال موصوفه بصفتين

احدها ان لا تكون زواياها ضيقه حتى لا يبقي الموضع الضيق معطلا والثاني ان تكون
تلك البيوت متشاكله بشكل متى انضم بعضها الي بعض وامتلات العرصه منها ولا يبقى
شي منها ضايعا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط وذلك
لان المثلثات والمربعات وان كان يمكن ان تمتلي العرصه منها الا ان زواياها ضيقه واما
ساير الاشكال فان زواياها وان كانت واسعه الا انه لا تمتلي العرصه منها بل يبقى فيما بينها فرج
خاليه ضايعه واما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين وعلى علمها بان المسدس موصوف
بهاتين الصفتين فاقدام النحل على تسديس بيوتها مبني على علمها بانه لا بد ان تكون
موصوفه بهاتين الصفتين وعلى علمها بان المسدس موصوف بهاتين الصفتين فلا جرم علمت
ان البيت الموافق له هو المسدس ثم انه تعالى اعطاه من الذكا ما قدر به على بنا تلك البيوت
مسدسه من غير مسطر ولا الة ولا شك ان البشر لا يقدرون على بنا بيت المسدس
الا عند الاستعانه بالات كثيره فظهر ان علم النحل بهذه الحقايق وقدرته على بنا هذا البيت
ازيد من عقل البشر وعلى قدرته والثالث ان النحل في تحصيل الرزق وان ذباب
يعلمها بانها قد تحتاج في الازمنه المستقبله الي الغذا ولا يكون قادرا على تحصيله في تلك الاوقات
فوجب السعي في تحصيله في هذا الوقت الذي حصلت فيه القدره على الادخار والرابع
ان العنكبوت تبني صحو بيوتا على وجه عجيب وعلى ما نسجت الشبكه التي تصيد بها الا بعد ان
تفكرت كيف يمكنها اصطياد الذباب فهذه افعال فكريه ليست باقل من الافعال الفكريه
الانسانيه فوجب الاقرار بثبوت العقل لها والخامس ان الجمل والحمار اذا ذهبا طريقا
في ليله ظلما ففي المره الثانيه يقدر على سلوك ذلك الطريق حتى ان الناس اذا ضلوا في ذلك
الطريق المستقيم من غير ارشاد مرشد فتبعوا الحمار والجمل وتبعوه فوجدوا وادلك الطريق
المستقيم من غير ارشاد مرشد وايضا ان الانسان لا يمكنه المشي الا عند الاستدلال بعلامه
مخصوصه وهكذا القطا يطير في الهوي من بلد الي بلد سويا من غير غلط ولا خطا والكركي
ينتقل من طرف من اطراف العالم الي طرف اخر لطلب الهوى الموافق من غير ان يضل البته
فهذا فعل يعجز عنه العقل البشري وهي قادره عليه والسادس ان الدب اذا اراد ان
يفترس الثور لا يمكنه ان يقصده ظاهرا فيقال انه يستلقي في ممر ذلك الثور فاذا قرب الثور
منه واراد نطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتى يثخنه
وايضا انه ياخذ العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم انه مات ويتركه وربما عاد يشتمه ويحس
نفسه وايضا يصعد الشجر فيقطف الجوز من كفيه تعريضا بالمواضع ويضربها
بالاخرى ثم ينفخ فيه فيدمر قشره وياكل لبه والسابع يقال من خواص الفرس ان
كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذي قابله والكلاب تتعالج بالعشبه المعروفه لها
والفهد اذا سقي الدوا المعروف بخانق الفهد يطلب نادر الانسان والتماسيح تفتح افواهها
لطاير يقع عليها كالعقعق حتى ينظف ذلك الطاير ما بين اسنانها وعلى راس ذلك

الطين ما يشبه كالشوك فاذا ام التمساح بالتقام ذلك الطين ياذى من ذلك الشوك فيفتح
فاه فيخرج الطاير والسلحفاه تتناول بعد اكل الحيه سعترا جبليا ثم يعود وقد شوهد ذلك
وحكى بعض الثقات من المجربين للصيد انه شاهد الحبارى يقاتل الافعى وينهزم عنه
الى بقله ويتناول منها ثم يعود ولا يزال ذلك فعله وذلك الشيخ قاعدا في كن غاير كما يفعله الصيادون
وكانت البقله قريبه من ذلك الموضع فلما اشتغل الحبارى بالافعى قلع الرجل البقله فرسه
فعادت الحبارى الى منبتها واخذت تدور حول منبتها دورانا متتابعا حتى خرجت منه فعلم
الرجل انه كان يعالج باكلها من لسعه الافعى وتلك البقله هو الخس البري واما ابن عرس
فيستظهر في الحيه باكل السذاب فان النكهه السذابيه مما تنفر عنها الافعى والكلاب اذا دود
بطنها اكل من سنبل الحنطه واذا جرح اللقالق بعضها بعضا ذوات تلك الجراحات بالصعتر
الجبلي فانظر من اين حصل لهذه الحيوانات هذا الطب وهذا العلاج والثامن ان القنافذ
قد تحس بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها وروى انه كان
بالقسطنطينيه قد اثرى بسبب انه كان ينذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره
وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل ذلك الفعل والتاسع ان الخطاف صانع حسن في
اتخاذ العش لنفسه من الطين وقلع الخشب فان عوز الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه
قدرا من الطين فاذا فرخ بالغ في تعهد الفراخ ياخذ زرقها بمنقارها ويرميها عن العش ثم
يعلمها القا الزرق بالتولي نحو طرف العش والعاشر اذا دنا الصايد من مكان فراخ القبجه
ظهرت له القبجه وقربت منه مطمعه لاجل ان يتبعها ثم تذهب الي جانب اخر سوى جانب فراخها
والحادي عشر ناقر الخشب لا يجلس على الارض بل يجلس على الشجره وينقر الموضع الذي يعلم ان
فيه دودا والثاني عشر الغرانيق تصعد في الجو جدا عند الطيران فان حجب بعضها عن
بعض ضباب او سحاب احدثت عن اجنحتها صوتا خفيفا مسموعا يلزم بسبب ذلك الصوت
بعضها بعضا فاذا نامت على فرد رجل فقد اصطنعت الرؤوس الى القلاله فانه ينام مكشوف
الراس فيسرع الانتباه واذا سمع صوتا او احس بافه صاح والثالث عشر ان
النعامه اذا اجتمعت لها من بيضها عشرون او ثلاثون قسمتها اثلاثا ثلاثا ثلثا تدفنها في
التراب وثلثا تتركها في الشمس وثلثا تحتضنه فاذا خرج فراخها كسرت ما كان في الشمس
وسقت فراخها ما فيها من تلك الرطوبات التي رققتها في الشمس ورفعتها فاذا اشتدت
فراخها وقويت اخرجت المدفون منها ما في الارض وفتحت لها نقبا وقد اجتمعت فيها النمل
والذباب والديدان والحشرات ثم تطعم لفراخها فاذا تناولت ذلك قويت وقدرت
على الرعي واللعب فقل لي ايها العاقل اي امراه تهتدي في تربيه اولادها الى مثل هذه الحيله
واعلم ان الاستقصا في هذا الباب مذكور في كتاب طبايع الحيوانات وهذا القدر يدل
على ان الحيوانات قد تاتي بافعال يعجز عنها اكثر الاذكيا والعقلا ولولا كونها عاقله لما صح
منها شي من ذلك فاذا ثبت كونها مهتديه عارفه بهذه الدقايق واي بعد في كونها عارفه

مسبحة لمالكها فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الامكان حاصل واما النصوص الداله على حصول
هذه المعرفة فكثيرة **الحجة الاولى** قوله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلام علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين **الحجة الثانية**
قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمن **الحجة الثالثة** قوله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام
كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين وهذا
التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم العاقل **الحجة الرابعة** قوله تعالى
حكاية عن الهدهد قال احطت بما لم تحط به وجيتك من سبإ بنبإ يقين الى قوله فهم لا
يهتدون وهذا الترتيب في ايراد الكلام الذي لا امر العاقل الذي يكون في غاية الذكا
وذلك لان اشد الاشيا احدا لقلوب الرجال من النساء ولهذا السبب بدا تعالى بذكر
النساء في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء ولما لم يلتفت سليمان عليه السلام الى
ذكر المراة سمى الهدهد بذكر المال واوتيت من كل شي فلما لم يلتفت ايضا سليمن عليه السلام فثلث
بذكر الجاه والملك العظيم فقال ولها عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمن البته الى شي من
امور الدنيا ربع الهدهد بما يتعلق بالدين فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله ومعلوم ان مثل هذا الترتيب لا يتاتى الا مع الذكا العظيم **الحجة الخامسة**
ظاهر هذه الاية التي نحن في تفسيرها وهو قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه فانه يدل على ان
كل الطير التي هي صافات في السماء قد علم صلاته وتسبيحه **الحجة السادسة**
قوله تعالى في قصة داود يا جبال اوبي معه والطير والتكليف لا يتوجه الا على العاقل
الحجة السابعة قصة قابيل وهابيل وهي قوله فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه فثبت بما ذكرنا من التجارب مكان كونها عارفة بربها
وثبت بهذه النصوص كونها عارفة بربها عاقلة فوجب الاعتراف بذلك هذا تمام حجة
القايلين بانها عارفة بربها واحتج من انكر كونها عارفة عاقلة بانها لو كانت عاقلة لكان
اثار العقل ظاهرة في حقها لان ايجاد العقل لها مع انه لا يظهر اثره في حقها عبث وذلك
لا يليق بحكمة الحكيم ولكنا لا نرى اثار العقل حاصلة في حق شي منها وذلك لانها لا تحترز عن
الافعال القبيحة ولا تميز بين ما ينفعها وبين ما يضرها فوجب القطع بانها غير عاقلة اجاب
الاولون بان المتكلمين لما استدلوا بدليل الاحكام والاتقان نحن نرى في العالم افعالا خالية
عن احكام واتقان فوجب ان يدل ذلك على جهل الفاعل واجابوا بان الاحكام والاتقان
يدل على علم الفاعل اما عدم الاحكام والاتقان فلا يدل على الجهل لان الجاهل لا يمكنه الفعل المحكم
اما العالم يمكنه الفعل الخالي عن الاحكام فكذلك نشاهد صدور الافعال المحكمة عن هذه
الحيوانات وتشاهد ايضا صدور افعال غير محكمة عنها فتكون افعالها المحكمة دالة على عقلها
واما افعالها التي ليست بمحكمة لا تدل على عدم عقلها فهذا تمام الكلام في هذا الموضع

والايه

[illegible]

والاية الثالثة في هذا الباب قوله تعالى في سورة الملك اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي بصير وقوله صافات اي باسطات
اجنحتها في الجو عند طيرانها ويقبضن اي وتضمها اذا ضربن جنوبهن وهاهنا سؤالات
السؤال الاول لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات حتى يكون مطابقا لقوله صافات
الجواب لان الطيران في الهوى يشبه السباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف
وبسطها اما القبض فطاري على البسط بالاستظهار به على الحركة والاسم يدل على الثبات
والاستقرار والفعل يدل على التجدد فعبر عن البسط بقوله صافات ليدل لفظ الاسم على
ان هذا هو الاصل وعبر عن القبض بلفظ الفعل ليدل على ان هذا القبض تبع وعلى انه يصدر
القبض من الطير تارة بعد تارة كما يكون من السابح نظيره ما يقال فلان رجل مناظر وشعر
فهذا يدل على ان حرفته هي المناظرة ثم انه قد شعر في بعض الاوقات فكذا هاهنا ثم قال
ما يمسكهن الا الرحمن وذلك لانها مع ثقلها وضخامة اجسامها ومنعقد معتقها وقلة اهتدايها
الى الفرق بين المصلحة والمفسدة لا يمكنها البقا في جو الهوا الا بامساك الله تعالى **السؤال
الثاني** انه تعالى قال في سورة النحل الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا
الله وقال هاهنا ما يمسكهن الا الرحمن فما الفرق الجواب ذكر في النحل ان الطير
مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله فلاجرم كان امساكها هنا محض الالهية وذكرها هنا
انها صافات قابضات فكان لا يكون الهامها الاهتدا التضعيف والقبض على الوجه المطابق
للمصلحة والمنفعة من كمال رحمته ثم قال انه بكل شي بصير المراد بالبصير كونه تعالى
عالما بالاشيا الدقيقة وحاصل الامر ان امساكها في جو السماء فعل على خلاف الطبايع وهو
موافق للمصلحة فدل كونها على خلاف الطبيعة على وجود مدبر قادر قاهر قلب الطبايع
وابطل الخواص ودل كون هذا الفعل محكما متقنا مطابقا للمصلحة على كون ذلك المدبر القادر
عالما بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارضين والسموات فهذا ما يتعلق بهذا البحث
روي ان الشبلي راى طوطيا في القفص ويقول سبحان من هو يحي وفي الهوى طيرني
وفي القفص صيرني سيكون ما قضى بسخط العبد ام رضي فاشتراه الشبلي بثمن كثير واخرجه
من القفص وخلصه وقال استحي ان اترك من يسبح الله مسجونا لما ان الشبلي خلص تلك
الطير لانه سبح الله ونحن المساكين نسبحك من اول عمرنا من صميم فوادنا فخلصنا من اليم
عقابك انك ارحم الراحمين **الفصل الثالث في البعوض**
قال تعالى في اول سورة البقرة ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا وفي الاية ابحاث **البحث الاول** قال ابن عباس لما نزل
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له وطعن في الاصنام ثم شبه عبادتها ببيت العنكبوت
قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله المثل بهما ونزلت هذه الاية

[illegible]

والقول الثاني ان المنافقين طعنوا في ضرب المثل بالنار والظلمات والرعد
والبرق في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي **والقول الثالث** ان هذا الطعن كان
من المشركين قال القفال رحمه الله والاقوال الثلثة كلها محتملة ههنا اما اليهود فلانه
تعالى قال في اخر الاية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
وهذا صفة اليهود لانه تعالى قال بعد هذه الاية يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واما الكفار والمنافقون فقد ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء واما
الذين في قلوبهم مرض فهم المنافقون واما الذين كفروا فيحتمل ان يكون هم المشركون لان
السورة مكية فثبت ان الكل محتمل **البحث الثاني** الحيا تغير وانكسار يحصل في مزاج
الانسان من خوف ما يعاتب به ويذم الا ترى انه يقال اهلك فلان حيا ومات حيا وذاب
حيا ومات اهلا في وجهه من شدة الحيا اذا ثبت هذا كان الحيا من صفات الاجسام والله
تعالى ليس بجسم ولكن الحيا محال في حقه الا انه ورد في الاخبار والقران اما في القران فهذه
الاية وذلك لان ما لا يجوز ثبوته في حق الله لا يجوز اطلاقه في حق الله تعالى على طريقة النفي
وانما الواجب ان يقال انه تعالى لا يوصف به فاما ان يقال لا يستحيي فغير جائز لانه يوهم نفي
ما يجوز عليه وما ذكره الله تعالى في كتابه من قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولم يلد ولم يولد
فهذا وان كان في صورة النفي الا انه ليس بنفي في الحقيقة وكذا قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد
وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم وليس كل ما ورد في القران اطلاقه جاز ان يطلقه الواحد منا ولا
يجوز اطلاق هذه الالفاظ الا مع بيان ان ذلك محال ● ولقائل ان يقول هذه الصفات
لما كانت منتفية عن الله تعالى مع وجوب كونها منتفية كان الاخبار عن انتفائها صدقا فوجب
ان يجوز اطلاقه بقي ان يقال الاخبار بخصيص هذا النفي بالذكر يوهم صحتها فنقول هذه
الدلالة موضوعة لفظا لان تخصيص هذا النفي بالذكر لا يدل على ثبوت صحته بل لو قرن باللفظ ما يدل
على انتفاء الصحة كان ذلك احسن من حيث انه يكون مبالغة في البيان وليس اذا كان غيره احسن
لزم ان يكون تركه قبيحا **واما الخبر** فما روى سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا وقال
ابن عباس في تفسير قوله تعالى او لامستم النساء ان الله تعالى حيي كريم يكني عن القبيح بالحسن
وان ما كني ان يقال او لامستم فاعلم انه لما ثبت بالدليل انه لا يمكن اجراء لفظ الحيا في حق الله تعالى
على ظاهره وجب تاويله وفيه وجهان الاول وهو القانون في امثال هذه الالفاظ
ان كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالاجسام فاذا وصف الله تعالى به فذلك محمول
على نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض مثاله ان الحيا يحصل للانسان بسبب انكسار
وتغير في المزاج فهذه الحالة مبدأ ولها غاية اما المبدأ فهو ذلك التغير المزاجي واما الغاية
فهو ان يترك الانسان ذلك الفعل فاذا ورد الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه ذلك الانكسار

الذي هو المبدأ بل المراد منه ترك الفعل الذي هو الغاية وكذلك الغضب له مقدمة
وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية وهو انزال العقاب بالمغضوب عليه فاذا وصفنا
الله تعالى بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ الذي هو غليان دم القلب بل المراد تلك
النهاية وهو انزال العقاب فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب **والوجه الثاني**
ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فيقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت فجاء الكلام هذا على سبيل انطباق الجواب على لفظ السؤال وهذا فن مشهور
من الكلام **البحث الثالث** هو ان شبهة هؤلاء الكفار اما ان يقال انها وقعت
من حيث انهم استبعدوا من الله ضرب المثل بالذباب والعنكبوت والبعوض واما انها
اما الاول فباطل لان ضرب الامثال لتعريف المعاني امر مستحسن في العرف ولان
امثال العرب كثيرة مشهورة بالاشيا الحقيرة وايضا قال نسبة ملكوت السماء برجل اخذ حبة
الخردل فهي اصغر الحبوب فزرعها في قرية فلما نبتت عظمت وصارت كاعظم شجرة من
البقول وجا طير السما فعششت في فروعها فكذلك الهدى من دعى اليه ضاعف الله اجره
وعظمه ورفع من اهتدى وقال ايضا لا تكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق والطيب ويمسك
النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم فتبقون الغل في صدوركم وقال ايضا قلوبكم كالحصاة
التي لا تنضجها النار ولا يبلها الماء وقال لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة تفسدها
ولا في البرية حيث السموم واللص فتحرقها السموم وتسرقها اللصوص ولكن ادخروا ذخائركم
عند الله وقال ايضا الارض فتجد ودات عليها لباسها وهناك رزقها وهذا لا تعلمون ولا تحصيه
ومنه ما هو في جوف الحجر الاصم او في جوف العود مما سهل قليا سهل رزقهن الا الله افلا تعقلون
وقال لا تدخروا الدنانير فتلذعكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فتشتمون فثبت ان الله تعالى ضرب
الامثال بهذه الاشيا الحقيرة واما ان ضرب الامثال مستحسن في العقول فلان من طبع الخيال
حب المحاكاة والتشبيه فاذا ذكروا المعنى وحده ادركه العقل ولكن معه منازعة الخيال واذا
ذكر معه التشبيه ادركه العقل وليس معه منازعة الخيال ولا شك ان الثاني يكون اكمل
وايضا فنحن نرى ان الانسان يذكر معنى ولا يلوح كما يجب فاذا ذكر المثال الانضح صار مكشوفا
واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح كان ذكره مفيدا نافعا واما ان قيل ان موضع
الشبهة للقوم هو انهم استبعدوا ان يضرب الله الامثال بهذه الاشيا الحقيرة فاعلم ان هذا
جهل لانه تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما برا وخلق لانه قد احكم جميعه
وليس الصغير اسهل عليه من العظيم ولا العظيم اصعب عليه من الصغير واذا كان الكل بمنزلة
واحدة كان ضرب المثل بالكل جائزا حسنا للمعتبر ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها ضرب
المثل بالبعوض والذباب كان ضرب المثل فيها بالفيل والجمل غير جائز فههنا المقصود تقبيح عبادة
الاصنام فكان ضرب المثل فيه بالذباب والعنكبوت اولى ويدل عليه وجوه الاول
انه تعالى خلق عباده ضعفا فقال وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف

فلا جرم ضرب المثل لهم بالاشيا الضعيفة لان الجنس اقرب الى الجنس وقد قال عليه السلام امرت
ان اكلم الناس على قدر عقولهم والثاني ان الله لا يستحيي من خلقها ورفعها فالاولى
ان لا يستحيي من ذكرها وضرب المثل بها وكيف يستحيي من ذكر شي لو اجتمع الخلايق على ان يخلقوا
مثله لم يقدروا عليه قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له والثالث ان البعوضة تحيى اذا جاعت واذا مصت الدم كثيرا انشقت وماتت فهذا
ينبه الانسان على انه اذا تواتر نعمه تتوقع زوالها اذا قيل تم واعلم ان المفسرين اختلفوا
في لفظ ما في قوله مثلا ما قال بعضهم انها صلة زايدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
وقال ابو مسلم معاذ الله ان يكون في القران زيادة ولغو ان الله وصف القران بكونه هدى
وبيانا وكونه لغوا ينافي ذلك وفي بعوضة قراتان احديهما النصب وعلى هذه القراءة
فلفظ ما ابهامية والمعنى مثلا اي مثل كان واما القراءة بالرفع ففيه وجهان الاول
انها نكرة موصوفة صلتها الجملة والتقدير الذي هو بعوضة الا انه حذف المبتدا كما حذف في قوله
تماما على الذي احسن الثاني ان يكون استفهامية فانه لما قال ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا كانه قال ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له تعالى ان يتمثل بما هو اقل من
البعوضة وهو كما يقال ان فلان لا يبالي بما وهب دينارا او دينارين اي يهب ما هو اكثر
منه واما لفظ البعوض ففي اشتقاقه قولان الاول ان البعوض من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشي لانه قطع منه والبعوض في اصله
صفة على فعول كالقطوع فعليه والقول الثاني ان اشتقاقه من بعض الشي سمي به
لقلة جرمه وصغره لان بعض الشي قليل بالقياس الى كله اما قوله تعالى فما فوقها ففيه قولان
الاول فما هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والكلب والحمار وذلك لان القوم
استبعدوا تمثيل الله تعالى بها القول الثاني وهو اختيار المحققين ان المراد فما
فوقها في الصغر اي بما هو اصغر منه واحتجوا على هذا القول بوجوه **الحجة الاولى**
ان المقصود من هذا التمثيل تحقير الاوثان وكلما كان المشبه به اشد حقارة كان المقصود
في هذا الباب اكمل **الحجة الثانية** ان المقصود من هذا الكلام بيان ان
الله تعالى لا يترك التمثيل بالشي الحقير واذا كان الامر كذلك كان المذكور ثانيا يجب ان
يكون اشد حقارة من الاول ويقال ان فلانا يتحمل الذل في اكتساب الدينار في اكتساب
ما فوقه من القلة **الحجة الثالثة** ان الشي كلما كان اصغر كان الاطلاع
على اسراره اصعب فاذا كان في غاية الصغر لم يحط به الا علم الله تعالى وكان التمثيل اقوى
واكمل في الدلالة على العلم والحكمة من التمثيل بالشي الكبير **البحث الرابع**
في شرح عجايب حكمة الله تعالى في خلقة البعوض وبيانه من وجوه الاول
ان اكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل ثم الفيل مع كبر جثته ليس له الا اربعة ارجل وخرطوم
وذنب والبعوضة لها هذه الاعضا مع زيادة يدين زايدتين واربعة اجنحة ثم لها مثل الفيل

الانسان فقد مر
احلم لما قيل
اذا تم امر

منابر

في الفم والحلقوم والجوف واعضاء اخرى لا تدركها ابصار الخلق ولا يحيط بها الا علم الخالق
الثاني ان هذه البعوضة مع صغرها يتسلط على الفيل والاسد بالايذا ولا يتسلط على
البعوض وهذا يدل على ان الاستيلا على الغير ليس بالبطش وكثرة العدد والعدد بل بنصر الله
وغلبته كما قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال ان ينصركم الله فلا غالب
لكم اليس ان نمرود اكبر كان ملوك بني ادم واعظمهم سلطانا وله عظيم صولة ثم
ان بعوضة طارت الى دماغه وكانت تؤذيه وتوقع الدغدغة في دماغه وكان اكثر الناس محبة
لهم واقوى شفقة عليه من يضرب على دماغه ما به صفعة بالشدة وبالقوة او اكثر حتى تسكن
تلك الدغدغة بل ان كنت ما شاهدت نمرود ولا احواله فاعتبر في نفسك فانه اذا وقفت
بعوضة على راسك او وجهك فربما صفعت راسك ولطمت خدك مرات وكان غرضك
ان تصيبها ثم انها تطير ولا تصيبها فذا ليته وبقا ضرر اللطم والصفع على راسك وخدك
الثالث ان الصانع البشري يقدر ان يصور فيلا من الخشب او من الحديد فعلى هذا
تكون البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه وذلك لان الفيل والبعوضة يشتركان في دلالة
اجزا كل واحد منهما على قدرة الصانع وحكمته ثم ان كل ما حصل في الفيل من وجوه الدلايل
حاصل في البعوض وقد حصلت وجوه من الدلايل في البعوض لم يكن حاصلا في الفيل فانا
بينا ان الصانع البشري يمكنه تصوير الفيل ولا يمكنه تصوير البعوض فكانت البعوضة
اشرف من الفيل من هذا الوجه ٥ وتامل انك اذا اعتبرت الاعضا الظاهرة فالبعوضة
ازيد فيها من الفيل وان اعتبرت الاستيلا والقدرة فالبعوض مستول على الفيل والفيل لا قدرة
له على البعوض وان اعتبرت الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته فالبعوض ازيد فيها من الفيل
بالوجه الذي ذكرناه ليعلم انه لا عبرة بالصور والظواهر انما العبرة باعانة الله وتاييده
الرابع اعتبر قوة حواس البعوضة وكمال معرفتها بمصالحها اما حس البصر فلان البعوض
اذا جلس على عضو من اعضا الانسان فانه لا يزال يدير خرطومه من جانب الى جانب حتى
يجد الموضع المثقب من جلد الانسان وذلك لان جلد الانسان فيه مسام كثيرة يخرج منها النفس
والعرق فهو يدس خرطومه ويطلب تلك الثقبة فاذا وجدها غوص خرطومه فيها فمن الذي هداه
الى مقصوده من جذب الدم ومن الذي عرفه ان بدن الانسان فيه منافذ ومسام وان ادخال
الخرطوم في تلك المنافذ الموجودة اسهل من احداث منفذ في الجلد واما حس السمع فلان البعوضة
في الليلة الظلما اذا وقفت على عضو من اعضا الانسان واذا حاول الانسان تقريب اليد ليضربها
احست بحركة اليد وطارت ولو بالغ في اخفاء حركة اليد فانها لا بد وان تحس بتلك الحركة فمن
الذي اعطاه هذه القوة السامعة بهذا الكمال ثم ههنا سر اخر وهو انها علمت ان مص الدم من جلد الانسان
جناية عليه والجاني لا بد وان يقابل تلك الجناية بان يقصد قتلها وايذاها فالبعوضة
لعلمها بهذا المعنى بقيت مستعدة للفرار والحذر فانظر انه سبحانه كيف هداه الى تحصيل الموافق
له ثم اودع في خياله انه لا بد من الحذر فكلما فكر العاقل اللبيب علم ان مثل هذا التدبير لا يتاتى الا

فيها

[illegible] طارت ويخلص ولا اشتباه

من الاله الذي خلق فسوى والحكيم الذي خلق فهدى **الخامس** تامل في صغر جثة
البعوض ولا شك ان خرطومه اصغر من خرطوم الفيل بكثير ثم ان ذلك الخرطوم مع غاية
صغره مجوف ولولا ذلك التجويف لما قدر على امتصاص الدم منه فانظر الى ذلك الخرطوم
مع كونه مجوفا كيف تكون غاية دقته ثم انها تامل مع غاية دقتها كيف قوتها وشدتها فانها
بغوص ذلك الخرطوم في جلد الجاموس والفيل على شدته وثخانته وتستخرج الدم منه كما نص
النحل سبعه في الجبيص **السادس** انه سبحانه خلق في خرطوم البعوضه عضوا كثيرا
كما في خرطوم الفيل فتارة تمدها ويطولها وذلك عندما تغوص الخرطوم في الجلد وتارة تقبضه
الى نفسها وذلك عند الاخراج فتامل في كل واحد من اجزاء ذلك العضو وذلك لانه
على قياس خرطوم الفيل لا بد وان يكون اصله غليظا ويكون راسه مستدقا ولا بد وان
يندرج من الغلظ الى الدقة على تناسب مخصوص ولا بد وان يكون قد اختص كل واحد
من تلك الاجزاء بشكل وصفه مخصوصه لا يقدر على ذلك التشكيل والتصوير الا القادر
على جميع الممكنات العالم بجميع المعلومات **السابع** تامل في جسد البعوض فانه في غاية الصغر
وخرطومها اصغر منه بكثير وراس خرطومها اصغر من ذلك الخرطوم بكثير ثم انه تعالى اودع في
راس خرطومها سما وفيه فائدتان **الاولى** ان ذلك السم اذا انصب على ذلك الموضع
ومن الجلد انسد مزاج ذلك الموضع وبسبب فساد مزاجه يحدث فيه نوع من اللين والرخاوة
فحينئذ يسهل على البعوضه تغويص خرطومها في ذلك الموضع **الفائدة الثانية**
ان تلك الحرارة السميه تعين البعوضه على هضم ذلك الدم المخصوص وقال اهل العلم ان
الحكمه في خلق السم فيما بين فكي الحيه انه ليس لها اضراس تقوى بها على مضغ الاغذية فخلق الله
فيما بين فكيها سما قويا حادا اسمحا فالحية اذا اقتضت على جثة الحيوانات وجعلها بين فكيها
اقبل ذلك السم على ذلك الجسم وبهرها من ساعتها فحينئذ يبلعها وتستمرئها ولو لم يخلق بين فكيها
ذلك السم لما تمكنت من الاكل لانه ليس لها اسنان ماضغه طاحنه فكانت تموت من الجوع اذا عرفت
هذا فنقول بنية البعوضه ضعيفه وحرارة بدنها قليله وليس لها شيء من الاسنان فخلق الله تعالى
في راس خرطومها ذلك السم ليعينها ذلك السم على هضم الغذاء واعلم ان سم البعوضه قوي شديد
في الكيفيه ولذلك فانه اذا كثر اجتماع البعوض على بدن الانسان اسود لون البدن وربما
ادى الى الموت ثم ههنا حالة اخرى اعجب من كل ما تقدم وهي ان جثة البعوضه في غاية الصغر
وخرطومها اصغر منها وراس الخرطوم اصغر من ذلك الخرطوم والسم الذي في راس ذلك
الخرطوم اصغر لا محاله من راس ذلك الخرطوم ثم ان البعوضه اذا وضعت راس خرطومها على موضع
من بدن الانسان فانه لا ينصب جميع ما معها من السم فاذا عضت موضعا اخر حصلت فيه مثل ذلك
الالم فعلمنا انه لا ينصب من السم الذي في راس خرطوم البعوضه الا القليل واما الاكثر فيبقى فتامل
ان ذلك الذي ينصب منه على بدن الانسان كم يكون في القلة والصغر فلعله يكون جوهرا
فردا وجزءا لا يتجزى في علم الله ثم انه سبحانه قد اودع في ذلك الجزء القليل من الخاصية والقوة ما يزعج

الفيل

الفيل ويقلقله ويجعله مضطربا متحيرا ثم انه سبحانه ما اودع تلك القوة الشديدة في سم
البعوضة الا لتعينها على اصلاح غذائها وتنظيم معيشتها وكل من له عقل سليم وطبع مستقيم
يشهد بان هذا لا يكون الا من تدبير مدبر عالم بجميع الكليات والجزئيات قادر على جميع الكائنات
والممكنات **الثامن** تامل في حال البعوضه فاذا وقعت على عضو الانسان عمدت على مالها
من الايدي والارجل وغوصت خرطومها في الجلد فاذا احست بمجي اليد اخرجت ذلك الخرطوم في الحال على
اسهل الوجوه وطارت قبل وصول اليد اليها ولو ان الانسان جعل ابرة او مسلة في جرم غليظ لا يمكنه
ان يخرجها منه الا بعد تعب شديد **التاسع** تامل ايضا في حالها فانها اذا وجدت الفرصه
والمهله مصت دما كثيرا الى ان تنشق وتموت وربما مصت الى حيث تعجز عن الطيران فاذا
حاول الانسان ضرب يده عليها وعجزت عن الطيران بسبب ثقلها فبقيت هناك وتصل
اليد اليها وتموت وهذا فيه تنبيه عظيم للانسان على احوال دنياه واخراه اما الدنيا فلان
الاستكثار من اللذات والشهوات سبب للوقوع في المحن والافات واما الاخرى فلان الانسان
اذا كان خفيفا قليل العلائق لها فاذا وصل اليه يد قوله ارجعي الى ربك طار من وكر
الدنيا الى عش الاخرة واما اذا كان ثقيلا من حب الدنيا عجز عن الطيران
فبقي في هاوية الجسمانيات وظلمات الخيالات كما قال في صفتهم ناكسوا رؤسهم
العاشر تامل في راس البعوضه ودوحها فانها مع غاية صغرها فجعلها الله تعالى
منقسما الى اقسام كثيرة واودع في كل قسم من تلك الاقسام خاصيه معينه وقوة معينه
وذلك لان الله تعالى خلق في راس البعوضه عينين واودع فيهما قوة باصرة اكمل
مما للانسان ويدل عليه وجوه الاول انها تبصر في الظلمه الشديدة الموضع الذي
يمكنها منه مص الدم **الثاني** انها تبصر مسام الانسان ولذلك فانها اذا وجدتها
غوصت خرطومها فيها والانسان لا يرى ذلك البته وايضا انه تعالى خلق في راسها
اذنين واودع فيها قوة سامعه اقوى مما للانسان ولذلك فانها تسمع في الظلمه حفيف
اليد مع ان الانسان البته لا يسمعها **الثالث** انه خلق في راسها قوة الشم وكذلك
فانها تحس بوقوع الجيفه من المكان البعيد ولولا الشم لما عرفت ذلك **الرابع**
خلق في راسها الفم واودع فيها القوة الذائقه ولذلك فان البعوض يرغب في بعض
الطعوم دون البعض ولولا القوة الذائقه والا لما كان الامر كذلك **الخامس**
انه تعالى اودع في بدنها القوة اللامسه ولذلك فانها تهرب من الحر الشديد والبرد الشديد
السادس انه تعالى خلق في راسها قوة الحفظ ولولاها لما ميزت بين ما ينفعها وبين ما
يضرها وخلق فيها ايضا قوة الفكر ولولاها لما عرفت وجوب الفرار عند مجي اليد وخلق فيها
قوة الذكر ولولاها لما ميزت بين المعاني النافعه والضاره وانظر الى راس البعوضه كم يكون
مقدار ذلك الجوهر ثم انه تعالى قسم ذلك الجرم الصغير الى اجزاء كثيرة واودع في كل واحد من تلك
الاقسام خاصية معينه فهذا عيناه وهذا اذناه وهذا انفه وهذا مقام دماغه الذي فيه قوة الحفظ

وهذا وسط دماغه الذي فيه قوة الفكر وهذا مؤخر دماغه الذي فيه قوة الذكر ثم لا شك
انه تعالى خلق له منفذ الغذاء ومخرج الفضلة ومتى كان الامر كذلك فقد خلق له جوفا
وامعاء وعروقا واوعية مما فيخطر ببال العاقل السليم العقل ان يسلط هذه التاثيرات العجيبة
والتصريفات البديعة الى الطبيعة مع انها قوة لا شعور لها بشي من الاشيا فلا تميز لها
في كل من الاحوال هذا مما لا يقوله عاقل بل شواهد الفطر وصرائح الافكار تنادي
باعلى صوتها على انها انما حدثت بتدبير من لا يعزب عن علمه وقدرته وحكمته ذرة من
الارضين والسموات الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين رحم الله من قال

يا من يري مد البعوض جناحه • في ظلمة الليل البهيم الاليل •
ويري عروق نياطه في نحره • والمخ في تلك العظام النحل •
اغفر لعبد تاب من فرطاته • ما كان منه في الزمان الاول •

الفصل الرابع في الذباب

قال الله تعالى في سورة الحج يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله
حق قدره ان الله لقوي عزيز • **البحث الاول** اعلم ان هذه الاية من جملة الايات
الذي اقر بفصاحتها الصديق والزنديق والمخالف يحكى عنه انه اجتمع اربعة من الزنادقة
بمكة ابن المقفع وابن ابي العوجا وابو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري قالوا تعالوا ننقض
القران كل واحد منا ربع وتواعدوا وتفرقوا على ان يجتمعوا في السنة المستقبلة فلما رجعوا قال
ابن المقفع اني عجزت عن معارضة قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقال ابن ابي العوجا اني عجزت
عن معارضة قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال عبد الملك البصري اني عجزت
عن معارضة قوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فهولاء الزنادقة قد كانوا فصحاء العالم
وقد عجزوا عن معارضة هذه الايات وذلك لجزالة الفاظها وقوة معانيها وعذوبة
سياقتها **وفي هذه القصة نكتة اخرى** عجيبة وذلك لان الاعداء لما طعنوا في
فصاحة القران وقالوا كيف يليق بالله ذكر الذباب والعنكبوت فاجاب الله تعالى عنه
بان حقارة هذه الحيوانات لا تقدح في فصاحة القران اذا كان ذكرها للتنبيه على الحكم
البالغة والمعاني الدقيقة الشريفة ثم اشد الزنادقة عداوة واكثرهم علما بوجوه الفصاحة
والبلاغة اعترفوا بالعجز عن معارضة هذه الاية المشتملة على ذكر الذباب وكان ذلك
جاريا مجرى معجز اخرى لمحمد عليه السلام وفي الاية سؤالات • **السؤال الاول**
الذكر الذي ذكره الله تعالى في هذه الاية ليس بمثل فكيف سماه مثلا الجواب لما كان
المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمي كلما كان كذلك مثلا **السؤال
الثاني** قوله ضرب مثل يفيد ان هذا الكلام المذكور ليس كلام الله تعالى بل هو كلام
بعض المتقدمين وذلك يجر القران الى العظيم اعظم وجوه الطعن الجواب لما كان

وفي الاية ابحاث م
والموافق م

الكلام

الكلام المذكور في هذه الاية في غاية القوة والبعد من الشبهة كان ذلك كالامر المعلوم
من قبل لاجرم كان ذكره مثلا عادة امس قد تقدم اما قوله تعالى فاستمعوا له اي
تدبروا وحق التدبير لان نفس السماع لا ينفع انما النافع هو التدبير والتامل ثم انه تعالى
احتج باسم الذباب على ابطال مذهب عبدة الاوثان فقال ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت باسرها واجمعها لما قدرت
على خلق الذبابة مع ضعفها فكيف يليق بالعاقل الاشتغال بالعبادة لمثل هذا الشي وقوله
تعالى ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال تعالى يستحيل ان يخلقوا ذبابا حال اجتماعهم
فكيف حال انفرادهم ثم قال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب والمعنى سبحانه انه قال اترك حديث الخلق والايجاد واذكر ما هو اسهل منه فان
الذباب اذا سلب منها شيئا لا تقدر على استنقاذ ذلك الشي من الذباب واعلم ان المقصود
من هذا الاستدلال يظهر من وجوه **الحجة الاولى** ان فعل العاقل لا بد وان
يشتمل على فوائد وتعظيم هذه الاصنام لا فائدة فيه لانها جمادات لا تضر ولا تنفع والاشتغال
بالعبث محظور عند العقول • **الحجة الثانية** ان العبادة غاية التعظيم
والانسان اشرف من الجمادات قدام الاشرف على عادة الاشرف التواضع للاخس خلاف العقل
الحجة الثالثة انهم لما عظموا الاوثان غاية التعظيم لم يقدروا على ان يعظموا
الخالق تعظيما ازيد من ذلك فحينئذ يلزم حصول التسوية في التعظيم بين مدبر السموات
والارض وبين مدبر تلك الاحجار والجمادات وذلك غاية السفاهة واما قوله تعالى
ضعف الطالب والمطلوب ففيه اقوال • **الاول** المراد منه الصنم والذباب فالصنم
كالطالب من حيث طلب ان يخلقه او يستنقذ منه ما استلب منه لعجزه عنه والذباب بمنزلة
المطلوب **الثاني** ان الطالب عابد الوثن والمطلوب نفس الصنم وهذا اقرب لان كون
الصنم طالبا ليس على سبيل الحقيقة بل على سبيل التقدير اما هاهنا ففعلى سبيل التحقيق •
الثالث ان يكون معنى قوله ضعف لا من حيث القوة لكن لظهور قبح هذا المذهب
وما اضعف هذا الوجه اما قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره فالمعنى ما عظموا الله حق
تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام على نهاية خساستها شركة لخالق السموات والارض في
العبودية واعلم ان منشا جميع الشبهات هو القول بالتشبيه والتشبيه بالذات باطل كما
يقول المجسمة والتشبيه بالصفات باطل كما يقوله الكرامية والتشبيه في الافعال باطل
كما يقوله المعتزلة وقال الامام ابو القسم الانصاري رحمة الله عليه انه سبحانه جبار النعت
عن الوصف والاوهام لا يتصوره والاحكام لا تقدره والعقول لا تمثله والازمنة لا تدركه
والجهات لا تحويه ولا تحده صمدي الذات سرمدي الصفات اما قوله تعالى انه لقوي عزيز
واعلم انه تعالى ذم الاصنام باشيا ثم اتي على نفسه باضدادها قال الاول انه تعالى
لما قال في هذه الاية في حق الاصنام ضعف الطالب والمطلوب ووصفها بالضعف ووصف نفسه

بالسوء فقال وكان الله قويا عزيزا والثاني قال في حقها وتعبدون من دون الله ما لا
يسمعهم ولا يبصرهم فقال لنفسه وان الله سميع بصير فلا كاشف له الا هو والثالث
انه تعالى قال لها فادعوهم فليستجيبوا لكم وقال لنفسه ادعوني استجب لكم والرابع
قال في حقها لبئس المولى ولبئس العشير وقال لنفسه نعم المولى ونعم النصير والخامس
قال في حقها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال في نفسه لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير والسادس قال في حقها ان الذين تدعون من دون الله
عبادا امثالكم وقال لنفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير **البحث الثاني** في اثار
حكمة الله تعالى في خلق الذباب اعلم ان اكثر الاحوال المذكورة في البعوض عائد في الذباب
لكن لعظمه لمراتب وجوه الاول ان في الذباب ثلاثة انواع من المنافع الدينية احدها
انه يدل على التوحيد من وجهين الاول من جملة من يسبح الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
فهو يسبح الله تعالى بالله ولا يعصيه بعمله البتة واما الكافر فهو ان كان يسبح الله تعالى بدلائل
خلقته ولكنه يكفر بلسانه ويعصيه باعماله فكان الذباب مع غاية حقارته خيرا من الكافر
الثاني انه تعالى جعل الذباب حجة على بطلان مذهب عبدة الاوثان فقال وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه فمعبوداتكم لا يقدرون على خلق الذباب ولا دفعها عن انفسهم علي ص
ولا على استرجاع ما يسلبها الذباب عنه ومن كان في الضعف والعجز هكذا كيف يستحق ان يعبد
وثانيها فهو ان الذباب يدل على النبوة فلانه صح في الاخبار انه ما كان يقع البعوض ولا الذباب
على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان اعز على الله من ان يكون جسده مركبا
للبعوض والذباب او لانه سر الهما فيكون هذين الحيوانين مسلطين على كل الخلق مع كونهما
ممنوعين عنه على التعيين من اقوى البينات واظهر المعجزات وثالثها فهو ان الذباب
يدل على طهارة الصحابة روي ان المنافقين لما طعنوا في عائشة ونسبوها الى الفاحشة حصل
الغم العظيم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر بن الخطاب فقال الرسول عليه
السلام يا عمر ما قولك في هذه الواقعة قال يا رسول الله انا قاطع بكذب المنافقين فقال عليه
السلام وما الدليل عليه فقال عمر الدليل عليه ان الله تعالى عصمك عن وقوع الذباب على
جلدك فلما تفكرت فيه علمت ان السبب انها تجلس على النجاسات فتلطخ ارجلها والله سبحانه
عصم جلدك عن ذلك القدر من القاذورات فكيف لا يعصمك عن كل ما يكون متلطخا بالفواحش
والسيئات فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم دخل عليه عثمان فسأله عن
هذه الواقعة فقطع بكذب المنافقين فطلبه بالدليل عليه فقال عثمان الدليل عليه ان الله تعالى ما
اوقع ظلك على الارض ثم تفكرت فيه فعلمت ان السبب فيه انه لو وقع ظلك على الارض فربما
وضع انسان قدمه على ذلك الظل والله سبحانه لم يمكن احدا من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن
الاجنبي من تلويث عرض زوجتك ثم دخل علي فسأله عن الواقعة فقطع بكذب المنافقين عليه ص
فطالبه بالدليل فقال الدليل عليه انا كنا نصلي خلفك فنزعت في اثناء الصلوة رجلك عن نعلك

فنزعنا ايضا ارجلنا عن نعالنا فلما تمت الصلوة قلت لنا لم نزعتم ارجلكم عن نعالكم قلنا
فعلت ذلك فوافقناك فقلت انما فعلت ذلك لان جبريل عليه السلام اخبرني ان عليها قذرا
فلما امرك الله باخراج ذلك النعل من رجلك بسبب ما التصق به من القذارة فكيف يليق بهذه
العفافة ان لا يامرك باخراجها بتقدير ان تكون ملطخة بشيء من الفواحش فطاب قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند سماع هذه الدلائل ثم انزل الله تعالى الآيات الدالة على طهارتها
وبراءتها عن الفواحش والمقصود من رواية هذا الخبر ان الذبابة وان كانت ملطخة ملوثة الا انها
دلت على براءة عائشة عن كل لوث وهذا يقتضي كون الذبابة اشرف واعلى وارفع درجة من
هؤلاء المنافقين فصارت الذبابة دالة على قدرة الله تعالى وحكمته ووحدانيته ودالة على طهارة
عائشة فصارت على حقارتها مستجمعة للدلالة على صحة اصول الاسلام **الوجه الثاني**
انه تعالى اظهر بخلق الذبابة قبائح الكفار وذلك انه اذا وضعت قصعة من المرقة الحارة تبادرت
الذبابة اليها والانسان يذبها عن تلك المرقة وتموت فيها وهذا تشبيه طريقة الكفار فان الانبياء عليهم
السلام يذبونهم عن نار جهنم باقصى ما يقدرون ثم انهم يلقون انفسهم في نار جهنم الا ان
عاقبة الذباب احسن من عاقبة الكفار لان الذباب كما ماتت تخلصت من الالم والكافر كما مات
بقي في العذاب ابد الاباد وقال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا واما فضائح الفساق فلان في الذبابة
خساسة عظيمة ولا يميز بين الطيب والخبيث فتارة يقع على السكر واخرى على القاذورات
فكذا الفاسق قد وضعت له مائدة الجنة واعدت له جميع النعم الطيبة فهو تارة تقدم على تلك المائدة
الطيبة وهي الطاعات والعبادات واخرى على مائدة المعاصي والمنكرات وهي من جنس القاذورات
والنجاسات فمن اراد ان يصون نفسه عن خساسة الذباب وجب ان لا يدور حول الخبائث
والمنكرات **الوجه الثالث** انه تعالى اظهر بخلق الذباب تجبر الجبابرة حكي
عن سعيد بن جبير انه توارى عن الحجاج وكان مع ذلك لا يترك الجماعة فقيل له اياك والخروج من
الدار فان عليك من الحجاج عيونا قال فكيف اتخلف من الجماعة والمؤذن ينادي حي على الفلاح
ثم اخذه اعوان الحجاج في طريق المسجد واتوا به الى الحجاج فقال يا ابن جبير ما الحكمة في خلق الذباب
وكان يتأذى لكثرة ما كان يذب عنه وهو يعاوده فقال انما خلق الله الذباب ليذل به
الجبابرة وذلك لانه يقع على النجاسات ثم يقع على وجوه الجبابرة فيظهر بذلك ذلهم حيث عجزوا
عن دفع اضعف المخلوقات واحقرها عن انفسهم **الوجه الرابع** قال اهل الحكمة ان في
الذباب منفعة عظيمة من ثلثة اوجه وذلك لان الذباب لا يظهر الا في مواضع العفونة والاماكن
المستقذرة ثم انه تعالى خلق من بعض اجزاء تلك العفونات ذات الذباب وجعل بقية تلك العفونات
غذاها ثم انها لكثرة طيرانها تحرك الهوى وتحريك الهوى سبب لازالة بقية العفونات عن الهوى من
هذه الاوجه الثلثة والذباب اذا طارت وجلست على وجه الانسان واذته فذلك في الحقيقة
انعام عظيم في حق الانسان ولولا وجوده وطيرانه لاستولت العفونات على الهوى وادى ذلك الى
حصول المضار العظيمة فكما ان الصبي يتأذى من الفصد والحجامة والعاقل يعلم انه من وجوه الانعام

لعل الصواب محض
على ابطال العوائد العبادة الاوثان ودالة
على نبوة سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم ودالة

وفضائح الفساق والفجار واما
قبائح الكفار

ح
ذل المتكبرين

في حق ذلك الصبي فكذا وقوع الذبابة على وجه الانسان وان تاذى منه الجاهل الا ان العاقل يعلم انه من النعم العظيمة في حقه من حيث انه سبب لازالة العفونات عن الهوى الذي هو مادة الحيوة **فان قيل** خالق العفونات هو الله سبحانه فكان ينبغي ان لا يخلقه حتى لا يحتاج في دفعها الى خلق الذباب **قلنا** هذا السوال هذا السوال غير مختص بالذباب فاذا قلنا انه سبحانه خلق الحس والمأكل واصناف الفواكه ليتلذذ باكلها فنقول السائل خالق اللذات هو الله سبحانه فكان ينبغي ان لا يخلقها ابتدا حتى لا يحتاج الى المأكل والحس ولما كان هذا ردا على القران علمنا سقوطه ثم ان التحقيق ان الدنيا دار الاسباب فربط الله تعالى كل شي بشي حتى انه كما تظهر قدرته بايجاد الاشيا فلذلك يظهر حكمته بجعل الاشيا اسبابا لساير الاشيا

الوجه الخامس في امثال العرب اجرا من الذباب واطيش من الذباب اما شدة جراته فظاهر لان الانسان كلما دفعه عاد اليه وقيل انما يسمى الذباب ذبابا لانه كلما ذب آب والحكمة في وصفه بالجرأة انه لما كان المقصود من خلقته افنا العفونات كان باعتدالها وتارة بتحريك الهوى بسبب الطيران وجب كونها موصوفة بالجراة حتى انها متى دبت لا تمتنع عن الحركة فيحصل هذا المقصود وكذا طيشها وعجاجتها من الامور المعينة على هذا المقصود واما كون بعضها شبيها بالبعض ففيه حكمة عجيبة وذلك لانه بينا انه لو حصلت المشابهة من الاشخاص الانسانية اختلف مصالح العالم فان على هذا التقدير ما كان يتميز زوج هذه المرأة عن غيره وما كان يتميز مالك هذه الدار عن غيره وذلك يفضي الى وقوع المفاسد العظيمة في العالم فلاجل رعاية هذه المصالح ميز الله تعالى كل انسان من غيره في الشكل والصورة والصوت واما الحيوانات الاهلية فهي غير مكلفة فما كانت مصالحها تختل عند حصول هذه المشابهة في الصورة والخلقة الا ان الانسان ربما ينتفع بفرد معين ولم ينتفع بفرد اخر منها مثل ان كان هذا الفرس اشد ركضا واشد عدوا من ساير الافراس فلاجل هذا المعنى اظهر الله تعالى المخالفة بين صور الحيوان الا ان المخالفة ههنا اقل من المخالفة التي بين صور الانسان واما الحيوانات البرية فان حاجة الانسان اليها قليلة وانتفاعها بواحد معين منها دون غيره نادر جدا فلا جرم كانت المخالفة فيما في الصور والاشكال اقل من المخالفة الحاصلة من صور الحيوانات الاهلية واما هذه الحيوانات الخسيسة التي لا تتعلق حاجة الانسان بها البتة فلم تحصل المخالفة بين صورها البتة وصار في التشابه بحيث لا يمكن تمييز بعضها عن البعض وهذا الترتيب الذي ذكرناه في تخليق ابدان الحيوانات يدل على انها باسرها مخلوقة لمنفعة الانسان حتى انها صارت مخلوقة على وفق مصلحة الانسان واذا عرفت هذا فنقول ان امتياز الانسان عن ساير الحيوانات ليس الا لكونه عارفا بالله مشتغلا بطاعة الله يدل هذا على ان كل الحيوانات مخلوقة لهذه الحكمة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ودل ايضا ان خالق هذه الحيوانات ليس هو الطبيعة ولا العلة ولا الخاصية بل المؤثر فيها هو قدرة الصانع المختار حتى انه سبحانه حيث تعلقت المصلحة باظهار المخالفة بين الصور والاشكال اظهرها وحيث لا تتعلق المصلحة باظهار هذه المخالفة لم يظهرها فسبحان من لم يخل ذرة من ذرات الارض والسماء عن دلايل ظاهرة وبراهين باهرة على كمال قدرته

وغاية

وغاية حكمته **الوجه السادس** من عجايب خلقة الذباب ان اكثر طيرانها من الامور المطلوبة في الحكمة من حيث ان طيرانها سبب لزوال العفونة عن الهوى فنقول ان كثرة طيرانها في العفونات يصير سببا لوقوع تلك العفونات على اجنحتها ومتى اجتمعت تلك العفونات على اجنحتها ثقلت وعجزت عن الطيران فدبر الخالق الحكيم المدبر الرحيم ان اقدر الذبابة على انها تنظف جناحها برجليها عن كل ما التصق بها من العفونات ثم انها كما تنظف جناحيها برجليها فكذلك في مقدمة بدنها يدين زائدتين تنظف ابدا بهما عينيها وذلك لان العين لا يكمل الانتفاع بها الا اذا كانت صافية صقيلة كالحبوكات الكثيرة لتلك الاجفان تنظف سطح الحدقة في كل اوان عن انواع البخار والغبار فتبقى صقيلة صافية ابدا فسبحان من خلق كل شي على احسن الوجوه وهدى كل شي الى رعاية مصلحته الى اقصى الوجوه **الوجه السابع** في عجايب خلقة الذباب قوله عليه السلام اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوه فان في احد جناحيه داء وفي الاخر دواء واعلم انها خاصية اطلع عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بنور النبوة والرسالة وهذا ايضا من عجايب الخلقة فان كون احد الجناحين داء والاخر دواء مخصوص بالذباب ولا يوجد في غيره **الوجه الثامن** انه تعالى جعل حالتي الذباب بحسب الصيف والشتا دليلا على اختلاف حالتي الانسان بحسب الموت والبعث وكما ان الذباب يغيب في الشتاء ويظهر في الصيف فكذا الانسان يغيب في اللحد بالموت ويظهر في القيمة بالبعث وبالله التوفيق

الفصل الخامس في الكلام في بقية الحيوانات المذكورة في القران

اما العنكبوت قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وفي تشبيه عبادة الاصنام ببيت العنكبوت وجوه **الاول** ان بيت العنكبوت لا يصون عن البرد والحر فكذا عبادة الاصنام لا تجلب النفع ولا تصون عن الضرر **الثاني** ان بيت العنكبوت يتهدم بادنى شي فكذا مذهب عبدة الاصنام يبطل بادنى حجة **الثالث** ان الشي انما يعرف بضده فلما كان الاشتغال بغير الله كبيت العنكبوت في الضعف لزم ان يكون الاشتغال بطاعة الله سبحانه ومعبوديته اعظم واقوى من السموات السبع ثم في الاية لطايف دالة على شرف المومن **الاولى** ان الله تعالى قال مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا سمى الاصنام اوليا للكافرين ثم وصف نفسه بكونه وليا للمومنين وقال الله ولي الذين امنوا فحكم فالصنم ولي الكافر وجبار السموات والارض ولي المومنين **والثانية** انه تعالى خلق البعوضة والعنكبوت فجعل البعوضة سببا لهلاك اشد الخلق طغيانا وكفرا وهو نمرود وذلك لان البعوضة التي اهلكت نمرود قالوا كانت لها نصف البدن اما النصف الثاني فكان مفلوجا فاسدا واما العنكبوت فانه تعالى جعله سببا لنجاة محمد عليه السلام عن شر الكفار وذلك لانه عليه السلام لما دخل الغار نسج العنكبوت على باب الغار والحكمة في الجملة انه تعالى خلق الاشيا الصغيرة الحقيرة ثم جعلها اسبابا للامور العظيمة ليعلم الخلق ان الامر بيد الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد **ومن عجايب احوال العنكبوت** انه اذا اراد ان يبني بيتا لحلبا نرود يحيط بها ضلعا ثم تسدى

فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيلتصق بطرف الاخر من الخيط ثم لا يزال يذهب ويجي ذاهبا وجائيا على تناسب محقق حتى ينسج احكم النسيج كالسدى
اشتغل باللحمة ويضيف البعض الى البعض على مناسبة هندسية ثم يهيا الشبكة لتقع البق والذباب
فيها ثم يقعد في زاويته ينتظر لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد فيها بادر الى اخذه فان عجز عن
الصيد بهذا الطريق طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط
اخر وبقي منكسا في الهوى ينتظر ذبابة فاذا طارت الذبابة رمى بنفسه اليها فاخذها وربط خيطه
على رجليها واحكمها ثم ما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجايب ما لا يحصى افترى انه
تعلم هذه الصنعة من نفسه او بتعليم ادمي بل هذا من الالهامات الربانية والهدايات الرحمانية
واما النمل فقال تعالى في سورة النمل في قصة سليمن حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون قال المفسرون في
وادي النمل واد بالشام كثير النمل فان قيل لم عدى اتوا بعلى قلنا لوجهين الاول ان
اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا الثاني ان المراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم
اتى على الشي اذا بلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي اما قوله قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
فالمعنى انها تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد فان حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه والله
قادر على الممكنات وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس قال سلوا عما شيتم وكان
ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى فسالوه
فافحم عليه فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له كيف عرفت فقال عرفت من كتاب الله وهو
قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها
على الذكر والانثى ثم يميز بينهما بعلامة كقولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي واما قوله ادخلوا
مساكنكم فاعلم ان النملة لما قاربت حد العقل لاجرم خوطبت بما يخاطب به العقلا فلهذا قال ادخلوا
مساكنكم واما قوله لا يحطمنكم سليمان ففيه وجهان الاول التقدير ادخلوا مساكنكم كيلا يحطمنكم
على طريقة لا ارينك وفي هذه الاية تنبيه على امور احدها ان من يسير في الطريق لا يلزمه
التحرز وانما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها ان النملة قالت وهم لا يشعرون فتلك النملة
كانت اكثر عقلا من الحشوية الذين يجوزون المعصية على الانبيا ومن الروافض الذين يطعنون
في اصحاب محمد عليه السلام فان النملة ما طعنت في اصحاب سليمن عليه السلام وهو لا الروافض
يطعنون في صحابة محمد عليه السلام وثالثها ما رايت في بعض الكتب ان تلك النملة انما امرت
رعيتها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم ولا تقع في كفران نعم الله وهذا تنبيه على ان مجالسة
ارباب الدنيا محظورة ويروى ان سليمن عليه السلام قال لتلك النملة لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم
اخفت مني عليها ظلما فقالت لا ولكني خشيت ان يفتتنوا بما يرون من تجملك وزينتك
فيشغلهم ذلك عن طاعة ربهم قال بعض اهل التذكير ان النملة تكلمت في هذه الاية بعشرة
اجناس نادت ونبهت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت واشارت وعذرت

واما النداء فيا واما التنبيه فقوله ها واما التسمية فقوله النمل واما الامر فقوله ادخلوا واما
النص فقوله مساكنكم واما التحذير لا يحطمنكم واما التخصيص فقوله سليمن واما التعميم فقوله
وجنوده واما الاشارة فقوله وهم واما العذر فقوله لا يشعرون وايضا فهذه النملة
قامت باداء خمسة من الحقوق الاول حق الله تعالى فانه تعالى جعلها ملكة النمل فاحسنت
في رعاية الرعية الثاني حق سليمن عليه السلام تنبيهه على الاحتراز عن قتل البرى
عن الجرم الثالث حق النمل فانها نصحت للنمل حتى دخلت مساكنها فتخلصت
عن البلا الرابع حق جنود سليمان عليه السلام فانها حذرتهم الا قدام على ايذا
الحيوانات من غير فايدة الخامس حق جميع الخلق فانها بهذا الكلام علمت جميع
الخلق بالاجتهاد في ايصال الاحسان الى الخلق والمبالغة في كف الاذى عن الخلق كما قال
عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فهذا ما يتعلق بهذه الاية على سبيل
الاختصار واما الحكمة في خلقة النمل في عجايب افعالها فمن وجوه الاول انه تعالى
انما خلق النمل في الدنيا ليعرف كيفية حال المتكبرين في القيمة من الذل والحقارة وقال
عليه السلام يحشر المتكبرون يوم القيمة امثال الذر يطاهم الناس باقدامهم الثاني
ان النمل يجمع في الصيف للشتا وفي وقت الوجدان لوقت الفقدان فينبغي ان يكون العبد
كذلك فيشتغل بالطاعة في الدنيا ليجد الثواب في العقبى وقال عليه السلام في خطبة له
فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن شبابه قبل الكبر ومن الحيوة قبل
الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار
الثالث ان النملة قد تتكلف نوى التمر وتحمل العنا والمشقة العظيمة في ذلك ثم انه
لا ينتفع بتلك النواة الا ان ينظر اليها ولا ينتفع بها قط ويكون نصيبها من تلك النواة
محض المحنة والمشقة وكذلك الحريص يتحمل المشقة في جمع الدنيا ثم يموت ولا ينتفع بها ولا
يكون له فيها حظ الا التعب الرابع ان النملة تحمل اضعاف قوتها وقدرتها وكذا
العبد ينبغي ان يتحمل اضعاف قوته المشقة في طاعة الله تعالى الخامس من عجايب احوالها
انها تتخذ تحت الارض منازل وتملاها الحبوب والذخاير يوم للشتاء تجعل بيوتها متعوجا
بعضها الى البعض ليجري اليها ماء المطر فربما اتخذت بيتا فوق بيت لئلا يسيل اليها المطر واذا ابتل من
تلك الحبوب شي اخرجها الى الشمس ايام الصحو لتجف ثم انها تقطع الحبة بنصفين خوفا من ان تنبت
وكذا تفعل الشعير والباقلا والعدس لاجل ان لا ينبت واذا اخرجت من جحرها تذهب وتجي اخر
تذهب بسرعة ثم انها في الذهاب والمجي كانها قوافل لا تنحرف عن الطريق ثم اذا وجدت واحدة منها
شيا لا تقدر على حملها اخذت منها قدرا ورجعت واخبرت الباقين بذلك وربما اجتمع على
الشي الواحد عدد منها يتعاونونه ويقلبونه ويذهبون به الى الجحر ويتحملون العنا والمشقة
فيه واذا علمت بان واحدة توانت في الحمل وتكاسلت في الاعانة اجتمعت على قتلها ورمت
بها ليعتبر غيرها قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انظر الى النملة في صغر

جسمها نقطا فتمسيتها كيف دبت على ارضها وصبت على ورقها وتنقل الحبة الى جحرها
وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها ولادها لاشد ودها مكفول برزقها مرزوق
لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا المدابس والحجر الطامس

واما الارضة فقد قال في سورة سبا في قصة سليمن عليه السلام فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين فقيل انه عليه السلام قال اللهم اعم على الجن موتي لتعلم الانس
انهم لا يعلمون الغيب ودخل محرابه وقام متكيا على عصاه فمات وبقي قايما سنة حتى ثم
بنا بيت المقدس ثم سلط الارضة على منساته فخر فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حيا الكثرة
ما شهدوا من قوة قيامه وابو عمرو وابن كثير منساته بغير همز وقرا ابن عامر بهمزة ساكنة
والباقون بهمزة مفتوحة وكلها لغات صحيحة واصله الهمز لانه من نسات الشي اي
طردته اما قوله تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ففيه قولان
احدهما تبينت حال الجن للانسان ان الجن لا يعلمون الغيب الثاني عرف
عوام الجن ان روساهم لا يعلمون الغيب والعذاب المهين هو تلك الاعمال الشاقة في البناء
ومن عجايب هذه الحيوان امور ثلثة الاول ان الله تعالى اعطاها مستقرين
سه السواطير يقرض بهما الخشب وترى النمر وسقف الاجر والحجارة وهذا من العجايب فان
ذلك بالحيوان على صغر جرمه ورخاوة بدنه كيف حصل لمشفريه هذه القوة العظيمة الثاني انه
اذا انقبت الخشب من الداخل بنت هناك لنفسها بيتا من الطين الصرف به الارواح والارواحه
فمن اين وجدت هناك والسواد الماخي جعلها طينا وبنت لنفسها من ذلك الطين بيتا
الثالث ان الطين المسمى بناقر الخشب لا ينقر الا على الموضع الذي يكون تحته هذا
الحيوان فتامل ان هذا الطين باي علامة عرف ان ذلك الموضع هذه الارضة وكيف تميز عنده
ذلك الموضع من الشجرة عن ساير المواضع ومن اتصف علم ان علوم الخلق لا تصل الى هذه الاسرار
واقر بجلاله علام الخلق وكمال قدرته وحكمته واما الفراش فقال تعالى في سورة القارعة
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث واعلم انه تعالى وصف يوم القيمة بامرين الاول
كون الناس كالفراش المبثوث قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار وسمي فراشا لتفرشه
وانتشاره ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث في هذه الاية بالفراش وفي الاية الاخرى بالجراد المنتشر
واما وجه التشبيه فلان الفراش اذا طار لم يتجه الى جهة واحدة بل كل واحد منها يذهب الى غير جهة
الاخر وهذا يدل على ان الخلق اذا بعثوا فزعوا فاختلفوا في المشي الى جهات مختلفة غير منضبطة
الثبوت المتفرق يقال بثه اذا فرقه اما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة قال الفراء الغوغاء الجراد يركب
بعضه بعضا وبالجملة فالله سبحانه شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر وبالفراش المبثوث
لانهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش وتاكد بما ذكرناه بقوله تعالى فتاتون افواجا
وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله في قصة ياجوج وماجوج وتركنا بعضهم يومئذ

يموج في بعض فان قيل الجراد بالتشبيه الى الفراش كبار فكيف شبه الواحد بالصغير
والكبير قلنا شبه بهما بوصفين متغايرين اما التشبيه بالفراش فلاجل ذهاب كل واحد الى غير
جهة الاخرى اما بالجراد فلاجل الكثرة والتتابع ويحتمل ايضا ان يقال الكشمس وذكروا بالتشبيه
بالفراش وجوها اخرى الاول انه ما روى انه عليه السلم قال الناس عالم او متعلم وساير الناس
همج ورعاع فجعلهم الله في الاخرة كذلك اليوم اذلا ولسك كالانعام بل هم اضل الثاني ان الفراش
كلما منع ان يلقي نفسه في النار فانه يعود فكذلك الكفار كانوا يمنعون عن نار جهنم وهم كانوا يلقون
انفسهم فيها **الصفة الثانية** من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وتكون الجبال
كالعهن المنفوش والعهن الصوف ذوات الالوان والنفش هو جعل الصوف ينفش بعضه عن
بعض ويتبين بعضه عن بعض واعلم انه تعالى اخبران الجبال مختلفة الوانه كما قال ومن الجبال جدد
بيض الى قوله تعالى وغرابيب سود ثم انه سبحانه يفرق بين اجرامها ويزيل التاليف والتركيب
عنها فيصير ذلك مشابها للصوف الملون بالالوان المختلفة اذا جعل منفوشا واما ضم تعالى بين
حال الناس وبين حال الجبال كانه تعالى قال ان تاثير تلك القرعة في الجبال هو انها صيرها كالعهن
المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها فالويل ثم الويل لابن ادم ان لم تتداركه
رحمة ربه ويحتمل ان يكون المراد ان جبال النار تصير كالعهن لشدة حمرتها وانما لم يقل يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش لان التكرير في مثل هذا المقام ابلغ في التحذير
واعلم ان حال هذه الحيوانات عجيب فانه كما يقال انه يحب النور ويبغض الظلمة جدا فاذا
حس بالسراج ظن انه منفذ الى عالم النور فيلقي نفسه الى السراج ويطلب ان يتخلص من عالم
الظلمة الى عالم الانوار ومنهم من قال انما يحب شكل النار وصورتها فاذا راها القى نفسه جعلت
نفسه فداء للنار وعلى التقديرين فهو انما يكون محبا للنار والنور فكيف كان فانه جعل
نفسه فداء للمحبوب واذا كان الامر كذلك فالانسان اولى بان يجعل نفسه فداء النور معرفة الله تعالى
وللنار محبته بل اهل الهند يحرقون انفسهم على حب الله فالمومن اولى بان يحرق قلبه في حب الله
فان قيل قال الله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الى ان اليهود يحرقون انفسهم
والمومن لا يفعل ذلك فالجواب من وجوه الاول ان معبود الكافر لا رحمة له ومعبود
المومن رحيم وكذلك معبود الكافر لا علم له بشي ومعبود المومن عظيم فعابد الصنم اذا احرق نفسه
لاجله فالصنم ما علمه ولا رحمه واما الحق فانه عالم باحوال عبيده رحيم بهم فلهذا منعهم عن ذلك العمل
الثاني ان الكافر يحرق نفسه وهو يرى معبوده بعينه والمومن يعرض نفسه للقتل ولا
يرى معبوده وكان هذا اعظم الثالث ان قيل الحقيقة حر من كسر المجاز وفعل المومن
حقيقته وفعل الكافر مجاز الرابع قال الجنيد اهل الهند يحرقون انفسهم لاجل الصنم
فاذا كان يوم القيمة حشروا مع اصنامهم الى باب جهنم فيقال لهم ادخلوا النار مع اصنامكم
كما دخلتم النار في الدنيا فيابون ويقول الله تعالى للمومنين ادخلوا النار فيقولون سمعنا واطعنا
ويتسارعون الى النار فذلك هو قوله والذين امنوا اشد حبا لله **الفصل السادس**

في حيوانات الماء والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ذكروا انه حصل في الربع المعمور اربعة عشر بحرا
كبارا منها بحر الروم وبحر القلزم وبحر الفارس وبحر الهند وبحر الصين وبحر ياجوج وماجوج
وبحر الحبشة وبحر الاخضر وبحر الشرق وبحر الغرب وبحر الشمال وبحر الجنوب وبحر طبرستان
وثمانية انهار طوال كمثل جيحون وسيحون والدجلة والفرات ونيل مصر ونهر الكر والارس
وهر من طول كل واحد مائة فرسخ الى الف فرسخ وقريب من خمسمائة انهار صغار واما الاجام والغدران
والانهار الصغار فلا تقدر ولا تحصى فهذا مجموع ما في الربع الاشغل المعمور واما الارباع الثلثة من
الارض فانها مغمورة في البحر اذا عرفت هذا فتامل في الحيوانات الموجود في بحار الربع المسكون
واوديتها واجامها ثم تامل في ما حصل من البحر المحيط حتى تعلم ان حيوانات البحر لا شبيه لها في الكثرة
وعجايب الخلقة ولا يخفى عليه خافية من امورها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين
ذكروا ان ملك حيوانات البحر هو الثعبان وجنوده التماسيح والكواسج والسرطانات واصنافا من
الحيوانات البحرية لا يحصى عددها وانواعها الا الله تعالى قالوا وهذا الثعبان حيوان هايل المنظر
مهيب المخبر يخافه كل حيوانات البحر لشدته وقوته وعظم صولته اذا تحرك تموج البحر من
شدة سباحته براق العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان يبلغ في كل يوم من حيوانات البحر
عددا لا تحصى واذا امتلا وتخم تقوس والتوى واعتمد على راسه وذنبه ورفع وسطه خارجا
مرتفعا في الهوى مثل قوس قزح ومقصوده ان يؤثر فيه حر الشمس فيستمري ما في جوفه وربما
عرض له في تلك الحالة ما يشبه الغشي والسكون فيبقى كذلك اياما ثم تعقد السحاب من تحته
ثم ترفعه الرياح الشديدة وترميه الى البر فيموت ويأكل من جيفته السباع مدة او ترميه الى ياجوج
وماجوج ما وراء السد فيصير غذا لهم ثم ان هذا الحيوان على عظمه لا يتاذى من شيء الا من حيوان
صغير في البحر يلسعه وهو لا يقدر عليه فيدب بسمه في جسم هذا الثعبان فيموت فيصير غذا
للحيوانات في البحر وهكذا كل الحيوانات وكذلك ان الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها
غذا للعصافير والخطاطيف ثم هذه العصافير والخطاطيف غذا للبواشق والشواهين ثم
ان هذه الحيوانات اغذية للنسور والعقاب ثم انها اذا ماتت اكلها الحيوانات من النمل والذباب
والدود وهكذا حال بني ادم اكلتهم في القبور الديدان والحشرات فتارة تاكل صغار الحيوانات كبارها
وتارة تاكل كبارها صغارها ليحصل العدل فان بالعدل قامت السموات والارضون
ومن عجايب البحر صدف الدر ويقال ان لها وقتا معينا في السنة يصعد من المطر ثم
اذا وقع قعر البحر الى ظاهر سطح الما فيفتح اذنين لها شبيه السفطين فيقطر فيها من مياه
المطر ثم اذا وقع فيها شيء من المطر انضمت مما شدة حتى لا ينفع فيه شيء من الماء المالح الذي
في البحر ثم ينزل برفق الى قعر البحر وتمكث هناك منضمة على الصدفين الى ان ينعقد فيه الدر
وبالله التوفيق والحمد لله وحده

الفصل السابع في احوال الانعام

اعلم انه سبحانه استدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته باحوال البهائم وذكر في الكتاب

ذكر

في ايات كثيرة فاجمعها في سورة النحل فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تاكلون واعلم ان هذه الحيوانات مخلوقة لمصالح المكلفين وكل حيوان كان انتفاع
المكلف به اكثر كان اشرف والمعلوم ان انتفاع المكلفين بالانعام اكثر من انتفاعهم بغيرها وذلك
لان الانعام ننتفع بها في الاكل وذلك باكل لحومها وفي الشرب بشرب البانها وكذلك بالجلد
اللابس من اصوافها واوبارها وبالركوب وذلك لركوبها وبالحمل وذلك بان تحمل امتعتهم
في الاسفار وفي كثرة المال وذلك بسبب درها ونسلها وفي التجمل بها وذلك لانها اموال
ظاهرة فيحصل التجمل بها فلما كان انتفاع الناس بالانعام اكثر من انتفاعهم بساير الحيوانات
لا جرم كانت الانعام اشرف انواع الحيوانات ولهذا السبب قدمها الله تعالى في الذكر على ساير
الحيوانات وقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ثم انه تعالى فصل القول في بيان
منفعتها فالمنفعة الاولى قوله لكم فيها دفء والمراد من الدفء هو اللباس وذلك لان
اللباس سبب للدفء فسمي اللباس باسم الدفء وتحقيق الكلام ان روح الانسانية اشرف
الارواح السفلية بل هي سلطان الارواح السفلية والسبب في هذا الشرف العظيم كونها مشرفة
بتشريف الاضافة المذكورة في قوله ونفخت فيه من روحي ولما كانت الروح الانسانية اشرف
الارواح السفلية وجب ان يكون البدن الانساني اشرف الابدان السفلية واشدها اعتدالا
وابعدها عن الكثافة والصلابة ولما كان بدنه في غاية الاعتدال لا جرم لم ينبت على جلده الشعور
الكثيرة فبقي عاريا عن الوطا والدثار الذي هو حاصل لساير الحيوانات واذا كان كذلك قل طاقته
مزاجه تحوجه الى الصون عن الحر والبرد وكيفيات الاهوية ورطوبات الامطار فهذا هو السبب
واحتياج الانسان الى الملبوس المنفعة الثانية قوله تعالى في هذه الاية
ومنافع واعلم انما قبل هذه الكلمة هو ذكر الدفء وما بعدها هو ذكر الاكل ولفظة المنافع مبهمة
محتمله فلما كمل قدم ذكر الدفء يحتمل ان يكون المراد من هذه المنافع المشروب الاحتمال
الاول فنقول الانسان كما هو محتاج الى الملبس وكذلك هو محتاج الى المسكن وسبب
الاحتياج من وجوه الاول ان كل احد من الناس لا يقدر على ما يستحي من اطلاع غيره
الغير عليه فلا جرم يحتاج الى مسكن مفرد الثاني ان الانسان لا يمكنه الجلوس في الحر
الشديد للشمس وفي الهوى البارد جدا ولا يمكنه ان يجلس في الرياح الشديدة والامطار
القوية فلا جرم يحتاج الى المسكن الثالث ان الانسان يحتاج الى ادخار الاموال والطعام
والملبوسات ولا يمكن حفظها الا في الدار الرابع ان الانسان يحتاج الى ان يحترز في
عن ضرر الاعداء من الناس والسباع وذلك لا يمكن الا بالدار فلاجل هذه الوجوه يحتاج الانسان
الى التفرد بالمسكن واعلم ان المسكن يجري مجرى الثوب في كونه ساترا للبدن ومانعا من
حصول المؤذيات من الحر والبرد والرياح ولما ذكر الله تعالى امر الملبوس وقال بعده ومنافع اي
ومنافع من جنس منفعة الملبوس وهي منفعة المسكن واعلم ان الله تعالى شرح امر هذه المنفعة
في هذه السورة في اية اخرى فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام

بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا
ومتاعا الى حين فقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي مسكنا تسكنون فيه وهو ما ان تتخذوا منها
من الحجر والمدر وكل ذلك مخلوق لله تعالى وتكنه تعالى جعلها بحيث تمكن للمتميين اتخاذ الابنيه
ثم قال تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الخيام
والقباب والفساطيط المتخذه من الانطاع والجلود للشعر والحصر ثم قال ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين فالاثاث ما يحتاج اليه في البيت والمتاع ما يتمتع به ويتحمل
به ثم قال الى حين اي الى الموت والمعنى ان الانتفاع بالدنيا يكون الى مده ولا يدوم فينبغي للعاقل
ان يختار الاخره **اما الاحتمال الثاني** وهو ان يحمل المنافع المذكوره في هذه الايه
على المشروب فاعلم انه تعالى جعل البانها مشروبا طيبا طاهرا لنا ذكر هذه النعمه في امور كثيره
قال تعالى في هذه السوره اعني سورة النحل وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
ولكم فيها منافع في هذه السوره يعني سورة النحل الايه وثانيها قال في سورة المومنين
قال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيره **المنفعة الثالثه**
من المنافع المطلوبه من الانعام قوله تعالى ومنها تاكلون واعلم انه تعالى ذكر منفعة الاكل
في المرتبه الثالثه وههنا ابحاث **البحث الاول** في سبب احتياج الناس الى اكلها
واعلم ان السبب فيه ان الانسان مركب من اللحم والعظم ومن شان الغذا ان يكون شبيها
بالمتغذي فلهذا السبب كان اكمل الاغذيه للانسان هو اللحم **البحث الثاني**
ان قوله تعالى ومنها تاكلون يفيد الحصر يعني فالمعنى ومنها تاكلون لا من غيرها وظاهر
هذه الايه تقتضي حرمة اكل غيرها الا ما خصه الدليل فلما قال بعده والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ذكر هذه الحيوانات وخصها بانها مخلوقه للركوب مع ان الايه المتقدمه
داله على حصر منفعة الاكل في جنس الانعام كان مجموعها دالا على حرمة لحم الخيل كما
يقول ابو حنيفه **المنفعة الرابعه** قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
تسرحون الاراحه رد الماشيه بالعشي من مراعيها الى مباركها والسرح اخراج الماشيه اطلاقها اما قدم
في الذكر مع انها متاخره في الوجود لان الاراحه تكون وقت شبعها واشتلا ثديها من اللبن
بخلاف وقت التسريح والاشبه ان التجمل في ذلك الوقت اكمل **المنفعة الخامسه**
قوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس الشق المشقه والتحقيق ان الشق
نصف الشي والمعنى لم تكونوا بالغيه الا بذهاب بعض قواكم واعلم انه تعالى ذكر هذه المنفعه
في ايات كثيره منها قوله تعالى ومن الانعام حموله وفرشا ومنها قوله تعالى في يس اولم
يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون
ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ومنها قوله تعالى في المومن الله الذي جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها
وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ومنها قوله في الزخرف وجعل لكم

الاية

لطيفا

اكل اللحم

من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون والنكته فيه ان
الابل اقوى من سائر الحيوانات وكذا الخيل والبغل وذلك الانقياد لا يكون الا بتسخير الله تعالى كما قال سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وما الغرض منه الا التنبيه كانه تعالى يقول انا الذي جعلت
القوي منقادا للضعيف واعلم اني قادر عليك فينبغي ان تكون خايفا مني منقادا لحكمي ولا
تكسرت رقبتك في محل القهر والله اعلم بالصواب والحمد لله حق حمده وصلى الله على رسوله سيدنا
محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه

ومستور عليك

وكان الفراغ من رد هذا الكتاب يوم السبت
التاسع والعشرون من شهر الحجه الحرام
احد شهور السنه الاولى من بعد
الالف من الهجره النبويه على صاحبها
افضل الصلاه
والسلام

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم